

Twitter: @abdullah_1395
28.6.2014

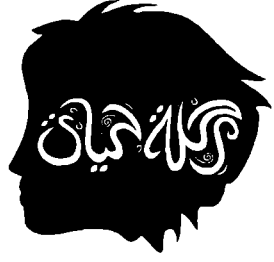


سيرة محمد بن عبد الوهاب

محمد بن أحمد الرشيد

مسيرتي مع الحياة

محمد بن أحمد الرشيد



✦ معلومات التصنيف:

③ رحلة حياة. ١٤٢٧ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الرشيدي، محمد بن أحمد
مسيرتي مع الحياة. / محمد بن أحمد الرشيد -. الرياض،
١٤٢٧ هـ

٤٩٩ ص

ردمك: ٩٩٦. -٥٢-٩٨. -.

١- الرشيدي، محمد بن أحمد - مذكرات أ.العنوان

ديوي: ٩٢٣،٢٥٣١ ١٤٢٧/٣٤٧٧

رقم الإيداع: ١٤٢٧/٣٤٧٧

ردمك: ٩٩٦. -٥٢-٩٨. -.

• المؤلف: محمد بن أحمد الرشيد
• الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م
• العنوان: مسيرتي مع الحياة
• تصميم الغلاف والصفحات الداخلية
وتنضيد الحروف: الناشر

يسر المؤلف أن يتلقى من القراء الكرام ملاحظاتهم
ليستفاد منها في طبعات لاحقة إن شاء الله. وذلك
إما: بالكتابة إلى المؤلف مباشرة، أو إلى دار النشر
«رحلة حياة» على العنوان الآتي:

www.lifejourney.com.sa/publishing

“

اهداء

- إلى كلِّ من آمنَ بسموِّ رسالةِ التربية والتعليم وحملَ همَّها..
- وإلى الألوِّف المؤلِّفة من الأجيال الناشئة، فلذات الأكبَاد، براعم اليوم الواعد، وبنَاة الغد المشرق، بإذن الله..
- وإلى إخوةِ درب التربية والتعليم وأخواته..
- وإلى الحريصين على الوقوف على الحقيقة المجرَّدة تحت ضوء الشمس لا يغطيها تزوير ولا يجمِّلها تزيين..
- وإلى من حجبت عنهم الرؤية: عواطفُ جامحة، وملابساتٌ معقدة، وأحكامٌ مُسبِّقة، وأخطاءٌ في التفكير والتقدير..
- وإلى أفراد أسرتي كافة الذين أبادلهم حباً بحب، لقد شاركوني أفراحي، وأتراحي، والذين هم عزتي، ومتعة حياتي، ومصدر سروري وفخري.

أقدم هذا الكتاب

ولعل الأبناء والأحفاد يجدون في صفحاته صوراً من حياة أبيهم ومجتمعه الذي عاش فيه.

راجياً من الله الكريم العفو والقبول..

محمد بن أحمد الرشيد

مقدمة

لماذا هذا الكتاب؟

جاء هذا الكتاب استجابة لشعوري بأن النقلة الاجتماعية والتعليمية والثقافية والمادية التي عشت قبلها ومعها لم يكتب عنها بما فيه الكفاية؛ فأردت أن أضع أمام القراء الكرام - وخاصة الناشئين - صوراً عشتها؛ مؤملاً أن تنفعهم في مسيرتهم لبناء المستقبل المشرق بهم إن شاء الله.

هذا الكتاب ليس صوراً من سيرة مقتضية لصاحبه فحسب، إنما هو ملامح من سيرة مجتمع في حقبة زمنية لا تتجاوز خمسين عاماً. والكاتب هو أنموذج لشريحة من أفراد المجتمع الذين عاصروا تلك النقلة، ورأوها من الداخل، وعاشوها من المواقع التي تنقل فيها.

ليس المقصود من هذه الصفحات التأريخ التفصيلي لحياة كاتبها، ولا إعطاء صورة

شاملة لواقع المجتمع السعودي الذي عاشه، لكنها إشارات لبعض الأحداث، والمواقف، والأعمال التي لها معنى خاصٌ عندي، وفي تصوري أن واقعنا الحالي هو امتداد لها.

لقد أدركت -بحكم مسؤولياتي ووظائفي التي تقلدتها، ومعظمها في المؤسسات التعليمية- أن بعض الشباب في عصرنا الحالي لا يقدرون المكاسب والإنجازات التي تحققت حق قدرها، وبعضهم يحتاج إلى مزيد من الحس الوطني الذي ينبغي أن يتجلى في حماس للعمل وحب للإتقان. كما أدركت أن كثيراً من القيم السامية النابعة من ديننا الحنيف، والتي اعتنقها الآباء والأجداد، وعملوا بها غشاها الغبش؛ فلم يعد الناس يبصرونها كما ينبغي أن يبصروها، فأحببت أن أزيل بعض هذا الغبش، لتكون الرؤية أوضح، وأقرب إلى الحقيقة؛ فالحكم الصحيح ينبني على رؤية صحيحة، و«الحكم على الشيء فرع عن تصوره».

لقد اجتهدت حين نيّطت بي المسؤولية -ما وسعني الاجتهاد- في العمل لمصلحة ديني ووطني، وحاولت -مستعينا بالله، ثم بالكثيرين من المخلصين الأخيار من أبناء هذا الوطن والمقيمين فيه- أن أرقى بمستوى التعليم في بلادنا؛ لإيماني بأن نهضة الأمم تبدأ من التربية والتعليم. ولم أتخذ أي قرار ذي بال حين كنت وزيراً قبل استشارة زملائي في الوزارة، الذين كنت أجمع بهم كل أسبوع، أعرض عليهم ما عندي، ويعرضون علي ما عندهم. فيكون لدى الجميع صورة عن الملامح الكبرى لما يجري، وإن لم يعرفوا الدقائق والتفاصيل التي تختص بها وكالات الوزارة المختلفة أو الإدارات العامة فيها.

ولابد لي هنا من ذكر بضعة أمور:

لم أرفق بالكتاب ملاحق تتضمن صوراً لمحاضر، أو مراسلات خطية، أو صوراً فوتوغرافية حتى لا أخرج بالكتاب عن الغاية التي أردتها منه، والتي أشرت إليها في أول هذه المقدمة، فالكتاب ليس دراسة أكاديمية، ولا وثيقة رسمية.

معظم الكتاب يدور حول حقبة تشرفي بالعمل وزيراً للتربية والتعليم وذلك:

لأنها أطول مدة زمنية قضيتها في عمل واحد.

ولأنها أهم وأخطر المسؤوليات التي نيّطت بي.

ولأن ما حدث في أثناء هذه المدة من مبادرات وتطوير كان له تأثير كبير على المتابعين لما يجري، ما بين مؤيد ومعارض.

أوردت نصوص بعض أحاديثي وكلماتي ومراسلاتي لأكشف الحقيقة لمن غابت عنه، ولأوضحها لمن غمضت عليه، ولمن يحرصون على معرفتها بجلاء ولأصحح طريقة التفكير لدى بعض أبناء هذا الوطن الغالي الذين يسارعون في الحكم على نيات الناس، ولا يتثبتون في أقوالهم وأفعالهم مخالفين النصوص الصريحة في الكتاب والسنة. هذا-بالإضافة إلى أن الاطلاع على هذه الكلمات والأحاديث والمراسلات يُعطي فكرة صادقة، وإن لم تكن شاملة، عن (فكري التربوي وفلسفتي في التعليم) -إن صحَّ التعبير- إذ أن عدداً من الزملاء الأفاضل، والأصدقاء الأحياب كانوا يطلبون مني بصفة مستمرة أن أكتب في هذا الموضوع.

في بعض فصول الكتاب ما يبدو كأنه عرض لإصلاحات إدارية ووظيفية مهمة تمت في وزارة التربية والتعليم، في المدة التي يتناولها الكتاب، وما يبدو كأنه عرض لإنجازات علمية وعملية حركت بعض المياه التي كانت راكدة في المجال التربوي والتعليمي، وحديث عما خططت له الوزارة في تلك الحقبة من عمرها، وبعضه نجحت الوزارة في وضعه موضع التنفيذ، وبعضه الآخر لا يزال ينتظر همة المخلصين من أبناء هذا الوطن الحبيب ليصنعوا به غداً أفضل من اليوم لأبنائنا وبناتنا.

وقد حملني على إيراد هذا كله أمور من أهمها: أن الجحود -للأسف الشديد- أصبح صفة ظاهرة في بعض دوائر مجتمع لم يكن يعرفها من قبل؛ وأن التاريخ يجب أن يجد مادته الصحيحة من مصادرها المباشرة بدلاً من أن يعتمد على روايات، إن حفظ بعض الرواة تفاصيلها ينساها آخرون، فتتضارب الرؤى وتضيع الحقيقة؛ وأخيراً فإنه كان من حق إخواني الذين أعانوني في مختلف أقسام الوزارة ووكالاتها وإداراتها أن يجدوا بعضاً مما أنجزوه حاضراً فيما أسطره عن مرحلة زمنية مهمة من عطائهم العلمي المتميز، وتقانيهم العملي، الذي لولاه لما كانت الحال في المؤسسات التعليمية والتربوية في بلادنا على ما هي عليه اليوم.

غير أن أهم ما دفعني لإخراج هذا الكتاب هو: إبراء الذمة أمام الله تعالى، والقيام

بواجب البيان الذي يمليه علي الموقع الذي كنت فيه، وحسبي أن أردد مع نبي الله شعيب عليه السلام: (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب)١.

سائلاً الله تعالى أن يتقبل صالح العمل. كما يليق بفضله، وأن يتجاوز عما عداه، إنه أكرم مسؤول.

محمد بن أحمد الرشيد

حديث في النشأة والوظيفة

النشأة الأولى

ملامح عن المجتمع وحالي معه

ذكرت لي والدتي أنني جئت إلى هذه الدنيا في أول يوم من ذي القعدة في أحد الأعوام الآتية: ١٣٦٢هـ أو ١٣٦٣هـ أو ١٣٦٤هـ، والغالب أنه في أوسط الأعوام الثلاثة، لأم لم تبلغ العشرين من عمرها، وأب جاوز الخمسين. وكنت الحي الأول من الذكور، أما الإناث: فإن إحدى أخواتي لأبي أكبر سنًا من والدتي، حفظ الله والدتي ورحم أختي.

رزق والدي بعدد كبير من الأولاد، ولكن نقص التغذية وانعدام الرعاية الصحية وتفشي الكثير من الأوبئة رفعت نسبة الوفيات في تلك الحقبة بين الرضع والصفار، واخترمت المنية عدداً من إخوتي.

كان أبي تاجراً، معروفاً في مدينته. وحين أتأمل هذا فإنني لا أجد فارقاً كبيراً بين

التاجر والعامل في تلك الأيام... كان سكان بلدنا (المجمعة)^١ يعيشون في منازل يملكونها، كلها مبنية من الطين، وحجم المنزل، وسعة غرفه، وعددها هي التي تكشف عن القدرة المالية لصاحبه، ومع أن بلدتي كانت صغيرة بمقاييس وقتنا الحالي إلا أنها كانت عندنا كبيرة والكل مزهو بها، ويخيل إلينا أنه لا مثيل لها.

بدأت العمل مبكراً في متجر والدي (وهو دكان لا تتجاوز مساحته ستة أمتار مربعة) وكانت بضاعتنا - كبضاعة أصحاب المتاجر الأخرى - المواد الأساسية: التمر، والأرز، والقمح، والقهوة، والهيل، والسكر، والأقمشة، ومشالح للرجال وعباءات للنساء.

كنا نزن في الميزان (ويسمى المعيار في ذلك الزمن) بالوزنة، ونقيس بالذراع. وكان معظم زبائن والدي من البادية، بحكم علاقته الحميمة بهم، وأسفاره الكثيرة بصحبة الكثيرين منهم. وعزُ موسم البيع يأتي مع الربيع وفيه أكبر المكاسب؛ فالبندوب يبيعون بضاعتهم من السمن والأقط^٢، وبأثمانها يشترون من والدي والتجار الآخرين المنتجات والبضائع التي يحتاجونها.

كنت بعد صلاة العصر من كل يوم أزاول البيع في متجر والدي رحمه الله لأن الدراسة في الصباح وبعد الظهر. أما في الإجازة الصيفية فكنت أذهب إلى الدكان صباحاً وعصراً، أتولى المسؤولية، وأناض الآخرين في البيع والشراء. وكان على التاجر واجب استضافة زبائنه من البادية فتصطحبهم إلى المنزل لتناول الوجبة الرئيسية مما تيسر بعد تقديم التمر والقهوة العربية، وفي الغالب يكون ذلك بعد صلاة المغرب مباشرة، وكان بعض الزبائن يبيت عندنا.

وكان ما يسمى «بالديوانية» معمولاً به عند بعض الأسر القادرة، مثل والدي -رحمه الله- وكان مجلسنا مفتوحاً بعد صلاة الظهر مباشرة، وبعد المغرب مباشرة، وكنت أنا من يقدم التمر والقهوة للحاضرين، ولا زلت أحس بمتعة حين أمسك (بالدلة) بيدي اليسرى

١ المَجْمَعَة: مدينة تبعد قرابة ١٨٠ كم عن الرياض شمالاً، وهي ضمن محافظات منطقة الرياض الإدارية.

٢ الإقط: هو اللبن المحمض يجمد حتى ييبس، وهو معروف منذ زمن قديم بأنه واحد من أصناف الطعام التي تخرج منها زكاة الفطر.

والفناجين (أقداح القهوة) بيدي اليمنى وأسكبها في الفنجان وأقدمها للضيوف. كانت القهوة العربية مرغوبة جداً وخاصة إذا كثر هيلها. ولا أنسى جارنا الذي أوصاني قائلاً: إنني رجل حيي وعندما أقول لك: (بس) هازأ يدي، أي أنني انتهيت، فلا تطلني وإنما (لزم) علي في حدود خمسة فناجين زيادة!!

منذ أن فتحت عيني على الدنيا وأنا في سن السادسة بدأت أتحمل مع والدي بعض الأعباء وكان برنامجي اليومي المعتاد كالاتي:

الاستيقاظ مبكراً كل يوم ثم أداء صلاة الفجر في المسجد مع الجماعة. وللتأكد من حضور جيران المسجد كان الإمام، أو المؤذن، أو أحد المتطوعين، ينادي على المصلين بأسمائهم بعد الصلاة فرداً فرداً، والجواب هو: (جزاك الله خير)، أو (أمر بخير)، أو (حاضر) وإذا تعدد غياب أحد المصلين يناله التأنيب، وأحياناً التأديب.

وبعد الصلاة تنتظر في منازلنا حتى ينبثق النور فنأخذ ما عندنا من الأغنام إلى حيث يجمع (الراعي) الذي يسرح بالغنم في البر، وكل يأتي بما عنده، فبعضنا لديه ماعزة واحدة أو نعجة، وبعضنا أكثر، وأجرة الراعي هي ريال سعودي في الشهر عن كل رأس من الأغنام.

بعد ذلك نعود للمنزل، ونأكل ما تيسر: إما رغيف خبز يعمل في المنزل، نشرب معه بعض الحليب، أو ما التصق بالقدر من بقايا وجبتنا في الليلة الماضية، وخاصة إذا كانت الوجبة جريشاً. وقد يكون الفطور في الشتاء عصيداً من الذرة والدخن، أو حنيني، ثم نذهب للمدرسة ونمكث فيها حتى الظهر، نعود بعدها لأداء صلاة الظهر وتناول الغداء (الذي نسميه هجوراً، وهو في الغالب تمر)، ونعود للمدرسة ونبقى فيها حتى يحين موعد أذان العصر. ثم بعد صلاة العصر نتناول وجبتنا الرئيسية على عجل، إن لم يكن عندنا ضيوف، ونتوجه إلى السوق (وهو المركز التجاري)، ونظل في السوق إلى أذان المغرب، ونغلق الدكاكين مع صلاة المغرب، وبعد الصلاة نستقبل الراعي قبل دخوله البلد (على مشارف البنيان)، ونجلب أغنامنا إلى منازلنا.

٢ الجريش: قمح مهروس مطبوخ بالبن.

٤ هو قرص من القمح المعجون بالتمر والزبد.

بعد ذلك أستقبل مع والدي الزوار المعتادين، وبعد صلاة العشاء يأوى كل إلى فراشه، فإن كان الفصل شتاء ففي الغرف، وإن كان صيفاً نمنا على أسطح المنازل. وليس لأحد من الأولاد، سواء الذكور أم الإناث، غرفة خاصة، بل إن الغرفة كانت تزدهم بالفرش.

كانت (كهرباؤنا) هي السُرْج، ووقودها الجازولين (المازوت)، ومطابخنا توقد من الحطب، وماؤنا نمتحه من الآبار الجوفية بالدلو، ومعظمنا ينقله من البئر - التي عادة ما تكون قرب المسجد - بقدر من النحاس كبيرة، نحملها فوق رؤوسنا، ونضع قماشاً ملفوفاً ليحمي الرؤوس من ضغط الإناء الصلب.

النخلة هي الشجرة الرئيسية إن لم تكن الوحيدة في بلدنا، وثمرتها تمثل القوت الرئيسي عند الغالبية، والتمر نوعان: (الدقل) وهو ما يجنى رطباً: يوماً أو يوماً بعد يوم، لمدة قد تصل إلى الشهرين، وعادة يبيع الفلاح التمر على شجره، والمشتري هو الذي يتولى الجني من النخلة، وفي الموسم كان أبي يشتري من أحد الفلاحين ثمار نخلة أو نخلتين، وهذا يجعل أحد مهاسي (في إجازة المدارس صيفاً) - منذ أن كان عمري سبع سنوات- التوجه المبكر بعد أن أعود من تسريح الغنم إلى البستان الذي اشترى والذي منه ثمرة النخل كي أقوم بجني ما يصل إلى ما يقارب خمسة كيلوات في مخرف^٥ مصنوع من الخوص^٦، وما أجنبي: نصفه بلح ونصفه رطب. فإذا كانت النخلة في متناول يدي فإني أقوم بالمهمة، وإن كانت طويلة فإن الفلاح هو الذي يصعد إلى أعلاها، مستعملاً ما نسميه (الكر)^٧ حتى يصل إلى العذوق ليلقط منها الرطب، وما هو في حكم الرطب من الثمر الناضج.

والنوع الثاني من النخل - وهو الغالب - هو ما لا يمس حتى يستوي ويصبح تمراً جاهزاً للتخزين، ويسمى التخزين (الكنز)، حيث تجدّ عذوق النخل وتنفض حتى تتساقط كل

٥ المخرف: زنبيل صغير يجنى فيه الثمار في الخريف.

٦ الخوص: ورق النخل.

٧ وهو عبارة عن حبل من الليف ملفوف عليه جلد يكون محاطاً بجسم الصاعد مع جذع النخلة يمسك بيديه جانبي الكر ويرفعه إلى أعلى ويصعد.

الثمرة، ثم تخزن في أوعية مختلفة. إما في غرفة صغيرة مظلمة صنعت خصيصاً لهذا الغرض تسمى (الجصة) أو في صفايح من الزنك، أو تعبأ في كيس من الخوص محاط بالليف. وكنت أسمع الكثير من كبار السن عن بركة النخلة، وأن الله فضّلها على الأشجار الأخرى، وأن النخلة كلها منافع: تمرها قوت للناس، ونوى التمر ينقع في الماء ثلاثة أيام حتى يلين ويكون طعاماً للماشية المنزلية (خاصة البقر)، وخصوصها لأغراض عدة، فمنه تصنع الفرش (الحصير) والزنايل على مختلف الأحجام، ويوضع الخوص فوق الجريد لسقف المنازل الطينية، وجريدها يوضع فوق خشب السقف. وليف النخلة تفتل منه الحبال، وكرب النخل^٨ للوقود، أي أنه لا يضيع منها أي شيء بل كل ما فيها يستعمل.

أما الفاكهة المعروفة في ذلك الزمان فهي فاكهة الصيف. رطب التمر، والبطيخ الأحمر والبطيخ الأصفر. أما (العنب والخوخ والتين) فكانت قليلة، وقليل من الناس يحصل عليها، وأذكر أن أول مرة رأيت فيها البرتقال والتفاح كانت عام ١٣٧٤هـ حين زار الملك سعود رحمه الله المجمع، أما الفواكه الأخرى -كالموز مثلاً- فلم أعرفها إلا حين قدمت الرياض طالباً في كلية اللغة العربية.

ومما أتذكره في حقبة شبابي فرح الناس الشديد بالمطر، واستفسارهم عن أماكن سقوطه، ولا أزال أذكر ذلك الصوت الشجي الذي يبشر بالسيول: وذلك أنه كان يصعد إلى قلعة بنيت على جبل (منيخ) الذي يحدها من الغرب، مجموعة من الناس وينظرون إلى مجرى كل واد؛ وخاصة الرئيسية منها فإذا رأوها كلها أو بعضاً منها قد جرى فيها السيل صاحوا بأعلى أصواتهم قائلين: يا الله لك الحمد سال (كذا وكذا) ويذكرون اسم الوادي أو الأودية، وأفضل ما يفرح السكان حين تكون البشري بسيل الوادي الرئيسي وهو وادي (المشقر).

لا أدري ما سبب تعلقي بتلك الأيام الخوالي: هل لبساطة طموح الفرد منا؟ أم لأن حياتنا المعاصرة -مع ما فيها من تطور- أضعفت عند الناس العواطف وقوّت الأنانية؟ لقد كانت حقبة ممتعة ليبتها تعود..!

٨ الجزء العالق بجذع النخلة من السعف، وغالباً ما يكون يابساً.

القيم

أجدني بحاجة للحديث عن أهم القيم التي كان سائدة في مجتمعنا أيام شبابي وأقول: (القيم) لا (العادات): لأنها كانت نابعة من ديننا الحنيف، وبعضها كان واجبات شرعية، منها:

١. القيام بالشعائر الدينية دون غلو: الصلاة في المسجد مع الجماعة، إخراج الزكاة، الأمانة، الإحسان، البر بالوالدين، صلة الأرحام...

٢. كان التعاون والتآزر بين أفراد المجتمع المحلي عقيدة راسخة، ومن أمثله:

• خرجنا جميعاً صغاراً وكباراً لإقامة السد الترابي الذي انهدم وقد جرفه السيل فانفجر مما جعل بعض الفلاحات (التخيل) لا تستفيد من ماء السيل حين جريان الوادي.

• خرجنا صغاراً وكباراً لنحضر خنادق طويلة وعميقة لندفن صغار الجراد الذي يدي قبل أن يكتمل نمو أجنحته ليطير، ونسميه (الدّبي)، قبل أن يصل إلى البلد ويأكل الأخضر واليابس كما حصل مرة.

• شبَّ يوماً من الأيام حريق في أحد المنازل، فخرج الناس جميعاً من كل أنحاء البلد مسرعين، كل واحد يحمل قربة أو إناءً فيه ماءً للمشاركة في إطفاء الحريق. وبعض هذا الماء كان مدخراً للشرب أو طهي الطعام، ولكن إنقاذ صاحب المنزل وأهله كان مقدماً عند الجميع على منافعهم الشخصية القابلة للتعويض.

٣. الكرم: فحين يأتي إلى البلد أحد من غير أهلها، فإن أول من يلقاه يكون مضيفه - إلا إذا كان قاصداً قريباً له أو صديقاً - ويكون محل عناية الناس، كل يدعو بواسطة مضيفه. وأتذكر في هذا الصدد بعض معلمينا الذين جاؤوا من الدول العربية الشقيقة، وكيف كانت عناية الناس بهم، يدعونهم إلى منازلهم ويحسنون إكرامهم.

٤. مساعدة المحتاج: حين يعلم الناس أن حاجة أمت بفرد، أو أسرة، أو أن نائبة أفقدت شخصاً أو أسرة ما يملكون؛ فإن جماعة كل مسجد يجمعون له ما يستطيعون ليعينوه

على نائبته. وذلك بأن يقوم في المسجد أحد المتطوعين أمام المصلين، ويسأل كل واحد: ما الذي يمكن أن يقدمه؟ ويعلن بصوت عال عن تبرع فلان وفلان، فهذا يعطي نقوداً، وآخر يتبرع تبرعاً عينياً، (تمراً، أو قمحاً)، وقد تبرع أحد الأشخاص مرة بجهد البدني؛ أي: يعمل بضعة أيام مجاناً، وتبرع آخر بحماره لينقل عليه ما يحتاجه الشخص الذي تُجمَع له التبرعات.

5. الحرص على صلاة الجنازة: الناس جميعاً يصلون على المتوفى في البلدة، إذ يُنبه عليهم في المساجد، وينتظر إمام الجامع الكبير تجمعهم، ويمشون جميعاً خلف الجنازة المحمولة على الأكتاف.

6. اليسر في التعامل: كان القاضي يقضي بين الناس إما في مجلسه، أو في المسجد، أو في مكان عام، ويرضى الخصمان بحكمه دون حاجة حتى إلى الكتابة والتوثيق في معظم الأحوال، إلا إذا كان أمراً كبيراً.

7. الأمانة: حين يفقد أحد شيئاً ثميناً، (مجوهرات أو نقوداً) ينادي مناد بعد صلاة المغرب في الشوارع يسأل عن وجد المفقود (ويسمونه الذاهبة) ليسلمها إلى (فلان) من الناس، رجل معروف في البلد كانت المفقودات تودع عنده، وهو المسؤول عن تسليمها لصاحبها؛ وهذا يرفع الحرج عن صاحب المفقود وعمّن وجده.

8. الدعاء بالخير: اشتهر أهل بلدي بأن الدعاء بالخير أحسن عندهم من المال؛ ولذلك شاع المثل: (كروة أهل سدير)، أي: أجرة أهالي سدير - وإقليم سدير قاعدته المجمع، وأصبحت تسمى محافظة المجمع - وأجرتهم هي (جزاك الله خيراً).

هذه قيم عظيمة، وغيرها كثير، ولئن كانت الحاجة إليها في ذلك الزمن قائمة، فهي الآن أشد إلحاحاً بعد التغيرات الاجتماعية الكثيرة التي أصابت الناس.

مراحل دراستي في التعليم العام

الدراسة في المجعة :

دخلت المدرسة السعودية في المجعة وعمري خمس سنوات -وهي ليست السن النظامية المعمول بها الآن- لأن بعض أقاربي الذين يكبرونني سنًا التحقوا بالمدرسة فالتحقت معهم.

كانت مدرستي من أوائل المدارس النظامية خارج مكة المكرمة، والمدينة المنورة وجدة، وهي إحدى المدارس الأربع التي افتتحت عام ١٣٥٦هـ في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله، وبهذا كانت سابقة لكثير من مدارس المدن، بما في ذلك مدينة الرياض.

وعندما أغمض عيني وأعود بخيالي إلى أيام الصغر، أيام الدراسة الابتدائية أشعر بمزيج من الأحاسيس والمشاعر، يختلط فيها الشوق بالحنين، والفخر بالاعتزاز، والحمد بالشكر، ومشاعر أخرى يصعب على القلم التعبير عنها!

التحقت بهذه المدرسة في المبنى الثالث الذي انتقلت إليه بعد افتتاحها، وكان بيتاً مهياً للسكن، غاية في البساطة والتواضع، ككل شيء في تلك الأيام. كنا نجلس على الحصباء. نستدفئ بأشعة الشمس من برد الشتاء، ولكننا كنا نجد للعلم طعماً لذيذاً، وحلاوة خاصة تدعونا إلى الاستزادة منه!

كانت دراستنا على فترتين: صباحاً، وبعد الظهر.

وكما أسلفت، كنا نبدأ نهارنا بصلاة الفجر، نرجع من المسجد بعد الصلاة إلى البيت ثم نتنظر حتى قبيل شروق الشمس فتأخذ أغنامنا لتسليمها إلى الراعي (الشاوي) ثم نأكل ما تيسر لنا من طعام الإفطار، ونتوجه إلى المدرسة ندرس إلى ما قبل الظهر، ويخرج كل منا فيؤدي صلاة الظهر جماعة في المسجد القريب من منزله، ثم يمضي إلى بيته للغداء، الذي يكون غالباً من التمر. والمحظوظ يشرب مع التمر اللبن، ثم نعود إلى المدرسة ندرس حتى قرب العصر، كأننا نطبق اليوم الدراسي الكامل قبل أن يطبقه آخرون. كنا في كل هذا نسير على الأقدام؛ فالبلدة صغيرة، يقطعها المشي من أقصاها إلى أقصاها في عشر دقائق.

و ذات يوم رغبت الإدارة أن تحسّن طريقة جلوسنا في الفصل فطلبت إلينا أن نحضر مقاعدنا معنا، فأحضر كل واحد منا صندوقاً فارغاً مما تيسر له الحصول عليه؛ إما صندوق شاي، أو صندوق معلبات وكان ثمن الصندوق الفاخر (بمقاييس ذلك الزمان) لا يزيد على ريال واحد، وصنع بعضنا مقعده بنفسه أو ساعده نجار البلد، أو أحد أقاربه، من الخشب الذي تيسر له. كنا نجلس على تلك (المقاعد) وكأننا نجلس على أريكة وثيرة.

وفي يوم من الأيام سمعت المدير والمعلمين يقولون: لقد ضاع (المنجد)، وكانوا يعنون قاموس المنجد المعروف، ويبدو أن أحداً قد اختلسه، فطلبوا إلينا أن نردد: «بضياع المنجد ضاع العلم»، وقد تصورت من فرط الاهتمام بالبحث عنه (ولم أكن قد رأيت المنجد) أنهم يبحثون عن موسوعة ضخمة تضم أشتات العلم، ما بحثت عن شيء فيها إلا وجدته! لذا كنت أنتظر أن أكبر لأتمكن من شراء هذا الكنز الثمين.

كانت فصول الشتاء شديدة البرد، وملابس أغلبنا خفيفة لا تمنع عنا أذاه، وكان معلمونا -في النهار المشمس- يخرجوننا إلى الشمس كما أسلفت، لأننا لم نكن نملك في فصولنا مدافئ، فكنت ترى طلاب الصفوف الذين خرجوا التماساً للدفاء، متحلقين حول معلمهم حلقات تذكرك بحلقات العلم في الزمن القديم. وأذكر أن أحد معلمينا، وكان من سورية الشقيقة، ولا عهد له بالخروج من الفصل إلى الفناء، عندما رجوانه أن نخرج إلى ساحة المدرسة طلباً للدفاء، استغرب الطلب، ثم استجاب عندما شرحنا له السبب، فخرج معنا، ونظم قصيدة طويلة لم يبق في ذاكرتي منها إلا مطلعها:

البردُ أخرجنا إلى الشمس وبها عقدنا حلقةَ الدرسِ

ومن طرائف ذلك الوقت، أنه كان عندنا معلمٌ مصريٌّ ظريفيٌّ وكنت -وأنا صغير سميناً،

٩ وبخصوص موضوع السمنة، فقد كان لها تأثير سيء على حياتي حتى تخلصت منها، فعندما كبرت وزادت مشاغلي وكنت لا أستطيع أن أمارس أي نوع من الرياضة بسبب مسؤولياتي شمرت في صباح أحد الأيام بتعب مفاجيء، وضعف في الجسم لم أعده من قبل، فتوجهت للمستشفى وبعد عمل الفحوص اللازمة ظهر أن جسمي معرض للإصابة بأمراض بسبب هذه السمنة وكان الحل هو الرياضة البدنية، فاخترت رياضة المشي منذ عام ١٤٠٨ هـ ولم أنقطع عنها حتى اليوم تحت أي ظرف، وكان تبديل حجمي حين أنقصت وزني واضعاً فمن الأمور اللطيفة أن كنت في أحد المؤتمرات في دولة أوروبية أساهم في منتدى علمي وكان المسؤول عن تقديم المحاضرين أحد الأمريكيين الذي عرفني بضخامة جسمي قبل ذلك، ففوجئني أنني صرت نحيفاً وعندما جاء دوري في الحديث قال للحاضرين: أقدم لكم ظل محمد الرشيد!

فإذا جاءنا برد شديد ترى زملائى يرتجفون من شدة البرد فقال لي معلمنا: أما أنت أيها الرشيد فإن عليك جبة من نسج أضراسك تقيك شرَّ البرد.

رحم الله من مات من معلّمينا، وحفظ الأحياء منهم. لقد كانوا معلمين حقاً، عندهم من المعرفة ما يعطون ويعلمون، وكنا نحن نحبههم ونحترمهم، ونوقرهم، ونعرف حقهم، داخل المدرسة وخارجها، وأرجو أن تسود هذه الروح، وتزداد بين طلابنا اليوم.

كان مقر مدرستنا بيتاً مستأجراً، وكان -حينذاك- من أفضل بيوت المجمعّة، ثم انتقلنا منه -أيام دراستي- إلى مبنى آخر حكومي من الطين أفضل منه وأفخم، أما اليوم، فما كنا نعدّه فخماً جميلاً لم يعد في أعيننا كذلك، بعد أن فتح الله علينا أبواب الخير، وقامت لدينا كثير من المدارس النموذجية.

وكانت تقام في المدرسة أمسيات ثقافية، ومحاضرات بين المغرب والعشاء، كانت تلك الأمسيات مناسبات خاصة، لا للطلاب وحدهم، بل لأبناء المجمعّة كافة، كانت كالأعراس في أهميتها والفرح بها، فلا غرو -إذن- أن يكون معلمو المدرسة الابتدائية هم مثقفو البلدة ووجهائها. وكان بعض أهل الفضل يتبرعون لنا بالمصاييح التي تسمى (أتاريك)، وهي لا تتوفر إلا عند عدد محدود من ذوي اليسار، إذ لم تكن الكهرباء موجودة حينذاك.

ومن أهمّ ما بقي في الذاكرة من أيام الدراسة تلك الروح الجماعية التعاونية التي كانت سائدة بين أبناء القرية:

كانت البيوت تبني من الطين، وكان الرجل إذا أراد أن يبني بيتاً جاء إلى مدير المدرسة يطلب مساعدته، فيجندنا المدير جميعاً، نقشر السّعف، ونجمع الخوص، ثم نطأ الطين بأقدامنا وندقه لتمكينه!!

وإن أنسّ لا أنسى أمرين اثنين:

أولهما، زيارة (المفتش) للمدرسة بين الحين والحين، فقد كنا نحسب لزيارته ألف حساب، إشفاقاً على معلّمينا الذين لا نريد أن يشعروا بالحرّج أمامه، وتوقعاً منا أنه سيفتّش حقائبنا، لذا فقد كنت أنظف حقيبتي (الحديدية) وأرتب فيها دفاتري، وأرصف كتبتي، كلما علمت بمجيء المفتش.

وثانيهما، خروجنا لصلاة الاستسقاء مع بعض معلمينا متوجهين إلى مصلى العيد، وبعد الصلاة وسماع الخطبة يقلب الكبار (مشالهم)، ونقلب نحن (غُترنا) .. كنا نحس بقلوبنا الصغيرة أن الأمر جدّ، وندعو بإخلاص، وما كان الله سبحانه يخبّينا، فسرعان ما كان يأتي المطر!! كانت صلاة الاستسقاء درساً تربوياً، دينياً، روحياً، لأنساء.

هذه صور قليلة من تلك الذكريات، لعلها توقظ في قلوب من عايشها بعض الحنين، وتعرّف أبناءنا اليوم قدر النعم التي يعيشون فيها، فيشكرونها: بالقلب، واللسان، والعمل.

وحين أنهيت المرحلة الابتدائية كان المعهد العلمي، والمدرسة المتوسطة قد افتتحتا للتوفي «المجمعة»، وكان خريجو المرحلة الابتدائية قبلي يذهبون لمواصلة الدراسة في دار التوحيد بالطائف أو المعهد السعودي في مكة المكرمة أو غيرها. ولم أكن أنا، ولا والدي، ولا كثير من أهل بلدي يعرفون أن الفرق بين المعهد العلمي والمدرسة المتوسطة هو أن المعهد العلمي تابع في إدارته والإشراف عليه لمفتي المملكة في إدارة أنشئت حديثاً وسميت (الإدارة العامة للكليات والمعاهد العلمية) والتركيز فيها على الدراسات الإسلامية واللغة العربية، ثم أصبحت تلك الإدارة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وتتبع الجامعة معاهد علمية محدودة العدد في بعض مدن المملكة تعادل المرحلتين المتوسطة والثانوية (لأن مدة الدراسة فيها خمس سنوات في تلك الحقبة بعد المرحلة الابتدائية)، وأن المدرسة المتوسطة هي المرحلة التي تلي مباشرة المرحلة الابتدائية ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات، وهي تابعة لوزارة المعارف، وهي الأكثر انتشاراً، وقد اختار لي والدي أن التحق بالمعهد العلمي لأن مديره آنذاك كان خطيب جامع البلدة وإمامه.

كان مبني المعهد العلمي في أول سنواته بيتاً واسعاً من الطين، وهو أفضل مبنى في البلدة. وكان أغلب المعلمين من الإخوة العرب من الأقطار الشقيقة. وكانت للمعلم مكانة اجتماعية مرموقة وتقدير خاص، وكانت المدرسة والمعهد هما المصدر الرئيس للمعرفة، كل ما تعلمته في صغري كان مصدره من تلك المؤسسات التعليمية، وكانت عناية المعهد بأوجه النشاط الثقافي والرياضي فائقة: صحيفة حائط لكل فصل مدرسي، وسمر ثقافي في مساء نهاية كل أسبوع، وما شابه ذلك.

كانت المعلومات التي يقدمها التعليم العام في تلك الأيام، خصوصاً في مواد اللغة

العربية والدين مناسبة جداً، وحتى بعض التفاصيل في مسائل العبادات وغيرها كانت مناسبة، لكن في زماننا هذا تغيرت أشياء كثيرة، وقليل من القائمين على التعليم يدركون ذلك، وبهذه المناسبة أروي قصة ذات مغزى:

كنت في المعهد العلمي متفوقاً في دراستي، وأحرزت الدرجة الكاملة في مادة الفقه التي فيها تفاصيل العبادات، وصليت في أحد الأيام المغرب وفاتنتي مع الإمام ركعة وكان على يميني أستاذي في الفقه، وبعد انقضاء الصلاة وقضائي للركعة التي فاتنتي قال لي: أعد صلاة المغرب لأنك أخللت بركن منها ما هو؟ فقال: أعدها، فأعدتها كاملة، فلما انتهيت قال لي: أنت مغل بأحد أركان الصلاة، اذكر لي أركان الصلاة فذكرتها له جميعاً وقد حفظتها عن ظهر قلب، وتعجب هو من كوني حاصلاً على الدرجة الكاملة ثم أخل بأحد الأركان لأنني لا أعرف تطبيقها؛ إذ لم أكن أسجد على الأعضاء السبعة!! لذا فأنا منذ ذلك الوقت ضد التركيز على التلقين البيغائي دون فهم بل يجب أن يفهم ما يناسب فهمه لسنّ الدارس، ويُطبّق ما يحتاج إلى تطبيق، ومن أمثلة الحفظ دون فهم وتدبر: زميل جامعي أعرفه أعطاه الله حافظه قوية، صادفه في إحدى سنوات دراسته مقرر جديد عليه هو «مصطلح الحديث»، وقد أعيا صاحبنا فهم هذا المقرر، وحين جاء اختبار آخر العام تأمل الأسئلة ولم يستطع أن يحدد الإجابات الصحيحة لأى منها، مع أنه كان يحفظ المقرر! فهذته الحيلة إلى أن يكتب المادة المقررة من الغلاف إلى الغلاف من ذاكرته (وكانت بضع عشرة صفحة) وكتب في نهاية ورقة الإجابة: «خذ ما شئت ودع ما شئت»!!

فما قيمة ما درسه؟

والقاعدة عندي: أن كل موضوع يدرسه الطالب، ولا يكون له أثر على حياته فلا قيمة له.

ولقد أساء فهمي بعض الناس عندما قلت: لم نجن من التلقين البيغائي إلا الحنظل؛ وتوهموا أنني ضد الحفظ مطلقاً، وهذا لا يقول به تربوي أبداً، بل كنت أعني: الحفظ عن ظهر قلب كاللبغاء دون تطبيق ما يحتاج إلى فهم وتطبيق. وإلا حفظ القرآن الكريم - خاصة لغير الناطقين بالعربية - تلقين محض في البداية، ولا بد منه لكل مسلم صغير أو كبير لأنه شرط لصحة صلواته، لكن لا بد أن يعقب ذلك الحفظ فهم وتدبر كما أمرنا الله

في القرآن الكريم: (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب)^{١٠}.

الضرب في المدارس:

ومما ينبغي تسجيله هنا هو أنه كان عند آبائنا انطباع أن الضرب وسيلة جيدة للتعليم والتخلق بالأخلاق الحسنة؛ فكانوا بالفعل يطبقون ذلك علينا، وبعض معلمينا وقتذاك كانت ثقافتهم ضحلة، بل بعضهم لا يعرف إلا القراءة والكتابة، وأذكر أنهم كانوا يضربون لأتفه الأمور، ولا أنسى ذلك المعلم الذي إذا أراد أن يتأكد أننا كنا نتابع قراءة أحدنا للقرآن أو غيره كان يأتي الطالب منا على غفلة ويقول: أين هو الآن؟ ويقصد أين يقرأ القارئ الآن؟ ويطلب منك أن تضع إصبعك على السطر الذي يقرأ فيه، فإن أخطأت بادر إلى أذنك وفركهما فركاً موحجاً، وكان من العيب -مع أننا أطفال في ذلك الزمن- أن تصيح أو تقول: أه لأنك حينئذ تصبح (مسخرة) بين إخوانك طيلة يومك.

لقد وصلت إلى اقتناع أكيد بأن الضرب يؤدي في أكثر الحالات إلى نتائج سلبية فادحة، وأعرف أناساً كثيرين، حينما أنظر إلى تعاستهم وإخفاقاتهم في الحياة وأبحث عن أسبابها أجد أن أحد العوامل الرئيسية هو سوء معاملة معلمهم أو والديهم لهم. وهناك مثل يقول: «بإمكانك جلب الحصان إلى النهر لكنك لا تستطيع إجباره على الشرب». لقد اتضح لي ذلك من دراساتي التربوية ذلك، وترسخ عندي يقين بأن أول شرط لأن تتأثر بمعلمك وأن تستفيد منه هو أن تحبه وتحترمه. يحتج بعض محبذي الضرب بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر»^{١١}، وما عرفوا أنه بعد ٣ سنوات من الأمر بالصلاة (أي: ٣ سنوات فيها ١٠٩٥ يوماً، في كل يوم ٥ صلوات) يعني أكثر من خمسة آلاف مرة من الأمر بالصلاة والصبر عليها يكون ضرب خفيف، وهذا الضرب من الوالد وليس من أحد غيره، لا كما نراه من حالات الضرب المبرح الذي يقوم به بعض المعلمين.

وبالمناسبة فقد تبين أنه لا يلجأ -في الغالب- إلى الضرب إلا المعلم غير الناجح، أما المعلم الناجح فلا يلجأ إليه أبداً إنما يؤثر في الطلاب بقوة شخصيته، فالمعلم الناجح لا

١٠ سورة ص، آية ٢٩.

١١ رواه أبو داود: برقم ٤٩٥.

يحتاج أن يضرب المتعلم الذي لديه شوق وتوق إلى سماع معلمه، والطالب لا يحب المعلم الذي يخافه، والمعلم الناجح هو من يحبه ويحترمه طلابه. هناك فرق بين أن تتأدب مع معلمك لأنك تخافه، وأن تتأدب معه لأنك تحبه وتحترمه.

إن التجارب العديدة والمشاهدات أثبتت أن المعلم الناجح لا يؤذي طلابه، والمخفق يلجأ من حنقه ومن ردة فعله إلى الضرب، هذا أولاً. وثانياً تبين أن الذين يضربون أغلبهم من معلمي المرحلة الابتدائية، وبعضهم من معلمي المرحلة المتوسطة، أي أن صغار السن هم الذين يقع عليهم الضرب، أما المرحلة الثانوية فالضرب فيها شبه معدوم، الأمر الثالث: إذا ظن المعلم، أو غيره أن أسلوب الضرب سوف يجعل من الطالب إنساناً سوياً، ويجعله محباً لمعلمه ومقبلاً على مادته فهو مخطئ لأبعد درجة، بل الذي يحدث هو مزيد من التمرد ومزيد من التذمر ومزيد من الانقطاع. لذا فإني أدعو المعارضين على منع الضرب في المدرسة إلى دراسة حالات الطلاب الذين تسربوا وانقطعوا عن التعليم حالة حالة، ليجدوا أن أحد الأسباب الرئيسة هو سوء معاملة المعلم للطلاب. إننا إذا لم نجعل أبناءنا -وهذه نظريتي التي أسعى إلى تطبيقها- يعشقون المدرسة فلن تفلح المؤسسة التعليمية. والحقيقة أن الإنسان لا يتعلم جيداً -حتى في كبره- من شخص لا يحترمه.

كنا نتفاخر -أيام الدراسة- بما عندنا من الكتب، وبما قرأناه منها، وكان جلّ ما ندخره من مصروفنا (على قلته) يذهب لشراء الكتب. فمن منا لم يقرأ كتب المنفلوطي، والزيات، والرافعي، ومن منا لم يشتد دواوين شوقي، وحافظ إبراهيم، ولم يفاخر بما يحفظه من شعر زهير بن أبي سلمى، وجريير، والمنتبي، والبحري، وأبي تمام، والمعري، وأبي فراس..... إلخ.

كانت دراستي في المعهد العلمي للمرحلتين المتوسطة والثانوية وكان المخصص الشهري وقدره مائتا ريال يمثل لنا وقتها مبلغاً مغزياً، وكان معلمو المعهد علماء أفاضل من السعوديين وغيرهم من الأقطار الشقيقة، ومما علق بذهني أن معلماً أزهرياً فاضلاً كان يدرسنا مادة التفسير وفسر لنا في أحد الأيام سورة «نوح» عليه السلام، ورفعت يدي وسألته: عندما يذكر الله سبحانه قصة نوح مع قومه، ويروي حواره معهم، هل كان يكلمهم بالعربية أم أن الله تعالى ترجمها من لغة نوح إلى العربية، وإذا كان كذلك فماذا كانت لغة نوح عليه السلام؟ فحار ولم يجب وأصبح يسميني الشقي.

صور وذكريات،

كانت الأحوال أيام صباي مختلفة عما هي عليه الآن فلم يكن عندنا كهرياء، بل حتى السُّرُج (الأتاريك والفوانيس) والراديو لم يكن موجوداً عند غالبية الناس، وكان من يقتنيه محل انتقاد ولوم من بعض المتشددین.

توفي والدي -رحمه الله- وعمري قريب من العشرين عاماً في صيف عام ١٣٨٢هـ، ولم أعلم بذلك إلا بعد ثلاثة أيام من وفاته، فقد كنت في رحلة طويلة أتقل فيها براً من مورد ماء إلى آخر أبحث عن المدينين لوالدي من أبناء القبائل التي عادة ما تقطن صيفاً عند الموارد المائية، وانتهى بي ذلك السفر إلى الكويت حيث يقيم بعض من أبحث عنهم مع أبنائهم الذين كان أغلبهم جنوداً في الجيش الكويتي، وكنت برفقة إخوان كرام يقومون بمهمة مثل مهمتي. فقطعت الرحلة وعدت إلى بلدي، وهنا شعرت بثقل المسؤولية؛ فأنا الابن الأكبر من الذكور وعلی أن أحمل أمانة رعاية من كان يعولهم والدي -رحمه الله-.

كانت وسائل المواصلات نادرة وأتذكر أن السفر من المجمع إلى الرياض (التي تبعد قرابة ١٨٠ كلم عن الرياض شمالاً) كان يأخذ منا من ٨ إلى ٩ ساعات على الأقل في طريق ترابي.

في الصيف كنا نطلق بعد صلاة العصر بسيارات النقل (اللوري)، نمضي الليل كله في الطريق، فإذا وصلنا مشارف الرياض، قريباً من مطار الرياض القديم^{١٢}. نمنا حتى لا نطرق الناس ليلاً، وإذا صلينا الفجر وطلعت الشمس دخلنا البلد، وكل منا يتوجه إلى وجهته التي يريد، وكذا الحال فيما لو أردنا العودة من الرياض إلى المجمع، أما إن كان السفر في الشتاء فخرجنا من البلد يكون بعد صلاة الفجر كي نصل إلى مقصدنا مع المغرب مباشرة. فإن كانت هناك أمطار فسفرنا قد يستغرق يومين لأن السيارة تنفرز في الطين ونعاني الكثير حتى نخرجها. هكذا كانت حياتنا.

لقد علقت في ذهني أشياء كثيرة من تلك الأيام منها: رؤية أبي وأقرانه يتحدثون عن ذكرياتهم ومشاركة بعضهم في تكوين هذا الكيان، ويذكرون بعض البطولات التي شاهدها.

١٢ يطلق على المطار حالياً - قاعدة الرياض الجوية.

فوالدي -على سبيل المثال- شارك في عدة غزوات مع الملك عبدالعزيز -رحمه الله- وكان مما يطربه أنهم في تلك الغزوات كانوا يقيمون العرضة السعودية ابتهاجاً بالنصر، وكان يدل -رحمه الله- دوماً بأنه في إحدى العرضات^{١٣} فوجيء بالملك عبدالعزيز ينضم إليهم في الصف ويمسك بيد أبي، وكانت مثل هذه الواقعة إحدى الأشياء التي لفتت انتباهي وأنا أستمع لحكاياتهم في مسامراتهم التي كانوا يتحدثون فيها عن أيام شبابهم وأحوالهم التي كان يسودها البؤس والفقر والخوف قبل أن يوحد الملك المؤسس هذا الكيان.

ومما قصه علينا كبارنا عن قطاع الطرق الذين يعترضون المسافرين قبل توحيد المملكة وندرك به مدى ما حققه الملك عبد العزيز لأمن البلاد. ما حكاها والدى أنه عندما كان يخرج مع الآخرين من بلدته في قافلة للحج يأخذون معهم رجالاً يسمونهم «رفق» ومهمة الرفق أن يصيح الواحد منهم بأعلى صوته في الليل حين المسرى يقول: إنتى أنا فلان بن فلان ومن معى هم رفاقي حتى يتحاشى الإيذاء للقافلة وسرقتها حين يكون في أرض عشيرته. ثم تنتقل المهمة من رفيق إلى آخر حسب الموقع فكل أرض لها رفيق منها.

ومن الطرائف التي سمعتها أنه في الهزيع الأخير من إحدى الليالي المظلمة وبينما كان أحد الحجاج نائماً وممسكاً ببندقيته، جاء السارق فأخذها منه وهرب، فانطلق هذا الرجل المسروق يريد أن يلحق بالسارق فحذره رفاقه حين استيقظوا على صوت الحدث، ألا يلحق به خشية أن يطلق السارق النار عليه وقالوا له: اطمئن سيعوضك الله بدلاً عنها «مديفناً في الجنة»^{١٤}.

ومما قصه علينا أبي أن أحد أعمامي ذهب مع بعض رفاقه -قبل استتباب الأمن في البلاد- يقطعون النبت من الأرض في زمن الربيع، فخرج عليهم قاطع طريق ممن نسميهم في نجد (الحنشل) فقتله وسلب كل ما لديه ولم يكن معه إلا حماره وعباءته، وقد حاول عمي -رحمه الله- أن يقاوم دون جدوى. كان أبي يحكي -بكثير من الأسى والألم- عن هذه الحوادث التي تتكرر. لذلك كان حديثه عما فعله الملك عبد العزيز وما حققه لهذا الكيان

١٣ العرضة السعودية: هي رقصة حربية شعبية، فيها فتوة وقوة، تفرغ فيها الطبول، وتثير الحماسة في النفوس ويقف المشاركون فيها صفين متقابلين، يحملون السيوف، وينشدون قصائد الفروسية.

١٤ مديفناً: تصغير لكلمة مدفع وهي آلة الحرب المعروفة.

ببطولته النادرة، وما أشاعه من عدل وأمن حديث العارف بالنعمة. الملك عبدالعزيز كان بالنسبة لهم أمثلة وأعجوبة، وأنا أتذكر حينما توفي الملك عبدالعزيز -رحمه الله-، كنت صغيراً في حينها، وكنا قد صلينا العصر في المسجد، ولم يكن لدينا راديو كما أسلفت، وإذا بشخص من علية الناس في المجمعمة لديه راديو ناداني وقال: يا محمد، اقترب مني! وهمس في أذني: بلغ أبك أن الملك عبدالعزيز توفي، وأتذكر أن الخبر كان له وقع الزلزلة علي، وهرعت إلى أبي فرحاً وأنا أصيح: أبي.. أبي، وكان -رحمه الله- جالساً والطعام أمامه، وكنا في ذلك الزمن نتناول وجبة واحدة هي غداؤنا وعشاؤنا بعد صلاة العصر، والأسرة من الذكور تنتظر حتى يكتمل الجميع على «السفرة»^{١٥}. فقرأ الفزع في وجهي وقال: ماذا لديك؟ أجبته وأنا ألث: قال لي فلان: إن الملك «عبد العزيز» توفي! فترك الطعام، وقام من فوره إلى غرفة المخزن الخاصة به، وأخرج بندقيته ظاناً أن الأمور ستعود إلى ما كانت عليه قبل عهد ذلك المؤسس العظيم، ولا يمكن أن أنسى تلك اللحظات أبداً.

كان عمري قريباً من عشر سنوات.. أتذكر تلك اللحظات، والأسرة تنظر إلى والدي وهو يتقعد بندقيته ويدهنها بالزيت ويجهز ذخيرتها، وكان يظن أن الدنيا بعد الملك عبد العزيز ستقلب، ولا أذكر شيئاً أفزع أبي مثل ذلك الخبر، وفيه دليل على ما قام به الملك عبد العزيز من جهد بطولي في نشر الأمن والطمأنينة.

كانت المدرسة كما -أوردنا- هي المصدر الوحيد للمعرفة في تلك الأيام. ولا توجد مصادر أخرى، لا يوجد -طبعاً- إنترنت ولا تلفاز ولا حتى راديو وصحف ومجلات، ومن أراد المعرفة فالمدرسة هي المصدر الوحيد. لذلك كنا تلقائياً نتجذب إليها، وهذا الانجذاب ليس بالضرورة سببه كفاءة المعلمين الذين هم في بعض الأحيان معلمو ضرورة أتت بهم ظروفهم، ولكن كنا نذهب ونتجذب للمدرسة لسببين:

أولهما: لأنها المصدر الوحيد للمعرفة كما ذكرت.

١٥ السُفرة: في ذلك الوقت والمكان عبارة عن حصيرة مستديرة من الخوص توضع على الأرض ويوضع عليها الطعام.

وثانيهما، أن المدرسة في تلك الأزمنة كانت تستأجر لها أفضل المباني، وإذا بنيت مدرسة حكومية على الطراز الحديث فهي مقارنة ببيوتنا الطينية الأفضل على الإطلاق. أما الآن فإن منازل بعض الطلاب أفضل بكثير من مباني مدارسهم. هذا هو جيلنا الذي يختلف عن الجيل الحاضر.

أتذكر في جيلنا كيف كان مبنى المعهد العلمي في «المجمعة» هو الأبهى والأجمل والأنظف على مستوى المدينة ولا مثيل له خاصة حين أصبح مبنى حكومياً حديثاً بعد أن كان مبنى طينياً مستأجراً. لقد كنت أشعر بأنني ذاهب نزهة حينما أذهب للمعهد. لم أكن أعرف الجلوس على الكرسي و (الماصة) إلا حينما جئت إلى المعهد إذ لم تكن لدينا في بيوتنا كراسي ولا في مدرستنا الابتدائية إلا تلك الصناديق الخشبية.

لقد عشت حياة سعيدة مع أنني لم أمر بمرحلة الطفولة كما ينبغي بل نشأت رجلاً من صغري لأنني أول الذكور لوالدي، وقد كان فوق الخمسين من العمر حين خرجت إلى الدنيا وعندما بدأت أشب كان والدي قد كبر في السن فأراد أن يعودني على البيع والشراء، فكنت مسروراً إذ سمح لي بقضاء أول نهاري في المدرسة وبعد العصر أتولى البيع، وكان يراقبني من خارج الدكان، وبالفعل كان أبي -رحمه الله- يعتمد علي اعتماداً كاملاً ولذلك فإنني تحملت المسؤولية في مرحلة مبكرة، ولم أكن كباقي الأطفال الذين تمتعوا بطفولتهم.

الدراسة الجامعية والعليا

الدراسة الجامعية وبداية الحياة العملية

عند تخرجي من المعهد العلمي جاء أحد أصدقائنا لأبي وقال له: أبشرك بأن ابنك محمداً نجح في المعهد. فأجابه أبي بما يوحي بعدم ارتياحه قائلاً: أنا أريده أن يظل معي في «المجمعة». وعندما انتهى الصيف كان لابد للمتخرجين أن يلتحقوا بكلياتهم الجامعية في الرياض، فقال أبي: لا يمكن أن تذهب، لقد حصلت من التعليم على ما يكفيك، ونحن مهتمون بالبيع والشراء.. حاولت معه عبثاً، وقد أخبرني أحد أصدقائه الأعزاء بعزم والدي على تزويجي ابنة أحد شيوخ القبائل من أصدقائه، وذلك في محاولة منه لإغرائني بالبقاء.. ذهبت إلى صديق والدي وهو في منزلة (عمي) وقلت له: قل لوالدي حتى الزواج لا أريده، ولقد أوشكت محاولاتي كلها أن تبوء بالإخفاق فتوسطت وبإلحاح لوالدي بذلك الصديق، العم «عبدالعزیز بن عبدالرحمن الثميري» رحمه الله، وفي أحد الأيام بينما كنا متجهين للمسجد إذا بذاك الصديق يهمس في أذني بأنه أقتنع والدي وأنه وافق على دراستي في الرياض فانزاحت عن نفسي غمة كبيرة، وتولى عني أخي عبد الله مسؤولية البيع والشراء.

وأحمد الله على أن المسؤولية المبكرة لم تؤثر علي سلباً واستعضت عما فاتني من مرح الطفولة بأن تكونت عندي روح النكته، أروها وأسمعها وأضحك لها.

المجئء إلى الرياض:

غادرت «المجمعة» وأنا أعرف كل سكانها من الذكور، وأعرف موقع بيت كل أسرة تقطن فيها وجئت للرياض عام (١٣٨٠هـ) وانبهرت بها انبهاراً شديداً: رأيت شوارعها مرصوفة، ومضاءة بمصابيح الكهرباء.. كان فيها مخابز ومطاعم، وهو ما لم أره في «المجمعة»، وفيها سيارات من أحجام متعددة، بعضها مركبات فارهة، بينما لم يكن في المجمعة إلا سيارات النقل الكبيرة التي لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة، ونعرف مالك كل واحدة منها. و«الرياض» تباع في دكاينها سلع ما رأيناها من قبل، وأكثر ما لفت نظري: الآيس كريم، وصنابير الماء، إذ كنا في «المجمعة» نستخدم الدلو ننزح به الماء من البئر. ولذا فالرياض بالنسبة لي كانت مدينة عجيبة، ومع ذلك كنت أقطعها على قدمي من أولها إلى آخرها، لأنها لم تكن تتجاوز بضع كيلومترات.

ومن الطرائف التي أذكرها: أن عمي محمد بن عثمان الرشيد^١ -حفظه الله- كان موجوداً في الرياض وسأل أحد أصدقائه عن «الفلل» التي بنتها الدولة في منطقة «المَلَزَّ» لتجاوز الوزارات التي انتقلت إلى الرياض من مكة المكرمة، وقال له: متى تنتقلون لفلتكم الجديدة؟ فأجابته الرجل: هذه السنة إن شاء الله سوف نصوم رمضان مع المسلمين، وبعد رمضان إن شاء الله ننتقل إلى فلتنا الجديدة (لأن ذلك الرجل رأى أن موقع الفلل بعيد عن الناس وعن اكتظاظ السكان وكأنها في قطر آخر)!! كانت الرياض صغيرة ومحدودة، لكنها -بالنسبة لي- كانت مدهشة مقارنة بالمجمعة!!

كان أمامي مثل غيري من خريجي المعاهد العلمية خياران:

- إما الالتحاق بكلية الشريعة.

١ وعندما سكنت في الرياض كنت آنس مع الكثيرين الذين يترددون على منزل العم محمد بن عثمان الرشيد وأقضي معظم أوقاتي عنده وكان يحيطني برعايته وهو من وجهاء البلد المعروفين ومن رجال الأعمال الناجحين، وكان لا يزال كريماً، محسناً، مضيافاً، وأعرف أنه منذ سكن مدينة الرياض لم يتناول وجبة بمفرده قط بل مع آخرين وخاصة المحتاجين منهم.

- أوالاتحاق بكلية اللغة العربية.

فاخترت اللغة العربية شعوراً مني بأنها الأقرب إلى نفسي، وكان مقر الكليتين في مبنى واحد، لكل منهما جناح كبير، ولم يكن أعضاء هيئة تدريس لأي من الكليتين مستقل بجدوله الدراسي عن الكلية الأخرى، وعلى سبيل المثال: فإن فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله كان أستاذاً في كلية الشريعة ومع ذلك فقد كان يحاضرنا في مادة التوحيد بكلية اللغة العربية، ودراستي في الكلية كانت انفتاحاً على دنيا جديدة لم أعدها من قبل فكان زملائي من كافة مناطق المملكة، وبذلك توسعت دائرة علاقاتي، مما وسّع مداركي، وزاد من طموحاتي وجعلني مثل غيري مهتماً بالقضايا العامة، ومما رسخ ذلك كثرة المحاضرات العامة في ذلك الوقت داخل الكليات وخارجها، وكان معظم أساتذتنا من الأقطار العربية الشقيقة جهابذة في مجال تخصصاتهم، وكان الانضباط والالتزام بالحضور سمة أساسية في كل المحاضرات.

ومن ذكرياتي في هذه المدة أن فئة المثقفين في الرياض كانوا حريصين علي حضور خطب الجمعة للعلماء المتميزين وقد كنت معجباً بالشيخ مناع القطان -رحمة الله عليه- وقدرته على الارتجال باللغة العربية الفصحى. كنا قبله وفي الخطب التي تعودنا سماعها في المجمع أو الرياض نستمع إلى خطب تقليدية مكتوبة فوجدنا فرقاً كبيراً بين ما كنا نسمعه وما نسمعه من الشيخ مناع الذي كان -بالنسبة لي على الأقل- هو أول من يخرج عن الموضوعات التي ألفناها ويتحدث عن قضايا لها جانب فكري واجتماعي، وبارتجال وبلغة عربية سليمة دون تردد أو تعتة. ومن أهم مزايا خطبه التي لم أجدها عند غيره أنه كان يفتح خطبته بجملة رئيسة مركزة، يقرأها من ذاكرته ثم تكون خطبته شرحاً لها، وتوضيحاً لمعانيها، وعند انتهاء الخطبة يكرر تلك الجملة بحدافيرها، فتتضح للسامعين معاني الخطبة، ولا يشردون عن موضوعها.

ومما أجد أنني بحاجة ماسة إلى ذكره هو: أن المتدين كانت له قيمته.. المتدين في المدة التي كنت فيها في مقاعد الدراسة لم يكن متعصباً، ولم يكن ينظر للناس بقسوة أو سوء ظن، وكان أبي يرحمه الله يؤنّبني إذا تهاونت في أداء الصلاة في المسجد ويؤنّب كل واحد من الناس تقوته صلاة الجماعة، وكانوا يتفقدوننا في صلاة الفجر بأسمائنا

كما أشرت، لكنهم لم يقولوا يوماً لأحد منا أخل ببعض السنن الدينية، أو حصل منه خطأ بأننا لسنا مسلمين!! إن عدم التزام بعضنا بالسنن أو الواجبات لم يصل بهم إلى الشك في عقائدنا أو في أفكارنا أو الوقوف منا موقف التناحر واتهامنا في إيماننا.. إن أسوأ ما وقع فيه بعض الناس في هذا الزمن هو سوء الظن بالناس. كان مجتمعنا مجتمعاً محافظاً، وكنا جميعاً ملتزمين بالدين.. أتذكر أن والدي كان يغضب من الذين يحلقون لحاهم، وكان يغضب من الذين تفوتهم صلاة الجماعة لكن لم يصل به الحدّ أبداً إلى أنه يقاطعهم أو يحكم على نياتهم.

ما بعد التخرج،

تخرجت بعد دراسة أربع سنوات في كلية اللغة العربية، وكنت الأول على دفعتي بفضل الله، وكان خريجو الكليات يوجّهون إلى وزارة المعارف في الغالب إذا كانوا من خريجي اللغة العربية وإلى القضاء أو التعليم في المعاهد العلمية أو الدوائر الحكومية بما في ذلك وزارة المعارف إذا كانوا من خريجي الشريعة. وكانت المعاهد العلمية تختار من الخريجين أفضلهم ليصبحوا معلمين فاختاروني.. رأيت معظم معلمي المعاهد كباراً في السن، ومشايخ وكنت أصغرهم سناً.. فظننت أنهم عينوني بسبب معرفتهم بي، إذ العادة أنهم كانوا يرسلون الخريج الجديد إلى المناطق التي تحتاج إليه ليدرس فيها، بينما تم اصطفائي لأبقي في الرياض في معهد إمام الدعوة الذي لا يزال قائماً إلى اليوم، وجميع المعاهد تتبع النظام نفسه. وكان فضيلة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم -رحمة الله عليه- هو المسؤول عن المعاهد والكليات. وفي الصيف توجهت إلى الطائف قاصداً أحد أصدقاء الوالد وهو العم عثمان بن عبد العزيز التويجري رحمه الله، فدلني على مكتب الشيخ عبد اللطيف وبعد أن عرّفته بنفسه دعاني لتناول طعام الغداء في منزله، لقد أكرمني بحضور مجموعة من المشايخ وخجلت أن أقول له بشكل مباشر: لا أريد العمل في المعهد، فقلت له: إني صغير السن وتم اختياري لكي أكون معلماً في معهد إمام الدعوة بالرياض والمعهد فيه مشايخ أفاض، وأنا لست في مستوى علمهم وخبرتهم، فقال: هي ميزة لم ينلها أحد غيرك لأنك كنت الأول بجدارة، ونحن عادة نرسل الخريجين إلى الأطراف ولا نعينهم في مدينة مثل الرياض، ومعهد إمام الدعوة في حاجة إلى أن نطعمه بالشباب أمثالك. فقبلت، وتوجهت لمعهد إمام الدعوة واكتشفت أنه لم يكن في المعهد جرس ولا صافرة تعلن بدء الحصة وانتهاءها إذ كانوا يرون فيه محذوراً شرعياً، فكان المراقب يمر على

الفصول ويترك الباب ليعلن انتهاء الحصة ثم ينيبه على الطلاب أن يعودوا لفصولهم بعد انتهاء زمن الفسحة، فذهبت إلى مدير المعهد وقلت له: إن هناك تفاوتاً في إعلان بدء الحصة وانتهائها بسبب كبر حجم المبنى، فاقترحت وضع جرس وأقنعت المدير بذلك فوافق.

كنت مرتاحاً لعملي معلماً لمادتي البلاغة والإنشاء (التعبير) .. وقبل أن ينتهي العام الأول من عملي أعلنت وزارة المعارف عن وجود وظائف معيدين في كليتي التربية والشريعة في مكة المكرمة التابعتين إدارياً لوزارة المعارف للعام الجامعي القادم، ويشترط للوظيفة تقدير متميز حين التخرج، وأن يكون المتقدم خريجاً جامعياً داوم في التعليم العام عاماً كاملاً على الأقل، وكانت تقديرات المشرفين التربويين له تقديرات ممتازة.. فأخبرني أحد الأصدقاء بذلك ولم أكن أعرف وقتها معنى كلمة معيد، وشرح لي معنى الإعادة وبين لي أن الشروط تنطبق علي فقدمت طلباً، وفي أحد الأيام وصلت رسالة إلى صندوق البريد الخاص بصديقي وابن اختي عثمان بن محمد الرشيد وكان ذلك يوم الخميس، مفادها أن المقابلة المطلوبة كانت يوم السبت الماضي وقد فاتتني لكنهم سوف يعطوني فرصة أخرى يوم السبت القادم فتصحني عثمان بعدم تقوية الفرصة وكان العام الدراسي الثاني قد بدأ لتوه فذهبت إلى مدير المعهد في بيته وطلبت إجازة وتوكيل أحد الزملاء لتدريس الطلاب خلال اليومين اللذين سأنتغيب فيهما.

اشترت تذكرة سفر بالطائرة من شخص، بأقل من قيمتها الفعلية كي أسافر إلى جدة ومنها إلى مكة المكرمة.. (وكانوا لا يطابقون اسم المسافر مع الاسم المدون في تذكرة الطائرة) وكنت بلباس الإحرام وبقية ثيابي في لفافة من قماش، وقضيت عمرتي ثم توجهت إلى ما يسمى وقتذاك (حوض البقر) على أطراف مكة، وهو الآن حي (العزيرية) الشهير، واستأجرت في أحد المقاهي التي تكثر بتلك المنطقة (مركزاً) بريال واحد كي أنام عليه، وفي الصباح الباكر توجهت إلى كلية الشريعة في حي الزاهر ووجدت مجموعة من المتقدمين للإعادة مثلي ممن فاتتهم المقابلة الأولى.

كان الشيخ أحمد علي أسد الله عميد كلية الشريعة آنذاك ومعه عالم اللغة العربية

٢ المركز: هي الدكة الخشبية التي يجلس عليها الناس في المقاهي وأمام المنازل أحياناً.

الدكتور رشيد العبيدي، والدكتور خالد قرملي -رحمهم الله جميعاً- ومجموعة من الأساتذة الآخرين، جميعهم كانوا في لجنة المقابلات، ونادوا على اسمي، فقامت ومعني لفافتي وجلست أمامهم، فبادرني أحد أعضاء اللجنة بسؤال عن تخصصي فأجبت: لغة عربية فقال الدكتور العبيدي: أعرب الآتي: مات الرجل، قلت: مات فعل ماضي مبني على الفتح، والرجل فاعل مرفوع بالضممة الظاهرة على آخره.. قال لي متحكماً بلهجته العراقية: زين يا باه.. وكيف يموت ويصير هو الفاعل!! فدهشت ولم أجبالا ولم يخطر على بالي هذا السؤال من قبل. فقلت: أنا قد أكون ضعيفاً في النحو، ولكنني جيد في البلاغة، فاسألوني كما تشاؤون.. ويبدو أنني وفقت، وكان مراقب الكلية آنذاك الأستاذ عبد الملك ملا وأظن أنه كان أحد مؤذني الحرم المكي آنذاك فسألته: ماذا أفعل الآن؟ فقال: تنتظر النتيجة غداً.. عدت إلى مركز العزيزية ونمت ليلتي تلك، وعرفت في اليوم التالي بأنني نجحت، وبذلك سينتقل عملي من الإدارة العامة للمعاهد والكليات إلى وزارة المعارف.. عدت للرياض وتوجهت إلى مدير المعهد وأخبرته بما تم وطلبت منه الإذن بالانتقال إلى مقر عملي الجديد لكنه رفض وقال: أنت معلم ناجح ونحتاج إلى مثلك، ونحن فرحون بك، ولأنك أول معلم من جيل الشباب، وطلابك يحبونك، وحين لم أجد استجابة منه ذهبت إلى الشيخ عبد العزيز المسند، وكان آنذاك مديراً عاماً للكليات والمعاهد، والرجل الثاني بعد فضيلة الشيخ عبد اللطيف.. شرحت للشيخ المسند ما استجد من أموري وعزمي على ترك المعهد، فقال نفس ما قاله مدير المعهد، فاضطرت للانقطاع عن العمل حتى يتم توظيفي من جديد.. لذا فإن في سجلي الوظيفي كلمة «استقال» والحقيقة أنني انقطعت عن العمل مضطراً، وكان ذلك عام ١٣٨٥هـ.

كان انتقالي لمكة المكرمة نقلة نوعية في حياتي بمعنى الكلمة: فقد كانت هناك كليتان جامعتان تابعتان لوزارة المعارف آنذاك وفيهما أساتذة مرموقون لهم إسهامات ثقافية وعلمية واضحة جداً وكانوا أعلاماً في تخصصاتهم.

كان منهم أستاذ الأدب العربي الشهير «فوزي البشبيشي»، والشيخ «محمد محمود

٢ لقد نسيت القاعدة النحوية التي تقول: إن الفاعل هو من قام بعمل الفعل أو اتصف به ك وقع القلم أو مات الرجل كما ذكر النحويون.

الصواف»، والدكتور «زكي مبارك»، والشيخ «محمد متولي الشعراوي»، وقد تعلمنا منهم الكثير، وكان معي زملاء معيدون آخرون منهم: الدكتور ناصر بن عبد الله الصالح، الذي أصبح مديراً لجامعة أم القرى، والدكتور عبد الله بن محمد الزيد مدير التعليم الأسبق في جدة، والمحامي الدكتور محمد بن سعد الرشيد، والدكتور ناصر بن سعد الرشيد أستاذ اللغة العربية بجامعة الملك سعود، والدكتور عبد الرحمن بن ابراهيم الجماز مستشار سمو وزير الداخلية، وجمع كريم آخر. وكلنا حماسة وتفاعل مع مسؤولياتنا، وتطلع نعمل من أجله.

كانت هناك منتديات ثقافية كثيرة في مكة المكرمة، مثل: نادي الوحدة الذي لم يكن مجرد ناد رياضي بل كان نادياً ثقافياً تقام فيه أنشطة ثقافية عديدة، وكان الموسم الثقافي يبدأ مع بداية العام الدراسي وينتهي بنهايته، وكل أسبوع تقام ندوة أو محاضرة في مقر النادي.. أتذكر الأجواء الروحانية في جوار بيت الله الحرام، وكنت والزملاء نقضي ما بين صلاتي المغرب والعشاء في المسجد الحرام، وكان استمتاعنا بذلك الوقت لا حد له. ونحن نتدارس العلم، وتناقش بعض القضايا، ونأمل الكعبة المشرفة.

أسند إليّ أستاذ البلاغة -وهو عالم تحرير- تدريسها، وكان إلقاء محاضرات جامعية لطلاب الكلية تحدياً كبيراً لي.. وأتذكر كيف كنت أقضي في الإعداد للمحاضرة الواحدة أكثر من ثلاث ساعات.

ومع الانشغال بالواجبات الوظيفية كنا مشغولين إلى قضايانا العامة ونتابع مجريات الأحداث في الوطن العربي، وكنا نخطط للحصول على قبول للدراسات العليا في الجامعات الغربية.. وكان التوجه بالنسبة لي أن أذهب إلى بريطانيا لإحدى الجامعتين الشهيرتين: «كمبريدج» أو «أكسفورد» للتخصص في اللغة العربية.. وقضيت وقتاً طويلاً في دراسة ديوان المتنبي وتحليل الكثير من شعره ليكون مجال أطروحتي.. عموماً بعد وقت وتفكير وتشاور تمّ التحول من مجال اللغة العربية إلى مجال التربية وبدأت أرسل الجامعات في أمريكا -وأحمد الله- على اختيار ذلك التوجه لأنني وجدته مجالاً ناسبني؟.. ومن الأشياء التي أعتز بها حين حصولي على القبول من جامعة «إنديانا» أنني كنت أول من حصل على ابتعاث للدراسة في الخارج من خريجي كليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض، وكانت سنة مثيرة بالنسبة لي.

ومن الذكريات اللطيفة في ذلك الوقت،

• أنه صدر في ذلك العام نظام جديد يُعطى بموجبه خريجو كليات العلوم الطبيعية والتطبيقية مرتبة أعلى من خريجي الكليات النظرية، وكانوا قبل ذلك سواسية، مما أثار أمثالي من المعيدين خريجي الكليات النظرية (وبالمناسبة فقد كان منتهى طموح الخريجين في ذلك الوقت الحصول على وظائف حكومية).

اجتمعت مع عدد من الزملاء وكتبنا معروضاً لجلالة الملك فيصل -رحمه الله- نبين فيه اعتراضنا على هذا التمييز محتجين بأمرين:

الأول: لو كان هذا الأمر معروفاً لدى إنهاء المرحلة الثانوية لاختار الكثيرون الفرع العلمي طلباً للمرتبة الأعلى.

والثاني: لا تزال الوظائف التي تحتاج إلى التخصصين معاً (النظري والعملي) شاغرة، لا تشكو من زيادة تخصص على حساب الآخر؛ مما يدعو إلى التشجيع على الدراسة في الفروع العلمية.

ووقع المعروض عدد من الموظفين في مكة المكرمة، ووقع الاختيار عليّ، وعلى الزميلين الفاضلين: ناصر بن سعد الرشيد، وعبد الرحمن بن إبراهيم الجماز لتحمله إلى جلالة الملك في جدة.

اختراني رئيس المراسم للحديث، ودخلنا نحن الثلاثة، وأخذت أقرأ على العاهل الراحل -رحمه الله- الخطاب، وهو يصغي إليّ بعناية واهتمام خمس عشرة دقيقة دون أن يتكلم، ثم قال لنا.. هذا قرار مجلس الوزراء، والأمر بيده، وسوف نعرض عليه وجهة نظركم، وأرسل معنا شخصاً لمقابلة معالي الشيخ صالح العباد رحمه الله، رئيس الديوان الملكي آنذاك، الذي وعدنا بأنه سوف يتابع الموضوع، ولكن تمّ ابتعاثنا قبل أن يقضى في الموضوع بشيء.

• كان كثير من الناس يجهلون معنى كلمة «إعادة» وكان يأتينا ضيوف كثيرون ونحن معيدون. وكنا نسكن مع بعضنا عزاباً، فزارنا أحد الإخوان وأقام عندنا وكان يماثبنا ويقول: كيف تهقرتم إلى الوراء، ففي العام الماضي كان كل واحد منكم معلماً في

المدرسة والمعهد واليوم أصبحت معيدين. أنتم تذكرونتى بمن كان يرعى الإبل ثم تحول إلى راع للبهيم (الأغنام صغيرة السن).

- كنا نداوم على حضور المحاضرات العامة، وذات ليلة حين كان المحاضر هو الشيخ محمد محمود الصوّاف في نادي الوحدة بمكة المكرمة، وكان يقدمه أحد أساتذة الأدب العربي المرموقين بكلية الشريعة وفي بداية تقديمه قال:

لا تسألوا عن صوفه أو قطنه فمن الصفا سموه بالصوّاف

- كنا نتفاعل مع الأحداث، خاصة الأمور العامة، وأتذكر حين توفي العالم الأديب العملاق «عباس محمود العقاد» رحمه الله، حزنا لذلك كثيراً لمعرفتنا بقدره وعلمه ولشغفنا بقراءة مؤلفاته، فاستثرت زميلي وصديقي «ناصر الرشيد» وهو شاعر مفوه وقلت له: إذا لم تعبّر عن مشاعرنا تجاه هذه الفاجعة، ففي أي مناسبة تعبر إذاً؟ فقال قصيدة أتذكر مطلعها:

فجع البيان بميتة العقاد والتفت الفصحى بثوب حداد

الدراسات العليا (الابتعاث إلى أمريكا)

كانت البعثة إلى أمريكا قفزة بالغة جداً وتغيراً كبيراً في نمط حياتي، إنه الانتقال من مجتمعي السعودي إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ويجب أن نتذكر بأنني لا أتحدث عن المجتمع في الوقت الحالي، بل عما كان عليه قبل أربعين عاماً تقريباً.

تركت المملكة مع بداية قدوم التلفاز، ولم يكن موجوداً عند أغلب الناس، بينما كان التلفاز منتشرًا في أمريكا. تركت بلدي ولم يكن الهاتف موجوداً، وكان بعض القادرين مالياً يفتني الهاتف اليدوي، (أبو هندل) بينما كانت الهواتف شائعة في أمريكا.. غادرت ولم أر وجه أنثى من غير محارمي وفوجئت هناك بالنساء كاشفات في كل مكان.. فوجئت بالمياه والأنهار والخضرة... أيّ تحول هذا لشاب عاش معظم عمره في المجمعنة الوداعة بقلب نجد ثم فجأة وجد نفسه في أمريكا في فورة الستينات؟

وصلت إلى نيويورك، المدينة الكبيرة الصاخبة حيث مقر الملحق الثقافي السعودي، وتوجهت مع آخرين من رفاق الرحلة للفندق، وللمرة الأولى في حياتنا رأينا باب الفندق الدوار. وأتذكر أنني وزملائي ازدحمنا كلنا فيه فأغلق الباب علينا فوجئت بتصميم الغرف، وبالأسرة التي لم أُنم قط في بلادي على مثلها، وكراسي دورات المياه... نيويورك مدينة مكتظة بالناس وبالسيارات والعمارات الهائلة التي لم نر مثلها في مكة أو الرياض أو في أي مكان آخر في بلادنا.

في اليوم التالي ذهبنا للملحق الثقافي كي يوجهنا إلى البلدة التي سندرس فيها الإنجليزية، فوجهنا إلى بلدة «بلومنجتون» بولاية «إنديانا» التي فيها مقر الجامعة. وصلنا المدينة، وكان بعضنا يظن أن من الواجب علينا التوجه لمقابلة مدير الجامعة فور وصولنا ولو في منزله! وهذا من منطلق عادة موروثة تقضي بأن يكون أهم الرجال في البلدة -مثل أميرها أو قاضيها- هو من يقابل في بداية وصول الإنسان إلى بلدة جديدة عليه. وصلنا وسكننا في السكن الجامعي وكانت الحياة فيها صدمة ليست بالبسيطة، كان كل اثنين في غرفة وكل طالب منا مع شاب أمريكي حتى يساعده الحديث معه على تعلم اللغة، وكان السكن عبارة عن عمارة فارهة، وفي الوسط صالة طعام كبيرة، وعمارة أخرى من

الجهة الأخرى ملاصقة لصالة طعام مخصصة للطالبات.. ومن طرائف تلك المرحلة أننا فوجئنا ببرميل كبير من المعدن اللامع يخرج منه حليب أبيض بالضغط على زر فيه وآخر يخرج منه حليب لونه بني وكان منا من يظن أن هناك بقرأ ينتج هذا النوع من الحليب البني وطبعاً تبين له فيما بعد أنه كان مخلوطاً بالشيكولاته.

ومن المفارقات اللطيفة أيضاً أنني وصلت إلى أمريكا في شهر سبتمبر وبعده بشهرين كان الطقس قد اختلف، وفي أخريات شهر نوفمبر خرجت في الثامنة صباحاً متوجهاً لمكان دراستي للغة الإنجليزية. فإذا بأحد الأخوان من الطلاب السعوديين القدامى في الجامعة يسألني وبدهشة حين وجدني مرتدياً قميصاً وبنطلوناً، قائلاً لي: لماذا لم ترتد ملابس ثقيلة؟ أما تدري أن الطقس سيكون بارداً وأن المطر سينزل اليوم ظهراً؟ فتعجبت! وسألته كيف عرفت ذلك؟ فقال: عرفت من نشرة الأخبار في «الراديو» عند حديثهم عن حالة الطقس في هذا اليوم. والذي أثار دهشتي أمران:

الأول: علمي بأن نزول المطر أو غيره من الظواهر الطبيعية أمر غيبي لا يعلم بها أحد مسبقاً.

والثاني: انبهاري بهذا الرجل الذي يستطيع أن يستمع (للراديو) ويفهم ما يقال فيه! وما كنت أتوقع أنه سيأتيني يوم أستطيع مثله أن أستمع للاذاعة باللغة الإنجليزية وأفهم ما يقال فيها.

كان من المزعج لنا نحن المسلمين، أن كل طابق يحوي ما لا يقل عن عشرين غرفة، والحمامات فيها مشتركة ومفتوحة، وإذا أردت أن تستحم فستري منظراً مشيناً، (الشباب كما ولدتهم أمهاتهم)! فكننت أنتظر إلى أن يمضي هزيع من الليل حتى ينام الجميع كي استحم.

كانت سنون حافلة بالتجارب، ولو سئلت ما الذي استفدت من التعلم في الولايات المتحدة لقلت ٥٠٪ تقريباً من الصف الدراسي، و٥٠٪ تقريباً من النشاط خارج الصف، وهذه همسة صادقة لكل من أتيح له أو ستتاح له فرصة للتعلم في الخارج أن يستثمر ذلك.. أردت أن أعرف على المجتمع الأمريكي، والنظام السياسي والاجتماعي، وتجاوزت تخصصي

في قضايا التعليم والتربية والإدارة، وأخذت مقررات لم تكن مطلوبة مني، إذ كان المقرر عليّ ٦٠ ساعة دراسية فأخذت ١٠٨ ساعة، أي ٤٨ ساعة خارج نطاق التخصص، وهذا ساعدني على استيعاب اللغة أكثر. وأنا أنصح كل إنسان أن يتعرف -بقدر الإمكان- على المجتمع الذي يدرس فيه، ومن هنا لا زلت أؤمن أن النشاط خارج الصف لا يقل أهمية عن النشاط داخل الصف في كافة مراحل التعليم.

كنت أحد الطلاب العاملين في منظمة الطلاب العرب، وكنا نقيم ليالي ثقافية ونجتمع بوصفنا طلبة عرباً، ولم يفرق بيننا اختلاف السياسات العربية، وكنت أحرص طيلة وجودي في أمريكا على حضور المؤتمر العام السنوي للطلاب العرب. وأيضاً نشطنا في فرع جمعية الطلاب المسلمين في جامعتنا، وبدأنا نقيم صلاة الجمعة في أحد مقرات الجامعة، ثم اشترينا منزلاً وطورناه ليصبح مسجداً، تقام صلاة الجمعة فيه. وكنت كذلك نشيطاً في الجمعية العمومية لطلاب الجامعة كافة، وكان عدد الطلاب وقتها أكثر من ٣٠ ألف طالب وطالبة، وكنا نحاول -نحن الطلاب العرب- دعوة محاضرين على مستوى دولي ليحاضروا الطلاب حول قضية «فلسطين» التي كانت شغلنا الشاغل، وكان طلاب الجامعة يقيمون بشكل مصغر ما يشبه المؤتمر العام السنوي للأمم المتحدة، وكنت ممثل المملكة في «الأمم المتحدة المصغرة» (وكان هذا نوعاً من النشاط الذي تعلمنا فيه ما يجري في العالم سياسياً محاولين أن نحاكيه)، وفي إحدى السنين دعونا أمين عام الأمم المتحدة (لا أذكر اسمه الآن وقد يكون يوثانت) فجاء، وألقى فينا كلمة، وقال: لو كانت اجتماعات الأمم المتحدة الحقيقية في نيويورك بهذا الانضباط لكان حالها أحسن مما هي عليه الآن!!

وكان المناصرون لدولة «إسرائيل» أكثر تأثيراً منا مع أن الأجواء لم تكن حينذاك متوترة تجاه العرب كما هي الآن، وأتذكر أننا كنا نتظاهر أمام فرع المنظمة الصهيونية في الجامعة.. هم يقومون بمظاهرة لمناصرة دولة إسرائيل ونحن نرد عليهم بمظاهرة نصرة لفلسطين.

أمضيت عامين في البعثة دون زواج، ولم يكن متاحاً للمبتعث زيارة المملكة إلا كل عامين مرة واحدة فقط.. مرت على أيام عصيبة تأثرت فيها بما يحصل في المنطقة

العربية، كما أن الظروف المعيشية والدراسية لم تكن سهلة فقد أمضيت ست سنوات في أمريكا لم أكلّم أحداً في الوطن بالهاتف إلا حين هاتفني الأستاذ بدر كريم من الإذاعة وكان يقدم برنامج (تحية وسلام)، وهو مخصص للمغتربين السعوديين..

بعد مرور عام علي في البعثة، اتصل بي أحد إخواني السعوديين فيدني بأن زميلاً له من ليبيا، وهو طالب دراسات عليا، مضطر للعودة إلى بلاده وأنه اشترى منذ أيام قليلة سيارة جديدة ونصحني بشرائها منه. فقلت لمحدثي: أنى لي ذلك؟ فأنا -أولاً- لا أحسن قيادة السيارة، وثانياً ليس عندي مال لسداد قيمتها. وكان جوابه أن قال: إن الرجل سيتسامح كثيراً في القيمة ولن تكون أكثر من ألف دولار مع أنه اشتراها بضعف هذا المبلغ، وسيقرضك زملاؤك ما تحتاج إليه، أما وأنك لا تحسن قيادة السيارة فإنها فرصة أن تتعلم فيها وتحصل على الرخصة، وهي ليست بالأمر الصعب. وبالفعل اشترت تلك السيارة التي دامت معي طيلة سنوات بعثتي، وحصلت على رخصة أمريكية لقيادة السيارة لا أزال أجددها كل خمس سنوات وهي معي منذ ما يقرب من أربعين عاماً.

كانت فرحتي بشراء السيارة والحصول على رخصة قيادة فرحة كبيرة، حتى إنني حينما كنت أجد الدراسة صعبة ومتطلباتها كثيرة كنت أفكر بالعودة إلى المملكة والاكتفاء بما تحقق لي وأقول في نفسي: على الأقل، أستطيع الآن قيادة السيارة!!

في أغسطس ١٩٦٨م تزوجت، وكانت زوجتي من بيت كريم ثري وأسرة كبيرة معروفة، ومع هذا فقد سكنت معي في غرفة واحدة، فيها أريكة نرفعها لتتحول إلى سرير.. وأتذكر أنه قبل قدوم مولودنا الأول «أحمد» لم يكن هناك مخصصات للزوجات، فقررت أن أعمل في وقت فراغي كي أفي بمتطلبات أسرتي.. وعملت «فراًشاً» في الجامعة.. معي سطل أنظف به المكاتب، لمدة أربعة أشهر، أربع ساعات في اليوم لكسب مزيد من الدخل.. ولعل في هذا درساً لأبناء هذا الجيل كي لا يتأففوا من العمل اليدوي والجد، والكدح، ولا

٤ وهي ابنة العمّ عبد الله بن عبد المحسن التويجري وهو من رجال الأعمال الذين يحتلون مكانة في نفسي لفضله، وثقافته، وسخائه وشهامته. ونجله الأكبر عبد المحسن من أعز أصدقائي وأقربهم إلي. ومنهما تعلمت الكثير فاستفدت من تجربة العمّ عبد الله الثرة ومن نصائحه وتوجيهاته الصحيحة. وعرفت مدى تأثير صدق العواطف في النفس من الأخ الدكتور عبد المحسن الذي عرفه الجميع بنبيله، وصفائه وجوده، والذي يجعلني دائماً أحسّ بالمعنى الأصيل للصدقة وأنها هي الكنز الثمين.

غضاضة في أي عمل شريف، ولنا جميعاً أعظم أسوة وقدوة في أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، فما من نبي إلا رعى الغنم، وبعضهم كان نجاراً، وبعضهم كان خياطاً.... إلخ.

حرصت على أن تستفيد زوجتي من وجودها في أمريكا، فدرست اللغة الإنجليزية، وأجادتها، والتحقت بالثانوية هناك، وتوسع أفقها كثيراً وأصبحت الاهتمامات المشتركة بيننا أكثر، وهذا الأمر من أهم عوامل تقوية الصلة بين الزوجين.

كان أبناء جيلي بعد حرب عام ١٩٦٧م، وانتصار إسرائيل في تلك الحرب محبطين إحباطاً شديداً.. كانت النكسة صدمة لكل العرب والمسلمين.. لكنها كانت أشد على المغتربين لأنهم كانوا يرونها على حقيقتها، بعكس العالم العربي الذي أسهم الإعلام المحلي في تضليله، وأتذكر المؤتمر السنوي لمنظمة الطلبة العرب الذي انعقد في بوسطن خريف عام ١٩٦٧م بعد النكسة الذي سافرنا بالسيارات لحضوره. كان الإخوة المشاركون منفعلين، وفي حالة فزع لا مثيل لها، وكما هو معروف ففي لحظات الانفعال والإحباط تجد البعض يرمي بالكلام جزافاً، وكل واحد يحاول جعل النظام السياسي الفلاني أو البلد الفلاني هو المشجب الذي يعلق عليه أسباب النكسة.. كان ذلك المؤتمر من أكثر المؤتمرات انفعالاً وتعبيراً عن تلك الآلام، وأنا لا أومهم فقد كانوا شباباً في أوائل العشرينات، فضلاً عن أن النكسة لم تكن أمراً بسيطاً، خاصة أننا كنا نرى الحقيقة بوضوح، وكنا نرى الأمريكان يسخرون منا سخرية شامته، لأن بعض الإذاعات العربية كانت تقول: نحن انتصرنا، ونحن حققنا كذا وكذا، بينما كانت وسائل الإعلام الأمريكية تهزأ وتوضح الحقيقة.

نكسة عام ١٩٦٧م أحدثت فتوراً كبيراً في التوجه للانخراط في منظمة الطلاب العرب التي كانت قبل النكسة هي الأقوى والأنشط... وأصبحت منظمة الطلاب المسلمين أقوى بكثير.. وأتذكر أننا كنا نشارك في العمل الإسلامي بحماسة ووجدنا أن منظمة الطلاب المسلمين كانت المنظمة المناسبة لتوجيه نشاطنا. وأعترف أن التوجهات الحزبية كانت واضحة في منظمة الطلاب العرب. فعلى سبيل المثال كان الخصام واضحاً وجلياً جداً بين البعثيين والناصريين، وكانت هذه النزاعات الحزبية تنتقل إلى المغتربين أمثالنا، وجعلت الكثيرين من الطلاب العرب يترددون في المشاركة في أوجه نشاط المنظمة.

في الوقت الذي قررنا فيه نحن - بعض السعوديين - مع بعض زملاء الآخرين ألا يكون لنا توجه لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، اتفقنا مع الجميع على أمر واحد هو مناصرة قضية فلسطين. أتذكر أننا كنا في جامعاتنا نلتقي مع كل الأطياف العربية على القضية الفلسطينية فقط وهي التي تجمع صفوفنا، وكنا مهتمين بالكتابة في الصحف وإقامة المحاضرات وحشد التأييد لنصرة الفلسطينيين في المطالبة بحقوقهم وأرضهم، وألينا على أنفسنا ترك كل القضايا الأخرى والتركيز فقط على القضية الفلسطينية، ومن حسن حظنا - والله الحمد - أن موقف المملكة كان ولا يزال مشرفاً من القضية الفلسطينية.

لقد كنا نقيم الحفلات الخيرية من أجل فلسطين، وندعو الناس من طلاب وأساتذة وغيرهم إلى الطعام لقاء مبالغ معينة يلتزمون أديباً بدفعها. كان هناك مبنى يسمى (البيت الدولي)° نقيم فيه الحفلات. كانت خبرتنا في الطبخ محدودة، ومما هدتنا إليه الظروف لتتوسع ألوان الطعام أننا كنا نطبخ ثلاثة أنواع من الرز: واحداً بالزعفران، وآخر بصلصة الطماطم، والثالث نتركه أبيض، لنقول للمدعوين المتبرعين: هذه أنواع ثلاثة!!

كنت عضواً في لجنة التبرعات للقضية العربية المركزية (القضية الفلسطينية)، وكنت بالطبع شاباً، وبالإضافة إلى الوزن الزائد الذي كنت أتمتع به، كنت قوياً ونشطاً بفضل الله، وأذكر أننا ذهبنا مرة لأحد الأصدقاء فاعتذر عن التبرع، فخلطنا الجدد بالهزل - أنا وزميل لي من سوريا - فأمسكت الصديق من يديه وكأني أقيده، واستخرج زميلي السوري النقود من جيبه، طبعاً لم يكن ذلك إكراهاً له، إنما كان حسب الأخوة والمؤانسة والمداعبة، وقلت لذلك الصاحب نص الحديث الشريف: «عجب ربنا تعالى من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل»^١.

ومن فوائد الغربة أيضاً - بالإضافة إلى أنني اشتغلت فيها طبياً، وجامع تبرعات - أنني عملت مرات عديدة «مأذون أنكحة»، فقد كان يأتي إلي بعض المسلمين الجدد من الأمريكان الذين يريدون أن يجرى لهم زواج إسلامي، فاعقد للشباب على الشابة في حفل مختصر، وذلك قبل أن يذهبوا لإكمال إجراء الزواج المدني المعتاد.

وأختم حديثي في هذا الجزء عن تجربة محزنة مرت بي في الشهور الأولى من البعثة: فقد كنت في معمل اللغة مع زملائي، والسَّماعات على آذاننا، ونحن نسمع ونردد، وكان جالساً على يساري أخ كريم، معيد في كلية الشريعة مبعث مثلي اسمه محمد سفته-رحمه الله-، جاء للدارسة ومعه زوجته وأولاده. نظرت إليه، وفجأة سقط رأسه على صدره... لقد أصيب بسكتة قلبية، وفارق الحياة، وكانت ميته من أقسى التجارب التي مرت علي وأمرها!!

مجال التخصص:

كان مجال تخصصي: «إدارة الأفراد في مؤسسات التعليم العالي» مجالاً جديداً بالنسبة للتربية والتعليم، ومما دعاني إليه وحمسني له أنه قبل صيف ١٩٦٨م أعلن عن منحة من الجامعة التي أنا فيها للقيام برحلة إلى بريطانيا في الصيف لإجراء مقارنة بين النمط الإداري السائد في جامعات بريطانيا والنمط السائد في الجامعات الأمريكية، فتقدمت طالباً للمنحة، ولحسن حظي حصلت عليها وقضيت في المملكة المتحدة أكثر من أربعين يوماً زرت خلالها الكثير من الجامعات: (جامعة ويلز، وجامعة لندن، وأكسفورد، وكمبريدج، وسانت اندروز، وجامعة أدنبرة، وجامعة إكستر). وكتبت عن نمط الإدارة هناك مقارنة مع نمط الإدارة الجامعية في الولايات المتحدة الأمريكية، وقدمت الدراسة وحصلت على تقدير ممتاز وكان أستاذي في جامعة أنديانا والمشرف الأكاديمي علي في منتهى اللطف، وكان يراني من طلابه المقربين.

وكان نزول أول إنسان على سطح القمر عام ١٩٦٩م حدثاً باهراً استولى على مشاعر كل الناس في أمريكا وصار ديدن أحاديثهم، وكنت مندهشاً مثل غيري حين شاهدنا الرئيس الأمريكي من كوكب الأرض يحدث هاتفياً «نيل أرمسترونج» فوق سطح القمر، وفي اليوم التالي لذلك الحدث طلب إلينا أستاذ مادة الإدارة الجامعية أن نكتب عن أثر هذا الحدث على مسيرة التعليم الجامعي، فشطحت بخيالي وكتبت الموضوع ظاناً أنه لن يحوز على رضا الأستاذ وإذا به وافق قبولاً في نفسه، وطلب إلي أن أقرأه على زملائي في الفصل الدراسي.

وبعد إنهاء الماجستير قال لي أستاذي المشرف على برنامجي الدراسي: نحن نرحب

بك للدكتوراه في هذه الجامعة (إنديانا) لكنني أنصحك بالتوجه لمكان آخر لتعميق الفائدة وعدم قضاء كل الوقت في مكان واحد. وكان يقول لي: أنتم محظوظون أن تتاح لكم الفرصة فاغتموها، وتعرفوا على بلادنا أكثر، وبتأثير أحد الزملاء -وهو الدكتور عبد الله النافع- انتقلت إلى جامعة «أوكلاهوما».

وبالمناسبة، فمما وفقني الله تعالى إليه أن أسهمت في ترتيب زيارتين قام بهما مسؤولون من جامعتي أوكلاهوما وإنديانا^٧ لوزارة المعارف في الرياض، وكانت ثمرة هذه الزيارة اتفاقاً عقد بين الوزارة والجامعتين تبتعث فيه الوزارة كل سنة (٢٥) دارساً لكل جامعة، يقضون فيها سنتين: أولاهما لدراسة اللغة الإنجليزية، وثانيتها يمضونها في التدريب العملي، يزورون خلالها المدارس، وإدارات التعليم، وغيرها من المؤسسات التربوية إلى جانب المحاضرات النظرية، وبعد ذلك تجري الجامعة لكل واحد منهم تقويماً، وتتيح للقادرين علمياً من المتدربين الفرصة لكي يكملوا الماجستير والدكتوراه. وقد استفاد من هذا الاتفاق سبع دفعات ضمت (٢٥٠) مبتعثاً، وكثير منهم حصل على الماجستير وبعضهم حصل على شهادة الدكتوراه، ولقد شاركت في صياغة كلتا الاتفاقيتين وأسهمت بالرأي في مضمون البرنامج التدريبي والتعليمي.

حينما يتاح لأحد منا فرصة للدراسة خارج بلاده، فعليه أن يفتنهما.. لأنها فرصة ثمينة يجب الاستفادة منها بأقصى الإمكان، ولكن بعض المبتعثين منا -مع الأسف- يذهب ويعود ولم يتعرف إلا على كليته التي درس فيها ومكتبة الجامعة. والحقيقة أنني -ولله الحمد- لم أوقف تجربتي عند هذا الحد.. وأنا أدعو إلى الانفتاح وإقامة العلاقات مع الآخرين فهي نافعة وخادمة للقضايا العامة وعلينا ألا نستهيئ بها.

لقد أتيح لي أن أستثمر كل الإجازات الجامعية خلال وجودي في أمريكا في الترحال داخل الولايات المتحدة الأمريكية، فلم تبق مدينة رئيسية إلا زرتها وتعرفت على معالمها، ولم يبق متنزه طبيعي إلا أقمته مخيماً فيه، والحق أن المناظر الخلابة والطبيعة الجذابة متوفرة في تلك القارة بشكل يكاد يكون لا مثيل له.

٧ الجامعتان المذكورتان هما اللتان درست فيهما، وكان من ضمن الوفد الزائر المشرفان على دراستي في الجامعتين.

العودة إلى الوطن

حين عدت من دراستي في الخارج في شهر شوال عام ١٣٩٢هـ الموافق لأواخر عام ١٩٧٢م وجدت المملكة تطورت بشكل لافت للنظر. كنت مبتعثاً من وزارة المعارف، بحكم أن الكليتين الجامعيتين في مكة المكرمة تتبعانها، وبعد تحول جامعة الملك عبد العزيز في جدة من أهلية إلى حكومية.. أصبحت بعثتي للدراسة بأمريكا من جامعة الملك عبد العزيز، بعدما دمجت كليتا الشريعة والتربية فيها وسميتا فرع جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، ولقد كان الدكتور عبد الله عمر نصيف عضو هيئة تدريس في كلية العلوم في جامعة الرياض فسمى الدكتور عبد الله النافع وكيل جامعة الرياض، آنذاك إلى نقلي إلى جامعته مقابل انتقال د. عبد الله عمر نصيف إلى جامعة الملك عبد العزيز بجدة بناءً على طلب الجامعة، ولذلك عينت مباشرة في كلية التربية في جامعة الرياض (جامعة الملك سعود الآن) وكما هو واضح فلم يكن لي يد في الانتقال من كلية التربية في مكة المكرمة إلى كلية التربية في جامعة الرياض.

وحينما عدت وجدت أن كل شيء تبدل في بلادي وفي كل أوجه الحياة، أخذ التوسع في البنيان مثلاً: تركت الرياض وأنا أستطيع أن أقطعها مشياً على الأقدام في ساعات قلائل وجئتها وقد كبرت وتوسعت حتى أصبحت مراتعنا وأماكن مخيماتنا البرية جزءاً من المدينة.. طفرة في أسعار الأراضي، انتشار الفلل والعمارات في كل مكان، تطور في الفكر السياسي وفي المفاهيم العامة... وأظن أن القفزات التي تحققت في كل مناحي الحياة كبيرة إذا ما قيست بالزمن الذي استغرقها ذلك التبدل.

محطات علمية ومهنية

عملي في جامعة الملك سعود (جامعة الرياض سابقاً)

حين استقر بي المقام في الرياض واستأجرت سكناً صغيراً يناسب إمكاناتي المادية بدأت جاداً في عملي عضواً في هيئة التدريس، وكانت الجامعة بصدد التحول من النظام الدراسي السنوي إلى النظام الفصلي والساعات المعتمدة، وكلية التربية هي التي بدأت بهذا التحول. ولمعرفتي بفلسفة نظام الساعات وحماستي له فقد أصبحت عضواً في اللجنة التي تضع التفاصيل والقواعد. لقد تعرض النظام لكثير من الانتقادات واعترض عليه زملاء في الجامعة، وكانت مهمة الذين تبنوه من أمثالي مهمة عسيرة. وظن بعض الزملاء أن الذين دعوا لذلك التنظيم الدراسي هم الذين درسوا في الولايات المتحدة الأمريكية وتأثروا بنظامها. وقد يكون هذا أحد الأسباب ولكن الأسباب الداعية كانت متعددة، في مقدمتها الآتي:

١. نظام الساعات المعتمدة (أو المقررة) يأخذ في الحسبان الفروق الفردية بين

الدارسين فيإمكان طالب أن يدرس خمسة مواضيع أو أكثر في وقت واحد بينما آخر يصعب عليه ذلك، وللعيبء الدراسي حد أدنى هو (١٢) ساعة مقررة أي اثنتا عشرة ساعة دراسية في الأسبوع، وحد أعلى هو إحدى وعشرون ساعة، فإذا كان المقرر الواحد -كما هو في الغالب- ثلاث ساعات فإن من سجل في الحد الأدنى يدرس أربعة مقررات (مواد) ومن سجل في الحد الأعلى يدرس سبع مواد.

٢. إن إخفاق الطالب في الحصول على درجة النجاح في أي من المواد لا يترتب عليه إعادة دراسة كل المواد وإعادة السنة كاملة، حتى وإن كان الطالب قد نجح في أغلب موادها كما هو في النظام الثابت - النظام السنوي. بل يعيد دراسة ما أخفق فيه فقط.

٣. تمكين الطلاب من امتزاج بعضهم ببعض (بصرف النظر عن التخصص) ذلك أن متطلبات التخرج هي أربعة مسارات:

المسار الأول، متطلبات الجامعة،

متطلبات الجامعة وهي التي يلتقي فيها كل الطلاب وهي في جامعاتنا السعودية أربعة مقررات في الثقافة الإسلامية، ومقرران في اللغة العربية. إن ذلك يتيح لطالب كلية الطب مثلاً أن يدرس مع طالب كلية التربية.

المسار الثاني، متطلبات الكلية،

متطلبات الكلية وهي تختلف من كلية إلى أخرى لكنها تجمع طالب اللغة العربية مع طالب التاريخ وطالب اللغة الإنجليزية في كلية الآداب على سبيل المثال.

المسار الثالث، متطلبات التخصص،

متطلبات التخصص وهي التي لا يدرسها إلا من تخصص في المجال نفسه.

المسار الرابع، المقررات الاختيارية،

وأخيراً: المقررات الاختيارية وهي متاحة بحدود ولكن قد يأخذها طلاب من تخصصات متعددة ومتنوعة.

وفي كل الأحوال فإن مكان الدراسة متبدل، والخيارات متعددة في أوقات الدراسة،

أي أن الطالب ينتقل من حجرة إلى أخرى، ويختار الزمن الأنسب له فتجد المقرر يقدم في أوقات مختلفة في الفصل الدراسي الواحد، ويقدم في فصول دراسية متعددة، أي أن كل مقرر يقدم في الفصل الدراسي الواحد في شعب مختلفة في أزمنة متعددة. وهذا بخلاف النظام السنوي الثابت الذي يجعل الطالب مع عدد محدود من الطلاب هم في مجال تخصصه طيلة مدة دراسته وفي كل عام هو في حجرة دراسية واحدة لا تتبدل، وزمن محدد سلفاً.

٤. تمويد الطالب على التفكير واتخاذ القرار، فهو الذي يختار جدولته الأسبوعي في كل فصل دراسي ويحدد المواد التي يهيئ نفسه لدراستها. ومعلوم أن أهم ما يقابل الخريج بعد دخوله معترك الحياة هو عدم القدرة على اتخاذ القرار إذا لم يكن قد هيئ لهذا. وهذا النظام الدراسي عامل مهم في تهيئة الفرد لأن يشق طريقه في الحياة باختياره.

٥. العدالة في المعدل الدراسي النهائي، فإذا كان النظام السنوي يحسب المعدل طبقاً لمتوسط الدرجة النهائية المتحصل عليها في الاختبار لكل المواد، بصرف النظر عن عدد الساعات الدراسية الأسبوعية لأي مادة، فإن نظام الساعات يعتمد في المعدل على عدد ساعات الدراسة في المعدل التراكمي، فمقرر يدرس في ساعة واحدة أسبوعياً ليس في وزن مقرر يدرس في ساعتين في الأسبوع، وهكذا فكل مقرر يوزن بعدد ساعات تدريسه الأسبوعية.

وأخيراً؛ فإنني ممن يقطع بأن نظام الساعات المعتمدة هو النظام المعمول به في حلقات الدراسة في الحرم المكي، والمسجد المدني، وفي حلقات المساجد الدراسية الأخرى، وقد وقفت بنفسي على الفقيه يجيز فلاناً من الناس في موضوع وقد تأخر إجازته من قبل عالم آخر في موضوع آخر.

كان انشغالي في الجامعة بهذا النظام داعياً للاطلاع بعمق على فلسفة النظام وعلى الوقوف على التجارب في الجامعات الأخرى، ولا أنسى مدى الاستفادة من مكثي في الجامعة الأردنية حين انتدابي لها لمشاورة رئيسها وبعض عمداء الكليات فيها بحكم أنها تطبق النظام الذي كنا بصدد تطبيقه، وكذلك الحال ما أفدته من تجربة جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ومن الجامعة الأمريكية في كل من بيروت والقاهرة.

لقد وُكِّل إليّ في السنة الأولى من عملي -بصفتي عضو هيئة تدريس في الجامعة- الإشراف على البرامج التدريبية لمن هم على رأس العمل من المعلمين في التعليم العام وممن في حكمهم من مديري المدارس على اختلاف مراحلها، والمشرفين التربويين، وكانت خبرة ثرية، عايشت فيها المعلمين والمديرين، وسافرت معهم في زيارات ميدانية، وهذه التجربة جعلت الكثيرين ممن هم أكبر مني عمراً يدعونني بأستاذهم!! وكان شففي بمعرفة نتائج تلك البرامج التدريبية كبيراً، وكنت أرغب في الوقوف على مدى تأثير المتدرب بما تدرب عليه، وهذا يقتضي رصدًا دقيقاً للممارسة قبل التدريب، ثم الملاحظة للممارسة بعد التدريب، ولم يكن ذلك متاحاً فلجأت إلى طريقة ليست الأمثل ولكنها أفضل المتيسر.. تتمثل هذه الطريقة في مجموعة من الأسئلة عن مفاهيم عامة في مجال وظيفة المتدرب، وهي ذات إجابات متعددة يجب عنها الملتحق بالبرنامج وقت تسجيله، وأحتفظ بالأجوبة حتى نهاية مدة التدريب ثم أطلب من كل متدرب أن يجيب عنها. وأقارن بين الأجوبة قبل التدريب وبعده، هذا يساعد من الناحية النظرية على الوقوف على مدى تبدل بعض المفاهيم، وكنت أسعى لتطوير مناهج التدريب كل عام حتى تكون ملبية لما أراه حاجة ملحة للمتدرب، وآخذاً بما استجد من نظريات، مع أنني أعلم علم اليقين الفرق بين الإجابة النظرية والممارسة الفعلية، ومن الناس من يعبر عن رأيه في بعض الأمور ويكون فعله ليس مطابقاً لقوله وما عبر عنه كلام فقط لا رصيد له من الواقع.

لقد كان لي شرف تنظيم أول مؤتمر عقدته الجامعة في رحابها، فقد كان موضوع رسالتي للحصول على درجة دكتوراه الفلسفة في التخصص هو: «أهداف مؤسسات التعليم العالي»، وقد استفتيت كل الطلاب السعوديين الدارسين في جامعات الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك؛ حيث أقيمت في مدينة نيويورك عدة أسابيع متعاوناً مع الملحق الثقافي السعودي المسؤول عن المبتعثين وأخذت منه عناوين كل طلاب المملكة الموجودين في أمريكا حينها ولم يكن عددهم حينها كثيراً كما هو الآن. ووجدت التفاوت الكبير في إدراكهم لرسالة الجامعة، ومن هنا فقد حرصت على تنظيم مؤتمر تشارك فيه كل مؤسسات التعليم المدني والعسكري، وقيادات الأجهزة الحكومية والقطاع الأهلي، نحدد فيه معاً «رسالة التعليم العالي»، وهو كل تعليم يلي التعليم الثانوي مباشرة. وبعد استئذان المقام السامي (وكان الملك فيصل -رحمه الله- في سدة الحكم) جاء الإذن بعقدته في رحاب جامعة

الرياض. ثم وافت المنية الملك فيصلاً -رحمه الله- وتأخر عقد المؤتمر ليكون في أوائل عهد الملك خالد -رحمه الله- وكان التجاوب مع ذلك المؤتمر عظيماً وعدد المشاركين كبيراً، وقد صدرت عنه توصيات عملية بشأن رسالة الجامعة ودورها في المجتمع. رفعت للمقام السامي وتوجت بالموافقة. لقد صاحب المؤتمر معرض كبير يكشف أوجه نشاط المؤسسات التعليمية الجامعية وما تقدمه لطلابها ولأعضاء هيئة التدريس فيها، وفتحت أبواب المعرض للكافة واشتركت فيه الكليات الجامعية المدنية والعسكرية من جميع أنحاء المملكة. وأصدرنا في أيام المؤتمر جريدة يومية سمينها (رسالة الجامعة) باسم المؤتمر ولا زالت الجريدة مستمرة في الصدور أسبوعياً من جامعة الملك سعود.

شرفتني إدارة الجامعة بأن أكون منسقاً ومقرراً لدراسة تتم لأول مرة سمينها «الدراسة الذاتية» هدفها تقييم مسيرة الجامعة، وعن طريقها تتبين لنا نقاط الجودة فنعزيزها ونقاط الضعف فتعالجها. وتمت الدراسة بأن طلبنا من كل قسم علمي، ومن كل عمادة أن تكتب وصفاً دقيقاً لواقعها مع تفاصيل عن برامجها، وعن العاملين ومؤهلاتهم، وإنتاجهم العلمي وعن المختبرات والمعامل والفصول الدراسية، والطلاب وأعدادهم في كل مرحلة، والمكتبة وغير ذلك، وجرى توقيع اتفاقية بين الجامعة ومجموعة من الجامعات الأمريكية من خلال تنظيم يضمها جميعاً اسمه (اتحاد جامعات الوسط الغربي للنشاط الدولي ويرمز لها بـ «موسيا»)^١.

وبمقتضى هذه الاتفاقية تقدم جامعة الرياض وصفاً كاملاً لواقعها باللغة الإنجليزية إلى الاتحاد بعد أن يرشح الاتحاد في كل مجال من المجالات العلمية والإدارية ثلاثة خبراء تختار جامعة الرياض أحدهم ليشارك في الدراسة. يقوم المختارون من الجامعات الأمريكية بدراسة هذا الوصف، كل في مجال، ثم يجتمعون ليطلعوا على الوصف كاملاً، بعدها يأتون إلى الرياض ويمكنون المدة الكافية التي تجعلهم يقارنون الوصف المكتوب بما يرونه ويشاهدونه ثم يعيدون ليكتب كل واحد منهم تقريراً عن مريئاته ويكتبون مجتمعين ملخصاً يكشف -من وجهة نظر موضوعية- مستوى الجامعة: ماهي نقاط جودتها؟، ما نقاط الضعف فيها؟ وكيف يمكن تعزيز الأولى وكيف يتم التخلص من الثانية؟

في أثناء هذه العملية طلب أحد القياديين الأكاديميين في إحدى الجامعات المكونة لهذا الاتحاد من سفارة المملكة العربية السعودية في واشنطن زيارة الرياض بحكم أن جامعتي مشتركة في عملية التقويم الذاتي، وهو لم يكن مرشحاً من قبل جامعتي، ولم يرد اسمه ضمن القوائم وليس له أي مهمة، ولم تمكنه السفارة من الحصول على تأشيرة الدخول لأسباب لا أعرفها، مع أنه غير مدعو، وليس مشتركاً في الدراسة التي قطعت شوطاً كبيراً.

وكتب هذا الأكاديمي خطاباً لمدير جامعة الرياض آنذاك مهدداً بوقف التعاون وأنه سيدعو ممثلي الجامعات الأمريكية المشتركة في الاتحاد إلى اجتماع حدد زمانه ومكانه ليوقف التعاون مع جامعة الرياض لأنه لم يعط تأشيرة، ويزعم أن عدم إعطائه التأشيرة كان انطلاقاً من تفرقة عنصرية ودينية، كان هذا في الصيف وأنا في القاهرة من أجل التعاقد مع أعضاء هيئة تدريس للجامعة فاتصل بي هاتفياً وكيل الجامعة، وطلب إلي التوجه فوراً إلى الولايات المتحدة الأمريكية وشرح وجهة نظر الجامعة في هذا الأمر، وبالفعل دبرت أمري وسافرت إلى حيث الاجتماع وكان في مدينة تسمى (ريزن) في ولاية وسكانسن، وقد تحدثت إلى المجتمعين وأوضحتم لهم أن الجامعة لم تخل بأي شرط، وكل من اخترناهم جاؤونا في المملكة وسيعودون لها مرة أخرى لينهوا مهمتهم وأن اتفاقنا معهم لا يعني أن المملكة تتخلى عن سيادتها وقرارها فيمن يدخل المملكة ومن لا يدخلها، وأن الشخص المحتج لم يكن له دور في الدراسة، وحتى لو أنه كان مختاراً من الجامعة والسفارة لها رأي في منحه التأشيرة فإن ذلك من حقها وقد نختار بديلاً عنه، وبالتالي فإن الحديث عن إيقاف التعاون عقاباً للجامعة غير مقبول. وبعد أن أجبته عن كل التساؤلات عدت إلى مهمتي. ثم بلغت من قبل أمانة الاتحاد عن قرار وقف العمل بالاتفاقية، بعد أن قطعنا شوطاً فيها، وقلت لمدير الجامعة: إن الأشخاص الذين درسوا وزاروا لم يبق على إنهاء مهمتهم إلا إنهاء التقرير الختامي، واقترحت أن أتصل بكل واحد منهم فردياً وأطلب إليهم إكمال المهمة بصفتهم الفردية وليس بصفتهم من جامعات الاتحاد فوافق مدير الجامعة. والحمد لله على أنهم جميعاً وافقوا على إنهاء المهمة، وكتب كل واحد التقرير الذي يخصه، ثم كتبوا تقريراً موحداً. ودعوناهم مرة أخرى للزيارة والالتقاء بهم في ندوة علمية في مدينة (الخبر) وكانت نتيجة الاجتماع إخراج تقرير شامل ممثل لوجهة

نظر الخبراء الخارجيين وممثلي الكليات والعمادات في جامعتنا. وكنت ولا أزال أتمنى أن تستمر الجامعة وكل جامعة في تقويم برامجها وإمكاناتها البشرية وتجهيزاتها كل خمس سنوات.

وحين أسندت إلي وكالة كلية التربية، ثم عمادتها حرصت على أن أقف على حال كليات التربية وكليات إعداد المعلمين في جميع أنحاء الوطن العربي حتى نستفيد من تجارب الآخرين، وقد تم -ولله الحمد- ما أردت؛ فاجتمع في رحاب جامعة الملك سعود عمداء كليات التربية وإعداد المعلمين من الدول العربية، وكان ذلك الاجتماع انطلاقة لتعاون وثيق وتبادل معلومات وزيارات متبادلة لأعضاء هيئة تدريس لا تزال قائمة بين الكليات المتماثلة. وقد تحدد في ذلك الاجتماع أمور أساسية وسياسات عامة تحكم عمل الكليات وتوحد فيما بينها.

في ذلك الزمن كانت عمادة الكلية لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد، وكان أعضاء هيئة التدريس السعوديون يستشارون في اختيار العميد وحينما يتفقون على شخص يعرض الأمر على مجلس الكلية لاتخاذ توصية بشأنه، ثم يرفع لمدير الجامعة. وحين توليت عمادة الكلية كانت بمثابة ثلاث كليات:

١- كلية التربية. ٢- كلية العلوم. ٣- كلية الآداب.

والسبب تباعد أماكن كليات الجامعة بعضها عن البعض الآخر.

وكان يرأس الأقسام أساتذة فطاحل في تخصصاتهم جلهم من إخواننا العرب غير السعوديين، وكانت الكلية تعاني من قلة إقبال الطلاب عليها، وتنافس الكليات في جامعتنا وفي كليات الجامعات الأخرى على استقطاب المتميزين من خريجي الثانوية العامة، وكان لا بد لي أن أقدم برامج محفزة لاستقطاب الطلاب، وساعد على تحقيق أهدافي شعور وزارة المعارف في ذلك الوقت بأهمية استقطاب معلمين سعوديين أكفاء، واتفق معها في ذلك ديوان الخدمة المدنية ووزارة المالية؛ ومن هنا خرج سلم وظيفي برواتب متميزة لتشجيع السعوديين على الإقبال على مهنة التعليم.

عملت على أن أرسل وفوداً من أعضاء هيئة التدريس في كلية التربية إلى المدارس

الثانوية الرئيسة أياً كان موقعها في المملكة لتقابل من في السنوات النهائية في الثانوية العامة تشرح لهم وتوضح كل شيء عن الكلية: أهدافها، وأهميتها، وفوائدها الأدبية والمادية، ثم المستقبل الوظيفي لخريجها.

ومن فضل الله أن مقر الكلية كان قصراً جميلاً واسعاً فسيحاً يمكّن من إقامة أوجه النشاط المتعددة: رياضية-ثقافية-اجتماعية-رحلات... الخ، واستطاعت الكلية أن يكون لها السبق على كل كليات الجامعة في أوجه النشاط المختلفة. وهي أول كلية أقامت مطعماً للطلاب، وقد حرصت وزملائي رؤساء الأقسام العلمية على تناول وجبة خفيفة مع الطلاب وتحدث إليهم ونشعرهم بأهميتهم والقرب منهم ومن طموحاتهم ومشاكلهم.

وقد تمكنا بحمد الله أن نبني مركز الوسائل وتكنولوجيا التعليم. وكان في زمانه فريداً من نوعه في المملكة وهذا جعلني أغري أساتذة الكليات الأخرى في جامعتنا أن يلتحقوا ببرنامج تدريبي مسائي يمكنهم من استعمال الوسائل في محاضراتهم وتدريسهم لطلاب كلياتهم، وبجانب ذلك فإننا تمكنا من إقامة مركز لعلم النفس وعيادة نفسية لعلاج الطلاب في الجامعة.

أصبحنا نستعين بأساتذة من جميع أنحاء العالم في التربية وعلم النفس للمزيد من الإفادة العلمية.

وزادت البرامج التدريبية وتنوعت لمن هم على رأس العمل الذين يعملون في الميادين التربوية مثل:

- الإرشاد والتوجيه.
- الإشراف التربوي.
- الإدارة المدرسية.
- طرق التدريس.
- وضع المناهج.
- تكنولوجيا التعليم.

وقد جرى العمل على أن المبرزين من خريجي كلية التربية لا تتاح لهم الفرصة في أن يكونوا معيدين في تخصصاتهم بالجامعة تمهيداً لابتعاثهم للدراسات العليا (الماجستير- الدكتوراة) إلا في تخصص التربية وعلم النفس وما تفرع عنهما دون التخصصات العلمية

الأخرى، فقد وفق الله، بعد شرح وإيضاح لعمداء الكليات الأخرى أن تتاح الفرصة لذوي التخصصات الأخرى من خريجي الكلية في أن يكملوا دراستهم العليا أسوة بزملائهم في تخصص التربية وعلم النفس.

وحيث أرى حملة الدكتوراة من العاملين في الجامعة في مجالات متعددة في العلوم الطبيعية والاجتماعية واللغة العربية وحتى الإنجليزية لأنهم كانوا في دراستهم الجامعية من طلاب كلية التربية وخريجها واستفادوا من اقتراحى بابتعاثهم للخارج أشعر بسعادة غامرة بظهور ثمرة ما غرسته.

أكسبني عملي في جامعة الرياض خبرة عظيمة مكنتني من التعلم وتوسيع المدارك؛ فلقد كنت في لجنة تحديد الاحتياجات الأكاديمية للجامعة التي بنى عليها المستشارون المعماريون مخططات الجامعة الرئيسة ومخططات البناء لمقرها الحالي والذي اعتبره الكثيرون عند انتهاء بنائه وتجهيزاته تحفة معمارية. واقتضى هذا أن نزور العديد من الجامعات في الدول المتقدمة لنختار أفضل المواصفات، ولأ أنسى ذلك اليوم من أيام رمضان المبارك حين توجهنا من الرياض مع بزوغ الشمس برفقة مدير الجامعة «الدكتور عبد العزيز الفدا» إلى بيروت ومن بيروت واصلنا إلى لندن ومن لندن إلى نيويورك ومن نيويورك إلى مدينة سانت لويس في ولاية ميزوري كل هذا ونهارنا لم ينته ونحن صائمون، ولا زلت أشعر بالرضا لأننى كنت في جامعة الملك سعود لأن الله قَدَّر لي أن أكون من المسهمين الأوائل في بناء هذا الصرح العظيم، فالحمد لله على فضله.

ومن الخبرات التي أعتز بها تلك المتعلقة بإنشاء وزارة التعليم العالي وإسناد الوزارة إلى معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله؛ فقد طلب مني ومن الأخوين: الدكتور محمود سفر، وكان عميداً لشؤون الطلاب في جامعة الملك سعود ثم أصبح وكيلاً للوزارة فيما بعد، وحمدي أبو زيد وكان مديراً عاماً للتنظيم والإدارة في وزارة المالية أن نضع له تصوراً عن مسؤوليات الوزارة الجديدة ومهامها وعن هيكلها التنظيمي. وقد كلفني الأخوان أن أضع ورقة عمل، ناقشناها جميعاً ثم عرضناها على الوزير فوافق عليها ورفعها إلى لجنة الإصلاح الإداري التي أقرتها وخرج بها قرار من مجلس الوزراء.

لقد حظيت بأن أكون مستشاراً عند وزير التعليم العالي ضمن فريق كان يقوم بدراسة

الكثير من الأمور، كما سعدت بأن أكون عضواً في أول لجنة لمعادلة الشهادات الجامعية تابعة لوزارة التعليم العالي، ومن خلال العمل في هذه اللجنة تمكنا جميعاً من الوقوف على الأنظمة التعليمية في العديد من دول العالم، وكانت الأعمال توزع على الأعضاء بحيث يقوم كل اثنين منا بدراسة أنظمة منطقة من مناطق العالم ويقدمان عنها تقريراً، وهذا قد جعلني أزور زيارات رسمية بلداناً عديدة وأدرس نظامها التعليمي العام والعالي ومن تلك الدول: أستراليا، ونيوزلاندا، وأمريكا، وأندونيسيا، وماليزيا، والفلبين، وتايلند، كانت فرصاً أتاحت لي أحمد الله عليها.

وقد مرت بنا مواقف كثيرة فيها طرافة وفائدة، أكتفي بذكر اثنين منها:

الأول: سافرت إلى أندونيسا في مهمة تتعلق بمعادلة الشهادات الجامعية، ورتبت برنامج زيارتي جمعية إسلامية إندونيسية، وكان في البرنامج أن أزور مدينة باندونغ التي عقد فيها أول مؤتمر لدول عدم الانحياز، وشارك فيه جلالة الملك فيصل رحمه الله.

عندما وصلت إلى مقر إقامتي علمت بأنه الفندق الذي أقامت فيه الوفود، وأكرمني منظمو الرحلة بأن أسكنوني في الجناح الذي سكن فيه الملك الراحل طيب الله ثراه. ووجدت لافتات معلقة على مداخل المؤسسات التعليمية التي زرتها ترحب بالوفد السعودي!! مع أنني كنت في هذه المرة وحدي!! فخامرني عندئذ شعور بحجم المسؤولية التي تقع على عواتقنا -نحن السعوديين- الذين شرفنا الله بخدمة الحرمين الشريفين، والسهر على رعايتهما، فكانت لنا بذلك مكانة كبيرة في نفوس المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وأكثرنا لا يدري عن هذه المكانة شيئاً، ولا يؤدي حقها.

الثاني: سافرت إلى أمريكا بصحبة معالي الأخ الكريم الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان عضو هيئة كبار العلماء، وكان وقتئذ أستاذاً بجامعة أم القرى وعضواً في لجنة معادلة الشهادات الجامعية، وكان من ضمن مهامنا زيارة جامعة خاصة ورد إلى اللجنة طلب لمعادلة شهادة دكتوراه حصل عليها أحد المواطنين منها وانضم إلينا في هذه الرحلة الأستاذ عمر الببيز، أحد المسؤولين في الملحقة الثقافية السعودية، ولما وصلنا إلى مطار سان فرانسيسكو أخذنا سيارة أجرة وأعطينا السائق عنوان الجامعة المقصودة. وصلنا إلى الجامعة بعد جهد جهيد لنجد مبنى خشبياً صغيراً بجوار محطة بنزين عليه لوحة

تحمل اسم الجامعة. دخلنا المبنى فاستقبلتنا موظفة، وصعدت بنا السلم لتقابل مدير الجامعة حسب طلبنا. وفي غرفة صغيرة وجدنا رجلاً في منتصف العقد الرابع من العمر، له لحية متوسطة الطول، رحب بنا أجمل ترحيب، وأخذنا إلى غرفة الاجتماعات حيث انضم إلينا زميل له. وسألنا ماذا نريد، فقلنا: إننا نسعى للحصول على درجات الماجستير والدكتوراه. فقال: بكل سرور، نحن نعطيكم شهادة في أي حقل من حقول المعرفة التي تريدونها. وانتهى بنا الحديث إلى أن كل واحد منا يرغب في الحصول على الدكتوراه في ميدان تخصصه. سألتني ماذا أعمل، فقلت: إني صاحب عقار، فقال: اكتب عن تجربتك الشخصية وستعطيك دكتوراه في إدارة الأعمال. وقال الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان: أنا معلم، فقال له: اكتب عن تجربتك الشخصية ونعطيكم دكتوراه في التربية، وقال الأخ عمر البيز: إنني أعمل في البنك، فقال نعطيكم دكتوراه في الأعمال البنكية. قلنا: لكننا لا نحسن الكتابة بالإنجليزية، فقال اكتبوا بالعربية، وعندنا أناس يقرؤون الأطروحات بلغتكم ويقومونها. وجئنا إلى التكاليف، وبعد مساومة وأخذ ورد، اتفقنا على سعر الجملة بحكم أننا ثلاثة، وكانت كلفة الشهادة الواحدة (١٥٠٠) دولار أمريكي عدأً ونقداً، وبعد أن طلب العربون، وعدناه بإرساله في وقت لاحق قريب، وهذا الوقت لم يأت، ولم ندفع شيئاً.

أتذكر تلك الحقبة من الزمن وكيف كان تفاعل الناس مع أعمالهم ومهامهم وشعورهم بالسعادة ونسيانهم لذواتهم. الجميع يبادر للحضور مبكراً وينصرف متأخراً، وتمر أيام عديدة نواصل فيها العمل حتى المساء، حتى إن وجبة الغداء تأتي لنا في المكاتب من بيوتنا، لقد كان هناك مزج بين علاقتنا الوظيفية وعلاقتنا الشخصية، ولم يكن هناك فوارق بين أعضاء هيئة التدريس؛ فالجميع يعمل بجد، ومراتبنا الأكاديمية هي التي تميز تعاملنا. فنحن نحترم من هو في درجة الاستاذية ونجعله مرجعاً، ولم تكن الجنسية عاملاً مفرقاً فلنا أكاديميون، وكان رؤساء الأقسام في الجامعة من إخواننا الأساتذة غير السعوديين، والجميع يعترف بفضلهم وسبقهم، وكل أعضاء قسم علمي يختارون رئيسهم بالاقتراع حسب المعايير المتبعة ومن أهمها الدرجة العلمية فالأفضلية لمن هو في درجة أستاذ، يليه من كان في درجة أستاذ مشارك، وكان الاعتقاد السائد أن حديثي التخرج ومن هم في درجة أستاذ مساعد ينبغي ألا ينشغلوا بأي مهام إلا التدريس والبحث العلمي.

وكنا نقوم برحلات داخل المملكة وخارجها، وأذكر أن من أهم الرحلات التي قمنا بها في إجازة منتصف العام الدراسي رحلة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة التي كانت سياحية في المقام الأول، وما إن علم بنا إخواننا في جامعة الإمارات العربية المتحدة التي كانت حديثة الإنشاء حتى استقبلونا واستضافونا في مدينة أبو ظبي، ثم نقلونا إلى مدينة العين حيث مقر الجامعة، وكان سكننا في فندق فخم ويسكن معنا فيه طلاب الجامعة!! وذلك امعاناً من المسؤولين في تحفيز همم الطلاب للالتحاق بالجامعة الفتية، ومن القصص التي سمعناها من الطلاب أن إدارة الجامعة في ذلك الوقت قامت بحملة للتخلص من العقارب التي كانت منتشرة في مقر الجامعة، وأعطت كل طالب مبلغاً من المال مقابل كل عقرب يقتلها بشرط أن يحضر العقرب مقتولة!! ولقد فكر بعضنا في أثناء إقامتنا بالمشاركة في ذلك الجهد لكي نحصل على نصيب من المكافأة المالية.

كانت دولة الإمارات في بداية نهضتها العمرانية، وحين أقارن بين زيارتي لها في ذلك الوقت وزيارتي لها في الوقت الحاضر أجد قفزة أقرب إلى الخيال، وهكذا الحال في المملكة، ولا يمكن أن تتّجّي من خيالي صورة الرياض عام ١٣٩٢هـ حين عودتي من الدراسة في الخارج، وواقع الرياض اليوم، إنه تطور مدهش بكل المقاييس.

وكما أسلفت لقد كان الإقبال على كلية التربية من قبل خريجي الثانوية قليلاً بل إنه في تناقص مستمر، وكان علينا نحن المنتسبين إليها أن نبذل جهداً مضاعفاً لتسجيل الطلاب، فقد كانت فرص القبول في التخصصات كافة مهياً بحكم قلة أعداد الحاصلين على الثانوية العامة. بالإضافة إلى أن مهنة التعليم ليست مهنة جاذبة، لا في ذلك الزمان ولا في الزمن الحالي. كنّا نسعى أن نجعل الكلية مريحة ومبهجة، وذلك بتكثيف أوجه النشاط الجامعي (الثقافي، الرياضي، الفني)، فكانت هناك رحلات جماعية، وليالي سمر ثقافي، ومزاولة أنواع الرياضة البدنية المختلفة، وكان ذلك في كلية التربية أكثر منه في أي كلية أخرى.

كانت علاقة كلية التربية بوزارة المعارف علاقة وثيقة تمثلت في اختيار وكيل الوزارة سمو الأمير خالد بن فهد بن خالد عضواً في مجلس الكلية، وفي اشتراك أعضاء هيئة التدريس في الكثير من لجان الوزارة. وكنت شخصياً رئيساً لأسرة تطوير مناهج تعليم

اللغة العربية، وفي لجنة وضع اختبارات الثانوية العامة ومع لجنة التعليم الثانوي المطور وغيرها كثير.

في ذلك الزمن، حين يُذكر المشاهير في المجتمع والأعيان فيه، وحين يُستشهد بمقولة الموثوق بهم يأتي ذكر أساتذة الجامعات، لأن العمل الأكاديمي في الجامعات كان عملاً مرموقاً، ومكانة عضو هيئة التدريس الجامعي في المجتمع متقدمة. ومنتهى طموح النابه أن يكون أستاذاً في الجامعة. لا يزال الأمر كذلك في الدول المتقدمة ونحن نشاهد في بعض الدول أشخاصاً أسندت إليهم مناصب قيادية في بلدانهم مثل: رئاسة الدولة ورئاسة مجلس الوزراء، وحقائب وزارية... يعودون للجامعة بعد انتهاء مهماتهم، وهذا الأمر مفقود في كثير من البلاد الأخرى، ولعل سبب ذلك أن الكثيرين لم يكونوا عاشقين لتخصصهم، وكانت المصادفة العامل الوحيد في التحاقهم بهذا التخصص أو ذاك.

وأحمد الله على أن الأمر عندنا لم يكن كذلك، فقيادتنا تحرص على مقابلة أساتذة الجامعات، والاجتماع بهم، والاستماع إليهم. ولقد سعدت بلقاء جلالة الملك خالد -رحمه الله- مع زملاء لي من أعضاء هيئة التدريس، أكثر من مرة، منها لتهنئته باعتلائه سُدّة الحكم، ومنها عندما زرناه مهنيين بسلامة العودة من رحلة علاجية. وقد تبسط -رحمه الله- معنا، وسألنا عن أحوالنا، وقال لنا: جئكم من بلاد متقدمة تحتاج إلى مسلمين متورين يضربون لها المثل الحضاري المشرق عن عظمة الإسلام، وأنتم فيكم البركة، إن شاء الله. وفي هاتين المرتين كان معه الملك فهد الذي كان ولياً للعهد، ولا أنسى بعض تعليقاتهما وملاحظتهما التي فيها ملاطفة ومرح تفضل بها العاهلان الكريمان -رحمهما الله-.

أما خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز -حفظه الله- فقد أكرمني الله بمقابلته مرات عدة، حين كان رئيساً للحرس الوطني، وبعد أن أصبح نائباً لرئيس مجلس الوزراء، وقد أكرمني -وعدداً من الزملاء- بالاستضافة في قصره العامر للتباحث في بعض الأمور العامة.

وقد أوشكت أن أكون مسؤولاً كبيراً في الحرس الوطني أعمل تحت رئاسته مباشرة، ثم أدركت أن مجالي هو التربية والتعليم، فكتبت لمقامه معترراً، فقبل اعتذارى، ووافقني على رأبي.

ثم أسند إليّ -في وقت لاحق- مهمة دراسة موضوع استراتيجي مع أحد الزملاء، ولما انتهينا تشرفنا بلقائه وقضى معنا وقتاً يستمع إلى نتائج الدراسة، وما تتطلبه من خطوات عملية لتحقيق توصياتها.

وأما ولي العهد، صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز فكانت أول مرة حظيت فيها بلقاء بسموه حين عدت -مع زملاء من أعضاء هيئة التدريس في الجامعة، وبعض طلابها المتميزين- من رحلة إلى المدن العسكرية الرئيسية، وزيارة للقوات السعودية التي ترابط في جنوب المملكة وشمالها، وكذلك القوات التي كانت مرابطة في ذلك الحين في الأردن. دامت الزيارة خمسة أيام، هدف منها سموه أن يطلع منسوبو الجامعة على واقع القوات المسلحة، وإمكاناتها، وعلى تلقي آرائهم واقتراحاتهم وما يعنّ لهم من أفكار. وقد وفقني الله في ذلك اللقاء إلى تقديم بعض الاقتراحات المناسبة، ومنذ ذلك الحين وأنا على صلة قريبة بسموه، يشرفني فيها بطلب دراسة، أو ببيان رأي.

وبمناسبة الاقتراحات فقد كتبت عدة مرات رسائل إلى صاحب السمو الملكي الأمير الجليل نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية، وفي إحدى المرات طلب أن أزوره لمناقشتي في بعض آرائي، وقد كنت سعيداً بتلك الزيارة لما لمست في شخصه الكريم من قلب كبير، ونفس عميقة متسعة الآفاق، وحنكة صلّتها الأيام والتجارب والأحداث. واستمرت صلتني بعد ذلك بسموه، وإنني لممتن لما يوليني إياه من المودة والقبول.

لقد مرت بي مواقف طريفة كثيرة في الجامعة غير أن أحدها علق في ذهني وأصبحت أذكر به صديقي الدكتور حمود بن عبد العزيز البدر. فقد كنا معاً في كلية التربية لأن عودتنا من البعثة كانت متقاربة، وقد أسندت إلينا عمادة الكلية، في ذلك الوقت إجراء المقابلة الشخصية لاختيار معيدين من بين المرشحين من الخريجين، وصادف ذات مرة أن كنا نجري المقابلة مع خريج من سكان المنطقة الجنوبية الغربية في المملكة، فبادر الدكتور حمود البدر بسؤاله في المعلومات العامة: ماذا تعرف عن الزلفي؟ فكان جواب الشاب سريعاً ومفاجئاً: الزلفي قرية تابعة للمجمعة. فتصنع الدكتور حمود الغضب وقال: قم فأنت راسب، فقلت أنا: اجلس فأنت ناجح، ولا حاجة لمزيد من أسئلتك^٢.

٢ الدكتور حمود البدر من الزلفي وأنا من المجمعة وبين المدينتين تناقض مزاحي وهما جغرافياً قريبتان من بعضهما فكل منا يعد بلدهه هي الأكبر والأفضل.

مدير عام مكتب التربية العربي لدول الخليج

في غمرة انهماكي في أعمال المؤتمر السنوي للمنظمة الأمريكية للبحوث التربوية المنعقد في مدينة سان فرانسيسكو في ربيع ١٩٧٩م حدثني هاتيفاً الأخ الدكتور سعود الجماز وكيل وزارة المعارف للشؤون الفنية آنذاك، وقال: إن مؤتمراً لوزراء التربية في دول الخليج العربية سيعقد في البحرين بعد يومين وإن المقام السامي وافق على ترشيحك لتكون مديراً عاماً لمكتب التربية العربي لدول الخليج. لم أكن على علم بوظيفة المكتب، وسألت محدثي عن رأيه، فقال: الرأي عندي أن تقبل دون تردد، لا سيما وأنه سيسند إليك مهمة جديدة هي إنشاء جامعة فريدة تشترك فيها كل الدول الأعضاء متخصصة في المجالات التي لا تتوافر في الجامعات الحالية في الدول الأعضاء، فوافقته. وما هي إلا أيام حتى وافاني الخبر أن وزراء التربية والتعليم في الدول الأعضاء وافقوا بالإجماع في اجتماعهم الدوري على تعييني مديراً عاماً لمكتب التربية العربي لدول الخليج بناء على ترشيح المملكة لي، كما وافقوا على إنشاء الجامعة المشتركة في البحرين، وأنيط أمر إنشائها بمكتب التربية العربي لدول الخليج.

تسلّمتُ العمل مديراً عاماً للمكتب معاراً من جامعة الرياض «جامعة الملك سعود»، وكان المكتب حديث الإنشاء، خصص له منزل محدود الغرف وعين له عدد محدود من الموظفين -هم باستثناء نائب المدير العام الدكتور علي بن محمد التويجري-، يمثلون سكرتارية.

وعلى الفور بادرت بوضع خطة قصيرة الأمد، وأخرى طويلة الأمد تتمثل الأولى في الأمور الآتية:

١. الانتقال إلى مقر أرحب يناسب أهداف المكتب ووظائفه.
٢. تعيين كفاءات تنهض بالمهام المنوطة بتلك الأهداف والوظائف.
٣. المتابعة الجادة للحصول على مصادقة الدول الأعضاء على اتفاقية إنشاء المكتب (إذ أن المكتب كان بقرار من الوزراء فقط) وبما أنه منظمة حكومية فلا بد من المصادقة على إنشائه وعلى نظامه حسب نظام كل دولة.

٤. زيارة لكل الدول الأعضاء، ولقاء مع القادة وأخذ توجيهاتهم بشأن قرار وزراء التربية إنشاء الجامعة.

٥. تحديد مشاريع عاجلة للسنتين القادمتين.

٦. وضع مشروع نظام لجامعة الخليج العربي ومشروع اتفاقية إنشائها.

وتمثلت الخطة الطويلة الأمد هي:

١. وضع خطة لخمس سنوات تحتوي على محاور تتبثق منها مشاريع وبرامج.

٢. إنشاء مقر دائم للمكتب في الحي الدبلوماسي في الرياض عاصمة دولة المقر، بحكم أن المكتب له صفة دبلوماسية (منظمة حكومية).

٣. مراجعة نظام المكتب والعمل على تطويره بعد التجربة التي مر بها.

٤. وضع لوائح تنفيذية مالية وإدارية.

٥. وضع قواعد للتقويم الشامل لأوجه نشاط المكتب للتعرف على مدى جدواها والإفادة منها.

وفي غضون سنتين تحققت العناصر المحددة في الخطة القصيرة المدى؛ ذلك أن دولة المقر «المملكة العربية السعودية» هيأت مبنى كبيراً لايقاً (أكبر عشرين مرة من المبنى الأول) مكن من إيجاد جويساعد على العمل، وأمنت مطبعة في الدور السفلي لطباعة وقائع المؤتمرات والندوات والكتب التي يقوم المكتب بنشرها، وكان تجاوب الحكومات كبيراً في إعاره موظفين مؤهلين للعمل، وما هي إلا أشهر قليلة حتى صادقت الدول الأعضاء على اتفاقية إنشاء المكتب ونظامه الأساسي، وهذه الدول هي حسب ترتيبها الأبجدي:

- دولة الإمارات العربية المتحدة.

- دولة البحرين (مملكة البحرين حالياً).

- الجمهورية العراقية.

- دولة الكويت.
- المملكة العربية السعودية.
- سلطنة عمان.
- دولة قطر.

وفي العام الأول من شغلي الوظيفة عرضت على كل من معالي الشيخ عبد العزيز بن محمد الخليفة (رحمه الله) وكان وزيراً للتربية والتعليم في البحرين (آنذاك) ومعالي الأستاذ سعيد محمد سلمان وكان وزيراً للتربية والتعليم في دولة الإمارات العربية المتحدة (آنذاك) أن أرتب مع الدول الأعضاء زيارة اشترك معهما فيها تقابل المسؤولين المعنيين، وعلى رأس من تقابل، القادة ونوابهم من أولياء العهد ومن في حكمهم. فاستجابا لطلبي وأعددت رسائل لكل قائد باسمه وبتوقيعنا نحن الثلاثة نشرح لكل واحد منهم قرار إنشاء جامعة الخليج العربي وأبعاد هذا القرار المهم سياسياً وثقافياً وتربوياً.

وتمت الجولة التي قابلنا فيها الملوك والأمراء والرؤساء، وكان التجاوب منقطع النظير، وكانت المملكة العربية السعودية أول الدول التي قابلنا فيها كلاً من جلالة الملك خالد بن عبد العزيز وولي عهده آنذاك خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمهما الله. كان الملك خالد حريصاً على أن تتميز علاقات دول الخليج العربي عن غيرها، ورأى الملك أن إنشاء جامعة مشتركة لهذه الدول هو دليل محسوس لعمق هذه العلاقات. وبحكم أن الملك فهداً على اطلاع تام على أوضاع التعليم، وبحكم خبرته وحماسه فإن توجيهاته كانت واضحة ومفيدة، ولم يكتف رحمه الله بما وجه به ثلاثتنا، بل شرفني بلقاء خاص وجهني إلى الأخذ بأسس تساعد على استمرار الجامعة ونموها، وألا يكون في ممارستها ما يخرج عن قيم وأعراف مواطني الدول الأعضاء فيها.

وقد سمعنا من سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة ما يتلج الصدر، وكان مما قاله: لو كان بالإمكان سحب جامعة الإمارات ومقرها مدينة العين بكل مبانيها إلى البحرين لتصبح هي جامعة الخليج العربي لفضلت هذا. ووجهنا أن نقابل سمو الشيخ راشد بن مكتوم (رحمه الله) نائب الرئيس وحاكم

دبي الذي قدم لأبوظبيي وتشرفنا بشرح المشروع له وكان يوافق على كل التوجهات، وهكذا تواصلت اللقاءات بكل القادة، وكلهم كان داعماً ومشجعاً.

لقد خصصت حكومة البحرين مساحة من الأرض كافية لإقامة الجامعة، كما حددت أحدث وأكبر مستشفى في البحرين ليكون مستشفى جامعياً بحكم أن كلية الطب هي أول الكليات وأهمها في الجامعة.

لقد قاومت بشدة فكرة البدء في مقار مؤقتة ومستأجرة لأنني كنت على يقين لو أن هذا حصل لانتهت الجامعة في مقارها المؤقتة. وأصررت على أن نبني حرماً جامعياً، وكان لي ما أردت بفضل الله.

لم يبق على المؤتمر العام للمكتب (مؤتمر وزراء التربية والتعليم) إلا أشهر قليلة، وهو المؤتمر الذي أشارك فيه لأول مرة بوصفي مديراً عاماً للمكتب، وكان عليّ أن أهيئ أمرين:

١. برامج لعمل المكتب للسنتين القادمتين.

٢. والخطوات التنفيذية لإنشاء الجامعة. وقد ساعدني على تحقيق ذلك بإتقان زملاء أفاضل، بعضهم تفرغ للعمل في المكتب، وبعضهم الآخر كان متعاوناً وغير متفرغ. وينبغي أن أئوه -في هذا المقام- بجهد صديق عزيز ذلكم هو العالم الفاضل الأستاذ الدكتور «محمد سليم العوا» الذي عمل معي على صياغة اتفاقية إنشاء الجامعة، ونظامها الأساسي.

عُقد اجتماع المؤتمر العام في الكويت، وقد أقر فيه ما قدمته من برامج وميزانية، كذلك ما اقترحته من تعديل على نظام المكتب، وعلى وجه الخصوص: تحديد مدة عمل المدير العام للمكتب؛ إذ كانت في النظام الأساسي مطلقة فأصبحت بموجب القرار المبني على اقتراحي - أربع سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة، وأخذ برأيي الذي تشكلت بموجبه هيئة تأسيسية للجامعة التي سميت رسمياً - بعد جدل طويل - جامعة الخليج العربي. هذه الهيئة برئاسة وزير التربية والتعليم في دولة البحرين دولة مقر الجامعة، ومدير عام المكتب نائباً له، وعضوية ممثل عن كل دولة من الدول الأعضاء في دولهم في

مجال التعليم العالي، وكان «مجلس التعليم العالي» مجلساً استشارياً لمدير عام المكتب وتمثل فيه الدول كافة، ومهمة ذلك المجلس هو التنسيق بين عمل المؤسسات الجامعية في الدول الأعضاء؛ فأصبح أعضاؤه هم ممثلي دولهم في الهيئة التأسيسية.. ثم انشغلت في وضع نظام الجامعة والهيئة لافتتاحها، وتم تعيين الدكتور عبد الله مبارك الرفاعي (رحمه الله) من دولة الكويت مديراً لمكتب مشروع الجامعة، وقد كان للمكتب الفضل الأكبر في وضع المخطط الرئيسي، ثم الرسومات ثم الاتفاق مع شركات البناء والإشراف على التنفيذ. وبدأنا في انتقاء المؤهلين جامعيّاً في مجالات التخصصات وابتعائهم إلى الجامعات الأوروبية والأمريكية ليحصلوا على الماجستير والدكتوراه كي يعودوا أعضاء هيئة تدريس.

عُرض مشروع نظام الجامعة، واتفاقية إنشائها على ثاني مؤتمر عام أشارك فيه والمكون من: «وزراء التربية والتعليم في الدول الأعضاء» وتمت إجازتهما.

كان العمل في مكتب التربية العربي لدول الخليج عملاً شاقاً شائعاً فيه من الخبرات ما لو سجل لخرج في كتاب كبير، ولكن أبرز ما أعتز به منها هو إنشاء جامعة الخليج العربي.

دور مكتب التربية في إنشاء جامعة الخليج العربي

كان إنشاء جامعة الخليج العربي، وإقامة مبانيها، وصياغة نظامها ولوائحها، والحصول على مصادقة الدول الأعضاء جميعاً على اتفاقية إنشائها إلى أن عيّن المؤتمر العام أول رئيس لها، معالي الأخ الصديق الدكتور محمود محمد سفر، أبرز إنجازات مكتب التربية العربي لدول الخليج حين كنت مديراً عاماً له، وهنا لا بد من تفصيل ما ورد ذكره إجمالاً، إذ أصدر المؤتمر الرابع (المكون من وزراء التربية والتعليم في الدول الأعضاء) في اجتماعهم في البحرين في شهر جمادى الأولى ١٣٩٩هـ (أبريل ١٩٧٩م) قراراً بإنشاء «جامعة الخليج العربي» مقرها في دولة البحرين، وتبدأ بثلاث كليات هي: الطب، والعلوم، والتربية. وكلف المؤتمر العام مدير عام المكتب بتكليف الجهات الفنية المختصة ومجلس التعليم العالي بإعداد دراسة تفصيلية تتناول الإجراءات التنفيذية اللازمة لإنشاء الجامعة، واقتراح مشروع للنظام الأساسي لها.

كان تولي أمر الإعداد لإنشاء الجامعة أمراً كبيراً، وتم الشروع في إعداد الدراسات المبدئية اللازمة لتصوير خطوات مشروع إنشاء الجامعة، ودعوة اللجان الفنية المتخصصة لاجتماعات متعددة في الرياض، وفي دولة البحرين، لدراسة مختلف الأمور الخاصة بالإنشاء، ودعوة فريق عمل مكون من بعض رؤساء الجامعات الخليجية وكبار المسؤولين فيها لدراسة الإمكانيات المتاحة لإنشاء الجامعة وتقديم تصور مبدئي حولها، وأتبع المكتب ذلك بإعداد النظام الأساسي للجامعة، وإعداد اتفاقية إنشائها وإعداد المخطط الأكاديمي لها.

وقد عرضت هذه الوثائق على الجهات الدستورية المختصة فأقرتها (المؤتمر العام)، واللجنة الوزارية الثلاثية لمشروع إنشاء الجامعة، والهيئة التأسيسية للجامعة، والمجلس التنفيذي، ومجلس التعليم العالي.

وللدلالة على الجهد المبذول في هذا الخصوص يكفي أن نذكر أن المكتب قد أعد أوراق العمل والدراسات والبحوث لاجتماعات المجالس والهيئات التي درست مشروع إنشاء الجامعة على النحو الآتي:

«٥٢» ورقة عمل للمؤتمر العام في سبعة اجتماعات عادية واستثنائية.

«٣٢» ورقة عمل للجنة الوزارية الثلاثية للجامعات في أربعة اجتماعات.

«١٦٥» ورقة عمل للهيئة التأسيسية للجامعة في خمسة عشر اجتماعاً.

«١١٩» ورقة عمل لمجلس أمناء الجامعة في خمسة اجتماعات.

هذا فضلاً عما قدم إلى مجلس التعليم العالي والمجلس التنفيذي من أمور تفصيلية، ونظمت أيضاً عدة اجتماعات للجان الفنية، فضلاً عن مئات ساعات العمل التي أنفقتها الخبراء والمستشارون والعاملون المعينون لهذا الغرض في الإعداد لهذه الجهود وفي متابعة القرارات الصادرة عن تلك الجهات جميعاً وتنفيذها.

كانت النتيجة إنجازاً رائعاً نحمد الله عليه، ويفخر به كل من شرف بالإسهام فيه، ويرجى أن يبقى صرحاً خالداً يجسد الوحدة الحقيقية لدول المنطقة، ويضرب المثل لإمكان تحقيق الأماني الوطنية كلها، بجهود المخلصين من أبناء هذه الأمة وتعاونهم وتقانيهم في أداء الرسالة التي يؤمنون بها لمصلحة أوطانهم وخير أبنائهم.

كان الوقت الذي استغرقه العمل في مشروع الجامعة حتى رأت النور، وتسلم جهازها بقيادة رئيسها زمام الأمور فيها قياسياً: (خمس سنوات وبضعة أشهر) وكانت التكلفة المالية لمشروعها، وللدراسات الأولية السابقة عليه منخفضة بصورة قياسية عن تكلفة أي مشروع مماثل نفذ في الدول الأعضاء. وهاتان ميزتان، لو انفردتا لكانتا كافيتين في تسويق الجهد الذي بذل في إنشاء هذا المشروع الرائد للدول الأعضاء في المكتب.

ونعرض - بإيجاز- في الفقرات الآتية أهم خصائص الجامعة كما تبدو في نظامها الأساسي واتفاقية إنشائها.

أ - طبيعة جامعة الخليج العربي وأهدافها،

جامعة الخليج العربي جامعة فريدة فلم يعرف أن دولاً مجتمعة أقامت صرحاً جامعياً مشتركاً، طلابه وأعضاء هيئة التدريس فيه من الدول الأعضاء. كلهم على قدم المساواة في جامعة حكومية.

فالجامعة - كما وصفها اتفاقية إنشائها - هيئة علمية إقليمية غير سياسية، لا تهدف للربح، ويقوم تنظيمها وإدارتها على أساس المساواة التامة بين كل الدول الموقعة على اتفاقية إنشائها.

وقد حددت الاتفاقية، والنظام الأساسي للجامعة أهدافها التي افتتحها النص بالعناية بالثقافة والحضارة والعلوم والآداب العربية والإسلامية، وتوجيه الجهود والإمكانات المتاحة نحو ترسيخ القيم العربية والإسلامية في مختلف مجالات المعرفة.

ومن أهم الأهداف المنصوص عليها، إعداد الجامعيين المتخصصين في مختلف فروع المعرفة التي تحتاج إليها الدول الأعضاء، والقيام بكل ما من شأنه خدمة المجتمع العربي في الخليج، والتركيز في برامج الجامعة وخططها على تطوير الدراسات العليا في المجالات التي تخدم بيئة الدول الأعضاء وتستجيب لاحتياجاتها، واجتذاب العلماء والباحثين والمفكرين الذين تتفق اتجاهاتهم مع أهداف الجامعة ورسالتها إلى جميع أنحاء العالم، وخاصة من أبناء العالم العربي والإسلامي المغتربين خارجه.

ولتحقيق هذه الأهداف نصت اتفاقية إنشاء الجامعة على أن تتخذ الجامعة كل الوسائل المتاحة لتحقيق أهدافها. ونص النظام الأساسي على قيامها بالإسهام في كل ما من شأنه تطوير التربية والتعليم العالي والبحث العلمي والتنمية الشاملة للدول الأعضاء، وذلك من خلال الأصالة في برامجها، والتجديد في مناهجها، والحدثة في أساليبها.

ب - سلطات الجامعة ،

نص النظام الأساسي على أن سلطات الجامعة هي: المؤتمر العام، وهو السلطة العليا للجامعة. ومجلس الأمناء، ومجلس الجامعة، ورئيس الجامعة.

ويمارس رئيس الجامعة عمله في الإدارة اليومية والتنفيذية، كما تمارس كل سلطة من هذه السلطات اختصاصاتها وفق النظام الأساسي للجامعة، واتفاقية إنشائها، وفي ضوء قرارات المؤتمر العام وتوجهاته.

على أنه من المميزات التي حفل بها نظام الجامعة في شأن سلطاتها، نصه على تكوين

مجلس الأمناء، ومجلس الجامعة، ومجالس الكليات بطريقة غير تقليدية، ففي الوقت الذي يشغل فيه المقاعد في جل هذه المجالس أو المجالس المماثلة -في الجامعات القائمة- أعضاء بحكم مناصبهم فقط، وكلهم -أو جلهم- من الجامعيين العاملين في الجامعة نفسها، نجد مجلس أمناء الجامعة يضم في عضويته رئيس المجلس التنفيذي للمكتب، ومدير عام المكتب، وثلاثة أعضاء من الشخصيات العربية ذات الوزن الدولي في شؤون التعليم العالي.

ونجد مجلس الجامعة يضم أيضاً أعضاء يمثلون كليات الجامعة ومعاهدها، ومراكز البحوث فيها، وهؤلاء الأعضاء تختارهم هيئة التدريس في كل كلية أو معهد أو مركز بحوث من بينهم بطريقة حددتها اللائحة التنفيذية للجامعة؛ التي نصت كذلك على شروط الاختيار ومدة العضوية.

ونجد مجلس الكلية أو المعهد أو المركز يضم ثلاثة من أعضاء هيئة التدريس فيه يختارهم زملاؤهم، ويضم كذلك -جوازاً- عضواً أو أكثر من المختصين في مجالات عمل الكلية أو المعهد من غير العاملين في الجامعة.

وهذا التجديد في تشكيل مجلس الجامعة، هدفه إعطاء الجامعة أكبر الفرص المتاحة للإفادة من مختلف الآراء والاتجاهات العملية، ومن تراكم الخبرات العلمية، في تطوير مناهجها وبرامجها ووسائلها، تحقيقاً لأهدافها.

ج - ندوة التصورات المستقبلية للجامعة؛

في نطاق تكليف المكتب بإنشاء الجامعة، وسعياً إلى تحقيق التميز الذي نص عليه النظام الأساسي واتفاقية إنشاء الجامعة، دعا مدير عام المكتب إلى ندوة عن تصورات المستقبل بالنسبة لجامعة الخليج العربي، عقدت في مقر الجامعة بالبحرين عام ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) وشارك فيها عدد مختار من كبار رجال التعليم الجامعي في الدول الأعضاء وأوروبا وأمريكا ومن المسؤولين عن التنمية الصناعية والاقتصاد، وممثلون للأمم المتحدة ومنظمة اليونسكو ومعهد بحوث الفيزياء التطبيقية.

وناقشت الندوة بحثاً حول دور الجامعة في القرن الحادي والعشرين، ودورها في

التعريب والثقافة، ونقل التقنية واستنباتها وتوطينها في بلادنا، وبرامج جامعة الخليج العربي وتركيبها، ونظم المعلومات والحاسب الآلي، والاعتبارات النوعية في جامعة الخليج العربي، وتطوير البحوث داخل الجامعة، والدروس المستفادة من تقويم التجربة الأمريكية في التعليم العالي.

وقد اعتبر مجلس أمناء الجامعة التقرير النهائي للندوة وثيقة رسمية للتخطيط والتطوير المستمرين للجامعة يستفاد بها كلما أمكن ذلك لاشتمالها على آراء ومقترحات هي نتيجة نشاط فكري لعلماء وباحثين ومفكرين تختلف مدارسهم الفكرية بما يجعل آراءهم محلاً للقبول وبعضها موضعاً للاختلاف.

وكان ما انتهت إليه الندوة موضع دراسة مستفيضة من الهيئة التأسيسية للجامعة ومن مجلس الأمناء انتهيا بعدها إلى اتخاذ قرارات ذات أهمية بالغة في مسيرة الجامعة، عرضت على المؤتمر العام الاستثنائي الأول- تونس: ربيع الأول ١٤٠٤هـ (ديسمبر ١٩٨٣م) - فأقرها، ومضت الجامعة في عمئها وتوسعها على أساس منها، وكان أهم هذه القرارات:

١. لا تبدأ الجامعة أي برنامج دراسي إلا إذا استوفى شروطاً ثلاثة وهي:
 - أن تكون هناك حاجة إلى إعداد متخصصين في فرع معين من فروع المعرفة تبدأ الجامعة برنامجاً لتغطية هذه الحاجة فيه.
 - ألا يكون البرنامج الدراسي مكرراً في جامعات المنطقة الأخرى إلا إذا كان وجوده لا يفي بحاجات المنطقة من المؤهلين.
 - أن تكون الجامعة قد استكملت المتطلبات الخاصة من حيث أعضاء هيئة التدريس والمعدات والمختبرات وخدمات المكتبة وغيرها.
٢. أن يكون البدء في قبول الطلبة في المرحلة الأولى من عمل الجامعة لمستوى الدراسات العليا والدراسات الجامعية.
٣. أن يكون البدء في مجالات الدراسات الجامعية بالتخصصات المطلوبة وغير الموجودة بالمنطقة أو غير الموجودة بقدر كاف، وعلى الأخص في:

• الطب والعلوم الطبية.

• التربية (التربية الخاصة للموهوبين والمعوقين)

• العلوم التطبيقية

• أية تخصصات أخرى تظهر الحاجة إليها

٤. أن يكون البدء في مجالات التخصص للدراسات العليا بالترتيب الآتي:

• علوم الصحراء والأراضي القاحلة

• دراسات الطاقة وبدائلها

• التربية في مثل مجالات التوجيه والإرشاد والتعليم الخاص والتعليم المهني وسياسة التعليم والتخطيط وبدائلها.

• الدراسات الخاصة بسياسات العلوم التقنية

• الدراسات الخاصة باستنبات التكنولوجيا وخصوصاً التكنولوجيا الحيوية.

• الدراسات الخاصة بنظم المعلومات والاتصال.

• علوم البحار والمحيطات.

• علوم الفضاء.

٥. ضرورة التركيز في السنوات الخمس التالية على الكليات الثلاث المقرر إنشاؤها وعدم إنشاء كليات جديدة خلال هذه الفترة، على أن ذلك لا يمنع من إنشاء مراكز أو البدء في برامج أخرى خلال هذه المدة تلبية لمتطلبات الدراسات العليا أو خدمة لحاجات المنطقة، مع صرف النظر في الوقت الحاضر (خلال السنوات الجامعية الخمس القادمة ١٩٨٤-١٩٨٩م) عن البحث في اقتراحات التوسع المستقبلي الأخرى (المتضمنة إنشاء كليات جديدة أو معاهد جديدة).

د - الجامعة تبدأ أعمالها،

بدأت الجامعة أعمالها، بقبول الدفعة الأولى من طلاب كلية الطب والعلوم الطبية في العام الجامعي ١٩٨٢-١٩٨٣ م. وقد تم إنشاء مبنى للكلية فيه تزاول الجامعة عملها، وتسلم رئيس الجامعة عمله في ٤ محرم ١٤٠٥ هـ (٢٩ من سبتمبر ١٩٨٤ م).

وبذلك انتهى الإشراف العام على الجامعة الذي كان منوطاً بمدير عام المكتب طوال فترة تأسيسها وإنشائها، وكذلك أحيلت إلى رئيس الجامعة اعتباراً من أول محرم ١٤٠٦ هـ مهمة الإشراف على مشروع إنشاء الجامعة، بعد أن كان كذلك منوطاً بالمشرف العام ومكتب المشروع الذي كان يعمل تحت إشرافه، باعتباره جزءاً من أجهزة مكتب التربية العربي لدول الخليج.

إن إنجاز مشروع الجامعة على هذا النحو، كان من الأسباب الأساسية لشعوري وكل العاملين في المكتب والمتعاونين معه، والمتصلين بعمله، أنه أدى رسالة غير مسبوقة في المنطقة. وقد وضعت في النظام واللوائح والخطط والبرامج والسياسات الأحجار الأساسية الصلبة لممارسة الجامعة مهامها على خير وجه، ولتطوير أدائها بما يناسب التطور في ظروف المنطقة ويلبي احتياجاتها وذلك خير معين لسلطات الجامعة والمسؤولين فيها على الاستمرار في أداء رسالتهم على الصورة المحققة للأمال التي علقت على هذه المؤسسة الواعدة عند التفكير فيها، وطول مراحل العمل في إنشائها.

منجزات أخرى لمكتب التربية العربي لدول الخليج

من المتعذر أن أسرد كل ما وفق الله لتحقيقه في هذه المنظمة الحكومية لدول الخليج العربية إلا أنه يتعين عليّ أن أشير إلى أهم ما علق في الذهن وما أحسبه من المنجزات الجديرة بالذكر على النحو الآتي:

١. إصدار مجلة تربوية ثقافية باسم (رسالة الخليج العربي) كانت من أوائل المجالات المُحَكَّمة في مجالها.
٢. توحيد أهداف التعليم العام، والأسس العامة للمناهج، وتحديد القدر المشترك بين الدول الأعضاء في المناهج.
٣. ما أقيم من معسكرات مشتركة للطلاب من جميع الدول الأعضاء، وأسابيع ثقافية، وأوجه نشاط كشفي، وكلها مستمرة إلى الآن.
٤. إصدار مجلة علمية باللغة الإنجليزية معنية بالبحوث المتعمقة في الرياضيات والعلوم الطبيعية، وقد آل إصدارها مؤخراً إلى جامعة الخليج العربي.
٥. الندوات الفكرية المتكررة لرؤساء الجامعات التي خرجت وقائمهـا في كتب وأصبحت مراجع في مجالها.
٦. التأليف والترجمة، وقد تجاوز ما نشر مائتي مطبوعة من أبرزها: إصدار كتب الأحاديث الصحيحة الواردة في كتب السنن الأربعة (سنن أبي داود، سنن ابن ماجه، سنن النسائي، سنن الترمذي)، ومجلدان عن مناهج المستشرقين، والتربية في اليابان، وأمة معرضة للخطر (عن التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية)، وكتاب: «ما أصل الانسان»، وهو دراسة دقيقة ناضجة للنظريات العلمية حول أصل الانسان في ضوء نصوص الكتاب المقدس ونصوص القرآن الكريم.
٧. جائزة المكتب وهي جائزة قيمة تمنح في المجالات التربوية والثقافية، وقد فاز بها عدد من الباحثين المبرزين أولهم الدكتور عبد الله الغدامي، وأقيم احتفال بتلك المناسبة رعاها في الرياض صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير

منطقة الرياض، وتوالى منح الجوائز سنوياً، وآخر ما شاركت فيه منها بوصفي مديراً عاماً لمكتب التربية العربي لدول الخليج الحفل الذي منحت فيه الجائزة للدكتور أسعد عبده، ورعاها في البحرين سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس وزراء البحرين.

٨. نتائج المؤتمر الذي عقد بعنوان «ماذا يريد التربويون من الإعلاميين» وكانت حصيلته ثلاثة مجلدات تحدد ملامح التوافق بين التوجه الإعلامي والتوجه التربوي، وما يجب أن تكون عليه السياسة الإعلامية بحيث يكون تأثير مؤسسات الإعلام معزراً لمؤسسات التربية، ولأهمية تلك الوثائق فقد أعيد نشرها ثلاث مرات ولا زالت مرجعاً مهماً في مجالها، تقتبس منها الكتب التي أتت بعدها.

٩. المبادرة بالتنسيق مع المؤسسات العالمية (وعلى وجه التحديد اليونسكو)، والمؤسسات العربية والإقليمية، مما نتج عنه توحيد في الجهود، وتكامل في الأداء. ومن أبرز ثمرات هذا التكامل الآتي:

- إصدار دراسة عن مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية في مجلدين كبيرين، بمشاركة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

- إصدار سبعة مجلدات عن التربية العربية الإسلامية تضمّت: الأصول والمبادئ للفكر التربوي، والمؤسسات والممارسات التربوية، وأعلام التربية العربية الإسلامية بالتعاون مع المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) في الأردن، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

- إعداد مسلسل تربوي تلفزيوني للأطفال بعنوان: «الباب المفتوح» بالتعاون مع مؤسسة الخليج للبرامج المشتركة في الكويت. ومسلسل وثائقي تلفزيوني آخر بعنوان «كنوز الخليج».

١٠. الموافقة على إقامة مقر دائم للمكتب في الحي الدبلوماسي بالرياض عاصمة دولة المجر، ولقد تم تصميمه، ثم بناؤه، وتجهيزه بإشراف تام من هيئة تطوير مدينة الرياض، وتحملت المملكة ضمن ميزانية الهيئة كامل التكاليف.

بعض الذكريات في تلك الحقبة ،

عملي في مكتب التربية العربي لدول الخليج مكنني من معرفة أناس كثيرين من الدول الأعضاء، ومن الدول العربية الأخرى، وعلى المستوى العالمي توطدت علاقتنا وأسهمنا مجتمعين في تبني الكثير من المواقف التي تخدم العمل المشترك، وتسهم في نشر الفكر التربوي، والثقافة العربية. ومن خلال المكتب عرفت طريقة العمل في المنظمات الدولية، وأدركت أهمية المنظمات غير الحكومية في المجالات كافة، وكان لي ذكريات كثيرة، أسجل هنا أبرز ما علق في ذهني من تلك الحقبة الزمنية:

• كنت أحد المدعوين للتحديث في المؤتمر الذي عقد في الجزائر لوزراء التعليم العالي في الدول العربية وفيه سعدت بالرسالة التي كتبها معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ (رحمه الله) وزير التعليم العالي آنذاك وأرسلها لي في غرفتي في الفندق الذي نسكنه وكان رحمه الله من أبرز المشاركين، ونصها:

سعادة الأخ الكريم الدكتور محمد الأحمد الرشيد حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

بعد عودتك من حيث كنت تتلقى العلم بعيداً عن وطنك وعندما لقيتك قبل أعوام شعرت أنني أمام رجل مهياً للعمل والإنتاج، راغب فيه، حريص عليه، ثم كنت أتابع خطواتك العملية من خلال الجامعة فازددت بك إعجاباً، وإخلاصك تقديراً.. وهكذا يريد الله ببلادنا أن تظل دائماً مصدراً للخير، ومصنعاً للرجال الذين يستشعرون واجبه أكثر من مصلحتهم، ثم في مرحلة (التجاوز) إن صح هذا التعبير شاء الله أن تواجه - بكفاءة ملحوظة- متاعب التأسيس لمكتب الخليج وهو (فكرة) لم تر النور بعد وفي إيمان المخلصين، ودأب الرجال، حالفك توفيق الله رغم قلة الأعوان، واستطعت أن تحقق النجاح أمام مرحلة التحدي.. وكنت أستمع اليك صباح أمس السبت وأنت تتحدث في المؤتمر، وقبله وأنت تجمعنا كوزراء لدول الخليج، وتمتد بي ذاكرتي إلى الماضي القريب يوم كنا نبحث في إلحاح عن كفاءة سعودية للسير من المهمات فلا نجد لها.. وحمدت الله ودعوته أن يديم رعايته وعونه لبلادنا الغالية وقادتها حتى نستطيع أن نحضر على جدار

الزمن ما يليق بقداسة وطننا من مفاخر وإنجازات وهي مشاعري كأخ وزميل، أنت تعلمها لكنني لم أستطع مقاومة التعبير عنها.

ومعها الدعاء إلى الله لك ولكل عامل بالتوفيق والعون والنجاح.

أخوك المحب

حسن عبد الله آل الشيخ

١٢/٧/١٤٠١هـ

• وفي هذا المؤتمر وقع حادث أليم أصابني بحزن شديد، ذلك أن معالي الأخ الشيخ عبد العزيز بن محمد آل خليفة وزير التربية البحريني آنذاك الذي كان يمثل بلاده في ذلك المؤتمر حين أبطأ في الحضور للجلسة الصباحية للمؤتمر في اليوم الثاني، فهُرعت إلى غرفته وحين لم يفتح الباب جاء المسؤول في الفندق وفتحه بمفتاح مرادف وكانت الصدمة: وجدنا الرجل جالساً على الكرسي ممسكاً بسندوتش وقد وافاه الأجل.. أصابنا الفزع، وتوقف المؤتمر وأمر الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد بنقل جثمان الفقيد إلى البحرين، وكنت ضمن من رافق الجثمان ومعنا وزير التعليم العالي الجزائري والوفد البحريني رحمه الله رحمة واسعة.

• ولشدة الحماسة والتفاعل مع العمل أتذكر حدة النقاش الذي كان يدور حول كل موضوع يتقدم به مدير عام المكتب إلى المؤتمر العام، وفي المؤتمر العام الذي عقد في مسقط «سلطنة عمان» تقدمت بدراسة حول توحيد الإجازات المدرسية في الدول الأعضاء حسب طلب المؤتمر العام في مؤتمر سابق وهذا يتيح للطلاب أن يلتقوا وأن ترتب لهم مناسبات ثقافية ورياضية، وقد فات على صديقي معالي الدكتور يعقوب الفنيم وكان وزيراً للتربية في الكويت (آنذاك) أن ما عرضه جاء بتكليف من المؤتمر العام نفسه في دورة ماضية، وعلق تعليقاً حاداً على أن مثل هذه الدراسة لا جدوى منها ولا فائدة وقال كلاماً كأنه يؤنبني فيه تأنيباً شديداً، فشعرت بالضيق وطلبت الكلمة، وقرأت على المؤتمر خطاباً كتبه على عجل من موقعي إلى رئيس المؤتمر وفيه أقول: إنني أعلن استقالتي من المنصب لأن المؤتمر لا يقدر الأعمال الجادة وتركت المنصة إلى حيث غرفتي في قصر الضيافة الذي يقام فيه الاجتماع.

وقد أفتعني بالرجوع مرة أخرى إلى حيث الاجتماع كل من معالي الدكتور عبدالعزيز الخويطر وزير المعارف السعودي (آنذاك) ومعالي الدكتور يحيى محفوظ المنذري وزير التربية والتعليم في سلطنة عمان (آنذاك).

عدت إلى المنصة، وأعطى رئيس المؤتمر الكلمة لمعالي الدكتور يعقوب الغنيم فكانت كلمته كلمة جميلة تعبر عما بيننا من مودة واستهلها بييتين من شعر المتنبي يقول فيهما:

ولو أن ما بي من حبيب مقنع عذرتُ ولكن من حبيب مُعمَّم
رمى واتقى رميي ومن دون ما اتقى هوئى كاسر كفي وقوسي وأسهمي

وبعد أن فرغ من كلمته قام من كرسيه متوجهاً لي فقابلته في وسط قاعة الاجتماع فضممني ضمة قوية وضحكنا وتصلحنا.

ومما أتذكره تلك الأسابيع الثقافية الجامعية التي كانت تقام في ربوع الجامعات وكان من أفضلها تلك المقامة في دولة الكويت واشتركت فيها جامعات الدول الأعضاء قاطبة وتبدى الابداع فيها بكل أنواعه.

• ولا أنسى حملة الحج التي شاركت فيها كل الجامعات بعدد من طلابها، وأعضاء هيئة التدريس فيها، وكيف أن هذه المناسبة الدينية جمعت الشباب وأخت بينهم، وكنت مشاركاً، وحين انتهى موسم الحج وجاءت لحظات الوداع رأيت الباكين على الفراق، ما أروع ذلك المشهد، أكثر من ٦٠٠ طالب جامعي من سبع دول عربية خليجية يتعارفون ويتصادقون، ماذا لو استمرت هذه الحملات؟ كيف سيكون أثرها؟

• كما لا أنسى الحفل الوداعي الذي أقيم لي في البحرين بمناسبة انتهاء عملي في المكتب، ولقد كان حفلاً مؤثراً ألقى فيه كلمات معبرة عن مشاعر نبيلة، وشاركت فيه شخصيات بارزة من جميع الدول الأعضاء في المكتب إضافة إلى المدعوين من إخواني وأقاربي وأصدقائي، وجمع كبير من المثقفين، وكان الحفل برهان وفاء ودليلاً على عمق العلاقات والروابط الأخوية الصادقة التي وفقنا الله إلى بنائها بالإخلاص والمحبة.

عضوية مجلس إدارة المعهد الدولي للتخطيط التربوي (باريس)

تم انتخابي عضواً في مجلس إدارة المعهد الدولي للتخطيط التربوي التابع لليونسكو ومن أهم المؤسسات المنبثقة عنها، ومقره باريس، ودامت عضويتي فيه ثمان سنوات (١٩٨١-١٩٨٩م) هي الحد الأعلى للعضوية، ففي ذلك المجلس عرفت أناساً من بلدان عدة لهم باع طويل ورؤية عميقة في قضايا التنمية، وفي المجلس أعدنا صياغة خطط التدريب لكبار مسؤولي التربية والتعليم في الدول الأعضاء في اليونسكو وخاصة الدول النامية منها. كان الاجتماع سنوياً لمدة ثلاثة أيام، وقد أحسست -بفضل الله- بتأثيري في مسيرة ذلك المعهد وذلك بتطوير برامج وتعددتها وبزيادة عدد المتدربين من البلدان العربية الذين يقضون عاماً كاملاً في المعهد وقد جرت دراسات عدة أثبتت جدوى التدريب وأثره الإيجابي على المتدرب. وكان لي فرصة أن أقوم بترجمة ثلاثة كتب إلى العربية كانت هي في نظري من أنفس ما أصدره المعهد وهي:

١. التخطيط التربوي بوصفه عملية اجتماعية.
 ٢. التعليم العالي والتميز الاجتماعي.
 ٣. التعليم في أوقات العسر «خيارات للمخططين».
- طبعت ونشرت على نطاق واسع ونفدت نسخها.

عضويتي في هيئة مستشاري الموسوعة العالمية^٢

وهي موسوعة من أكثر الموسوعات العالمية انتشاراً، ومقرها شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية، وتصدر باللغة الإنجليزية في اثنين وعشرين مجلداً، ودامت هذه العضوية أكثر من ثمان سنوات، كنا نجتمع فيها كل سنة في بلد: فاجتمعنا في دبلن (أيرلندا) وفي لندن (بريطانيا) وفي شيكاغو (الولايات المتحدة الأمريكية) مرتين، وفي لشبونة (البرتغال) وفي سيدني (أستراليا) وفي مانيلا (الفلبين). وكانت فرصة سانحة لأن أصحح ماورد من أخطاء عن العرب والمسلمين وعن بلدانهم في تلك الموسوعة في كل طبعة سنوية وفي الكتاب السنوي للموسوعة، ومع أن هذا كان عملاً مرهقاً إلا أنني كنت أشعر بالارتياح أن يكون لي إسهام فعال في مصلحة الحقيقة والمعلومة الصحيحة، خدمة لديني، ووطني، ولغتي.

كان معظم أعضاء الهيئة من الأساتذة الجامعيين المرموقين من مواطني الولايات المتحدة الأمريكية، وكان ضمن الأعضاء علماء بارزون من أستراليا والفلبين وبريطانيا وماليزيا ولازلت أحتفظ بعلاقات صداقة مع كل واحد منهم. ومع الناشر ومع رئيس وهيئة التحرير.

عضوية لجنة الخطة الشاملة للثقافة العربية

صدرت قرارات عدة ومتابعة من وزراء الثقافة العرب في اجتماعاتهم المتعاقبة، ومن المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (إيكسو) كلها تدعو مدير عام المنظمة إلى وضع «خطة شاملة للثقافة العربية» وقد صدر عن المجلس التنفيذي لأليكسو قرار بتسمية الأستاذ عبدالعزيز حسين من الكويت (رحمه الله) رئيساً للجنة تضع هذه الخطة الشاملة للثقافة العربية. والأستاذ عبدالعزيز حسين من المثقفين العرب المشهود لهم بالسبق والعمق في الفكر مع تجربة ممتازة في إقامة المؤسسات الثقافية في دولة الكويت ثم بعد تسميته الرئيس صدر قرار المنظمة في منتصف عام ١٩٨١م بتسمية أعضائها وهم على النحو الآتي:

رئيساً	الأستاذ عبد العزيز حسين وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء-الكويت
عضواً	الأستاذ الدكتور أحمد كمال أبوالمجد المستشار القانوني والدستوري لدى ولي عهد الكويت-مصر
عضواً	الأستاذ أحمد مشاري العدواني الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت- الكويت
عضواً	الأستاذ أديب اللجمي مستشار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم للشؤون الثقافية-سورية

عضواً	الأستاذ أنيس صايغ مستشار في جامعة الدول العربية-فلسطين
عضواً	الأستاذ الدكتور شاكر مصطفى الأستاذ في جامعة الكويت
عضواً	الأستاذ شفيق الكمالي وزير سابق-العراق
عضواً	الأستاذ الطيب محمد صالح المستشار الإقليمي للاتصال في الدول العربية اليونسكو-السودان
عضواً	الأستاذ عبد الحميد مهري رئيس لجنة الإعلام والثقافة والتكوين-عضو اللجنة المركزية لجبهة التحرير الجزائرية-الجزائر
عضواً	الأستاذ الدكتور عبد العزيز المقالح مدير جامعة صنعاء-اليمن
عضواً	الأستاذ عبد الكريم غلاب الوزير المنتدب لدى الوزير الأول-المغرب

عضواً	الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد المدير العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج العربية-السعودية
عضواً	الأستاذ الدكتور محمد أحمد الشريف أمين عام جمعية الدعوة الإسلامية-ليبيا
عضواً	الأستاذ الدكتور محمد جابر الأنصاري أستاذ في جامعة الخليج العربي-البحرين
عضواً	الأستاذ محمود المسعدي رئيس مجلس الأمة التونسي-تونس
عضواً	الأستاذ الدكتور منصور الحازمي عميد مركز الدراسات الجامعية للبنات بجامعة الملك سعود الرياض-السعودية
عضواً	الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) - الأردن

إضافة إلى الأستاذ الدكتور محيي الدين صابر، المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم-السودان (رحمه الله)، الذي يشارك في أعمال اللجنة ويحضر لاجتماعاتها.

كانت سعادتني بعضوية هذه اللجنة بالغة؛ فهي من جهة تتيح لي التواصل مع مفكرين بارزين ومن جهة أخرى تحفزني لتوسيع اطلاعي وقراءاتي. وبالفعل فقد تعلمت الكثير،

وأعدّ العمل في هذه اللجنة نقطة تحول بارزة في مسيرة تحصيلي واطلاعي. ولم أتعب عن أي اجتماع، ولم أهمل الاطلاع على أي وثيقة. وكان للكثير من تعليقاتي واقتراحاتي القبول والتبني.

انطلقت اللجنة في أعمالها من الكويت في شهر أبريل عام ١٩٨٢م وأنهت أعمالها في اجتماعها السابع في تونس في شهر نوفمبر عام ١٩٨٥م وكان كل اجتماع من الاجتماعات السبعة يدوم ثلاثة أيام، كلها عمل مكثف دون أي افتتاحات احتفائية، إنما عمل مستمر من الصباح الباكر حتى الساعة العاشرة من الليل. ولم يقتصر دوري على اجتماعات اللجنة، وإنما شاركت في لجان فرعية وأسهمت في أعمال ندوات متخصصة في الجوانب المختلفة من الثقافة ترفع حصيلتها إلى اللجنة.

وقد حددت اللجنة في أول اجتماعاتها أهداف الخطة الشاملة للثقافة العربية بالآتي:

١. تطوير البنى الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في الوطن العربي بوصف الثقافة ركن البناء الحضاري وأساس تماسك الأمة.
٢. تنمية وإبراز الهوية الحضارية العربية والإسلامية، والمحافظة عليها بوصف الثقافة مستودع الأصالة.
٣. التحرر القومي الشامل، بوصف الثقافة عنصر دفاع ورفض للتبعية والاستلاب والتشويه.
٤. تكوين شخصية المواطن العربي وإغناؤها، وتأكيد وعيه بترائه وانتمائه لأمته وقيمه، وإيمانه بحريته وكرامته، وفي قدرته على مواكبة التطور الإنساني المعاصر والمشاركة فيه.
٥. العطاء القومي والإنساني بوصف الثقافة مصدر إبداع وعطاء ذاتي وتعاون حضاري عالمي.

وقد وضعت اللجنة كذلك مبادئ للخطة من أبرزها الآتي:

١. إن التراث الحضاري الإسلامي هو الركن الأساسي في تكوين الثقافة العربية، والنبع

الأصيل فيها عقيدةً وقيماً وتشريعاً، وهو الذي يميزها عن غيرها من الحضارات الإنسانية، فالعروبة والإسلام متلازمان ومتكاملان في الثقافة العربية.

٢. حق الإنسان العربي في اكتساب الثقافة وفي حرية التعبير عنها والتمتع بها. فالإنسان هو غاية كل تخطيط تنموي، والحرية شرط من شروط الإنسانية.

٣. قومية الثقافة، ونعني بذلك أن الثقافة العربية وحدة موحدة، وأن التكافل القومي يزيد في قوتها وعطائها، وأن لغتها هي العربية وأن التنوع هو أحد أبعاد الفنى والخصب فيها.

وجمعت اللجنة مجالات التخطيط الثقافي الشامل في الآتي:

- | | |
|---------------------------|-----------------------------------|
| ١. اللغة العربية | ٦. التثقيف العلمي |
| ٢. التراث العربي الإسلامي | ٧. الإنتاج الفكري |
| ٣. الفنون بألوانها | ٨. وسائل الإعلام والاتصال |
| ٤. الأدب بأشكاله | ٩. التعاون الثقافي |
| ٥. الفكر الإسلامي | ١٠. وسائل العمل الثقافي المختلفة. |

ورأت اللجنة -أيضاً- ضرورة الاستشارة بآراء مختلف المفكرين والخبراء في ميادين الثقافة المتشعبة، فوضعت برنامج عمل، وجمعت قرابة ٦٠٠ خبير ثقافي في ٢٧ ندوة حضر كلاً منها ما بين ٢٠ إلى ٢٥ خبيراً من مختلف الاختصاصات وقدم فيها ٦١ بحثاً جرت مناقشة مواضيعها، واتخذت منطلقات لبحث ميادين الثقافة ميداناً بعد آخر ووضعت في كل ندوة مجموعة من التوصيات والأفكار التوجيهية.

قدمت كلها إلى اللجنة في اجتماعها لمناقشتها وقد تناولت الندوات التي كانت تعقد كل واحدة منها لمدة يومين المواضيع الآتية:

١. وسائل التخطيط الثقافي.
١٥. الثقافة السينمائية.
٢. المخطوطات العربية والوثائق.
١٦. الصحافة ووكالات الأنباء.
٣. الآثار والمتاحف.
١٧. وسائل الاتصال.
٤. التراث الشعبي.
١٨. الفنون التشكيلية.
٥. الأهداف والمبادئ.
١٩. الموسيقى.
٦. العقول المهاجرة.
٢٠. الآداب والنشر الأدبي.
٧. التثقيف العلمي.
٢١. طراز العمارة.
٨. الإنتاج الفكري.
٢٢. التنسيق الثقافي المحلي.
٩. الغزو الثقافي.
٢٣. ثقافة المعوقين.
١٠. اللغة العربية والمجامع اللغوية.
٢٤. المسرح.
١١. الفكر الإسلامي.
٢٥. الثقافة في فلسطين.
١٢. التعريب والترجمة.
٢٦. الصناعات الثقافية.
١٣. ثقافة الشباب.
٢٧. الشعر.
١٤. الكمبيوتر والتقنية (التكنولوجيا).

وقدمت اللجنة تقريرها الأخير إلى (إيكسو) متضمناً الخطة الشاملة للثقافة العربية، وتكوّن التقرير من قسمين:

- قسم أساسي فيه المبادئ النظرية والأسس الموجهة للخطة الثقافية المنشودة، وفيه فلسفة الخطة ودورها الفكري ومبادئها العامة.
- قسم إضافي يتضمن ثلاثة ملاحق هي:

- ملحق يتضمن مجموعة التوصيات التي قدمها رجال الفكر والثقافة في مختلف المجالات خلال الندوات السبع والعشرين التي دعت إليها اللجنة.
- وملحق يتضمن مجموعة البحوث التي قدمها أهل الاختصاص والفكر إلى اللجنة في مجالات الثقافة، وفيها أفكارهم بنصوصها ومقترحاتهم للعمل.
- وملحق ثالث يضم خلاصة الاستبانة الثقافية التي أجرتها اللجنة في مختلف البلاد العربية بقصد التعرف قدر الإمكان على واقع الثقافة القائم.

وحين عرض التقرير مع ملحقاته على وزراء الثقافة العرب في اجتماعهم في شهر نوفمبر من عام ١٩٨٥م في تونس أقره وأشادوا به. ثم عرض على المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في شهر ديسمبر ١٩٨٥م واتخذوا بشأنه قراراً يقضي بالموافقة على الخطة الشاملة للثقافة العربية باعتبارها دراسة أساسية ومبدئية يسترشد بها للعمل الثقافي على المستويين القومي والقطري في المدى القريب والمتوسط والبعيد.

ومن فرط إعجاب السادة الوزراء بهذه الخطة فقد طلبوا من المدير العام للمنظمة أن يترجمها من اللغة العربية إلى اللغات المستعملة دولياً متعاوناً في ذلك مع اليونسكو.

قصدت من إسهابي في ذكر أعمال هذه اللجنة الإشارة إلى أن جهوداً تبذل وأموالاً تنفق لوضع خطط لإجراء بحوث ودراسات ويكون آخر عهد الذين دعوا إليها وأنفقوا عليها هو حين يطلعون عليها لأول مرة! وإني لأخشى أن يكون مَثَلُ هذا العمل المتمثل في الخطة الشاملة للثقافة العربية مَثَلٌ غيره من الأعمال التي يزين بها المسؤول رفوف مكتبته!!

وهذا يعيد إلى ذاكرتي حين بدأت العمل عضو هيئة تدريس في جامعة الملك سعود ذلك التفاعل من التربويين مع الجهود التي بذلتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لوضع خطة شاملة لتطوير التربية والتعليم في البلاد العربية، وقام على وضعها رواد في هذا المجال، ولم يتبين لي -بعد الاستقصاء والمتابعة- أن وزارة واحدة من وزارات التربية في أنحاء الوطن العربي كافة قد استفادت من تلك الخطة، مع أنني أقرر -بحكم اختصاصي- أنها كانت خطة عملية ومتوازنة ومرنة، وأن تحديثاً جرى لبعض فصولها

في السنوات الأخيرة لتكون مواثمة لمتطلبات العصر الحاضر، وهي حبيسة الرفوف عند بعضهم والآخر لا يعرف عنها شيئاً، وقد رجعت إليها بعد مجيئي إلى الوزارة واستفدت منها.

مابعد مكتب التربية العربي

قضيت تسع سنوات مديراً عاماً لمكتب التربية العربي لدول الخليج، وانتهى الزمن المحدد لي في عام ١٩٨٨ م، فعدت إلى جامعة الملك سعود أستاذاً فيها. وجاءني عرض أن أقضي ١٢ شهراً أستاذاً زائراً في جامعة كاليفورنيا في منحة تسمى «فولبرايت للأساتذة الجامعيين المتميزين» لأن شروط هذه المنحة انطبقت عليّ، وكان راتبي ومخصصاتي المالية بما فيها تذاكر السفر من المنحة، وكنت -بفضل الله- أول سعودي يحصل على هذه المنحة، فقضيت ١٤ شهراً (من يونيو ١٩٨٨ م إلى سبتمبر ١٩٨٩ م) في جامعة كاليفورنيا (سانتا باربرا)، كانت من أمتع أيام حياتي وتعلمت أشياء كثيرة، ومرت علي كثير من التجارب أبرزها اشتراكي مع فريق علمي يزور الجامعات يقوم بالتقويم الجامعي (الاعتماد الأكاديمي)، إذ أصبحت علاقتي برئيسة الجامعة آنذاك قوية فاقترحت علي أن أكون مرشح جامعة كاليفورنيا للعمل مع ذلك الفريق، وقمنا بزيارة الجامعات في ولايتين أمريكيتين لتقويم الجامعات واعتمادها أكاديمياً وكانت تجربة عظيمة لا أظنها أتيت لغيري من السعوديين قبل ذلك، وشاركت في مؤتمرات عديدة في تلك المدة، في مجالات تخصصي وغيرها. واستعان بي سمو الأمير بندر بن سلطان سفير المملكة في واشنطن آنذاك في تقويم الأكاديمية السعودية في واشنطن، وقد سعدت بتبنيه التقرير النهائي الذي قدمته عن الأكاديمية والعمل بموجبه، وأتيح لي عمل دراستين عن صورة الإسلام والعرب في مناهج التعليم العام الأمريكي، وأقمنا مؤتمراً حول ذلك بدعم من الأمير بندر بن سلطان. كان ذلك العام عاماً حافلاً بأوجه نشاط علمي جعلني أتابع التطور في تلك المجالات التي اشتغلت بها.

ومما أذكره في تلك السنة الجامعية ما تلقيته من دعوات أساتذة الجامعة التي أعمل

فيها لأتحدث إلى الطلاب عن أحد الأمور الآتية:

- المملكة العربية السعودية. - الإسلام.
- النزاع العربي الاسرائيلي. - دور المرأة في المملكة.

ومما لصق بالذهن تلك الدعوة التي تلقيتها من أستاذ التاريخ في الجامعة أن أتحدث إلى طلاب فصله الدراسي في مادة اسمها «تاريخ الشرق الأدنى» وهم في المستوى الجامعي الثالث ولمدة ساعة عن: «لماذا أنا مسلم» ولم يعطني وقتاً كافياً لأعد محاضرة، فاكثفت بالرجوع إلى القرآن الكريم ومعني ترجمة معانيه باللغة الإنجليزية، واستهللت حديثي بالقول: إن إيماني بالإسلام لا يكون صحيحاً إلا حين أومن برسله صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً وعددت منهم (إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد)، وأن محمداً هو خاتم الأنبياء، وأن ما جاء به هو متمم للرسالات السماوية السابقة، وأومن بالكتب السماوية المنزلة على رسله جميعاً.

ثم بدأت أشرح لهم أن كوني مسلماً جاء نتيجة إيماني واقتناعي بالقيم العظيمة التي جاء بها رسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه الواحد الأحد الفرد الصمد، وفتحت على سورة الاسراء أفسر لهم نماذج من هذه القيم بدءاً من الآية الكريمة: (لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً) إلى آخر قوله تعالى: (ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً)^٤.

وصادف أن المدينة التي تقع فيها الجامعة وهي «سانتا باربارا» مدينة اشتهرت ضمن ما اشتهرت به من وجود ملاجئ كثيرة للمسنين القادرين مالياً يأتون إليها من أنحاء مختلفة من أمريكا. وقارنت لهم بما يجري عندنا إذ أن أبناء المسن يتنافسون فيما بينهم كل واحد منهم يرغب في خدمة أبويه عند الكبر، أخذاً بتعاليم الإسلام التي قرنت الأمر بعبادة الله بالأمر بالإحسان إلى الوالدين وكيف أن بعض الأبناء في بلادهم الأمريكية يودعون والديهم في بيوت كبار السن ويفغيبون عنهم أشهراً بل وسنين دون أن يعودوهم، نتيجة عدم تقيدهم بالقيم الدينية التي نصت عليها كل الكتب السماوية المنزلة.

٤ من الآية ٢٢ إلى نهاية الآية ٣٩ من سورة الإسراء.

ثم واصلت الحديث عن تلك القيم التي تلوث معانيها عليهم، وكيف أن الاستمساك بها يسمو بالإنسان، وشرحت لهم أن الإسلام نهج حياة، وليس مجرد ممارسة عبادات.

ومن خلال الأسئلة والأجوبة شعرت بارتياح إذ صادفت إجاباتي قبولاً عند الطلاب ودلل على ذلك أن عدداً منهم زاروني في مكتبي في الجامعة طالبين مزيداً من الإيضاح حول الإسلام ومواقفه تجاه الأمور الحيوية.

• عدت إلى العمل في جامعتي (جامعة الملك سعود) وتلقيت عروضاً مغرية مادياً للعمل في القطاع الخاص وأوشكت أن أقبل بعضها لكنني كنت مستمتعاً بالإشراف على طلاب الدراسات العليا، ومزهوةً بحصولي على درجة (الاستاذية) وهي درجة لا يحصل عليها عضو هيئة التدريس في الجامعة إلا بعد فحص دقيق لإنتاجه يحكمه عدول متخصصون من جامعات مختلفة داخل البلاد وخارجها.

• وحين حصل غزو العراق لدولة الكويت الذي أحدث شرخاً كبيراً لدى العرب.. كنت حريصاً مثل غيري على توضيح موقف المملكة لكثير من الإخوة غير السعوديين الذين لم يفهموا مسوغاته، بل إن المملكة كونت فرقاً أهلية كي تزور البلدان الغربية والإسلامية والعربية لتوضيح موقف المملكة ونقل صورة واضحة عن الوضع.. فكنت أنا وأصدقائي: الأستاذ إياد مدني^٥، والدكتور عبدالواحد الحميد^٦، والأستاذ محمد صلاح الدين^٧، من بين تلك الفرق وكان نصيبنا أن نتوجه إلى أستراليا ونيوزلندا وماليزيا وسنغافورة والقلبين، لكن الأستاذ محمد صلاح الدين اعتذر لظروفه الخاصة عن عدم السفر معنا.

لقد أدركت أهمية إقامة صلوات وثيقة مع الأشقاء، ومع غيرهم من الأمم لأن الصورة المأخوذة عنا في المملكة -نظاماً وشعباً- يشوبها كثير من الغبش لدى العرب والأجانب على حد سواء؛ فتوصف بأننا منغلزون، وبالتقدير الذي سعينا فيه لتوضيح حقيقة الأمر فإننا تعلمنا الكثير، وكانت تجربة فريدة من نوعها، وأدعو الله ألا تمر بنا ظروف تقتضي منا

٥ وزير الإعلام والثقافة الحالي.

٦ وكيل وزارة العمل للتخطيط.

٧ الصحفي والكاتب المعروف.

توضيح مواقفنا للأقربين والأبعدين. وبالمناسبة فأنا ممن يرون أن عملية تنمية العلاقات مع الشعوب الشقيقة والصديقة في حاجة دائمة إلى تعهد وتطوير.

والحديث عن الجهود الأهلية يعيد إلى ذاكرتي ما أسهمت فيه حيال معضلة قومية سابقة؛ فحينما نشبت الحرب بين العراق وإيران (١٩٨٠-١٩٨٨م) واشتدت مؤذنة بإهلاك الحرث والنسل واستنزاف الدماء والأموال، قام عدد من الرجال الفيوريين من أبناء هذا الوطن، ومعهم نخبة من إخوانهم العرب والمسلمين بمبادرات شخصية، فكونوا لجنة بذلت وسعها لإيقاف نزيف الدم المسلم، ودفعوا المال من جيوبهم، ومن المتبرعين الأخيار، وزاروا العديد من البلدان العربية والإسلامية بما في ذلك إيران، وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وفرنسا، وسويسرا، وألمانيا، وغيرها من البلدان للالتقاء بالشخصيات المسلمة المؤثرة، وعقدوا الاجتماعات، وأجروا المقابلات، وكتبوا التقارير، وحاولوا بكل قوتهم التأثير على الهيئات الشعبية والرسمية لإيقاف تلك الحرب، وكنت معهم، وكان منهم: الدكتور راشد بن عبد العزيز المبارك^٨، والدكتور محمد سليم العوا^٩، والشيخ صالح بن علي الفصون^{١٠}، والدكتور أحمد البراء الأميري^{١١}، وغيرهم. أريد من هذا أن أقول: إن الاهتمام بالقضايا الوطنية والشؤون العامة ليس موقوفاً على الحكومات وحدها، بل المطلوب من كل مقتدر أن يبذل ما في وسعه في هذا السبيل.

٨ أستاذ الكيمياء في كلية العلوم-جامعة الملك سعود، والعالم والأديب الشاعر (من السعودية).

٩ أستاذ القانون، المحامي، والعالم، السياسي، والمفكر (من مصر).

١٠ القاضي، والعالم الفاضل، عضوية كبار العلماء (من السعودية). (ظروفه لم تمكنه من المشاركة في الزيارات الخارجية).

١١ الأستاذ في كلية التربية-جامعة الملك سعود، والشاعر ابن الشاعر، المستشار لدى وزير التربية والتعليم (من سوريا).

إنقاذ جامعة الخليج العربي

ينص نظام جامعة الخليج العربي على أن يكون في مجلس أمنائها ثلاث شخصيات يختارها المجلس لذواتها ولا تمثل أياً من حكومات الدول الأعضاء، وكان أن وقع علي الاختيار بصفتي الذاتية وكنت حينذاك أستاذاً في جامعة الملك سعود، وصادف أن جامعة الخليج العربي كانت تمر بمرحلة حرجة مالياً، نتيجة عدم تسديد دولة من الدول حصتها في تكلفة ما تبقى من إنشاء المباني؛ فاتخذ المؤتمر العام المكون من وزراء التربية والتعليم في تلك الدول قراراً من فقرتين:

- **إحدهما:** تسليم جزء من الجامعة والمبنى في منطقة الصخير إلى دولة البحرين ليكون هو مقر جامعة البحرين، وهذا الجزء يقع فيه مبنى إدارة الجامعة، وقاعات الاجتماعات، وكلية العلوم، وكلية التربية، وسكن الطلاب، وسكن أعضاء هيئة التدريس.
- **والثانية:** وقف قبول الطلاب في كلية الطب؛ ويقع مبنى الكلية في منطقة السليمانية محاذياً لمستشفى السليمانية بحكم أنه هو المستشفى الجامعي، كل ذلك تمهيداً لتعديل طبيعتها من كونها جامعة مشتركة لكل الدول لتصبح جامعة خاصة بدولة المقر، وطلب المؤتمر العام من الجهاز التنفيذي للجامعة تقليص العمل ووقف قبول طلاب جدد إلى أن يتحدد وضع كلية الطب. ودعت لاجتماع مجلس الأمناء الذي يتصدر جدول أعماله إجراءات تنفيذية تمهيداً لإغلاق الجامعة حسبما وجه به المؤتمر العام، وهو أعلى سلطة في الجامعة.

صعقت لهذا النبأ، ووجدت أنه تقهقر إلى الوراء علمياً وسياسياً وتعاونياً. ولم أستطع النوم تلك الليلة فبادرت من مسكني في الرياض بالاتصال بخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز -رحمه الله- وكان في جدة (وهو لا يعرفني) فما هي إلا ساعتان حتى هاتفتني وكنت مرتبكاً ولكنه قدم لي من الكلام العذب ما طمأنني وشرحت له عن جامعة الخليج العربي وذكرته بتوجيهاته السديدة التي أسداها لنا قبل إنقاذ مشروع الجامعة وحدثه عما آلت إليه الأمور وأن الأنسب هو التوسع في مجال التعليم عامة

والتعليم الجامعي خاصة وأن المؤسسات المشتركة بين دول مجلس التعاون ينبغي أن تزداد ولا تنقلص. وشعرت من كلامه أنه فهم أن إغلاق الجامعة هو رغبة مشتركة من الدول الأعضاء فأوضحت له أن ذلك ليس رغبة وإنما نتيجة الوضع المالي. وبألها من لحظة مبهجة حين قال لي: توجه إلى حيث الاجتماع وانقل لهم رسالة شفوية مني وقل لهم:

«إن عهد يسلم عليكم ويقول الجامعة أقيمت لتبقى لا لتفلق بعد ما اكتمل بناؤها وبدأت تخرج طلاباً مؤهلين، دولهم في أمس الحاجة لهم. ومادام الموضوع مالياً فإن المملكة على أتم الاستعداد، وفهد على أتم استعداد أن يسد ما على الجامعة. والمهم أن تبقى الجامعة تقوم بدورها الذي أنيط بها..»

توجهت للبحرين، وفي الاجتماع رأيت الحزن على الوجوه فالأعضاء يشاركون لآخر مرة -حسبما قال أحدهم- في ذمة العزيزة. وبعد افتتاح الجلسة بادرت برفع يدي، وحين أذن لي بالحديث نقلت الرسالة الكريمة، فتغير الوضع، وانقلب الجو إلى فرح، وتقرر إعادة قبول الطلاب بعد أن توقف عاماً كاملاً، مع أن الذي أمكن تداركه مقتصر على المقر الذي أقيمت عليه كلية الطب، وبحكم سعة المبنى فإن بقية البرامج في مجال العلوم والتربية تقام إلى الآن في مبني الكلية في السلیمانية، ولقد وفي الملك فهد رحمه الله بوعد، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن مؤتمر قمة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية الذي انعقد في دولة الكويت في عام تحريرها من الغزو أصدر ضمن قراراته ما يؤكد على دعم جامعة الخليج العربي والإشادة بها معلماً علمياً حضارياً مشتركاً، كان لصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز فضل في أن أكون بصحبة الملك فهد في تلك القمة بعد أن شرحت لسموه التطورات التي حصلت لتلك الجامعة، ولعل وجودي في ذلك الاجتماع ساعد على توضيح صورة جامعة الخليج العربي للوفود المشاركة في المؤتمر مما جعل البيان الختامي يتضمن تلك النصوص الداعمة للجامعة.

وما أستنتج من هذه الحادثة هو عدم الاستسلام، وضرورة إيصال المعلومة الصحيحة إلى صاحب القرار، خاصة بطريق المحادثة المباشرة التي توضح الموضوع أكثر من الخطابات الرسمية، وإعجابي بالفكر المستنير للملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله رحمة واسعة، ونظراته العميقة، وحبه للتعليم ودعمه لمؤسساته.

تبعات رؤيتي عن تعليم الفتاة

شرفني معالي الرئيس العام لتعليم البنات عام ١٤١٠هـ وطلب إلي أن أختار له أعضاء هيئة استشارية أكون رئيساً لها. وقد عملت هذه الهيئة على تطوير كثير من الإجراءات الإدارية، والمضامين التربوية. وكان أن اقترحت الهيئة عقد اجتماع دوري سنوي لمسؤولي تعليم البنات في المملكة، يشمل كبار موظفي الجهاز المركزي ومديري التعليم في المحافظات والمناطق وحين أيد معاليه الفكرة وكل إلى الهيئة تنظيم الاجتماع الأول وتحديد الموضوعات التي ستناقش فيه وطريقة العمل فيه وطلب إلي أن أقي كلمة الافتتاح، كان عنوان كلمتي «تعليم الفتاة بين الواقع والمأمول» ونصها:

«إنه لشرف كبير لي أن أكون معكم وأن أقف مخاطباً لكم في افتتاح هذا اللقاء، وفي البداية أود أن أعبّر عن خالص التقدير والامتنان للرئاسة العامة لتعليم البنات التي أتاحت لي هذه الفرصة العزيزة للمثول أمامكم في هذا الاجتماع المهم - وأرغب في هذا المقام أن أثني على وجه الخصوص - على الروح الوثابة والعزيمة الصادقة والفكر المستنير والعطاء المتجدد لمعالي الرئيس العام لتعليم البنات فقد وقفت بنفسي على مدى حرصه على أن يصل بتربية الفتاة في بلادنا وتعليمها إلى المستوى الذي يتفق ورسالتها الكبيرة في هذا المجتمع العربي المسلم: استمساكاً بقيم ديننا الحنيف ومواكبةً لمتطلبات العصر ومتطلبات التنمية في وطننا التي يقودها راعي البلاد ورائد نهضتها المتألقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز أعزه الله وأيده بتوفيق منه وشد عضده بولي عهده الأمين الأمير عبدالله بن عبدالعزيز وحكومته الرشيدة.

وإني لأدرك كم هو رأي صائب أن يكون عنوان هذا الاجتماع هو: «تعليم الفتاة بين الواقع والمأمول» فهي وقفة تأمل ومراجعة لواقع تعليم بناتنا الذي بلغناه منذ بدأ التعليم النظامي وعمره الآن أكثر من ثلاثين عاماً، وللأمل الذي نرجو أن نصل إلى تحقيقه بفضل الله وبعون منه.

لقد مضت على بلادنا عصور لم يكن حظ الفتاة فيها من التعليم شيئاً مذكوراً، وكان الاهتمام بالتعليم كله اهتماماً محدوداً ولكن النهضة التي هياها الله للبلاد أسبابها، ووفق ولاة الأمور إلى رعايتها والبذل في سبيلها، قد أتاحت لنا أن يصبح لدينا مؤسسات علمية

وتعليمية راقية لا تقل عن نظيراتها في أي مكان آخر. وأن نتفرد بنظام متكامل لتعليم الفتاة يبدأ من الحضانة وينتهي إلى الدراسات التخصصية العليا التي تحصل الفتاة عند إتمامها على أرقى الدرجات الجامعية العالية.

وإذا كان هذا الواقع الذي نعتز به، ونحمد الله تعالى عليه قد اقتضى جهداً كبيراً، وإبداعاً في التخطيط والتنفيذ قام به الرواد الأوائل للتعليم - ولتعليم البنات بخاصة - فإن الآمال التي نريد بلوغها - بإذن الله - تدعونا إلى إعطاء المزيد من العناية، وبذل الكثير من الجهد حتى تجني الأجيال الصاعدة من بناتنا ونسائنا ثمرات أكثر نضجاً وأوفى فائدة وأبقى أثراً وأعم نفعاً.

والذين يريدون لهذه البلاد دوام استقرارها، وثبات بنيانها يدركون تمام الإدراك أننا لا يصلح آخرنا إلا بما صلح به أوائلنا، وأن معين تعاليم ديننا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم فيأضه لا تتضب بما يصلح ويصح أن تقام عليه كل نهضة صحيحة وكل تقدم مشروع.

وليس الجديد الذي يكتشفه الباحثون والدارسون في الغرب المتقدم، أو في الشرق الآسيوي اللاحق به في مجالات العلم والمعرفة وفي قيم الثقافة والأخلاق إلا قديماً الذي تركه جُلنا أو كُلنا. وقد طوفت في كثير من أركان الأرض زائراً للمؤسسات التربوية، ومشاركاً في تقويم كثير منها، ومتعلماً مما عند أهلها - وفي كل الأحوال - فلم أجد شيئاً جديداً نافعاً ليس له في تراثنا أصل صحيح، وليس له في ديننا نسب صريح، فأدركت - أو ازددت إدراكاً - وتيقنت - بل ازددت يقيناً - أن تراثنا الصحيح القديم، هو جديد كل زمان ومنتهى ما يكتشفه كل مخلص جاد، فجددت دعوة نفسي وإخواني وأخواتي إلى الارتواء منه والغوص في أعماقه واستخراج مكنون دره لنقيم من ذلك - وفق حاجات عصرنا - صرحاً صالحاً لتعليم الفتاة وتربيتها وتنقيتها. والوفاء بهذا المطلب - أيها الزملاء الأجلاء - يقتضي أن نحدد حاجات العصر - من تعليم الفتاة - تحديداً دقيقاً حتى يكون في وسعنا أن نضع خطط بلوغ الآمال من هذا التعليم وأن ننفذها.

وإذا كان لي أن أقترح شيئاً في هذا السبيل، لعله أن يحظى بنقاشكم في هذا الاجتماع، فإنني أعتقد أن بُعيتنا من تعليم الفتاة، كبُعيتنا من تعليم الفتى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)، يجب أن تكون إصلاح الدنيا وإصلاح الآخرة. وإصلاح

الدنيا يعني عمارتها كما أمر الله تعالى وكما أراد بخلقنا (هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) وصلاح الآخرة يكون بطاعة الله عز وجل والوقوف عند معالم الأمر والنهي الربانيين حيثما كان هناك أمر أو نهي، ثم بالاجتهاد لتحقيق الرقي والتقدم البشريين بكل سبيل مشروع أو موافق للشرع. وإذا أردنا أن نطبق هذا النظر على تعليم الفتاة فإنه يجب -في تقديري- أن يتجه إلى تحقيق مهمتين أساسيتين:

أولاهما، تمكينها من رعاية بيتها وأطفالها أكمل رعاية وأحسنها لتكون جديرة بتحمل مسؤولياتها التي نص عليها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والمراة راعية في بيت زوجها»^{١٢} فالمرأة راعية على أهل بيت زوجها وأولادها وهي مسؤولة عنهم.

وثانيهما، تمكينها من إتقان عمل مناسب تمارسه عند الحاجة الفردية أو الأسرية أو المجتمعية. وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى في شأن الجارية المملوكة «أيا رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران»^{١٣}، ولاشك أن الشأن في البنت أقوى وأكبر منه في الجارية المملوكة، وإذا كان تعليم الجارية مندوباً بهذا الحديث أو مستحباً، فإن الندب والاستحباب يكون أكبر في ابنة الرجل منه في جاريته.

ولهذه القضية بشقيها معالم أحب أن أذكر منها:

أولاً، أنه يجب أن تستثمر المرأة وقتها كله، وأن تُشجع -من خلال برامج تعليمها- ومن خلال ما تبثه وسائل صناعة الإنسان في الإعلام والصحافة وغيرها على أن تكون عنصراً منتجاً ومفيداً للمجتمع ولا ترضى لنفسها البطالة في أي مرحلة من مراحل حياتها، وفي أية حالة من حالاتها، وما زاد من وقتها عن حاجة بيتها يستثمر في عمل نافع وجهد مفيد لها ولأسرتها ولمجتمعتها وأمتها. ويكفي لتصويب هذا النظر قول الله تبارك وتعالى: (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)^{١٤}.

١٢ رواه البخاري برقم ٨٩٣ ومسلم برقم ١٨٢٩.

١٣ رواه البخاري برقم ٢٥٤٧ ومسلم برقم ١٥٤.

١٤ سورة النحل، آية: ٩٧.

ثانياً: مسؤولية الوالد في النفقة على بناته، والزوج في النفقة على زوجته، لا تسقطان بتعلم المرأة عملاً مفيداً منتجاً (فالرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم)^{١٥}، ولكن تعليم المرأة ما تحسن عمله أو صنعه يقوي من كيانها المعنوي وقدرتها على تحمل أعباء الحياة ومشاقها ويعينها -حين تحتاج- على تقليب الأيام وتغيير أحوال الحياة.

ثالثاً: يجب أن يتجه تعليم الفتاة -أصلاً وأساساً- إلى تعليمها ما يعينها على أداء فروض الكفاية النسائية سواء تلك التي هي ألصق باختصاص المرأة -شرعاً أو عرفاً- أو تلك التي هي أصلاً من اختصاص الرجال، ولكن الظروف الاجتماعية تجبر النساء -في بعض الأوقات- على القيام بها. ويكفي أن أضرب من أمثلة النوع الأول: تعليم النساء، وتطبيب النساء، وتمريض النساء، وحضانة الأطفال الصغار وتعليمهم، ورعاية اليتامى والأحداث المشردين وغير ذلك من مجالات الخدمة الاجتماعية التي تتقنها وتحسنها النساء أضعاف ما يصلح للقيام بها الرجال.

رابعاً: ينبغي علينا ونحن نخطط لتعليم الفتاة وتطويره أن نخطط أيضاً لتطوير نظرة المجتمع إلى دور المرأة في تحمل مسؤولياته، بحيث نؤكد مبدأ التضامن الاجتماعي في تهيئة الأسباب التي تعين المرأة على الوفاء بمسؤولياتها الأسرية والاجتماعية. وذلك إعمالاً لقول الله تبارك وتعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)^{١٦}. ولقول رسول الهدى عليه الصلاة والسلام: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^{١٧}.

خامساً: تخطيط تعليم الفتاة يجب أن يأخذ في اعتباره أن يكون إعدادها العلمي والعملية لممارسة الأعمال التي تلائم طبيعتها البدنية والنفسية، وتجنبها المنافسة على الأعمال التي يحظرها الشرع عليها أو التي تصون المرأة، لما جبلت عليه من رقة ولطف،

١٥ سورة النساء، آية: ٣٤.

١٦ سورة التوبة، آية ٧١.

١٧ رواه البخاري برقم ٦٠١١، ورواه مسلم برقم ٢٥٨٦.

عن الاشتغال بها، كالأعمال التي تقتضي جهداً بدنياً أو نفسياً مؤلماً، أو قسوة وشدة ترهق مشاعرها.

وبعد هذا الحديث فإنه ينبغي أن نضع في أذهاننا الأساسيات التي لا يجوز أن تغيب عنا حين التقويم ثم التخطيط والتطوير ومن أهم هذه الأساسيات في نظري الأمور الآتية:

١. أقدمت حكومة المملكة -وفقها الله- على أمر له نتائج إيجابية، هو فتح المجال أمام المرأة للتعليم، ومادامت المملكة قد أخذت بالمقدمات- فلا بد وأن تكون قد استعدت عند ذلك للأخذ بالنتائج الحسنة باذن الله.

٢. تقوم سياسة المملكة على أنه لا تراجع في شأن التعليم - بل إن العمل جاد ومستمر في السعي إلى تطويره وتحسين أساليبه والتخلص من نقاط ضعفه إن وجدت وجعله عاملاً أساسياً في التنمية لا عبئاً عليها - وليس من حق أحد أن يفكر الآن في إغلاق المدارس والمعاهد والجامعات الخاصة بالمرأة أو تقليص عددها أو تحجيم برامجها بل على الجميع العمل لتوسيع مجالات التخصصات بما يتفق وطبيعة المرأة وميولها.

٣. لا سبيل للحديث عن تعليم المرأة وتحديثه دون الحديث عن مجال العمل بالنسبة لها فهل تحقق المرأة عزتها وطموحها من مجرد اكتساب العلم «العلم للعلم»؟ أم أنها تسعى للعلم للعمل به والمساهمة في تنمية المجتمع؟ أم لكليهما معاً؟

وإذا كانت المملكة قد خطت خطوات هائلة في تعليم المرأة من منطلق العلم للعلم في معظم الحالات أو العمل الذي لا يثور في شأن صلاحية المرأة له أي تساؤل، فإنه يحسن الآن النظر من أفق جديد أوسع وأرحب إلى مسألة عمل المرأة لتحقيق ما يرجى منها من فائدة فردية واجتماعية ومع درء ما قد يخشى وقوعه نتيجة لبعض التجاوزات من أمور لم نعتد عليها في مجتمعا -وليتذكر إخواننا المتخوفون- عن خروج المرأة للعمل في أدب واحتشام والتزام بتعاليم الدين أن بقاء المرأة في فراغ بيتي موحش، لا يمنع من وقوع مفاسد نأسف لها جميعاً وننتكّم أنبأها لثلاث تشيع قالة السوء في مجتمعا، والعمل الجاد المثمر قد يقلل من كثير مما يقع ونعرفه، ومما يقع ولا نعرفه.

٤. يكون توظيف المرأة في مجالات تصلح للعمل فيها بمؤهلاتها وقدراتها وصلاحتها مراعيًا طبيعتها وحدودها وألا يكون هناك اختلاط منافع للشرع بسبب العمل.

ومع أن الأولوية لجهد المرأة ووقتها يجب أن يكون لرعاية أطفالها وبيتها وأن أي عمل تقوم به بجانب ذلك ينبغي ألا يكون فيه ابتذال للمرأة على أي نحو كان، فإن الرأي الذي ينادي بأن المرأة لم تخلق للعمل وأن دورها في الحياة مقصور على قيامها بالأعمال المنزلية رأي لا يقوم على أساس علمي صحيح، وهو ينافي الواقع التاريخي للبشرية كافة.

أيها الإخوة الزملاء:

إنه لا سبيل إلى عزل مجتمعنا عن غيره من المجتمعات، لقد أصبحت وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة ميسرة لكل الناس على مختلف مستوياتهم الثقافية وأعمارهم ومقارن سكنهم ولأن المجتمع يتأثر بكل ما يجري حوله في المجتمعات الأخرى فإن علينا أن يكون تأثيرنا أفعال وحجتنا أقوى، ولن يتحقق ذلك إلا بمشاركة رجالنا ونسائنا في عمل هذا التأثير عن اقتناع، وباندفاع، ساعين لإزالة أسباب ما يفسد الصحة النفسية التي هي الشرط الأساسي لسلامة المجتمع، مشاركين جميعاً في الحياة الاجتماعية السليمة بصورة صحية طبيعية، متعاونين في تحقيق النماء الثقافي والاقتصادي من خلال التوظيف الكامل في مؤسساتنا العامة والخاصة لكل القوى البشرية المؤهلة من مواطني المملكة لتكون كلها مسهمة في الإنتاج والعطاء لخير البلاد.

وأذنوا لي أن أقرر أنه لا ينبغي أن يكون في مسلكتنا ما يوحي بنقص في ثقمتنا في الرجل تجاه المرأة من جهة أو يوحي بسوء نظرته إليها. إن الحقيقة الكامنة في مشاعرنا وما تفرضه علينا شيمنا فضلاً عما ندين به من معتقدنا الإسلامي أن كلاً من الرجل والمرأة يغار على الآخر ويحترمه ويوقره.

أيها الإخوة الزملاء:

إذا كان ديننا الإسلامي يقرر في محكم الكتاب في علاقة الرجل بالمرأة أن النساء

(لهن مثل الذي عليهن بالمعروف)^{١٨}. فإن العلاقة المجتمعية لا بد وأن تكون مقيدة بهذا القيد، وبهذا المعيار تقاس كل أمورنا. ومن هنا:

١. فالأماكن المخصصة لتعليم البنات لا يجوز أن تكون أقل -بأي حال من الأحوال- من الأماكن المخصصة للبنين، وخاصة تلك المؤسسات التعليمية التي تعنى بتعليم الاثنتين معاً، وإنشاء جامعة مستقلة للبنات قد يكون عاملاً مساعداً على التحصيل الجيد للبنات مع تحقيق كل الشروط العلمية والمقاييس الأكاديمية المعروفة وتوفير الإمكانات التعليمية والخدمات الكاملة المتوافرة بسخاء في جامعات البنين.
٢. ضرورة التخفيف من التدريس باستخدام شبكات التلفاز المغلقة حيثما يوجد العدد الكافي من المدرسات المؤهلات -وهناك الكثير من الدروس والمواد التي لا يمكن تغطيتها من خلال الشبكة التلفزيونية المغلقة- وفي كل الأحوال فإنه لا بد من التفاعل الإنساني المباشر بين الطالبة ومعلمتها.
٣. النهوض بالمستوى التربوي من خلال برامج تعليمية متجددة ومناهج متطورة وكتب مدرسية حديثة ووسائل تعليمية معينة تصاغ كلها وتعاد صياغتها من وقت لآخر لتكون رائدة وسباقة، لا أن تكون راكدة جامدة وخاصة في تلك العلوم المتغيرة والمعلومات المتبدلة التي ترافق التحول التكنولوجي الهائل الذي تشهده المعمورة.
٤. إعطاء العناية الكافية في مدارس البنات للرعاية البدنية بالقدر الذي نوليها في هذا الشأن للبنين ولنتذكر الشاعر الداعي إلى -أن العقل السليم في الجسم السليم «عادة» - ولست أجد سبباً مقنعاً - يجعل مقر المدارس المخصصة للبنات خلواً من مساحة تمكنهن من الحركة ومزاولة الرياضة البدنية- ولا أن يكون في جدول الدراسة للبنات حصص لهذا الغرض تكون بطريقة تتناسب وطبيعة المرأة -ولقد أثبتت كل الدراسات أن مزاولة الرياضة عامل أساسي وحاسم في صحة الجسم وصحة النفس وهي في أهميتها تتساوى فيها البنت مع الرجل- مع اختلاف في أسلوب تحقيقها.
٥. التعليم استثمار وليس خدمة، هكذا يصنفه رجال الاقتصاد وتنتظر إليه دول العالم

كلها - ويرى القائمون على تخطيطه أنه لا يجوز أن يفلتوا حقيقة أن المراحل الأعلى منه لا يمكن أن تستوعب دائماً كل من تخرج من المراحل الدنيا فيه. ولذلك فإنه لا بد من إعادة النظر في برامجه بحيث يمكن أن يكون خريج كل مرحلة - أو خريجتها - صالحة للمساهمة في الحياة العملية دون انتظار للانتهاء من مرحلة تعليمية أعلى - وبالبحاح أكثر في خريجات الثانوية - وإذا كان هذا واجباً في التعليم كله فإنه أوجب في تعليم الفتاة التي تؤهل في مجتمعاتنا للزواج في سن مبكرة إذا قيست بسن زواج الرجل. وإهمال هذه القضية ينذر بمخاطر لا يحتملها المجتمع فإن عدة مئات من المتعطلين عن العمل أو عن التعليم في مثل بلادنا مشكلة، وعدة آلاف منهم مأساة، وبضعة من مئات الآلاف نذير خطير وشر مستطير.

٦. وخريجات الجامعة والجامعات اللاتي لا يستوعبهن سوق العمل المتاح الآن للنساء في بلادنا، ولم تؤهلن دراستهن للمساهمة في الحياة العملية من المكان الذي يعشن فيه، يمثلن خسارة مادية فادحة لهذه الأمة التي تحملت المليارات من الريالات لتوفير التعليم لكل فتاة وكل فتى من أبنائها. ويمثلن مشكلة اجتماعية واضحة، وقد تصبح بعد وقت غير طويل مشكلة مستعصية.

ومع النظر في تطوير البرامج التعليمية للطلاب والطالبات الحاليين، فإنه يجب أن يفكر في برامج تأهيل تكميلية متنوعة للخريجات والخريجين الذين لا يسهمون بأي شكل، أو لا يسهمون بشكل مناسب، في حياتنا العملية. نفعل هذا، وندافع عنه ونؤكد عليه قبل أن يصبح تدارك هذه المشكلة أمراً مستحيلًا أو بالغ الصعوبة، وقبل أن تتحول من قضية تثير النقاش والبحث عن حلول إلى فواجع اجتماعية فردية وجماعية نتيجة الفراغ والإحباط وقتل المواهب وتبديد القدرات والطاقة مجموعة كلها إلى ترف تعيش فيه نسبة كبيرة من أبناء هذه البلاد وبناتها. وقديماً قيل:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة!!

أيها الإخوة والزملاء رجال التربية ومسؤولوها:

أثبتت التجربة الإنسانية في كل المجتمعات حاضراً وماضياً أن التربية هي مفتاح حل

المشكلات التنموية التي يعاني منها أي بلد وقد استلهمت من تراثنا الإسلامي الخالد شعاراً أردده في كل المناسبات:

خلف كل أمة عظيمة-تربية عظيمة.

وخلف كل أمة متخلفة تربية قاصرة، فاشلة، مهزومة.

وجوهر كل تربية عظيمة معلمون ومربون عظماء، منتمون، مخلصون صادقون، عالمون.

وأنتم أيها الإخوة والزملاء المسؤولون عن إدارة دفة التربية للبنات في بلادنا عليكم أن تتذكروا أنكم دعامة قوية وأساسية لتحقيق ما نصبو إليه في تربية الفتاة تربية تنأى بها عن مواطن الزلل وتجعلها قادرة على تحقيق الرسالة العظيمة لها ومشاركة في تبوء الأمة للمكانة التي اختارها الله لها (كنتم خير أمة أخرجت للناس)^{١١}.

وليس من شأنكم أن تستغرقوا في التفاصيل الإدارية التي تلهيكم عن مهمتكم الأولى: التعليم، والتعليم المناسب، والتعليم النافع. ومع إدراك أنه لا قدرة للمتعلم على التعلم دونما محبة له وإدراك لقيمته وأهميته.

فيطيب لي هنا أن أورد على مسامعكم بتصريف؛ عبارات تعلمتها من أحد أساتذة التربية العظماء يقول:

التربية إذا أخلص لها الكيان السياسي-وهو في بلادنا مخلص لها- وأخلصت له هي على بصيرة- وهي إذا وجدت أناساً أكفاء منتظمين وتنظيماً إدارياً تركز عليه مثلما تغذيه وتسنده، وهي إذا أجمع عليها واجتمع لها العمل الوطني المشترك الجاد، وهي إذا استلهمت في نموها الذات الثقافية العربية الإسلامية، وتجسدت قيمها الأصيلة، ووعت احتياجاتها وآمالها بدلا من الانبهار بنماذج غربية أو شرق-آسيوية، وهي إذا تعاضدت مع وسائل الاتصال والإعلام من أجل بناء للوطن والمواطن، وهي إذا مدت بصرها واهتمامها إلى القطاع غير المدرسي، كل هذا مع مراجعة مدروسة لإدارتها وبنائها ومحتواها وأدواتها

وتشريعاتها وعلاقاتها الداخلية والخارجية. والخاصة بمواقع العمل في المجتمع، ومع عزم على التحول من صناعة الكلام إلى بناء الإنسان، ومع إعادة النظر في دور المعلم وتكوينه ومركزه المادي والأدبي -إن التربية إذا أصابها ذلك كله وأصابته أمكنها أن تضاعف في قدرتها على التغيير وأن تصحح مسارها وتعوض ما فات الأمة في عقود سابقة أن تحصل وتحصل عليه-.

أيها الإخوة:

لاشك أنكم -في مداولاتكم ومناقشاتكم- ستقدمون مزيداً من المعالم الهادية والتوجهات النافعة للتخطيط المستقبلي المنشود لبلوغ الأمل المرجو من تطوير تعليم الفتاة في بلادنا. وليست هذه الكلمات الإفاتيح لهذه المناقشات إن نجحت في أن تجعلكم على ذكر منها فقد وفقت التوفيق كله، وإن أخفقت فالعيب ليس في صدقها وصحتها، ولعلنا نحاول مرة أخرى -أو مرات- أن نقف بها على أبواب الحقيقة وأن نمضي واثقين مطمئنين في دروبها الرحبة الآمنة.

ولذلك فإنني أترك هذا الأمر لأذكر بأمر لا يقل أهمية وخطورة، ذلك هو وجوب العناية بشأن القائمين والقائمات على تعليم البنات، عناية تشعرهم وتشعرهن بقداسة العمل الذي عهد به إليهم، وتدعوهم إلى الاعتزاز بأدائه واستشعار عظيمته.

وإني لعلى يقين من أن تراثنا الصحيح، وتقاليدنا الراسخة، وحرصنا الصادق على مستقبل أمتنا وبلادنا، لكفيلة إذا استدعيت كلها استدعاءً صحيحاً، بتحقيق آمالنا كلها وطموحنا كله.

أيها الإخوة والزملاء والأخوات:

من هذا المنبر أدعو كل من يعمل في مجال التربية أن يحاول تحقيق نجاحات مهما كانت صغيرة في موقعه الذي هو فيه، فأشد ما تحتاج إليه أمتنا في حقبتها الحالية ليس التصويب إلى النجوم بل قطع مسافات وإن كانت قصيرة في رحلتنا على الأرض نحو أهدافنا السامية. فالنجاح وحده يدعو إلى النجاح، ولنفتح صدورنا للحوار، فليس أنفع لحل المشكلات إن وجدت من اجتماع العقول. ولنحاول أن نلتمس في الحاضر عناصر قوة

فتنميها، ومواطن نجاح فنشيد بها، وأخاً يبذل ذوب النفس فنيارك خطاه ونسانده. وموقعا يمكن أن ينطلق ويتسارع بخبرة امتلكها فنسرع بالتطوع بها، ففي الأزمات حين وجودها يظهر الخلق الكريم على أنه أنجح المساهمات لانفراجها.

وأخيراً أيها الإخوة والزملاء فلنتحرك على علم، ولنتجاوز على حب، ولنعمل على تعاون، ولنثق ثقة اليقين أن الله الرحيم الرحمن العادل لا يضيع أجر من أحسن عملاً، والله يجمعنا على الحق، وهو من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

موقف الرئيس العام لتعليم البنات من اقتراحي:

ولقد كانت المفاجأة الكبرى أن أجد معالي رئيس تعليم البنات يلقي كلمة في الجلسة الختامية لذلك الاجتماع نصها الآتي:

«في مستهل الجلسة الختامية فإنه وإن كان لي من كلمة قصيرة في ختام اللقاء العلمي فإنها كلمة شكر وتقدير لكل من ساهم في هذا اللقاء من الإخوان والأخوات من منسوبي ومنسوبات الرئاسة العامة لتعليم البنات وكذلك كل من شارك في إثراء هذا اللقاء بالكلمة المفيدة النافعة من خارج الرئاسة.

ولا يفوتني أن أشير إلى ما اشتملت عليه كلمة الدكتور محمد الرشيد التي ألقاها أثناء جلسة الافتتاح وما جاء فيها من أمر ملقت للنظر حيث شملت على تأييده إدخال التربية الرياضية في المدارس.

ولكون ما أشار إليه ماهو إلا تعبير ورأي شخصي له، ورغبة منا في أن تكون الأمور في هذا اللقاء العلمي واضحة وجليّة فأني ومنسوبي الرئاسة لم ولن نفكر في بحث مثل ذلك على الإطلاق لما فيه من مخالفة لتعاليم شريعتنا الإسلامية وقيمتنا الفاضلة.

كما أنني وجميع المسؤولين بالرئاسة لا نوافق على هذا المبدأ ولا نقره جملة وتفصيلاً حرصاً على كرامة فتياتنا وحفاظاً على عقيدتهن وسلوكهن. وأكرر شكري لجميع من ساهم في فعاليات هذا اللقاء.»

وقد نُشرت كلمة معالي الرئيس العام لتعليم البنات في جريدة الرياض يوم الجمعة ٦ من ذي القعدة ١٤١٢هـ الموافق ٨ مايو ١٩٩٢م العدد ٨٧١٩ السنة الثامنة والعشرون.

بعد نشر كلمة معاليه توالى المكالمات الهاتفية على منزلي بعضها يتساءل عما قلت، والآخري يندد بي لأنني اقترحت ما يخالف تعليم شريعتنا الإسلامية وقيمنا الفاضلة. وقد تلقى كل فرد من أفراد عائلتي مهاتفات بذئمة جداً فيها قذح وذم، بل وصلت إلى درجة القذف. لقد كانت محنة قاسية طالني منها أذى كبير واقتضت المعاناة أن يوجهني صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أن أعرض الأمر على سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز.

ذهبت إلى سماحته في منزله مع عدد من الأصدقاء هم الدكتور محمد لطفي الصباغ، والأستاذ عبدالرحمن محمد توفيق الباني، والدكتور عبدالله بن حمود التويجري، والدكتور أحمد بن عثمان التويجري، وقد أخذنا -رحمه الله- إلى قاعة المطالعة في مكتبته في المنزل لوحدها، وطلب سماحة الشيخ إلى الأستاذ الباني أن يقرأ نص كلمتي فقرأها مرتين، ثم سألتني: هل هذا كل ما قلته؟ فأكدت له ذلك وبإمكانه أن يستمع إلى شريط تسجيلي توفره له الرئاسة لأنني لم أخرج عن النص المكتوب. وحين تأكد له الأمر عبر عن استيائه الشديد لما قاله الرئيس عني وقال لي: كل ما قلته وافق كبد الحقيقة، وقال: إنه سيطلب من رئيس تعليم البنات الاعتذار لي.

ثم بادرت بإرسال خطاب إلى معالي الرئيس العام لتعليم البنات أعترت عن الاستمرار مستشاراً عنده نصه الآتي: (بعد البسملة والديباجة والسلام):

اطلعت في صحيفة الرياض عدد يوم الجمعة ٦/١١/١٤١٢هـ على نص كلمتكم في الجلسة الختامية للقاء السنوي الأول لمنسوبي تعليم البنات وفيها تحدثتم عن أن وجهة نظري بخصوص التربية الرياضية في المدارس لم تكن محط تفكيركم لأن فيها مخالفة لتعليم شريعتنا الإسلامية وقيمنا الفاضلة.. إلى آخر ماورد.

وإني إذ أبرأ إلى الله أن أؤيد ما يخالف الشرع الإسلامي المطهر، لأرجو نشر كلمتي (التي أقيتها في الجلسة الافتتاحية) كاملة في الصحف التي تناولت موضوع اللقاء ليكون

الجميع على بينة مما قلته -لأنني لا أقبل أن يطعن أحد في معتقدي بحكم أنه أغلى ما أمتلك في هذه الحياة.

كما أفيدكم باعتذاري عن الاستمرار في العمل في الهيئة الاستشارية نتيجة هذا الموقف الذي لا أرى فيه إنصافاً لي ولا تقديراً للجهد الذي بذلته ابتغاء مرضاة الله وخدمة للصالح العام. والله يراكمم ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وحين نُقل لي إعتذار معاليه قلت هذا لا يكفي وإنني أرجو أن تنشر الصحف المحلية كلمتي التي ألقيتها في مستهل أعمال اللقاء، مع اعتذار معاليه ولكن ذلك مع الأسف لم يتحقق.

لقد كتب لمعاليه كثير من الناس يستنكرون ما صرح به حين اطلعوا مني على الكلمة المذكورة وزودني بعضهم بنسخ مما رفعوه لمعالي رئيس تعليم البنات، وقد أدركت فيما بعد أن ما جاء على لسان معاليه حول كلمتي لم يكن باقتناع منه ولكن حمله عليها بعض الذين ظنوا بي غير ما أنا عليه، وهكذا الحال فيمن لا يتحرى الصواب فيما يصدر عنه أو يشير به، والذين يظنون بالناس دائماً ظنوناً سيئة.

وإنني لأشعر بالسعادة في الوقت الراهن حين أجد كثيراً من المسؤولين والمفكرين والكتاب يعبرون عن رأيهم في أهمية أن تمارس الطالبة رياضة بدنية في مدرستها وخارجها، ويكون ذلك بحشمة، فالأمر ليس ترفاً إنما هو ضرورة توجبها قواعد المحافظة على الصحة العامة، والحمد لله أنه لا يوجد من ينعت هؤلاء الداعين لذلك بأي وصف سلبي كما تعرضت له في ذلك الزمن.

الموسوعة العربية العالمية

الموسوعة العربية العالمية إسهام مشهود من إسهامات صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله، وإحدى هداياه العلمية والثقافية للوطن وللأمة. والموسوعة مشروع عملاق غير مسبوق على الساحة العربية من حيث الأهداف والحجم والمضامين والمنهج، فهو أول عمل مرجعي معاصر، عام وشامل، من نوعه وحجمه باللغة العربية يُرجى أن يفيد طلاب التعليم العام والعالي والباحثين والدارسين. يقع العمل في ثلاثين مجلداً، و ١٧,٠٠٠ صفحة، ونحو ١٣ مليون كلمة. ويشتمل على نحو ٢٤,٠٠٠ عنوان رئيس و ١٥٠,٠٠٠ مادة بحثية، ونحو ٢٠,٠٠٠ صورة وخريطة وإيضاح وجدول تعليمي. وهو حقيقة ماثلة اليوم يستفيد منه أعداد كبيرة في المملكة والبلاد العربية وغيرها. وقد تم إنجازه وإصدار طبعته الورقية التأسيسية بتمويل ورعاية شخصية من سمو الأمير سلطان ابن عبدالعزيز أيده الله وبإسهامات نحو ١٠٠٠ باحث وعالم وفني ومستشار من المملكة العربية السعودية والبلاد العربية.

بدأ العمل في المشروع عام ١٤١٠هـ (١٩٩٠م)، وصدرت طبعته الورقية الأولى عام ١٤١٦هـ (١٩٩٦م)، والثانية عام ١٤١٩هـ (١٩٩٩م)، ونسخته الإلكترونية على الإنترنت مكتملة ومُحدثة www.mawsoah.net عام ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م). ولهذه العلامات من تاريخ هذا الإنجاز، وهو عمل جمعي مشترك بامتياز، قصص وتفصيل تُروى، وسأورد بإيجاز ما كنتُ جزءاً منه وشاهداً عليه.

كان لي شرف الإسهام مع المئات من الأساتذة الكرام في المشروع منذ البدايات. ففي أحد صباحات شتاء عام ١٤١٢هـ (١٩٩٢م)، هاتقني الدكتور أحمد بن مهدي بن محمد الشويخات بخصوص عرض أعده مكتبه، وكان المكتب يلتمس تقديم العرض لتمويل مشروع الموسوعة العربية العالمية، وعرضه الدكتور الشويخات على عدد من المؤسسات الثقافية والتجارية والأفراد القادرين دون أن يجد ممولاً، وكان قد أمضى عامين في دراسة المشروع ومكاتبة دور النشر الأجنبية والاتصال بالمحامين ودور نشر الموسوعات الكبرى في العالم. وكانت النتيجة: انتهاء مكتب الشويخات عام ١٤١٢هـ (١٩٩٢م) من إعداد دراسة متكاملة عن النواحي المتنوعة للمشروع وطريقة تنفيذه من حيث: خطة الترجمة،

والتحرير، والمراجعات اللغوية والعلمية، والإخراج الفني، والتكاليف. لقد كانت الدراسة جاهزة ومتكاملة من وجهة نظر المكتب، ومكتوبة في نحو ٥٠٠ صفحة مع ملخص لها. متضمناً أن المكتب هو الجهة الناشرة.

اطلعت على الدراسة، وفرحت بفكرة المشروع والتوجه العلمي لدى الدكتور أحمد الذي طلب مني رأيي في دراسة المشروع، والإسهام بالرأي في أعمال تنفيذ الطبعة الأولى مستشاراً. ومنذ تلك اللحظة في عام ١٤١٢هـ (١٩٩٢م)، أصبح هذا المشروع -ولا يزال- أحد همومي المعرفية وأنشغالاتي التعليمية والتربوية.

من حسن الطالع والمصادفة السارة، أني كنت -كما ذكرت سابقاً- مستشاراً للنسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية^٢، وكانت هذه الموسوعة بالضبط هي الموسوعة التي اختارها الدكتور أحمد الشويخات من بين كل الموسوعات العالمية وذلك بعد دراسة متأنية شاركه فيها خبراء كثيرون ومن ضمن الخطة أن يتم الاتفاق مع الموسوعة المذكورة مالياً وقانونياً لترجمة المواد العلمية منها بتصريف لمتناسب مع ثوابت الإسلام الحنيف وقيم المجتمعات العربية، دون تضيق في المصادقية والنزاهة والشمول.

(ينبغي الإشارة إلى أن التفكير انصب منذ البداية على أن الترجمة بتصريف هي فقط مصدر واحد من مصادر الموسوعة العربية العالمية فهناك آلاف المقالات الجديدة وآلاف التفتيحات والتصرفات والإضافات التحريرية المدروسة من مئات المصادر الأخرى للمعلومات كانت ستُكتب).

أول فكرة تبادرت إليَّ هي أخذ فكرة المشروع مباشرة إلى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله، وشرح المشروع وأهدافه وفوائده التعليمية والثقافية، والتماس أن يتكرم سموه بتبني المشروع ورعايته. وكانت سعادتني لا تحد حين دعاني سموه بعد أيام قليلة من عرضي وقال إنه استشار الكثيرين في الشأن الذي عرضته على سموه ومن ضمنهم أحد قادة الفكر والسياسة وهو صديق لسموه (لم يخبرني باسمه) فقال إن هذا مشروع عملاق جدير بالأمير سلطان أن يتبناه وأن يكون باسمه.

وقد رأى سموه تشكيل لجنة للنظر في الدراسة المقدمة من مكتب الشويخات للترجمة والاستشارات التربوية وبحث الموضوع مع الدكتور أحمد الشويخات وكنت ضمن أعضاء هذه اللجنة مع الفريق علي بن محمد الخليفة، والدكتور راشد المبارك والمستشار الدكتور مشعل بن عبد الله بن عبدالعزيز بن مساعد آل سعود، وسمو الأمير بندر بن مشاري الفرحان آل سعود، والمستشار إبراهيم بن عبد الكريم القويطي. وقد قامت اللجنة بالاجتماع مع الدكتور أحمد الشويخات ثلاث مرات للاستفسارات المهنية.

وفي ١٢ رمضان ١٤١٢هـ الموافق ١٧ مارس ١٩٩٢م، صدر قرار سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز بتبني المشروع وتمويله والبدء في إصدار الطبعة الورقية منه التي ظهرت إلى الناس عام ١٤١٦هـ (١٩٩٦م)، بعد نحو أربع سنوات من العمل المتواصل وستين قبلهما من الدراسات والإعداد.

ولقد تكرم سمو الأمير سلطان بتمويل الطبعة التأسيسية الأولى وتبني المشروع ورعايته شخصياً. ومنذ البداية، أصدر تعليمات كريمة بتشكيل مجلس إدارة لأعمال الطبعة التأسيسية الأولى برئاسته شخصياً وبعضوية ثمانية أشخاص هم، حسب صدور أسمائهم في المجلد الأول من الطبعة الأولى:

- راشد بن عبدالعزيز المبارك.
- محمد بن أحمد الرشيد.
- علي بن محمد الخليفة.
- عبد الله بن عبدالعزيز الرشيد.
- الأمير مشعل بن عبد الله بن عبدالعزيز بن مساعد آل سعود.
- الأمير بندر بن مشاري الفرحان آل سعود.
- محمد بن عبدالعزيز الشثري.
- إبراهيم بن عبد الكريم القويطي.

وفي الوقت نفسه، كنت على اتصال دائم مع مجلس إدارة دائرة المعارف العالمية بحكم علاقتي المهنية مستشاراً، وعلى اتصال دائم بمكتب الشويخات والدكتور أحمد، صاحب الفكرة والدراسة ومدير المشروع. وهكذا كنت منذ البداية مستشاراً للجهة الراعية والممولة (مكتب سمو الأمير سلطان)، ومستشاراً للناشر (مكتب الشويخات)، ومستشاراً للجهة الرئيسية يُزمع الاتفاق النهائي معها مصدراً رئيسياً للمواد العلمية (موسوعة دائرة المعارف العالمية النسخة الدولية).

كان جلُّ اهتمام الجانب العربي السعودي وعلى رأسهم صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز حفظه الله في هذا المسعى أن يُصار إلى اتفاق مهني واضح يقدم المصلحة العربية والإسلامية ويزيل من الموسوعة العربية العالمية في صورتها النهائية ما قد يكون تحيزاً أو إساءة للعرب والمسلمين أو الأديان السماوية أو ثقافات الأمم والشعوب. وكان اهتمام الجميع في الجانب العربي السعودي أن يُنجز هذا المشروع على أحسن وجه. وقد اقتضى هذا أن تُسند كتابة آلاف من المقالات العربية والإسلامية الجديدة مما لا يوجد في المعتاد بيطون الموسوعات الأجنبية العامة إلى أساتذة وعلماء عرب مشهود لهم بالكفاءة. وكذلك، أسندت مهمة الترجمة بتصرف والمواءمات والمراجعات العلمية المتخصصة والمراجعات الإسلامية والثقافية إلى المتخصصين من المشهود لهم بالكفاءة والنزاهة والخبرة.

كانت هذه النظرة العلمية الثقافية الصارمة ونشدان الحق والعدل والأخوة الإنسانية وتحرير الخطاب المعرفي من الهوى والغرض هي محور معادلات الجانب السعودي في اجتماعات شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية ممثلاً بكتابه عن الجهة الراعية الممولة، وبالدكتور أحمد الشويخات ممثلاً عن الجهة الناشرة وبحضور الأستاذ الدكتور محمد سليم العوا مستشاراً قانونياً، والأستاذ كمال الهلباوي خبير الترجمة ممثلين عن الجانب السعودي.

لقد سبقت هذه الاجتماعات مكاتبات لأشهر بين الناشر ودائرة المعارف العالمية، وجاءت هذه الاجتماعات تتويجاً للمباحثات. انعقدت الاجتماعات لأربعة أيام في شهر أغسطس عام ١٩٩٢م مع دائرة المعارف العالمية في شيكاغو ممثلة برئيس «وورلد بوك»

آنذاك السيد «جون فريير» وهيئة التحرير ممثلة بالسيد «ويليام ديك» وعدد من أعضاء مجلس إدارة الموسوعة. وهكذا، تم إبرام الاتفاق القانوني والمالي النهائي بنهاية تلك الاجتماعات في الشهر المذكور بين مكتب الشويخات للترجمة والاستشارات التربوية ناشراً ودائرة المعارف العالمية مصدراً رئيسياً من مصادر معلومات الموسوعة العربية العالمية. وتم بحمد الله توقيع الاتفاق بنهاية تلك الاجتماعات على أساس الثوابت الإسلامية والعربية.

بدأ العمل في الطبعة التأسيسية الأولى. وقد كان لديّ من الوقت آنذاك قبل مشاغل وزارة التربية والتعليم ما جعلني أتابع لأشهر بصفة شبه يومية مع الدكتور أحمد الشويخات، مدير المشروع ورئيس التحرير، سير العمل وتطوراتها في الميدان بمدينة الرياض. وقد اقترحت أن يقوم مكتب سمو الأمير سلطان بدعوة رئيس موسوعة «وورلد بوك» وممثلين عنها للتعرف على بعض مظاهر التقدم والنمو في الوطن وتعزيز الروابط المهنية بين الجانب السعودي وبينهم. وقد استجاب سموه الكريم لهذا الاقتراح، وتمت الزيارة عام ١٤١٣هـ (١٩٩٣م). وتشرفوا بالاجتماع بسمو الأمير سلطان الذي أكرمهم وترك في نفوسهم انطباعاً حسناً عن الخلق العربي الأصيل.

وحيث صدرت الطبعة الأولى في ٣٠ مجلداً عام ١٤١٦هـ (١٩٩٦م)، كنت قد عينت لتوي وزيراً للتربية والتعليم، ومن المؤيدين أن تبادر وزارة التربية والتعليم على الفور باقتناء عدد من نسخ الموسوعة للمدارس. ولم تسمح الميزانية باقتناء أكثر من (٤٠٠٠ نسخة) للمدارس المتوسطة والثانوية وبعد عام افتتحت الرئاسة العامة لتعليم البنات (٤٠٠٠) نسخة من الطبعة الأولى.

لقد وضع سمو الأمير سلطان أسس هذا المشروع برعايته الشخصية الكريمة له بطبعته التأسيسية الورقية الأولى عام (١٩٩٦م)، ثم أسند الإشراف على الطبعة الورقية الثانية لمؤسسة الأمير سلطان بن عبدالعزيز الخيرية (١٩٩٩م)، ثم وهب سموه كامل حقوق النشر للناسر وسمح له مع ممولين آخرين بتطوير المشروع وإصدار نسخة إلكترونية منه عام (٢٠٠٥م) تحت مظلة شركة أعمال الموسوعة للإنتاج الثقافي (الناسر الجديد بعد دخول ممولين آخرين في المشروع).

لقد تطور مشروع الموسوعة على مدى السنوات، ولا يزال يتطور بطبيعة الحال مع

التحديث والتنقيح المستمرين حتى صدور نسخته الإلكترونية على الإنترنت عام ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م). ويرى القائمون الحاليون على المشروع كما يرى المختصون وأرى معهم أن المشروع، الموثقة معلوماته، مشروع مستقبلي، قابل باستمرار للتحسين والتطوير وتصحيح ما قد يكون فيه من جوانب الخلل والتقصير - فالكمال لكتاب الله وحده - مع أهمية تنقيحه باستمرار، وهكذا هي حال الموسوعات العالمية الكبرى في العالم.

مهام عمقت فلسفة التربية في نفسي

وبعد هذه الأمور التي ذكرتها فإنني أرى الإيماء إلى أمور أخرى كان أثرها كبيراً في تعميق فلسفة التربية ووضوحها في نفسي وهي:

أ - عضويتي للمجلس التنفيذي في المجلس العالمي لإعداد المعلمين ومقرأمانته في واشنطن^{٣١}،

كانت مشاركتي في اجتماعات المجلس التنفيذي المتكررة بعد انتخابي لعضويته وفي اجتماع الجمعية العمومية السنوي فرصة سانحة للتعرف على أساتذة التربية من مختلف مناطق العالم، والوقوف على فكرهم ومسيرة التعليم في بلادهم إلى جانب زيارة بلاد عديدة لم يكن لي أن أزورها لولا هذه العضوية. وبالإضافة إلى ذلك فقد وفق الله لأن أجدب لهذا المجلس عدداً من الزملاء العرب ذوي الاختصاص، وبذلك كان لنا مجتمعين دور مؤثر؛ فقد كان من ضمن المحاضرين الرئيسيين في الاجتماعات السنوية وزراء تربية ومفكرون عرب كان لي شرف ترشيحهم. وهنا أكرر الدعوة إلى الانخراط في الجمعيات والمجالس المهنية الدولية لأنها وسيلة جيدة للتعريف بواقعنا وكسب الأصدقاء وخاصة في هذا الزمن الذي نحن فيه بأمرس الحاجة إلى أن يحسن الآخرون فهمنا، ويقدرنا قيمنا المنبثقة من ديننا الإسلامي، ويعرفوا الإمكانيات الهائلة التي تتوافر عندنا.

ب - رئاسة فريق تقويم التعليم في دولة قطر،

أسندت وزارة التربية والتعليم إلى اليونسكو تقويم التعليم في قطر فشكلت لجنة من الخبراء من دول عدة وجعلت رئاسة الفريق لي، ولقد كانت مهمة شاقة وشائقة في الوقت ذاته، ومن خلال العمل مع الفريق، حددت معايير الجودة بناءً على الغايات التي ينشدها المجتمع من التعليم، وبعد عمل متواصل لمدة عامين صدر تقرير الفريق وحددت فيه معالم الجودة ونقاط الضعف مع شرح واف لكل عنصر من عناصر التقرير تمت مناقشته وهنا لا بد من الإشارة إلى أن كل نظام تعليمي يحتاج إلى وقفة مراجعة وتقييم، مع إشراك المختصين من المواطنين في التقييم لأنهم بذلك يكسبون خبرة، وبهذا تستطيع كل دولة أن يكون من بين أبنائها من يحسن القيام بهذه المهمة.

ج - رئاسة مجلس إدارة مدارس الرياض،

حين بلغ أولادي سن الدراسة أبحثهم بالتوالي في مدارس الرياض الأهلية من مرحلة الروضة. ومدارس الرياض مدارس فريدة؛ فلا هي حكومية، ولا هي مملوكة لأحد، ومن يلحق أبناءها بها يكون عضواً في جمعيتها العمومية، وله الحق في أن يرشح نفسه لعضوية مجلس إدارتها. وقد أتيت لي أن أكون عضواً في مجلس الإدارة، وأن أكون كذلك رئيساً للمجلس. وقد وفق الله أن نعيد مع الزملاء صياغة لوائح المدارس، وأن نحدد أنماطاً حديثة في طرق التعليم، وأن نتعاون مع كلية التربية في جامعة الملك سعود (وكنت آنذاك عميداً للكلية) في إجراء دراسة تقويمية شاملة للمدارس خرجت في مجلد لازلت أعود إليه وأقتبس منه، وأذكر إدارة المدارس دوماً بالعودة إليه، لأنه -مع قدمه- يضم الكثير من التوصيات العملية التطويرية التي تستحق العناية.

ومن أهم ما أفدته من عضويتي لمجلس إدارة المدارس ورئاسته أن حظيت بالاقتراب من صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز بحكم أنه الرئيس الفخري للمدارس، والذي كان وراء كل ما حققته من إنجازات، وقد استمرت صلتني بسموه الكريم وتوطدت مع الأيام، وأنا بها فخور ومعتز، فقد وجدت في سموه نوعاً نادراً من الرجال: فهو واسع الثقافة، عميق النظر، غزير التجربة، ينفذ ببصيرته إلى بواطن الأمور، ويدراً بحكمته كثيراً من المحذور.

د - إسناد مهمة تأسيس مدارس الملك فيصل في مدينة الرياض،

قررت مؤسسة الملك فيصل الخيرية إنشاء مدارس باسم الملك الراحل فيصل ابن عبدالعزيز رحمه الله، واختاروني لأضع نظامها وطريقة العمل فيها واخترت للعمل معي الدكتور حمد بن محمد البعادي، وكان عملنا مع صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل رئيس المؤسسة، ومع صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل رئيس مجلس إدارة المدارس شائقاً، وكنا نعمل جادّين لافتتاح المدارس في موعد حدده سموهما، وصادف عملنا في زمن حرب تحرير دولة الكويت مما حتم علينا البقاء في مدينة الرياض مع أن بعضاً من السكان استثمر عطلة المدارس في أيام اشتعال الحرب فسافر خارج الرياض إلى نواحي المملكة، وقد كانت أفكارنا وما وضعناه من أسس محل تقدير من المؤسسة، وأصبحنا بعد قيام المدارس عضوين في مجلس إدارتها، ومما عزز الثقة بالنفس أن المدارس طبقت ما حددناه من أوصاف وما اقترحناه من نظم ولوائح ولا زالت تسير عليه، وهذا قد حقق لها نجاحاً أثبتته كثير من الأدلة ومنها تألق خريجها في دراساتهم الجامعية داخل المملكة وخارجها، وهي طريقة تحمد للمؤسسة إذ وضعت منهجاً واضحاً وخطة مفصلة مكنت الإدارة من السير عليها.

عضوية مجلس الشورى

كانت مفاجأة لي أن يتم اختياري عضواً في مجلس الشورى عام ١٤١٤هـ ضمن ستين رجلاً من رجال المملكة الأكفاء وذلك بعد إعادة تشكيله. وقد شعرت بأنه تشريف لي، ورحبت بهذه الفرصة الذهبية التي أُتيحت لي أشد الترحيب، وشكرت للقيادة حسن ظنها بي، وقد بادرت حينها بطلب الإذن لي أن ألقى خطاباً في أول جلسة للمجلس، وكانت الكلمة الوحيدة التي تُلقي، شرحت فيها رؤأي للمجلس وما ينبغي أن يكون عليه، وكان مما قلته:

جهدنا كله -في تصوري- يجب أن يتوجه إلى إنجاح الفكرة التي منها قام هذا المجلس لخدمة البلاد، وقد أسس نظام المجلس على النصين القرآنيين الكريمين: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر. فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين)^{٢٢}، وقوله تعالى: (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم، ومما رزقناهم ينفقون)^{٢٣}.

فالشورى من صفات الجماعة المؤمنة التي لم يتخل عنها مجتمعنا أبداً -بحمد الله- حتى في مستوى الأسرة والعشيرة والقبيلة، وها هي بإرادة خادم الحرمين الشريفين تعود إلينا مفهوماً سياسياً محدداً في إنشاء هذا المجلس.

والعزم المذكور في الآية الكريمة الأولى هو «الأمر المرؤى المنقح» ولا يروى الأمر وينقحه مثل العقول الراجحة التي يتميز أصحابها بالإخلاص للحق والثبات عليه، يهدون ثمراتها الناضجة إلى أولي الأمر منهم ليكون عزمهم على بينة وبصيرة، وتوكلهم على الله وحده مسدداً بحسن الاختيار ودقة التمحيص.

وبقدر ما نوجه جهدنا كله إلى تحقيق هذا الهدف السامي النبيل يكون هذا المجلس قد نجح في أداء دوره، وأثبت فعاليته، وقدم قدوة صالحة للأجيال الناشئة من أبناء هذه الأمة، وهذا بدوره يهيئ أفضل الظروف الداعية إلى تطوير مهمة المجلس، وتوسيع نطاق اختصاصه والارتقاء بمستوى مسؤولياته.

٢٢ سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

٢٣ سورة الشورى، آية: ٣٨.

وسوف نستمع -كلنا- في مناقشات هذا المجلس إلى أشياء نرضاها، وأخرى لا نقرها، ولكل منا تقاليد ربي عليها ومناهج ارتضاها لنفسه ولتعامله مع الرأي الذي لا يقره، ومن المحال توحيد فكر الناس كافة واجتماعهم على مقولة واحدة، فليكن اهتدأونا في هذا الخصوص بقول الإمام الجليل محمد بن إدريس الشافعي «رأي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري -عندي- خطأ يحتمل الصواب».

فإذا ظهر الحق واتبعته الأغلبية فلنحذر أن نجادل في الحق بعدما تبين، فإنها خصلة ذم لا تليق بدوي الحجى ولا تتفق وصريح المروءة، وليكن الرأي الذي صدر عن المجلس هو رأي المجلس كله ما دام كل صاحب رأي قد أعطي حقه في إبدائه ومحاولة الإقناع به.

ولنقتنع بأن أي أمر نراه لن يكون هو «غاية المنتهى» ولكنه دائماً عرضة للعدول عنه ولا يتبع ما ظهر أنه خير، ولنا أسوة في قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي موسى: ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس ثم راجعت فيه رأيك وهديت فيه لرشك من مراجعة الحق، فإن الحق قديم والرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل.. ولنا في فعل الإمامين أبي حنيفة وابن حنبل قدوة فلكل منهما آراء عديدة في المسألة الواحدة بحسب ما ظهر من الدليل كل مرة... فلنعرف الحق بدليله ثم نتفق على اتباعه، وليكن هذا هو فهم مجلسنا في صغير الأمور وكبيرها إن شاء الله.

ونحن في هذا المجلس نخدم وطننا كله، ولا يجوز لأي منا أن يؤثر بنظره أو برأيه أو باهتمامه جماعة أو قبيلة أو منطقة من جماعات هذا الوطن وقبائله وأنحائه. والنظر للأمور التي تعرض على هذا المجلس والمناقشة فيه يجب أن تتسم كلها بالانطلاق من المنظور الجمعي الكلي وليس من المنظور الجزئي على أي نحو كان.. والتحيز في هذا المجلس هو لخدمة هذا الكيان الذي نستظل بظله ونحتمي بحماه وهو للمصلحة العامة دون سواها.. والتعصب هو للحق الثابت وحده، وإذا كانت الدولة حرسها الله بنص النظام الأساسي للحكم تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فإن هذا المجلس أحد العيون الواعية اليقظة المبصرة التي تبين المعروف وتحض على الأمر به، وتشير إلى المنكر وتنبه إلى خطورته وضروره الإلحاح في توقي وقوعه، ورفعها إذا كان بالفعل قد وقع.

ولذلك فإن المجلس لا يجوز أن يضيق صدره عن الإشادة بالصواب الذي تصنعه

مؤسسات هذه الدولة وهيئاتها كافة، بل ينبغي أن نشد على يد المحسنين من القائمين بالعمل فيها، وأن نقوي عزمهم بما يدعوهم إلى الاستمرار على تحري الصواب وإلى تطوير أساليب الوصول إليه، وهذا من صميم الأمر بالمعروف.

وحين نرى أمراً نعدده خطأ غير محقق للصالح العام فإن المجلس لا يجوز أن يتردد في إسماع صوته إلى المسؤولين عنه، وإلى أولي الأمر، حتى يتمكنوا من منع تكراره، ويحولوا بين أصحابه وبين الإساءة إلى التجربة العظيمة التي تعيشها هذه البلاد بفضل الله ونعمته ثم بعزيمة ولي الأمر خادم الحرمين الشريفين وولي عهده وصواب فكرهما وسداد رأيهما وإخلاصهما.. وهذا من صميم النهي عن المنكر، لكنه لا يكتمل إلا باقتراح البدائل الصحيحة للأساليب أو الممارسات أو الأوضاع الخاطئة لأن الانتقاد وحده لا يصح الوضع المطلوب تصحيحه، وإظهار النقص لا يقود إلى الكمال إلا إذا اقترن بإشارة هادية تعين على الوصول إليه.

وبقدر ما نكون عدولاً في الثناء والإطراء فلا نغلو ولا نزايد. وبقدر ما نكون عدولاً في التنبية إلى الخطأ إن وجد فلا نفرط في حق الأمة علينا بالإغضاء عنه فنكون قد تحملنا مسؤوليتنا وأمسينا وأصبحنا عند حسن ظن الذين منحونا الثقة الغالية، وكما أن صوابنا واقع، فإن الخطأ - من كل أحد - غير مستبعد إذ لا عصمة لإنسان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والعقل والحكمة يقتضيان أن لا يضيق العقلاء والحكماء بانتقاد أخطائهم، بل إنهم بذلك يسعدون ولذلك قال قائلهم «رحم الله امرءاً أهدي إلي عيوبه».

لقد شرفت بزملاء في منتهى الفضل في علمهم وخلقهم، وكان على رأس من عملت معهم وتعلمت منهم معالي الشيخ محمد بن جبير رحمه الله، فهو من الشخصيات الفذة، عالم جليل عاقل محنك مجرب، كانت تربطني به علاقة قبل أن أكون تحت رئاسته عضواً في المجلس.. كان عند الشيخ ابن جبير بعد نظر قد لا يتوفر عند كثير من الناس، كان مشفقاً على هذه التجربة وحريصاً عليها ألا تخفق، ويرى أنها تجربة لا بد أن تتم بالتدرج.. وكان يتعامل معنا، نحن الأعضاء بكل رقة ويُشعر كل واحد منا أنه هو الأقرب إليه.

طيلة عضويتي في المجلس كنت في لجنة «التعليم والثقافة والإعلام»، هكذا كان اسمها في ذلك الوقت. والمجلس بحق مدرسة متقدمة، فالأوقات التي نقضيها فيه - بجانب

إمتاعها- كانت مفيدة وبعيدة عن الضغوط التي تواجه من هم في الوظائف التنفيذية ولقد بادرت بعدد من المقترحات التي تبناها معي زملاء في المجلس ورفعت لمقام خادم الحرمين الشريفين كما ينص على ذلك نظام المجلس ومن أبرزها اقتراح بإنشاء «وزارة للثقافة والتراث الوطني» وآخر بتكوين «فريق لتقويم التعليم بكل مراحل» تكشف نقاط الجودة فيه، ونقاط الضعف واقتراحاً بالتطوير المنشود. ولقد تم -بحمد الله- الأخذ بكثير من اقتراحاتي في مراحل زمنية لاحقة.

وإني أعتز بالصدقات التي كسبتها مع أعضاء مجلس الشورى كلهم دون استثناء، وهم محل تقديري ومازلت على اتصال بمعظمهم؛ ومن كثير منهم تعلمت أشياء أفادتنني في حياتي العملية بعد ذلك، وما زلت أشاور بعضهم في كثير من الأمور المهمة التي تواجهني.

عضوية المجلس التنفيذي لليونسكو وترشيح سعودي لمنصب مدير عام المنظمة

تمثل المنظمات الدولية والعالمية في عصرنا الحاضر أحد أهم أدوات التعاون الدولي والإقليمي، وفي الأيام الأولى لتشرفي بالعمل وزيراً للمعارف كانت الموافقة السامية قد صدرت على أن تتقدم المملكة العربية السعودية للترشيح لعضوية المجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو، وهي من أهم وأكبر المنظمات الدولية، وتعدى بمجالات مهمة جداً وهي التربية والثقافة والعلوم والاتصال.

كنت أدرك أن التقدم للترشيح لعضوية المجلس التنفيذي لليونسكو فكرة ممتازة تتيح لبلادنا الإسهام في تخطيط وتنفيذ برامج هذه المنظمة بشكل يساعد على تعزيز استفادة بلادنا وعالمنا العربي والإسلامي من عضويتها في المنظمة. كما كنت أدرك في الوقت نفسه، أن التقدم للترشيح لعضوية المجلس التنفيذي سهل. لكن الفوز في المقعد ليس

إجراءً روتينياً سهلاً، بل يحتاج إلى الكثير من التخطيط والجهد مع الدول الأعضاء في اليونسكو حتى يمكن الفوز بالمقعد خلال الانتخابات التي تجري في المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو. وملامح الصعوبة التي أشعر بها كانت واضحة في تقدم العدد الكبير من الدول الأعضاء في المنظمة الذين تقدموا للترشيح في عضوية المجلس الذي يتشكل من ٥٦ دولة فقط من مجموع الدول الأعضاء في المنظمة، وكانوا في ذلك الوقت قرابة ١٩٠ دولة.

تم وضع خطة للترشيح لعضوية المجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو بالتنسيق مع وزارة الخارجية التي عملت مشكورة بتوجيه من صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية، وقد تضمنت هذه الخطة مخاطبة سفارات المملكة العربية السعودية حول العالم، وتوزيع سيرتي الذاتية بحكم تسميتي مرشحاً لتمثيل المملكة العربية السعودية في عضوية المجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو.

ومع المنافسة الشديدة التي صاحبت الانتخابات لعضوية المجلس التنفيذي لليونسكو والتي تمت ضمن أعمال الدورة الثامنة والعشرين للمؤتمر العام للمنظمة الذي عقد في باريس خلال شهر نوفمبر من عام ١٩٩٥ م، مع هذه المنافسة فقد تم اختيار مرشح المملكة العربية السعودية عضواً في المجلس التنفيذي لليونسكو بنسبة عالية من الأصوات تجاوزت ١٥٠ صوتاً من مجموع أصوات الدول الأعضاء في المنظمة وعددها ١٩٠ دولة كما أشرنا.

وقد استمعت إلى توجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله عندما أبلغته هاتفياً من باريس بفوز المملكة بمقعد في المجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو، وكان رحمه الله يدرك بنظره الثاقب أهمية هذه المنظمة وأهمية استثمار عضوية المملكة فيها بما يخدم بلادنا أولاً وكافة الدول الشقيقة في وطننا العربي والعالم الإسلامي.

وعندما بدأت المشاركة في أعمال المجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو ابتداء من الدورة (١٤٩) التي عقدت خلال المدة ٢٢ أبريل - ٣ مايو ١٩٩٦ م في باريس كنت أشعر بمسؤولية كبيرة تتطلب جهداً مضاعفاً يهدف إلى تعزيز استفادة المملكة العربية السعودية والدول العربية والإسلامية، من خلال هذه المنظمة الدولية المهمة، سواء في ذلك الاستفادة المباشرة من خلال استثمار خبرة هذه المنظمة في مجالات التنمية المختلفة

داخل المملكة والبلدان الشقيقة، أو الاستفادة غير المباشرة من خلال توجيه برامج المنظمة ومشروعاتها لما يخدم الفكر التربوي الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية.

وكان من بين أهم الموضوعات التي عنيت بها زيادة مساهمة الكفاءات السعودية في نشاط اليونسكو من خلال توظيف عدد من أصحاب هذه الكفاءات في مواقع قيادية في أجهزة المنظمة، فقد لمست أن حصة المملكة في وظائف اليونسكو متدنية أو معدومة تقريباً، فلم يكن سوى موظف واحد انتهت خدمته في اليونسكو بسبب وفاته رحمه الله وهو في مهمة رسمية للمنظمة في باكستان، ثم التحقت موظفة أخرى بالمنظمة.

كنت حريصاً على أن يكون للكفاءات السعودية مواقع قيادية وليست ثانوية حتى يمكن لهم التأثير في مجالات عمل اليونسكو، بل كنت طموحاً لأن تتسلم كفاءات سعودية أعلى منصب في المنظمة، وكان مدير عام اليونسكو آنذاك السيد «فريد ريكومايور» في نهاية مدة ولايته الثانية في إدارة المنظمة، وتساءلت: لماذا لا يرشح سعودي ليكون مديراً عاماً لليونسكو؟ أليست المملكة من الدول المؤسسة للمنظمة منذ إنشائها عام ١٩٤٥م؟ لم لا والمملكة تحظى بعلاقات مميزة مع دول العالم ولديها كفاءات مؤهلة وقادرة على تسليم إدارة هذه المنظمة بكل كفاءة واقتدار.

وكنت خلال مشاركتي في دورة المجلس التنفيذي لليونسكو التي عقدت في باريس خلال المدة ١٩ أكتوبر-٥ نوفمبر ١٩٩٨م قد أطلعت على دعوة سترسل للدول الأعضاء للترشيح لمنصب المدير العام للمنظمة الذي سيجري التصديق عليه خلال المؤتمر العام للمنظمة في عام ١٩٩٩م، وفي أثناء وجبة غداء كنت أتناولها مع أحد الزملاء في أحد مطاعم باريس استعرضت مع الزميل عدداً من أسماء الكفاءات السعودية التي يمكن أن تتقدم بها المملكة للترشيح لمنصب المدير العام لمنظمة اليونسكو، وكان معالي الأخ العزيز الدكتور غازي بن عبد الرحمن القصيبي سفير خادم الحرمين الشريفين في لندن آنذاك هو الشخص الذي شمرت بأنه المؤهل، ولم أترك الفرصة تطير من ذهني فتناولت جهاز الهاتف وحدثت الدكتور غازي حول الفكرة، وقد استمع إليها فكانت مفاجأة، فلم يكن ذا علاقة كبيرة بهذه المنظمة، وعندما حدثته بما سمح به الوقت خلال تلك المكالمات الهاتفية طلب مني المزيد من المعلومات والوثائق ليتمكن من دراسة الموضوع ثم تزويدي برأيه لاحقاً.

طلبت من مكتب الوفد الدائم للمنظمة لدى اليونسكو في باريس تزويد الدكتور غازي بما يساعده على التعرف على المنظمة، ولم تطل مدة انتظاري فقد أبدى معاليه موافقته المبدئية على ذلك على أن تتم بلورة الفكرة وصدور توجيه المقام السامي حول الترشيح. فكتبت لصاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية حول الموضوع، ووجدت منه تعضيداً لتقدم المملكة للترشيح لهذه المهمة، ولم يكن ذلك إلا لحرص سموه على إسهام الكفاءات السعودية في مجالات منظمات العمل الدولي لما لذلك من مردود إيجابي في المحيط الدولي.

وقد تفضل سمو وزير الخارجية بعد موافقة المقام السامي ووجه قطاعات وزارة الخارجية بإكمال الإجراءات اللازمة للترشيح داخل المملكة وخارجها، وشكل سموه لجنة برئاسة صاحب السمو الدكتور تركي بن محمد بن سعود الكبير وكيل وزارة الخارجية المساعد للشؤون السياسية ورئيس الإدارة العامة للمنظمات الدولية بوزارة الخارجية بغرض وضع خطة وبرنامج عمل للترشيح وحشد الدعم والتأييد من الدول الأعضاء في اليونسكو.

وقد سعدت بالعمل المهني الرفيع الذي قامت به وزارة الخارجية لتعضيد مرشح المملكة من خلال برنامج عمل تضمن استثمار علاقات المملكة العربية السعودية المتميزة مع دول العالم.

كان من المهم الحصول على مساندة المنظمات الإقليمية لأنها تمثل وجهة نظر الدول الأعضاء فيها، ولذا فقد تم التنسيق مع مجلس التعاون لدول الخليج العربية لتبني ترشيح الدكتور غازي القصيبي مرشحاً لدول الخليج العربية، وعملت خلال مشاركتي في أعمال المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والذي انعقد في طرابلس (ليبيا) خلال شهر سبتمبر ١٩٩٨م وشارك فيه وزراء التربية والتعليم في الدول العربية على إصدار قرار من هذا المؤتمر باعتماد الدكتور غازي القصيبي (مرشحاً عربياً، باعتباره شخصية عربية مرموقة ويتميز بكفاءته وقدراته العالية)، ولم يكن الأمر سهلاً فقد كان أحد المرشحين لهذا المنصب الدكتور إسماعيل سراج الدين ويحمل الجنسية المصرية، وكان وزير التعليم العالي والبحث العلمي الدكتور مفيد شهاب يرأس المؤتمر العام الذي كنا

نشارك فيه في طرابلس-ليبيا، ولكن الله سبحانه وتعالى وفق وحصلت على قرار بالإجماع من المؤتمر العام لوزراء التربية والتعليم في الدول العربية بأن الدكتور غازي القصيبي هو المرشح العربي الوحيد لمنصب المدير العام لمنظمة اليونسكو.

كنت أكثر المتبنين لمنهج اختيار المرشح لمنصب مدير عام اليونسكو من قبل المجلس التنفيذي بأن يعطي كل متقدم ساعة كاملة؛ نصفها يعرض فيه برنامجه في حالة فوزه والنصف الآخر يجيب فيه عن أسئلة المجموعات المتمثلة في المجلس التنفيذي بحيث توجه كل مجموعة سؤالاً واحداً يجيب عليه المرشح وللحقيقة فإن المرشح السعودي قد بهر الجميع بسرعة بديهته وعمق ثقافته وقدرته على الحديث باللغة الإنجليزية.

ولاشك أن الأعضاء في المجلس التنفيذي أدركوا هذه الحقيقة وحدثني كل عضو منهم عن انطباعه الإيجابي إلا أن العرف السياسي يأخذ في الحسبان مصالح الدول مجردة.

كانت تجربة الانتخابات في أثناء الدورة (١٥٧) للمجلس التنفيذي لليونسكو التي عقدت في باريس خلال شهر أكتوبر من عام ١٩٩٩م تجربة مثيرة فقد كان التنافس كبيراً بين (١١) مرشحاً من مختلف مناطق العالم أبرزهم المرشح الياباني والسعودي والاسترالي، بالإضافة إلى مرشحين آخرين، وقد حصل الدكتور القصيبي على المركز الثاني بعد المرشح الياباني السيد كويشيرو ماتسورا.

كنت أول المتحدثين أمام أعضاء المجلس التنفيذي في ختام جلسة الانتخابات هنأت فيها المرشح الياباني، وطلبت منه أن تكون المملكة هي أول دولة عضو يزورها بعد تسلمه لمنصبه، وأكدت على أن منافسة مرشح المملكة له لن تؤثر في مساندة المملكة العربية السعودية لهذه المنظمة الدولية المهمة. كما كنت سعيداً جداً بموقف أخي الدكتور غازي القصيبي الذي تقدم للفائز بالمنصب وهناك على ترشيح المجلس التنفيذي له، كما وجه خطاباً جميلاً شكر فيه بلاده المملكة العربية السعودية التي رشحته، كما شكر كل الدول والأفراد الذين ساندوا ترشيحه، وأكد أن المملكة العربية السعودية سوف تستمر، داخل اليونسكو وخارجها، في سعيها لتحقيق مبادئ المنظمة التي تهدف إلى خير البشرية جمعاء.

والحقيقة التي أعتز بها، أنه رغم عدم الفوز بمنصب المدير العام لمنظمة اليونسكو، فقد كسبت المملكة العربية السعودية الكثير في ترشيحها لأحد الكفاءات السعودية لهذا المنصب الدولي، ويبدو ذلك في معرفة العالم أجمع خلال أشهر الانتخابات بالكثير من المعلومات عن بلادنا العزيزة، وأن التنمية البشرية التي خطت لها قد آتت ثمارها، وما المرشح السعودي إلا نموذج لمخرجات هذه التنمية البشرية، كما أكد الترشيح لمنصب المدير العام لمنظمة اليونسكو قدرة المملكة العربية السعودية على المساهمة في العمل الدولي والتأثير فيه.

ثم عرض ترشيح المجلس التنفيذي على المؤتمر العام لليونسكو في نهاية عام ١٩٩٩م وقد كانت الموافقة عملاً إجرائياً متوقفاً فلم يحدث أن رشح المجلس التنفيذي شخصاً ولم يوافق عليه المؤتمر العام.

ولقد تحقق ما طلبته فقد زار المدير العام الجديد لليونسكو السيد ماتسورا المملكة واستقبله خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز حينما كان ولياً للعهد وأكرمه واصطحبه معه إلى مخيمه الربيعي خارج مدينة الرياض وقد قابلته مراراً بعد ذلك وكان يبدي لي سروره وإعجابه بالزيارة الأولى له خارج مقر المنظمة.

وزيراً للمعارف (التربية والتعليم حالياً)

١٤١٦ - ١٤٢٥هـ / ١٩٩٥ - ٢٠٠٥م

الأيام الأولى في الوزارة

تتضمن الأوامر والمراسيم الملكية التي صدرت بشأن نظام الحكم ونظام مجلس الوزراء ونظام المناطق أن تشكيل مجلس الوزراء الذي كان قائماً حين صدور تلك الأنظمة، ينتهي في أول شهر ربيع الأول من عام ١٤١٦هـ ولذا فإن الحديث عن التشكيل الجديد لمجلس الوزراء بدأ مع أول العام الهجري ١٤١٦هـ وكثرت التوقعات والإشاعات.

وفي أحد الأيام من الأسبوع الأخير من شهر صفر ١٤١٦هـ هاتفني الأستاذ عبدالرحمن العمار رحمه الله (مدير عام مكتب نائب رئيس الحرس الوطني المساعد) وقال: إن معالي الشيخ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري قد سافر اليوم خارج المملكة لقضاء إجازته الصيفية وترك لك معي رسالة مكتوبة أرغب في تسليمها إليك، فذهبت إلى المكان المحدد للقاء، وناولني الرسالة الآتي نصها:

التاريخ ٢٥ / ٢ / ١٤١٦ هـ

سلمه الله

«إلى الابن العزيز محمد الأحمد الرشيد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. ويعد:

لا أعرف أبارك لك وأتفاءل لك بمستقبل مع المسؤولية التاريخية في هذا البلد العزيز، أم أخاف عليك لا قدر الله من العثرات؟ إلا أنني سأهنئك في الأولى متفائلاً لك، ومشفقاً عليك في الثانية.

ومن أجل هذا الإشفاق سأبدي لك بعض ملاحظاتي التي أتصور أنها تناسب مستقبلك وهو مستقبل مع الحساد ومع النقاد ومع التساؤلات عن ماذا حققت؟ وكيف أنت؟

بالأمس كنت تتحرك في حدود ضيقة لا تملك غير الأمان والأحلام التي تشغل بالك تجاه خدمة بلدك، واليوم خرجت من هذه الحدود الضيقة إلى سعة المسؤولية التي من خلالها ستجابه فئات كثيرة من أرباب الثقافات والمعرفة وتجابه أيضاً مسؤوليتك، لم تعد ذلك الإنسان الذي لا تلاحقه العيون وترصد تحركاته في مسؤوليته أو في الشارع العام مع الناس.

لذلك أحدد في هذه الرسالة ملامح لبعض الملاحظات آمل أن أكون بها قد أعطيتك شيئاً من خبرتي:

١. ادخل عملك متواضعاً، أحكم تصرفاتك داخل الوزارة بانضباط لا يظن عليه انفعال يكون له ردود فعل في نفس زميل لك في الوزارة. أشعر مسؤوليك أنه لا تمايز بينك وبينهم، وأن وجودك معهم غاية ووسيلته الخدمة العامة وتنشيط هذه الأهداف.

٢. لا تسرع ولا تتعجل في التنقلات وفي تغيير المناهج إلا بعد تبصر ودراسة وتحديد مواطن الضعف فيها، ثم بعد ذلك احمل أفكارك إلى الجهات العليا بواسطة سمو الأمير سلطان أو من ترى وخذ الرأي والأمر بما تراه الجهات العليا.

٣. حاول أن يكون وقتك محدداً فيه حركتك، لا تتوسع في علاقاتك أكثر مما يفيد هذه العلاقات.

٤. لاحظ أن كل كلمة محسوبة عليك، تحفظ كثيراً، وإذا فعلت شيئاً جيداً لا تقل فعلت
وغيرت وسويت، أنكر ذاتك تسلم من مضاعفة الحساد.
٥. أنت إلى حد الآن مجهول الهوية عند كثير من الناس سواء في الداخل أو في الخارج.
٦. أنت الآن تضع خطواتك على أول الطريق وهو طريق شاق، نجاحك في قدرتك على
وضع خطاك مع المسؤولية بقدر من الاتزان والوقار والتواضع.

أرجو أن تقطع طريقك الطويل بجهدك وبصيرتك وأن لا يلحق بك في هذا الطريق
سبب من الأسباب فيقول لك قف، لا أقول لك هذا من خيالي بل من تجربتي الخاصة
فمن يوم وضعت قدمي على طريق مسؤولية صغيرة في المجمعمة والآخرين يضعون
العثرات من أمامي وخلفي وعن يميني وعن يساري وكلما شعرت بذلك ازدادت صلابتي
واشدد عودي وحسبت لكل خطوة حسابها خوفاً من السقوط وأنا في أول الطريق فأموت
موتاً أبدياً وإن كنت أقطع سلك بلدي ليل نهار وبعد أن انتقلت إلى الحرس الوطني هل
انتهى كل شيء، أبداً.

الطبيعة البشرية واحدة سواء كانت في القرية مع عمل صغير أو في المدينة مع
عمل كبير. تضاعف الحسد علي والكيد والفساد والافتراء والظلم إلى حد أن أقرب الناس
إلي صار يتابع التقارير ضدي، قصة طويلة ولكن (وما في الدنيا أشجع من بريء).

لي في الخدمة الآن يا محمد ثلاثة وستون عاماً، ليتني استرحت يوماً واحداً من
الحسد!! وقبلي قال أبو الطيب المتنبي لسيدته:

أزل حسد الحساد عني بكتبهم فأنت الذي صيرتهم لي حسداً

عملك الجديد سيصير لك حسداً، أقلل من الكلام، كن محافظاً تسمع ولا تحكي.
هذه الرسالة لا تعني أنك قليل الخبرة إن شاء الله، الخوف عليك هنا قد يكون عاطفياً
ربما يفيدك.

٧. أمني أن تدخل مع نفسك وسلوكك في كل شيء من العلاقات إلى شربة الماء وما ترى
أنه غير مناسب لوضعك ابتره ولو أوجعك.

هذه الإشارة أرجو أن تقف عندها وقفة تأمل، وفي الختام أرجو لك من الله التوفيق والعون والسداد إنه سميع مجيب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^١.

كم هي جميلة هذه الرسالة. قرأتها مرات ثم وضعتها في ملف الرسائل العزيزة على نفسي والتي أحتفظ بها، وبعد مرور الأيام وتوالي المكائد والدسائس أدركت مدى صحة توقعات أستاذي، وأن التجربة التي مر بها يمر بها كل من هيأ الله له تيوماً مكانة في مجتمعه.

عجيب أمر بعض الناس الذين لا يرون جميلاً، ولا يسرهم النجاح، ولا يحرصون على الوقوف على الحقيقة. كانت الرسالة -وستظل- نبراساً، أتذكر ما جاء فيها حين يمر بي وقت عصيب أشعر فيه بالضميم نتيجة التجني. ويذكرني الكثير من إخواني دائماً بالمثل القائل: «إن الشجرة المثمرة هي التي يقذفها الناس بالحجارة»، وأصبحت أردد ما كتبه الوالد عبد العزيز التويجري في رسالته لي: «وما في الدنيا أشجع من بريء».

وما هي إلا أيام فلائل حتى هاتفتني معالي الأستاذ إبراهيم العنقري مستشار خادم الحرمين الشريفين آنذاك، وطلب إليّ زيارته في مكتبه في جدة، وحين قابلته في الموعد المحدد أبلغني رسالة الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله، وفيها يعبر عن ثقته في شخصي، وأنه تقرر إسناد وزارة المعارف إليّ؛ فشكرت للمليك الجليل ثقته، وأفدته بالموافقة. ثم صدرت الأوامر الملكية بتشكيل مجلس الوزراء بتاريخ ١٤١٦/٢/٦ هـ الموافق ١٩٩٥/٨/٢ م.

لم أتخيل أن تكون أعداد المهنيين والمباركين بهذا الكم ١٩ لقد انشغلت هواتفي، وضاق

١ كان والدي صديقاً حميماً للشيخ حمد بن عبد المحسن التويجري -رحمهما الله-. وقد امتدت صداقة والدي إلى أخيه الشيخ عبدالعزيز. خالطت العم عبدالعزيز منذ الصغر واستمرت علاقتي الوثيقة به، وكان -ولا يزال- كريماً مضيافاً، وفي مجالسه تعرفت على أناس أفاضل ورواد في مجال الثقافة والعلم والسياسة من المملكة وخارجها، وكنت أعرف مدى إعزاز والدي له مع أن والدي كان قاسياً عليه في بعض الأحيان نتيجة محبته له كما ذكر الشيخ عبدالعزيز في كتابه «ركب أدلج في ليل طال صباحه»، وكانت منزلة الشيخ عبد العزيز عندي امتداداً لصداقة والدي له وبسبب وجاهته وثقافته، وسعة أفقه، وبالقدر الذي أعزه وأجله، أدرك مكانتي في نفسه وهو يخصني بعواطف نبيلة ويشمرني بأني في مكانة أبنائه من صلبه. ولا أعرف في بلدي وقتها أحداً أكثر ثقافة وتأثيراً منه، ومن مزاياه التي رفعت قدره عندي وبين الناس «معرفة أقدار الرجال». تعلمت منه الكثير، وهو بحق من أميز رجال بلادنا حصافة ومرؤة فجزاه الله خيراً على ما قدمه مخلصاً لهذا الوطن.

منزلي طيلة الأيام الخمسة التالية لذلك التعيين بالإخوان والأصدقاء والمعارف وغيرهم، ووصلتني مئات الرسائل المكتوبة من أناس أعرفهم، وأناس لا أعرفهم. وهكذا الحال بالنسبة للزوار في المكتب في الأسابيع الأولى مما أجهدي كثيراً.

كان علي أن أضع خطة لعملي وأن أحدد أسلوبه والنتيجة هي تأكيد اقتناعي الذي لا يتزعزع بأن التربية الجيدة هي العامل الرئيس المحقق للتنمية. وأن التربية الجيدة تعتمد على المعلم المربي الجيد، وبالتالي فإن التركيز على المعلم: انتقاء وإعداداً وتدريباً ينبغي أن يكون الهم الأول لوزارة المعارف، وأن العوامل الأخرى -مع أهميتها- لا تصل إلى أهمية المعلم؛ لأنه مهما كانت البيئة المدرسية -من مبنى وتجهيزات- جيدة، ومهما كانت المناهج متطورة فإذا لم يكن هناك معلم قادر على «فدح شرارة الشوق في نفس المتعلم لأن يتعلم» فلا جدوى منها جميعاً. وحددتُ الشعار الذي شاع فيما بعد، وكتب بخط عريض على الجدران ولوحات الإعلانات في معظم المدارس:

وراء كل أمة عظيمة تربية عظيمة

وجوهر كل تربية عظيمة معلمون ومربون عظماء، منتجون، مخلصون، صادقون، عالمون.

حين تسلمت العمل ازداد إدراكي لمدى انتشار المدارس، وأن التعليم العام قد تهيأ لكل من هم في سن التعليم في أي بقعة من أرض الوطن، ومع ذلك فإن مسيرة التعليم يقابلها الكثير من المشكلات، وفي طليعتها نقص الكفاية عند بعض المعلمين والمديرين والحاجة إلى تطوير البرامج والمناهج، إضافة إلى قلة المباني المدرسية الحكومية، فمعظم المدارس في مساكن مستأجرة من المواطنين وتصميمها للسكن وليس تصميماً مدرسياً.

وقد عقدت اجتماعاً موسعاً في أول أسبوع من بدء عملي شارك فيه كبار المسؤولين في الجهاز المركزي، ومن تيسر له الحضور من مديري التعليم في المناطق والمحافظات. وفي ذلك الاجتماع حددت المعالم الآتية أسلوبياً لعملية:

١. إننا نحن العاملين في ميدان التربية والتعليم أصحاب رسالة لا سبيل للقيام بمهمتنا إلا حين نعمل جميعاً بروح الفريق، لذا فإنه لا يصدر قرار استراتيجي إلا بعد أن تتم

١. دراسته وتلقيحه من قبل القياديين، وأعني بهم في المقام الأول: الزملاء التربويين في الميدان، فهم على اتصال مباشر مع المعلمين والمتعلمين.
٢. ليس بالإمكان تحقيق طموحاتنا في التطوير إلا بسلامة صدورنا، ووضوحنا، وحسن ظن كل واحد منا بالآخر مع تكامل جهودنا والتنسيق فيما بين قطاعات الوزارة.
٣. إن دور الجهاز المركزي (الوزارة) يقتصر على التخطيط المبني على ما يرد من الميدان من مقترحات تطويرية، والتنفيذ متروك لإدارات التعليم المنتشرة في المملكة، بما في ذلك توزيع الميزانية السنوية حسب حجم كل إدارة.
٤. لا تغيير في المراكز الوظيفية والجميع مدعوون للاستمرار في عملهم، والحكم على أي شخص يكون بناءً على معايير وضوابط محددة.
٥. يعقد صباح كل يوم أربعاء اجتماع يضم -بجانب الوكلاء والوكلاء المساعدين- المديرين العامين ورؤساء الأقسام والغرض منه تبادل المعلومات عن كل ما يجري في كل إدارة وقطاع وما سيكون عليه الأسبوع المقبل، بحيث يكون الجميع على علم بما يجري في الوزارة ويكون التكامل قائماً في مشاريع الوزارة، ويدعى للاجتماع مديراً تعليمياً: أحدهما مدير تعليم منطقة والآخر مدير تعليم محافظة.
٦. يتولى فريق عمل دراسة كل مشروع أو برنامج ويعرضه على المجتمعين لتطويره وتلقيحه.
٧. يوضع جدول زمني بموجبه يتم توزيع مناطق التعليم ومحافظاته على كبار مسؤولي الجهاز المركزي لزيارتها ومتابعة تذليل كل العقبات التي قد تواجه كل إدارة.
٨. تكوين فرق عمل يزور كل منها عدداً مختاراً من الدول الخارجية للوقوف على تجاربها والاستفادة منها.
٩. ترتيب لقاء سنوي لمديري التعليم مع القيادة: (الملك، ولي العهد، النائب الثاني، وزير الداخلية) لتلقي توجيهاتهم وإطلاعهم على واقع التعليم.
١٠. عقد مؤتمر سنوي لمدة ثلاثة أيام، يكون العمل فيه على نمطين. نمط فكري، ونمط

إجرائي، ويكون فيه ضيف كبير يتحدث في جانب فكري تحده لجنة الإعداد، إلى جانب أوراق عمل أخرى من المشاركين. والإجرائي يتناول فيه المجتمعون القضايا التي تحتاج إلى حلول. ويشارك في المؤتمر السنوي -بجانب كبار المسؤولين في الجهاز المركزي- كل مديري التعليم في المناطق والمحافظات وعمداء كليات المعلمين (وعددها ١٨ كلية).

في الشهر الأول من تسلمي العمل دعوت مديري التعليم في المناطق والمحافظات وكبار العاملين في جهاز الوزارة إلى الاجتماع في مدينة الرياض لمدة يومين وكرّم بهذه المناسبة معالي الدكتور عبدالعزيز الخويطر، وكانت الوزارة بهذا أول جهاز حكومي يُكرّم من تسنموا فيه مركز القيادة. كان الحفل مبهجاً وأتيح لي أن أتحدث فيه معبراً عن عرفاني بدور الرواد في حقل التربية والتعليم وعلى رأسهم وزيرها الأول الملك فهد بن عبد العزيز، ومن تبعه من الوزراء، وكان مما خاطبت به الزملاء:

«... قلت لكم في كل اللقاءات التي تمت بيننا: إني ضعيف بشخصي قوي بكم، وإني في أمس الحاجة إلى كل واحد منكم، وهذه الحاجة إلى العاملين معي تصل إلى كل معلم ومدير مدرسة ومشرف مهما كان موقعه ومكان عمله، وليس هناك أحد أقدر على تقديم المشورة المناسبة والرأي السديد في قضايا التعليم ممن هم في ميدان العمل، أولئك الذين يعايشون تلك القضايا يومياً ويقضون على حقيقتها».

كان لقاءنا فرصة سانحة استعرضنا فيها مسيرة التعليم والمشكلات التي تعيق تحقيق طموحاته، وقد تم الاتفاق على أن نُفعل الشعارات التي اخترناها؛ فيجانب: أن وراء كل أمة عظيمة تربية عظيمة، وأن التربية العظيمة وراءها معلمون مخلصون. هناك مفاهيم لا بد أن نتمثلها منها:

١. إننا في الوزارة مؤتمنون على أعلى ما تملكه الأمة، فلذات أكبادنا، رجال المستقبل بإذن الله.

٢. المعلم صاحب رسالة قبل أن يكون صاحب وظيفة، بالنظر إلى عظم الدور التربوي الذي يقوم به في المجتمع.

٣. إن أول ما يجب أن نعلمه للطلاب والطالبات هو: كيف يتعلمون، وكيف يستثمرون في التعليم ويستثمرون فيه إلى آخر أيام العمر وكيف يفكرون وكيف يستنتجون ورددنا المثل الذي يقول: « لا تعطني سمكة وإنما علمني كيف أصطادها».

٤. إن من صميم مسؤولية المدرسة اكتشاف المواهب وتوجيهها وترسيخ حب المهنة، والعمل بإتقان، وحب العمل اليدوي.

٥. التعليم بالقدوة، ومقياس نجاح المعلم هو ما يبدو من أثر لما يعلمه لتلاميذه وليس حفظهم.

٦. إذا كانت الإدارة سلطة، أعطائها المرؤوسون أطراف أسنتهم، أما إذا كانت روحاً وقلباً واحتراماً وتشاوراً، أعطائها المرؤوسون ذوب أنفسهم وبدا هذا كله في إنجازهم.

٧. أثنى النصائح وأحكمها لا يستفيد منها المرء ولا يفيد ما لم يطبقها.

٨. إذا كنت ترجو كبار الأمور فأعد لها همة أكبر

أدركت أن الجميع استجاب لفكرة أن التربية عماد الغد، وأن تحسين الأداء لازم، وأن التعاون مهم للجميع وأنه لا بد لنا من الإسهام في الحركة الطموحة بنشاط ورضى وسعادة.

وحيث إن مناسبة بدء العام الدراسي في كل عام هي أهم مناسبة اجتماعية وهي تأتي متجددة في كل عام وبعد مدة إجازة صيفية وفي مستوى دراسي جديد للطلاب، فلا بد من مخاطبة الطلاب والمعلمين والمديرين وأولياء أمور الطلاب عبر وسائل الإعلام، واستأذنت المقام السامي في ذلك الوقت فجاءت الموافقة. وقبل أول يوم في الدراسة أتوجه بهذه الكلمة التي حاولت أن تتضمن مفاهيم جديدة وتذكيراً بأهمية رسالة المدرسة ووجوب التواصل المستمر بين المدرسة والمنزل واستمر هذا التقليد السنوي، وأصبحت الكلمة توزع بعد إذاعتها على المدارس.

ثم نظرت إلى واقع الوزارة التنظيمي والهيكل فوجدت أنه لا بد من الدراسة العميقة ووضع تنظيم يتناسب وطبيعة كل قطاع ثم مشاوره الزملاء فيما تتوصل إليه الدراسة،

وكان البدء في إحداث مجالس للتعليم في المناطق يرأسه مدير عام التعليم في المنطقة، ويشارك فيه عمداء كليات المعلمين وكليات التربية في المنطقة إن وجدت ومديرو التعليم في المحافظات، وأربعة من أولياء أمور الطلاب ذوي الخبرة التربوية، ومشرف تربوي، ومدير مدرسة، ومعلم، ويكون للمجلس أمين يتابع أعماله وتنفيذ ما يتوصل إليه، ومن ضمن المهام الكثيرة لهذا المجلس إقرار فتح المدارس الجديدة أو الفصول أو إغلاق المدارس أو ضم واحدة أو أكثر مع بعضها. ولا تزال المجالس تقوم بدورها وأصبحت جزءاً من التنظيم المعمول به في الوزارة.

كما أنه يتبع للوزارة ثمانية عشر كلية تمنح درجة البكالوريوس في التربية لمعلمي المرحلة الابتدائية أحدها للتربية البدنية والرياضية. وكانت ملحقة بالوكيل المساعد لشؤون المعلمين ويديرها مدير عام. هذه الكليات في مجملها تقوم بدور عظيم وهي في حجمها تعادل أكبر الجامعات القائمة وأعضاء هيئة التدريس فيها هم في تأهيلهم مثل زملائهم في الجامعات. لذا فقد استحدثت وظيفة وكيل الوزارة لكليات المعلمين وأصبحت الكليات كياناً جامعياً مهماً، وصدرت الموافقة السامية أن يطبق على كليات المعلمين ما يطبق على الجامعات السعودية من أنظمة ولوائح، فأصبحت هذه الكليات تدار بمجلس يرأسه الوزير ويشارك فيه العمداء، وللكليات مجلس علمي، ومجلة علمية محكمة. ثم تطورت برامجها ومناهجها بما يكفل إعداد معلمين في التخصصات التي تحتاجها الوزارة وكان الزميل الدكتور محمد بن حسن الصائغ الوكيل لكليات المعلمين خير معين لتحقيق هذه النقلة النوعية.

ثم جرى رفع مستوى الآثار والمتاحف إلى وكالة وزارة وهياً الله لها متخصصاً وفقت إلى استقطابه من قسم الآثار في جامعة الملك سعود هو الأستاذ الدكتور سعد الراشد فانطلقت الوكالة انطلاقاً تليق بمسئوليتها تجاه الموروث الثقافي والشعبي والآثار والمتاحف. وتعززت المشاريع الإنشائية في إقامة متاحف وصلات العرض.

وطرحت مسابقة لوضع شعار للوزارة؛ إذ ليس لها شعار خاص، بها وتم اختيار شعار موحد للوزارة يعبر عن أهدافها ودورها، تضمن في عناصره: شعار الدولة، والكتاب، وسلّم التعليم العام، وتكون بألوان بيئة المملكة، ووضع عليه تاريخ إنشاء الوزارة عام ١٣٧٣هـ، حيث تولى مسؤولية الوزارة الملك فهد -رحمه الله- إذ كان أول وزير للمعارف.

تسمية الأشياء بأسمائها :

«لجنة الشرق الأوسط لشؤون المكفوفين» قامت في وقت سابق، وشاركت في عضويتها دول عربية إلى جانب إيران، ونظرتُ إلى هذه اللجنة التي لها مقر أقامته في الحي الدبلوماسي بمدينة الرياض فوجدت أن تمويل أعمالها يعتمد كلياً على المملكة، ولم يعد لأي دولة من الدول التي شاركت في إنشائها مساهمات. وبعد تأمل واستئذان المقام السامي توصلنا إلى أن يصبح اسمها: «الأمانة العامة للتربية الخاصة»، ويرتبط الأمين العام لهذه اللجنة مباشرة بوزير التربية والتعليم، ويلغى اسم هذه اللجنة، وصدر قرار من مجلس الوزراء بموجبه أصبح معهد الكفايات بعمان بالأردن «المعهد السعودي لتدريب الكفايات وتأهيلهن»، وتم أيضاً الاتفاق مع مملكة البحرين ليصبح معهد المكفوفين القائم هناك باسم «المعهد السعودي البحريني للمكفوفين» وكان قبل ذلك يشار إلى كلتا المؤسستين إلى أنهما تابعتان للجنة الشرق الأوسط لشؤون المكفوفين.

تحديد أولويات العمل في الوزارة

تتعدد مهام ومسؤوليات وزارة المعارف والأجهزة التابعة لها، وتبعاً لذلك تتعدد خططها وبرامجها التي يغلب عليها الطابع الفكري المستمد من مبادئ وتعاليم ديننا الحنيف، ومن الخبرات المستفادة من الممارسات الميدانية، وما تمرُّ به المجتمعات الأخرى من تجارب. وتبعاً للكّم الهائل من المسؤوليات المنوطة بأجهزة الوزارة، ومن منطلق اهتماماتها المنصبة على تطوير العملية التعليمية والتربوية وتحسينها بما يحقق أهداف السياسة العليا للتعليم في المملكة، وما يتماشى مع خطط التنمية، ويتواءم مع المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، فقد كان من الصعوبة بمكان إزاء تشرفي بمهام قيادة هذه الوزارة الافتراض بأولوية مهمة من مهام الوزارة قياساً بالمهام الأخرى؛ نظراً لتشابك هذه المهام وترابطها، وتأثير الإنجاز أو عدم الإنجاز في مهمة معينة على مسيرة العمل في التعامل مع مهام أخرى.

إن طبيعة العمل في مجال التربية والتعليم له خصوصية محددة من حيث اختلاف وجهات النظر حول الأهمية النسبية لأي مجال من مجالاته المتشعبة والمتعددة، وهذا بالطبع يلقي بظلاله على إجماع الناس في تقويمهم لعمل المسؤول الأول في وزارة تعنى بالتربية والتعليم، فبعضهم -على سبيل المثال- يرى أن المناهج التعليمية هي الأحق بالتركيز، وأنها يجب أن تحظى بالأولوية، فهي المسؤولة عن القصور في التعليم، وبعضهم يعزو مشكلات التعليم إلى البيئة المدرسية وما يرتبط بها من مبان وأجهزة وتجهيزات، وفريق ثالث يرى أن المعلم هو الأساس، وأنه العنصر الأهم والأكثر تأثيراً في سير العملية التعليمية وهكذا.. وكما أشرت سالفاً فإن هذا الاختلاف يعود إلى طبيعة العمل التربوي الذي لا توجد به حلول حاسمة لمشكلاته، فما يرى أن العلاج الناجع لمشكلة تربوية معينة يكمن في إجراء معين فإنه قد يرى -أيضاً- أنه الخطأ بعينه؛ ذلك لأن التربية مرتبطة بالإنسان الذي تتلون وتتعدد استجاباته للمؤثرات.. فما قد يتأثر به اليوم قد لا يتأثر به غداً وهذا ما يجعل سمة الإبداع والقدرة على تغيير النمط التدريسي في حجرة الفصل الدراسي أهم سمة للمعلم الناجح قبل التأهيل وقبل الخبرة وقبل الكثير من الصفات التي يجب أن يتحلى بها المعلم، وبتعبير آخر فإن المرونة في التعامل مع الوسط التعليمي والتربوي مطلب بالغ الأهمية؛ إذ إن الإصرار على أساليب تعليمية محددة على سبيل المثال لا يؤدي إلا إلى الإخفاق مهما كانت منطقية هذه الأساليب، ومهما كان طول التجربة مع تلك الأساليب من قبل المعلم أو المسؤول في وزارة المعارف.

إن هذه الخاصية للعمل في ميدان التربية والتعليم هي ما يؤدي إلى كثرة المنظرين في هذا الميدان، وإلى استئثار التعليم بالنسبة الأكبر من التركيز الإعلامي بشتى أنواعه، فالجميع يدعي أنه يملك زمام الفتوى في التربية، ولا يمر يوم إلا وتجد مقالاً مكتوباً أو فكرة مسموعة أو مشاهدة تتندر بجهل القائمين على التعليم، إذ لم يقوموا -مثلاً- بتغيير الكتب الدراسية، وكأن مجرد التغيير هذا سيحل مشكلة التعليم إلى الأبد، ولا يهم إن كان كاتب المقال، أو متبني الفكرة الناقدة قد كان طالباً ناجحاً في حياته المدرسية، أم غير ذلك، فكل يدعي وصلاب «ليلي»!!

وإزاء هذه المنطقة الضبابية الواسعة التي تحكم العمل في ميدان التربية والتعليم،

ولإيماني العميق بأن التعليم مهمة اجتماعية قبل كل شيء لا يقتصر الإنجاز فيها على أداء المدرسة، وإنما يتأثر بالاقتضاعات والممارسات الأسرية والاجتماعية، وبالأنظمة الإدارية والمالية.. وغيرها، فقد تأملت إبان تسلمي مهام الوزارة في أسلوب يمكن أن يقود إلى رسم خارطة العمل في وزارة كانت أبداً مطالبة بالكثير وكانت دوماً محط الأنظار، تبعاً لأهميتها في إعداد الإنسان في بلادنا، وفي كل بلاد الدنيا، الإنسان الذي هو أولاً وأخيراً العنصر الأساسي في مدخلات ومخرجات جميع برامجها، وهو-أيضاً- الهدف النهائي لكل تلك الجهود، ووجدت تبعاً لذلك أن إشراك الإنسان في تقويم برامج وخطط الوزارة والاستشارة برأيه في تحديد أهمية وألويات تلك الخطط والبرامج أمر بالغ الأهمية، وتقتضيه الضرورة للوصول إلى خطة عمل تمثل الرأي العام، المتخصص وغير المتخصص، فالتعليم كما أشرت همّ للجميع.

ومن هنا جاءت فكرة إجراء دراسة علمية تكون أساساً للتخطيط في وزارة المعارف، تتحدد من خلالها نقطة البداية، وتتطلق منها الوزارة على أساس سليم، فوجهت بإجراء تلك الدراسة باتباع منهجية معتمدة علمياً يتم فيها استبانة رأي المجتمع حول أولوية العمل في الوزارة. وبدأ العمل فعلاً في تنفيذ الدراسة في الشهر الأول من تسلمي مهام وزارة المعارف، حيث تم استطلاع رأي قطاع كبير من المهتمين بقضايا التربية والتعليم حول رؤية المجتمع للأولويات التي يحسن بالوزارة العمل في ضوءها عند التخطيط لبرامجها التطويرية.

وقد كنّا حريصين في اختيار المنهجية العلمية للدراسة بأن تكون العينة المحددة للدراسة عينة منتقاة من حيث مجالات العمل والتخصصات، وليس من حيث الأسماء، وتطلب ذلك حصر التخصصات ومجالات العمل أولاً لمن سيشملهم الدراسة، فكان أن شملت العينة رجال الإعلام والفكر والأدب والثقافة والسياسة والاقتصاد، إضافة إلى المختصين في مجال التعليم من مديري تعليم وعمداء كليات وأساتذة جامعات ومشرفين تربويين ومديري مدارس ومعلمين.

وقد تقرر تبعاً للمنهج الذي تمّ اختياره تنفيذ الدراسة على مرحلتين؛ تهدف الأولى منهما إلى حصر المجالات الرئيسية التي تتكون منها برامج الوزارة، وتحديد الهدف

العام وصياغته لكل مجال، بينما تهدف المرحلة الثانية إلى ترتيب تلك المجالات التي تم حصرها في المرحلة الأولى تبعاً لأولويتها وأهميتها في تحقيق برامج تطوير العملية التعليمية والتربوية وكذلك ترتيب الأهداف الفرعية حسب أهميتها ودرجة تأثيرها في تحقيق الهدف العام لكل مجال.

وقد شملت عينة الدراسة في المرحلة الأولى (١٠٥٢) فرداً، أما عينة المرحلة الثانية فضمت (١٦٠٨) فرداً؛ هم جميع أفراد عينة المرحلة الأولى مع إضافة عدد من العاملين في الميدان التربوي.

وكان المثير حقاً وقت هذه الدراسة ردود الفعل الواسعة التي صاحبها ممن شملتهم الدراسة أو عرفوا عنها، إضافة إلى ما تناوله بعض الكتاب عنها، وكلها كانت مؤشرات مشجعة لهذا الأسلوب الذي اتبعته الوزارة لرسم منهجية عملها، ولا يزال أرشيف الوزارة يحتفظ بردود الفعل هذه التي فاقت فعلاً تصورنا في مرحلة الإعداد للدراسة.

وقد نتج عن هذه الدراسة وثيقة مهمة جداً أطلقنا عليها «وثيقة أولويات العمل في وزارة المعارف»، اشتملت على أربعة عشر مجالاً تعليمياً تحكم العمل في الوزارة مع الهدف العام الذي ينبغي العمل على تحقيقه في كل مجال، كما اشتملت -أيضاً- على الأهداف التفصيلية المرتبطة بكل مجال، وقد رتبت المجالات الأربعة عشر حسب أهميتها، كما رتبت الأهداف التفصيلية حسب درجة تأثيرها في كل مجال. ولعله من المناسب هنا إيراد ترتيب المجالات العامة فقط، أما الأهداف الخاصة والإجراءات التفصيلية أو الأهداف الفرعية فإنه يصعب حصرها هنا، ويمكن الاطلاع عليها في سجلات الوزارة.

لقد حظي مجال «المناهج» بالمرتبة الأولى من حيث الأهمية من وجهة نظر عينة الدراسة، وكان الهدف العام المحدد لهذا المجال ينص على الآتي:

«تطوير المناهج التعليمية في ضوء العقيدة والأخلاق الإسلامية، فهما إطار السياسة التعليمية في المملكة بما يحقق التكامل والترابط بين مراحل التعليم، وفي باحتياجات المجتمع وخطط التنمية، وطبيعة النمو الإنساني، ويتماشى مع تطور العلم ومتطلبات العصر».

وحددت الأهداف الفرعية لهذا المجال (٢٥ هدفاً فرعياً) لتغطي كافة جوانب المنهج بمفهومها الشامل الذي يتجاوز الكتاب والمقرر الدراسي إلى الخطط الدراسية وطرائق التدريس والسلم الدراسي ونحو ذلك، وتالت بقية المجالات كالآتي:

١. الطالب.
٢. المعلم.
٣. التوجيه والإرشاد الطلابي.
٤. الدور التربوي للمدرسة.
٥. المباني المدرسية والمرافق التعليمية.
٦. الإشراف التربوي.
٧. القياس والتقويم.
٨. الإدارة.
٩. التقنيات والوسائل التعليمية.
١٠. النشاط المدرسي.
١١. البحث التربوي.
١٢. محو الأمية وتعليم الكبار.
١٣. التعليم الخاص.

ولعله من المناسب هنا مقارنة هذا الترتيب الناتج عن الدراسة العلمية بما تراه وما تمثله وجهة نظرك أنت لتكتشف بنفسك الحيرة الكبيرة التي يقع فيها المسؤول أي مسؤول في وزارة تعنى بتربية النشء وإعداد الأجيال.

وقد تعاملت الوزارة مع هذه المجالات كافة، وحددت الإدارة أو الوكالة أو القطاع المعني

بكل مجال، وطلب من الجهة المختصة دراسة المجال الموكل إليها واستيعاب الهدف العام والأهداف الفرعية فيه، من قبل جميع الموظفين على مستوياتهم المختلفة، ومن ثم إعداد خطة لتحقيق تلك الأهداف تحدد فيها الإجراءات والإمكانات المطلوبة، والجدول الزمني للتنفيذ، وبدأ العمل على هذا الأساس، وكانت خطة كل جهة تناقش بصفة دورية للتعرف على حجم الإنجاز، وتحديد المعوقات إن وجدت والعمل على إزالتها.

هكذا تم تأطير العمل في وزارة المعارف منذ الشهر الأول لتشرفي بالعمل فيها، وأحسب أن وثيقة أولويات العمل في الوزارة ستبقى أساساً لخطة الوزارة لسنتين عديدة؛ فهي لم تبني على هوى، أو وفق نظرة ضيقة، أو من وجهة نظر شخصية.

ثم استجيت لدعوة كريمة من «الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية» لإلقاء محاضرة أعددتها فيها المعالم الرئيسية لمستقبل التعليم. وكان عدد الحضور من الرجال لتلك الأمسية كبيراً بحيث امتلأت بهم أكبر قاعة مؤتمرات في جامعة الملك سعود وكذلك الحال بالنسبة لقاعة النساء التي ينقل إليها بواسطة الشبكة التلفزيونية المغلقة كل ما يدور من حديث وحوار، وقد اخترت عنواناً لمحاضرتي: «تعليمنا إلى أين؟» استهللتها بالآتي:

تعمل في نفسي وأنا أمامكم مشاعر شتى هي مزيج من الوجل والسعادة والأمل والتفاؤل:

أما وجلي فلأني أتحدث إلى جمع كريم مثل جمعكم، يضم نخبة من العلماء الأفاضل أصحاب السبق في الميادين التي تخصصوا فيها، وهم بحق مربون فاضلون مجربون؛ فكيف أتحدث إلى مثل هذا الجمع؟.

ووجلي ناتج كذلك عن اندفاعي وقبولي أن أتحدث في أمر بالغ الخطورة، لا أزعج -على الإطلاق- أي محيط بأطرافه كلها، أو أنني قادر على تناوله الشامل في هذا الوقت المحدود.

أما سعادتي فسيبها أني ألتقي مرة أخرى بزملائي، وأصدقائي، وأحبائي، وأنني سأستفيد مما أسمعهم منهم، وأستمع إلى انطباعاتهم وآرائهم، وأعرف مدى ما أقوله في نفوسهم وأستفيد منه كذلك.

إنني سعيد برؤية هذه القاعدة -على سعتها- مكتظة بكم، لما تتوقعونه مني؛ فغسى أن أكون عند حسن ظنكم.

وأما أملي وتفاؤلي فبسبب ما طاف خيالي من صور وأنا في طريقي إليكم؛ قلت في نفسي: ربما تظنون كثيراً مما سأطرحه عليكم أحلاماً بعيدة المنال، صعبة التحقيق.. ثم قلت: إن أفكارنا وأحلامنا وإن بدت بعيدة المنال فإن تحقيقها -بعون الله- ممكن بالعزيمة الصادقة، والتعاون المثمر بين الإخوة زملاء المهنة الواحدة، وأبناء الهم المشترك والآمال الواحدة.

وشجمني على التفاؤل بتحقق الأحلام أمور ثلاثة عشتها ورأيتها:

الأول: كيف أن هذه الجامعة بمبانيها وإمكاناتها أصبحت حقيقة بعد ما كنت مع غيري نخطط لها ونطمح أن نجعلها شبيهة ببعض الجامعات الغربية التي شدتنا بما رأيناها فيها. هذه الجامعة حلم كان عندي وأصبحت حقيقة. لقد كنا متواضعين حتى في أحلامنا!

أقول بأمانة: إن جامعة الملك سعود في مظهرها (وفي مخبرها إن شاء الله) قل أن توجد جامعة في مثل شكلها، وتخطيطها، وقاعاتها، وساحاتها، ومبانيها. كان هذا حلمًا عام ١٣٩٥هـ وما هو ذا قد تحقق بفضل الله.

الثاني: حين كنت في كلية التربية؛ ومعني بعض الإخوان فكرنا في إنشاء (الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية). درسنا الفكرة، وناقشنا إنشاءها، وتمويلها، وأموراً أخرى كثيرة تتعلق بها، كنا في ذلك الوقت نحلم بتلك الجمعية؛ عرضنا (المشروع) على المجلس العلمي الذي كان كريماً في تبنّيه له حتى أوصله إلى المقام السامي، فتبّنت فكرة الجمعيات، وأنا سعيد أن أعلن أن الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية هي رائدة الجمعيات قاطبة، لأنها كانت السبب لإيجاد نظام الجمعيات العلمية.

كان الأمر حلمًا، وما أنذا أراه حقيقة، وأجدني محاضراً في ضيافة الجمعية التي كنت أحلم بوجودها في يوم من الأيام.

الثالث: في عام ١٣٩٢هـ، كنا نحارب ونجاهد لنحصل على أكبر عدد ممكن من الطلاب

في كليتنا: كلية التربية، وكنا نغري الحاصل على الشهادة الثانوية -بغض النظر عن مستواه العلمي- قائلين في أنفسنا: لعل الله يهديه ويلتحق بالكلية. وكنا نتطلع إلى اليوم الذي نرى فيه لكلية التربية اليد الطولى في أن تنتقي وتصطفي من الطلاب أفضلهم، ليكونوا معلّمي الغد. لقد كان ذلك حلماً، وأرى الآن كلية التربية -ولله الحمد- من أكثر الكليات التي يقبل عليها الطلاب ويتزاحمون للحصول على مقعد فيها.

هذه هي الأسباب التي دعنتي لأن أحدثكم عن بعض ما أحلم به، فإن رأيتموني شططت في حلمي بشأن ما سأحدثكم عنه فتذكروا أحلام ذلك الزمان، وكيف تحققت -ولله الحمد- بفضل العزيمة الصادقة، والإرادة القوية، والتعاون المثمر.

ثم استأذنت في أن ألقى نظرة عاجلة على واقع التعليم قبل الحديث عن أحلامي وقد شرحت بالأرقام واقع التعليم.

وبعد انطلقت إلى أهم مناحي انطلاقتنا التعليمية وقد اخترت منها عشرين مجالاً وهي كلها تنفيذ لما وصلت إليه الدراسة التي تم بموجبها استبانة عينة كبيرة تمثل شرائح المجتمع السعودي حسب مهنتهم وتخصصاتهم وهذه المجالات هي:

١. التقويم الشامل للتعليم.
٢. التمويل واستحداث مصادر أخرى غير حكومية.
٣. التنظيم الإداري، والتخلص من المركزية.
٤. التكامل بين قطاعي التعليم العام والتعليم الجامعي.
٥. النشاط الطلابي.
٦. الرعاية الصحية.
٧. التربية الوطنية.
٨. الانفتاح على المجتمع.

٩. إصدار دورية تربوية.

١٠. تطوير كليات المعلمين.

١١. التدريب وإعادة التأهيل لكل العاملين في الوزارة وفي مقدمتهم المعلمون.

١٢. التعليم الأساسي.

١٣. الإشراف التربوي.

١٤. تعليم الكبار.

١٥. الاختبارات.

١٦. التوجُّهات في تطوير المناهج وإدخال مفاهيم جديدة مثل: «مهارة التفكير، والحوار».

١٧. تطوير برامج ذوي الحاجات الخاصة ودمج المعاقين مع الأسوياء.

١٨. الانفتاح على العالم.

١٩. التوجه إلى التقنية.

٢٠. القواعد المقننة لتوجيه العمل.

وشرحت بإسهاب كل واحدة منها ثم انهالت الأسئلة من الإخوة والأخوات واستمر النقاش إلى ساعة متأخرة في المساء «أكثر من ثلاث ساعات»، ونتيجة لقبول الحاضرين واستحسانهم لوقائع تلك المحاضرة وما تلاها من نقاش فقد قامت بعض الجهات بتقريب أشرطتها، لأن أكثرها لم يكن مكتوباً، وألحوا علي بشأن طبعها، لأنها تمثل الخطوط العريضة للسياسة التي اقتنعت الوزارة بانتهاجها، لتحسين وتطوير التعليم في المملكة واستجابة لذلك الطلب الكريم فقد خرج الكتاب في أكثر من ١٤٠ صفحة بعنوان: (تعليمنا إلى أين)، وأعيدت طباعته مرة أخرى بعد نفاذ الطبعة الأولى.

وحول أهم هذه المناحي التعليمية يدور حديثنا في الباب الثاني.

الإنجازات - التطوير

(١٤١٦ - ١٤٢٥هـ) - (١٩٩٥ - ٢٠٠٥م)

هذا هو أكبر أبواب الكتاب، وأهمها لمن يريد الاطلاع على سير التعليم في هذه الحقبة من الزمن. والقصد من كتابته والتوسع فيه هو أداء الأمانة، وليس التفاخرَ والمباهاة بما تمّ، ذلك الشعور الذي أسأل الله بمنّه أن يطهر قلوبنا منه لأنه مما يحبط الأعمال.

ثم: لا يستطيع رجل -مهما أوتي- أن يزعم أنه قام وحده بمثل هذا الجهد، إذ لولا توفيق الله سبحانه أولاً وأخيراً، ثم جهود المئات. بل الألوف. من العاملين المخلصين من منسوبي وزارة التربية والتعليم. ما كان لهذه الأعمال أن ترى النور.

وقد جاءت بعض فصول هذا الباب استجابة لاقتراحات عدد من الزملاء الكرام الذين اطلعوا على مسودة الكتاب قبل طباعته وشاركوا في كتابة صفحات منه.

العناية بالطالب

توجيه الطلاب وإرشادهم

الطالب هو المستهدف الأول في العملية التربوية ومن أجله أنشئت المدارس، والمدرسة كما هو معروف غايتها إعداد الطالب للحياة، لذا فإن هذا الإعداد لا يكفيه ما يتعلمه في الفصل الدراسي وخاصة في زمن كثرت فيه المغريات والملهيات. من أجل هذا وجبت العناية بتوجيه الطلاب وإرشادهم، واختيار مرشدين على مستوى عالٍ يمتازون بقدراتهم على التأثير الإيجابي، فكان تفعيل توجيه الطلاب وإرشادهم محوراً مهماً في السعي التطويري للوزارة.

• ومن أبرز المستجدات الحديثة في مجال توجيه الطلاب وإرشادهم:

- رعاية المتفوقين وتكريمهم في حفل سنوي على مستوى كل منطقة ومحافظة بهدف تشجيعهم على مواصلة التفوق في التحصيل الدراسي وحث زملائهم على التفوق.

- معالجة التأخر الدراسي من خلال دراسة وضع المتأخرين دراسياً من قبل مرشدي الطلاب بالتعاون مع معلمي المواد، وتنفيذ برامج (الخدمات التربوية).

- تفعيل نتائج الدراسات والبحوث ومن بينها:

• التقويم الذاتي لعمل المرشد الطلابي.

• مجالس الآباء والمعلمين ودورها المهم في تطوير العمل التربوي.

كما واصلت الوزارة تنفيذ تجربة التسجيل المبكر - التي ثبت نجاحها - للتلاميذ المستجدين في المرحلة الابتدائية، بحيث يكون في الفصل الدراسي الثاني من العام الذي يسبق موعد الدراسة، كما تمت توعية أولياء أمور الطلاب بأهمية العمر المناسب لبدء الدراسة في المرحلة الابتدائية (ست سنوات).

• واستحدث أسبوعاً للتهيئة العامة للطلاب الصغار المستجدين حيث تقام حفلة طيلة هذا الأسبوع لهؤلاء الصغار وهم في صحبة أولياء أمورهم، وتقدم لهم الألعاب والهدايا والحلوى وكل ما يمكن عمله لهم بحيث يحب الطفل البيئة التعليمية الجديدة.

• وهي سبيل تهيئة الكوادر المتخصصة في مجال الإرشاد الطلابي:

- تنفيذ برنامج دبلوم التوجيه والإرشاد في كليات المعلمين وعدد من الجامعات لتأهيل خريجي أقسام علم النفس والخدمة الاجتماعية وعلم الاجتماع من خريجي الجامعات للعمل مرشدين للطلاب بحيث يتوافر العدد الكافي المؤهل في كل مدرسة حسب حجمها.

- تدريب المرشدين الطلابيين الذين هم على رأس العمل وتطوير كفاءاتهم المهنية، وإجراء اختبار لتقويم الأداء المهني للمرشد الطلابي.

- وتم أيضاً إنشاء مركز لخدمة التوجيه والإرشاد التعليمي والمهني لتوفير المعلومات، وتقديم الاستشارات الإرشادية للطلاب في المجال التعليمي والمهني وتبصير الطلاب بالمهن المتوفرة في المجتمع، وزيادة الوعي المهني عندهم،

وتنظيم زيارات ميدانية للطلاب إلى المؤسسات العامة والخاصة سعياً لتكوين اتجاهات إيجابية لدى الطلاب نحو العمل المهني.

- وأعطيت عناية خاصة ببرنامج التوعية بأضرار المخدرات، وتوعية الطلاب بأضرار التدخين، ومساعدة الطلاب المدخنين على الإقلاع عن هذه العادة السيئة، مع التركيز على برامج تربوية وإرشادية متعددة هدفها تهيئة الطلاب نفسياً وتربوياً في بعض الصفوف للتوافق مع صفوفهم ومراحلهم وتنفيذها ميدانياً في مدارس التعليم العام.

وتم أيضاً تنفيذ سلسلة من الحلقات المسجلة عن المهن على أشرطة الفيديو، تحتوي كل حلقة على مهنة من المهن التي يتم تحديدها في ضوء احتياجات خطط التنمية، مثل الفنادق وأعمال السفر والسياحة، والسكرتارية، ومدة كل حلقة (١٥ - ٢٠) دقيقة تتضمن تعريفاً بطبيعة المهنة، ولقاءات مع بعض المتخصصين للتحدث عن مجال المهنة وجوانبها الإيجابية، ونقل تصويري لأسلوب ممارسة المهنة من واقع ميدان العمل.

• ومن أهم مطبوعات التوجيه والإرشاد الآتي:

- دليل المرشد الطلابي.
- دليل الطالب التعليمي والمهني (دليلك نحو مستقبلك التعليمي والمهني).
- الميثاق الأخلاقي للتوجيه والإرشاد.
- نشرة تعريفية حول خدمات التوجيه والإرشاد.
- نشرة حول قبول الطلاب بالمدارس الابتدائية.
- نشرة خصائص النمو في الصفوف الأولية من المرحلة الابتدائية.
- نشرة تعريفية حول وحدة الخدمات الإرشادية.
- نشرة حول التسجيل المبكر للتلاميذ المستجدين في المرحلة الابتدائية وشروط قبولهم.

- نشرة تربوية حول دور الأسرة في تربية الطفل وإعداده لحياة مستقبلية مشرقة.

ومما يذكر في هذا السياق عن دليل الطالب التعليمي والمهني أن هذا الدليل طبع بأعداد الطلاب الذين في السنة النهائية في المرحلة الثانوية، وقد هدف هذا الدليل إلى تثقيف الطالب الذي يوشك أن يودع مرحلة التعليم العام - عن الفرص المتاحة له - لذا فهو يحتوى على عدة عناصر هي:

١. أسماء ومعاني التخصصات العلمية والجامعية المختلفة، فمثلاً لو ذكرنا كلمة فيزياء أو كيمياء أو اجتماع يفسر معناها وفي أي مؤسسة تعليمية تتوفر دراسة هذا التخصص وأماكن دراستها في المملكة.

٢. يشرح الدليل الصفات والمهارات الذاتية والمكتسبة والميول التي يجب أن تتوافر في الطالب كي يقبل في كل تخصص ويستمر فيه.

٣. توضيح لمتطلبات الدراسة من المقررات الرئيسية، والمقررات المساعدة والمكملة.

٤. يوضح الدليل كذلك نوع الأعمال التي يناسبها هذا التخصص بعد التخرج وفرص العمل المتاحة لكل تخصص، وكان هذا الدليل من أهم العوامل المساعدة لهؤلاء الطلاب في اختيار تخصصاتهم. ويصاحب توزيع الدليل ندوات إرشادية مكثفة تشرح الإفادة منه.

هذا الدليل جديد في محتوياته، وتحديثه سنوياً ضرورياً لاكمال الفائدة منه.

• سجلات ونماذج العمل الإرشادي،

- سجل المرشد الطلابي الجزء الأول (أعمال المرشد).

- سجل المرشد الطلابي الجزء الثاني (الرعاية الفردية للطلاب).

- سجل المعلومات الشامل للطالب.

- استمارة دراسة حالة.

- مذكرة الواجبات المدرسية للمرحلة الابتدائية والمتوسطة.

- مفكرة الطالب للمرحلة الثانوية.
 - نموذج التقرير الشهري الشامل لنتائج الطالب.
 - نموذج شهادة تفوق دراسي.
 - نموذج تهنئة ولي أمر الطالب.
 - نموذج دعوة ولي أمر الطالب.
- كل هذا من أجل تربية الناشئة تربية متكاملة تعنى بالجانب المعرفي والفكري والسلوكي.

لائحة تقويم الطالب

جرت العادة أن يطلق على تقويم الطالب في مدارسنا اسم: الاختبارات أو الامتحانات، ولكن تم تعديل ذلك إلى تقويم الطالب وذلك إبان تسلمي مهام الوزارة لأن لائحة الامتحانات المعمول بها آنذاك مر عليها زمن طويل؛ حدثت فيه ممارسات في التقويم لم تكن موجودة في اللائحة.. وقد بُذلت جهود كبيرة في إعداد لائحة جديدة قبل مجيئي إلى الوزارة إلا أنها لم تصل إلى قنوات التشريع، وبقيت حبيسة الأدراج في الوزارة.

ولأن التقويم هو المحرك الفاعل لتدوير عجلة التطوير في العملية التعليمية بصفته الحلقة الأخيرة من حلقات المنهج التعليمي، فقد شكل فريق من المختصين، وهيئت لهم الظروف لإعداد لائحة للتقويم تركز على أسس رئيسية هي:

١. التدرج في إدخال الأفكار الجديدة في أساليب القياس والتقويم.
٢. الاستفادة من الجهود السابقة في إعداد اللائحة.

٣. التركيز على الصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الابتدائية وإفرادها بأسلوب تقويمي خاص بها.

٤. الحد من الفاقد التعليمي الناتج عن الرسوب والتسرب.

٥. صياغة اللائحة بأسلوب إجرائي محدد يؤدي إلى سهولة الفهم والتطبيق.

ولقد كان من فرط حرصي على حسم الجدل حول تلك اللائحة أن نديت لجنة الخبراء خارج الرياض وهيئت لهم سكناً في أحد الفنادق المريحة وطلبت إليهم أن يقطعوا اتصالاتهم بكل أحد، وألا يعودوا إلا وقد أنهوا المهمة. بذلك تمّ فعلاً إنجاز اللائحة ورفعتها إلى اللجنة العليا لسياسة التعليم، وصدر الأمر السامي الكريم بإقرارها.

ومن أبرز ما تضمنته اللائحة الجديدة - إضافة إلى التعديل الجذري لمنهج الصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الابتدائية ما يأتي:

١. تنوع أدوات التقويم المستخدمة في المدارس، وعدم اقتصرها على الاختبارات التحريرية المعتادة؛ بحيث تشمل المشروعات والبحوث، وملاحظة أداء الطلاب.. وغيرها.

٢. عدم رسوب الطالب وإعادته سنة كاملة في صفة بسبب مادة واحدة أو مادتين؛ وذلك وفق معايير وشروط محددة.

٣. وزن المعدل العام للطلاب في الصف الثالث الثانوي بعدد الحصص الأسبوعية المحددة لكل مادة؛ بحيث يصبح تأثير المادة الدراسية التي يدرسها الطالب أربع مرات في الأسبوع على معدل درجاته أعلى من تأثير المادة التي يدرسها مرة واحدة في الأسبوع على سبيل المثال. وقد أدخل هذا الإجراء بالذات في اللائحة لتوعية الطلاب وهم على مشارف الانتهاء من التعليم العام بأساليب التقويم في مؤسسات التعليم العالي، كما أنه كان بمثابة اختبار للميدان لتقبل مبدأ المعدل التراكمي، الذي كانت تعمل عليه الوزارة ضمن نظام جديد للمرحلة الثانوية.

٤. تمكين الطالب الذي نجح في بعض المواد في الصف الثالث الثانوي من التقدم في

العام التالي عن طريق الانتساب في المواد التي لم ينجح فيها، أي أنه لا يجب عليه إعادة السنة كاملة لدراسة جميع المواد، حتى تلك التي نجح فيها.

٥. إدخال مفهوم الاختبارات الشاملة المقننة؛ بحيث أصبح من مهام الوزارة إعداد هذه الاختبارات وتطبيقها بشكل موحد على مدارسها لتقويم سير العملية التعليمية بصفة عامة، والتأكد من مناسبة المؤشرات التعليمية في المملكة.

وقد حدد لللائحة أربع سنوات يتم بعدها جمع ملاحظات التطبيق من المدارس وإجراء دراسة شاملة لللائحة ومدى ملاءمتها، وإدخال التعديلات التي اتضح من التجربة ضرورة إدخالها. وقد تم هذا بالفعل، وكان من الواضح أن مبدأ التدرج - الذي كان أحد الأسس التي بنيت عليها اللائحة - قد آتى أكله، فقد تم تعميم أسلوب تقويم الصفوف الأولى من المرحلة الابتدائية ليشمل بقية صفوف هذه المرحلة، كما تم إدخال مبدأ المعدل التراكمي ابتداءً من الصف الثاني الثانوي لحساب المعدل العام للطالب عند تخرجه من المرحلة الثانوية.

وتُطبق مدارسنا في الوقت الحالي لائحة تقويم الطالب بعد اعتماد التعديلات الجديدة، وقد حرصنا على أن تُعطي الوزارة في النسخة الجديدة من اللائحة المرونة في استحداث إجراءات تقويمية بناءً على حاجة التطبيق الميداني دون الرجوع إلى اللجنة العليا لسياسة التعليم، نظراً للحاجة الماسة إلى سرعة صدور القرار التعليمي لتتماشى التشريعات مع سرعة حدوث المستجدات على الساحة التربوية.

وكان السائد هو قيام (الإدارة العامة للامتحانات، كما كانت تسمى آنذاك) بوضع أسئلة الاختبارات النهائية للسنة الثالثة الثانوية في جميع المواد الدراسية مع الأجوبة النموذجية. ثم تغلف الأسئلة لكل مقرر في مظاريف بعدد الطلاب في كل مدرسة ويحمر الشمع الأحمر على موقد يسمى «الدافور» حتى يذوب ثم يشمع كل ظرف أسئلة وظرف جواب نموذجي بالشمع.

وكان أن اهتدينا إلى طريقة أكثر تحضراً، تتوفر فيها السلامة والنظافة والأمان من احتمال اشتعال النار مما خفف من الأعباء، وبتطبيق القواعد الجديدة لتقويم الطالب لا يصبح للجهاز المركزي دور على الإطلاق في هذا الشأن.

الصحة المدرسية

بذلت الوزارة جهوداً كبيرة للعناية بصحة الطالب والمعلم، وعملت منذ زمن بعيد لوصول الخدمة الصحية المتكاملة، الوقائية والعلاجية إلى الطالب أينما كان، وتمت مضاعفة الجهد وتطوير دور الإدارة وذلك من خلال:

- تعزيز إجراء الفحص الشامل لصحة الطالب وفمه وأسنانه، حسب نموذج الصحة العالمية.
- تفعيل شبكة من الوحدات الصحية بلغ عددها أكثر من (١٥٠) وحدة صحية موزعة في جميع المناطق.
- مع رفع مستوى الجوانب الوقائية من خلال:
 - تنفيذ برنامج مكافحة التدخين الذي يشمل افتتاح خمس عيادات كل سنة لمكافحة التدخين.
 - توفير مياه الشرب النقي في المدارس.
 - تنفيذ اللقاء الصحي سنوياً لأطباء الصحة المدرسية، بهدف متابعة تنفيذ الخطط والبرامج المختلفة للصحة المدرسية.
 - الاستمرار في تنفيذ تجربة برنامج السجل الطبي للطالب والموظف، ومتابعة تقويمه وتعميمه على جميع إدارات التعليم.
 - تكثيف برامج الإشراف الصحي عن طريق زيارات الأطباء للمدارس بواقع خمس زيارات في الأقل لكل مدرسة في العام.
- استدامة استكمال التطعيمات الأساسية للطلاب بالتعاون مع وزارة الصحة لتوفير اللقاحات اللازمة.
- إعداد وسائل إيضاحية ومطبوعات ولوحات تعليمية وأفلام فيديو للتوعية الصحية والتثقيف ونشرها في المدارس كافة.

- تأمين الأدوية بكميات كافية لجميع الوحدات الصحية، على مدار العام، وخفض الإلتلاف إلى مستوى أقل من ١٪ من قيمة المؤمن، وتحريك أرصدة الأدوية بين وحدات الصحة المدرسية بما يحقق الاستفادة القصوى منها.
- تحديث الأجهزة والمعدات الطبية في الوحدات الصحية الفرعية ومن أهم الأجهزة التي تم تحديثها:
 - الوحدات المتكاملة للأسنان وأجهزة تعقيم بالبخار وأشعة أسنان وأشعة عامة متكاملة ووحدات فحص الأنف والأذن والحنجرة وفحص مكونات خلايا الدم وثلاجات حفظ الأدوية والأمصال.
 - أجهزة الأشعة السينية والصوتية وأجهزة الأشعة للأسنان، وتخطيط القلب بالحاسب الآلي، وأفلام فيديو لبرامج التوعية الصحية.
- وضع عدد من برامج التوعية والتدريب؛ منها برامج تشجيع الطلاب على تناول الحليب، والمحافظة على صحة الفم والأسنان، ومكافحة التدخين، والتوعية الصحية الشاملة، بالإضافة إلى إصدار مطبوعات عن التغذية لتوعية الطلاب والعاملين في الحقل التربوي بالأساليب الغذائية الصحية، مع التوعية بأهمية نظافة الوجبات الغذائية وتقديمها، والاشتراك مع وزارة الصحة في حملات التطعيم ضد شلل الأطفال، والحمى الشوكية وغيرها، والاستعانة بمستشارين غير متفرغين في تخصصات الأطفال، والحمى الشوكية، واستكمال التطعيمات.

التغذية

قامت الوزارة بالإشراف الصحي على تغذية الطلاب في المقاصف المدرسية، ومراقبتها وتحديد المأكولات والمشروبات التي ينبغي تقديمها للطلاب، وعلى سبيل المثال منعت دخول المشروبات الغازية إلى المدارس عن طريق المقاصف، ومنعت المأكولات المقلية بالزيت.

كما قامت بتوفير الإعاشة للطلبة المعوقين، في الأقسام الداخلية بمعاهد التربية الخاصة، إضافة إلى تقديم التغذية لطلاب كلية التربية الرياضية.

وكانت المقاصف المدرسية تدار بطريقة عشوائية وكل مدير مدرسة يوظف عمالة وافدة لا تتوفر عند كثير منهم الشروط الصحية اللازمة، كما أن الطعام المقدم وطريقة تحضيره لم تكن صحية، وتقدمت إحدى الشركات الوطنية المتخصصة في التغذية باقتراح لإقامة مصانع بمواصفات عالية تهوى وجبات صحية طازجة للمدارس مع سحب المتبقي في نهاية اليوم، كلها معبأة آلياً تنطلق بها سيارات مجهزة في الصباح الباكر يومياً لتوزيعها على المدارس، وهذه الوجبات مطابقة لمواصفات الإدارة العامة للصحة المدرسية بل حتى العصائر تم إنتاجها من قبل شركات العصائر المعروفة لحساب المشروع بمكونات خاصة خالية من المواد غير الطبيعية والحافظة، وقد قامت الشركة بتجهيز المقصف المدرسي وتأثيثه وتوظيف عمالة مؤهلة ومدربة لتقديم الطعام، وكان من ضمن مهام الشركة الصيانة الأولية للمباني المدرسية ونظافتها وتوفير وجبات مجانية للطلاب غير القادرين حسب ما يوصي به مدير المدرسة، وكما تقدم الشركة لكل مدرسة تعمل فيها مبلغاً مالياً لإدارة المدرسة لإنفاقها على أوجه النشاط المدرسي، وقد تم هذا الاتفاق على سبيل التجربة في مدينتي الرياض وجدة، وفي تقديري أن هذه تجربة فريدة من نوعها لم تعرفها الوزارة من قبل. وكانت لها فوائد كثيرة في الماضي، وستظهر لها فوائد أكثر في المستقبل، إن شاء الله.

ومن المفارقات والتعقيدات البيروقراطية أن يصل إلى الوزارة مساءلة من الجهات الحكومية ذات العلاقة عن أن العقد لم تطبق عليه إجراءات المناقصات الحكومية وطلبوا

من الوزارة إلغاء المشروع والأخذ بالقواعد التي يعتمدون عليها في المشتريات الحكومية وما سألوا أنفسهم عن:

١. أي الطريقتين أفضل لصحة الطلاب: المقاصف العشوائية أم هذا الشكل الصحي المنظم ؟

٢. أيهما أجدى مالياً للوزارة وبالتالي للمدرسة ؟

٣. من الذي سيخاطر بالاستثمار في إقامة مصانع تغذية ضخمة دون أن يكون على ثقة بأن منتجاته سيكون لها توظيف وتصريف خاصة أن تلك المصانع ومعداتنا تكلف مبالغ باهظة؟

والغريب في الأمر أن شؤون المقاصف المدرسية لم يسأل عنها أحد طيلة عمر الوزارة. وكانوا يعدونها شأنًا داخلياً لكل مدرسة فلما كان هذا المشروع الضخم والمتفرد من نوعه، كانت هذه الوقفة المحيرة وتلك الحملة العنيفة!!

إنشاء صندوق خيري لمساعدة الطلاب

وبما أن المدرسة معنية بتربية الطلاب على كل ما من شأنه تهذيبهم وإكسابهم القيم الرفيعة فقد أنشئ صندوق الطالب وهو صندوق خيري يهدف إلى تقديم المساعدات المباشرة وغير المباشرة للطلاب الذين يعيشون ظروفًا اجتماعية ومادية قاسية في المدن والقرى ويواجهون صعوبات قد تعيقهم عن تحقيق التوافق مع أنفسهم ومجتمعهم داخل المدرسة وخارجها مما يؤثر سلباً على قدراتهم واستعداداتهم وتحصيلهم الدراسي، ولِيُسَهِّمَ في دعم التكامل في مجتمعنا المسلم ومساعدة الطلاب على التوافق السوي داخل المدرسة وخارجها وتعزيز دافعية الطلاب ذوي الظروف الخاصة أو الطارئة وتوثيق العلاقة بين المجتمع والأسرة وتحقيق الرسالة التربوية في رعاية الطلاب من مختلف الجوانب، وكان ذلك يتم بطريقة لا تجرح مشاعر الطلاب الذين يستحقون المساعدة.

العناية بالمعلمين

رؤيتي عن المعلم ورسالته

في اعتقادي أنه إذا كان المستهدف من العملية التعليمية هو المتعلم ليعمل بما تعلمه، بل ويسهم في بناء حضارة بلده وتقدمها؛ فإن الركن الركين لتحقيق الغاية العظمى من التعلم هو المعلم. ولذا فإنني في كل مناسبة أعمل على استنهاض الهمم عند المعلمين وإبراز أهميتهم والرفع من مستواهم، وتدريبهم، وتقديم الحوافز لهم.

ولعل ما يعبر عن رؤيتي عن المعلم ورسالته ما جاء في كلمات متعددة كان من أهمها ما ألقيته في اجتماع مُنِّلت فيه كل إدارات التعليم في أنحاء المملكة بمعلمين تم ترشيحهم من قبل زملائهم، وما ألقيته بمناسبة اليوم العالمي للمعلم، وفيما يأتي نص الكلمتين:

أ - الرسائل العشر لفلسفة التعليم،

الكلمة التي ألقيتها في اللقاء التربوي الأول للمعلمين بالرياض يوم ١٤١٨/١١/٢ هـ بعنوان: «الرسائل العشر لفلسفة التعليم»:

الرسالة الأولى:

إن قدرنا -أيها الإخوة والأخوات- أن نحمل أمانة ثقيلة، ومهمة عظيمة، شرفنا الله بحملها، ألا وهي مهمة التعليم؛ فالتعليم أمانة ورسالة قبل أن يكون وظيفة ومهنة، فقد بعث الله أنبياءهم عليهم الصلاة والسلام إلى خلقه معلمين، يحملون لهم رسالة ربهم، ويعلمونهم ما فيه سعادة أولاهم وأخراهم.

ودعونا نتأمل هذا الحديث النبوي الشريف لنعلم ما خص الله به المعلم من أجر، وما أكرمه به من فضل؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض -حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر- ليصلون على معلم الناس الخير»^١.

فإذا تباهى المهندس بأروع عمارة صممها وبنائها، والمخترع بأحدث جهاز ابتكره، والصانع بأسرع وأفخم سيارة صنعها، والعالم باكتشافه المدهش، والطبيب بالعملية المعقدة التي نجح في إجرائها، ألا يحق للمعلم أن يطيب نفساً ويفرح بأن له -بعد الله- فضلاً مذكوراً وإسهاماً مشكوراً في بناء شخصية العالم، والمهندس، والصانع، والمخترع، والطبيب؟! من أجل هذا كانت مهمة المعلم من أسمى وأشرف المهمات، وأمانته من أعظم وأثقل الأمانات، لأنه يتعامل مع النفس البشرية التي لا يعلم إلا الله بعمقها، واتساع آفاقها.

هذا بالنسبة للمعلم عموماً، أما المعلم في بلادنا الغالية: المملكة العربية السعودية، التي شرفها الله بخدمة واحتضان أشرف البقاع وأطهرها، فإن واجبه أكبر، وأمانته أثقل لأن المملكة هي محط أنظار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وينبغي لأهلها أن يكونوا أسوة حسنة، وقدوة صالحة للأمة. وأي شيء يساعد على تحقيق هذا الأمر -بعون الله- إلا التربية الصالحة التي يشترك فيها البيت والمدرسة؟

إن مهمتنا السامية إذن هي إعداد الإنسان الصالح لنفسه وغيره، الذي يعبد الله على بصيرة، والذي يحسن الاستفادة من القدرات الكامنة التي أودعها الله فيه، ومما

١ رواه الترمذي برقم ٢٦٨٥ وغيره.

سخره الله له في بره وبحره وأرضه وسمائه، في سبيل سعادته الفردية، وسعادة أسرته ومجتمعه، وأمه المسلمة، والإنسانية جمعاء.

الرسالة الثانية :

إن المبنى النموذجي، والمعمل المجهز، والمناهج الجيدة مهمة جدا في إنجاز العملية التعليمية، لكن المعلم الصالح، القوي الأمين، المخلص في أداء عمله، المتمكن من مادته، أهم منها جميعا؛ ففي التاريخ القريب والتاريخ البعيد، وفي الواقع الذي نعيشه نماذج كثيرة لهؤلاء المعلمين الذين درسوا في ظروف قاسية، وإمكانات متواضعة، واستطاعوا أن يخرجوا علماء أعلاما، وقادة كبارا، ومفكرين بارزين.

الرسالة الثالثة :

أيها الإخوة الكرام والزملاء الأعزاء:

إننا في التعليم العام لا نسمى لإعداد المهندس الناجح، والطبيب المتفوق، والعالم البارع، واللفوي المتمكن، والقاضي العادل، لكننا نضع الأسس الضرورية لإعداد هؤلاء وأمثالهم.

إن مهمتنا الأساسية هي أن نعلم الطالب ما لا يسعه جهله في دينه، وأخلاقه، وعاداته، ولفته، وأساسيات العلوم. وهذا بعض ما أشار إليه العلامة الماوردي في كتابه القيم «أدب الدنيا والدين» حين قال: «واعلم أن للعلوم أوائل تؤدي إلى أواخرها، ومداخل تقضي إلى حقائقها، فليبتدئ طالب العلم بأوائلها لينتهي إلى أواخرها، وبمداخلها ليفضي إلى حقائقها، ولا يطلب الآخر قبل الأول، ولا الحقيقة قبل المدخل؛ فلا يدرك الآخر، ولا يعرف الحقيقة؛ لأن البناء على غير أس لا يبني، والثمر من غير غرس لا يجنى».

غايتنا - إذن - أن نعد المواطن الصالح، والإنسان الصالح، وأن نعلمه التفكير الصحيح، وحب الحوار، واحترام رأي الآخرين، ونغرس فيه العادات الصحيحة، ونحبب إليه العلم، ونضع بين يديه مفاتيح المعرفة ليواصل رحلته في طلب العلم بعد ذلك ما امتدت به الحياة،

٢ ص ٥٥، (ط/مصطفى السقا). ط. دار الكتب العلمية في بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، وهي مصورة عن طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

وليطبق ما تعلم، وينتفع به، ولا يكون كما قال الشاعر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

فالعلم هو غاية العلم، وهذا ما كان متجلياً في الصحابة الكرام بأوضح صورة؛ فقد قال التابعي الجليل أبو عبد الرحمن السلمي (عبد الله بن حبيب) - رحمه الله -: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن، كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنهما، وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن، والعلم، والعمل جميعاً»^٢.

ولهذا كانوا يبقون مدة طويلة في حفظ السورة، وفي موطأ الإمام مالك - رحمه الله - «أن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - مكث على سورة البقرة ثمانين سنين يتعلمها»^٣.

الرسالة الرابعة،

أيها الإخوة الأفاضل:

إن البرامج المقررة، والمناهج الموضوعية، والوسائل والطرق المقترحة هي اجتهاد أناس من أمثالكم، وأنتم تقومون بتطبيقها عملياً في الميدان، وتقدرون مدى صلاحيتها لتحقيق أهدافنا؛ لذا فمن أهم المهم أن نسمع رأيكم فيها، وأن تكتبوا لنا اقتراحاتكم، لتدرس ويتم الأخذ بالمناسب منها، وليصار إلى تعديل الكتب المدرسية في الطبقات المقبلة.

الرسالة الخامسة،

هناك حقيقة كبرى يجب ألا تغيب عن بال المعلمين هي أن الشرط الأساسي لنجاح العملية التعليمية أن يوجد في نفس المتعلم شوق عارم إلى العلم، وولماً للمعرفة، وعزم على الدرس والتحصيل، وهذا هو التحدي الكبير أمامكم: أن تغرسوا هذا الشوق، وترووا هذا الظماً، وتقنوا ذلك العزم، بالقول المقنع، والقدوة الحسنة، والأسلوب الحكيم.

٢ مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية، تحقيق عدنان زرزور، ص ٢٥-٢٦.

٤ الموطأ، (ط. عبد الباقي) ١/٢٠٥.

الرسالة السادسة :

إن (وظيفة) المعلم، بل (رسالته) هي تكليف، وتشريف، ومصدر فخر واعتزاز، وإن المعلم الصالح يغار على (مهنته) أكثر من غيرة التاجر الناجح على سمعته، فيسعى لحماية هذه الرسالة من أن يتصدى لها من لا يصلح لحملها، وينتمي إليها من ليس من أهلها، فيكون ضرره أكبر من نفعه!

لذا حثوا من تروونه مقصرا من زملائكم، وصححوا أخطاء المخطئ وعلموا الجاهل، وأرشدوا وانصحوا، وسددوا، وقاربوا؛ فإن عجزتم فأعلمونا لتتصرف، فرب مسيء في ميدان التعليم ينجح ويحسن إذا نقل إلى مجال آخر.

الرسالة السابعة :

المدرسة هي الشريك الثاني مع الأسرة في تربية الناشئ فلا بد من التعاون بينهما؛ لذا أمل منكم أن توثقوا صلتكم بأولياء أمور الطلاب؛ فإن مهمتكم العظيمة لا تكتمل بغير ذلك التفاهم والتعاون؛ فالوالد يرى من ابنه جوانب لا يراها المعلم، ولو عرفها المعلم لعدل من أسلوبه بما يعود على الطالب بفائدة أكبر؛ وكذلك المعلم يكتشف زوايا في شخصية الطالب -وهو في مجتمع المدرسة- لا يراها الوالدان في البيت، ولو عرفها لعدلاها في تربيتهما. وباختصار: فالطرفان يكمل أحدهما الآخر، وهما جناحا العملية التربوية اللذان تحلق بهما إلى آفاقها الفساح؛ لذا شجعوا ولي أمر الطالب على المجيء إلى المدرسة، واطلبوا مساعدة الأسرة للمدرسة، وأحسنوا استقبال أولياء أمور التلاميذ ووسعوا صدوركم لملاحظاتهم وانتعموا بالصالح من مقترحاتهم، وأنيروا أذهانهم برفق بقواعد التربية. إنكم إن فعلتم هذا لمستم -بإذن الله- نجاح العملية التربوية وازدهارها.

الرسالة الثامنة :

أعدت لكم الوزارة (دليل المعلم)، وكذلك (دليل تقويم الطالب)؛ وما جاء فيهما هو ثمرة جهد إخوانكم المختصين في الوزارة، وخلاصة تجاربهم؛ لكنه ليس ملزما بشكل لا يقبل التنقيح والتحسين، فملاحظاتكم الميدانية التطبيقية على الدليلين ستكون محل التقدير والترحيب.

الرسالة التاسعة ،

أيها الإخوة الأعزاء:

لقد حرصت على الاجتماع بكم لتكونوا سفراء إلى زملائكم تنقلون لهم هذه الرسائل، وتجعلونها - أنتم وهم جميعا - حديث مندياتكم، وسهراتكم واجتماعاتكم، ونزهاتكم شهرا كاملا. تناقشونها، وتقدمونها، وتعديلون فيها وتكتبون عنها، وتزيدون عليها. وكم وددت لو أمكنني اللقاء بكل زميل عزيز ومحاورته، ولكن ذلك متعذر، وما لا يدرك كله قد يدرك جله، وقد قال الله تعالى في محكم تنزيله: (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) (التوبة: ١٢٢).

الرسالة العاشرة،

إخواني المعلمين:

نحن هنا في الوزارة زملاء لكم، نتشرف بخدمتكم، وخدمة المهمة السامية المشتركة التي أكرمنا الله - نحن وأنتم - بحملها، فاستشعروا ذلك، ولا تترددوا في الاتصال بنا، والتواصل معنا، وتقوية الروابط بيننا، وتقديم النصيحة لنا، وطلب العون والمساعدة منا؛ فهدفنا - بحمد الله - واحد وهو نيل رضا الله سبحانه عن طريق إعداد جيل عرف ربه، وعرف زمانه، واستقامت طريقته.

وكلمة أخيرة.... لعلها تلخص روح هذه الرسائل جميعا:

إن هذا الكوكب الصغير الذي نعيش فيه، وهو أصغر من هباءة في ملكوت الله، قد شرفه الله بالإنسان الذي أسجد له ملائكته، واختار منه رسله: خيرته من خلقه، عليهم الصلاة والسلام.

وشرف الإنسان بحمل الأمانة، وسخر له ما في الكون ليعرف أسرارها، ويرتاد آفاقه، ويكتشف أعماقه، ومهمتنا -نحن التربويين- أن نهيب الإنسان ليكون أهلا لبلوغ الدرجة التي ارتضاها الله له وندبه إليها. وهذا يقتضي منا دوام المراجعة لبرامجنا، ومناهجنا، وأساليبنا، لتطورها، ونحسنها. وعلينا أن نعي أن غايتنا ليست إنهاء المقررات الدراسية

في الوقت المناسب فحسب، بل في أن يستوعب الطالب المادة، ويستفيد منها في حياته اليومية، فمقياس نجاح المعلم هو انتفاع الطالب بما يتعلمه منه: يدرس اللغة العربية، فيستقيم لسانه ويشرق بيانه، لا كما هو واقع الحال: يدرس الطالب النحو، ويحفظ القواعد عشر سنين، ثم يخطئ في كل سطر يقرؤه أو يكتبه!

نريد أن يدرس الطالب الدين، فتصفو نفسه، وتسمو أخلاقه، وتُرى -في واقعه- آثار ما تعلمه، لا أن يكون ما تعلمه حبراً على ورق، يتسى أكثره، ولا يطبقه في واقع حياته.

فالمقياس الأول -إذن- لنجاحنا سواء في أسلوب تعليمنا أم في المادة العلمية التي ندرسها لأبنائنا هو: ظهور أثر هذا العلم في تكوين شخصياتهم، وواقع سلوكهم.

ثم إن الذين وضعوا المقررات أناس مثلكم، يخطئون ويصيبون، وما أحسن أن نتلقى منكم الاقتراحات والآراء النابعة من الخبرة العملية الميدانية، كأن تقولوا: احذفوا هذه المادة جملة فلا حاجة لها، أو عدلوا هذا المقرر فأضيفوا إليه كذا وكذا، وألغوا منه كذا وكذا، ليكون عوناً لنا على تحقيق هدفنا الأسمى؛ فتحن نرى ونلمس يومياً حاجات الطلاب النفسية والفكرية، ومستواهم العقلي والذهني، واهتماماتهم الصغيرة والكبيرة، وما يشدهم إلى العلم وما ينفرهم منه؛ فالمناهج والمقررات -وكذلك الكتب المدرسية- تستفيد في تعديلها وتطويرها ورفع مستواها من هذا الطريق المزدوج: طريقة الأخذ والمراجعة، والتبادل بين المربين والمؤلفين، وبين الطلاب والمعلمين.

وثقوا -أيها الإخوة الأحبة- أن من أهم ما يميزكم عندنا وجاهة آرائكم، وحكمة مقترحاتكم، ودقة نظراتكم، بالإضافة إلى ما تتمتعون به من الإخلاص في العمل، والاعتدال في المادة العلمية.

أيها الإخوة: إننا نعيش عصر الابتكار والاختراع، وإن عليكم أن تبتكروا وتبدعوا في طرائق التدريس ووسائل التعليم، وكيفيات التقويم، لتكونوا على مستوى الزمن الذي تعيشون فيه.

وإننا نرجو أن تكونوا قدوة لطلابكم وعونا لهم على تنمية ما أودع الله فيهم من بذور القدرة على الابتكار والاختراع والإبداع؛ فقد مضى علينا -نحن المسلمين- زمن طويل ونحن مهملون لهذا الجانب في تربيته حتى سبقنا الآخرون.

وآخر ما أناجيكم به وأستودعه في قلوبكم المؤمنة: أن تجدوا المقدرين لجهودكم، والمعترفين بفضائلكم؛ ولكن الدافع الأول ينبغي أن يكون طلب رضا الله سبحانه، واحتساب الأجر عنده، وإيثار الباقية على الفانية (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا)°.

ب - أركان التعليم الأربعة ،

الكلمة التي أقيمتها في يوم المعلم في ١٤/٥/١٤١٩هـ:

لكم، أيها المعلمون الأمناء، والأخوة الزملاء الأوفياء، تحية حكومتنا الرشيدة، وشكر أولي الأمر وتقديرهم، وأنتم جديرون بهذه التحية والتقدير؛ لأنكم مؤتمنون على كنز الأمة الحقيقي: ثمار القلوب، وقلذات الأكباد، مؤتمنون على تربية عقولهم، وأجسامهم، وتغذية نفوسهم وأرواحهم، وتلقيهم العلم النافع بالقول السديد والقدوة الحسنة.

ويتزامن تكريمكم لهذا العام مع مناسبة غالية على قلب كل واحد منا: مع ذكرى مرور مائة عام على توحيد المملكة، وإنشاء هذا الكيان العظيم بتوفيق من الله، ثم بعبقرية الوالد الباني الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود -رحمه الله- وجهوده وجهاده، ذلك الرجل الفذ الذي أعطى للتعليم حقه، واصطفى له خير من يقدرون على القيام بمسؤولياته. فرحمه الله، وطيب ثراه، وأكرم مثواه، وجزاه عن هذه الأمة خير الجزاء.

ثم إنني أيها الأخوة الفضلاء رأيت أن أخرج بكم عن أعراف أمثال هذه المناسبات، فأترك العبارة التقليدية، والجمل المكررة لأطرح عليكم بعض ما في العقل والقلب مما يمكن أن يكون مجالاً للتدبر والتفكير، والحوار والمناقشة، والموافقة والمخالفة من خلال منبرنا العزيز: «مجلة المعرفة» أو أي وسيلة أخرى.

أيها الإخوة الأمناء المعلمون:

من أوقع وأبلغ الدروس فيما تتلون، ويتلى عليكم من كتابكم العزيز، وتتدارسونه في بيوتكم، ومدارسكم، ومساجدكم:

- درس شهير، يمكن تسميته «نبي يستمع لمعلم». هذا الدرس في قصة تتخذ مكانها ومكانتها في آيات كريمة من سورة الكهف (من الآية ٦٠ إلى الآية ٨٢).
- وتأملوا معي فيها ملياً: فما هو ذا نبي يتبع معلماً فيسأله: هل أتبعك على أن تعلمني؟
- ومع أن النبي ليس إلا معلماً
- ومع أن رسالة الأنبياء -في جوهرها الواضح- تعليمية.
- فإننا -هنا فيما يقص علينا من أحسن القصص- نرى مشهداً جليلاً؛ فالنبي المعلم على مكانته -يوصل التعلم^٦.
- تعلم وتعليم بلا حدود؛**
- كأننا في هذا المشهد الفريد -الذي لم يتكرر في القرآن كله ولم يرد إلا في هذا الموضوع- يبلغنا الله سبحانه رسالة مهمة: أن رحلة التعلم والتعليم تبدو بلا حدود.
- إذن فثبتوا في ركن كريم من ذاكركم الواعية: «هاهنا نبي معلّم يتعلّم». فإن وجب هذا على نبي فماذا يجب علينا؟
- ولكننا - نحن وأنتم - لا نكف عن التحريض على حملها.
- هذا الشعار بهذا المعنى الجليل سوف نستخلص منه في مسيرتنا ما يعيننا على حمل أمانة العلم والتعليم وهي ثقيلة.
- هذا.. ولأن هذا القصص ما أنزل إلا لتدبر آياته، لنفكر ونطيل النظر المعتبر، فينبغي لنا أن نتساءل: لماذا أنزلت القصة؟ ولماذا صور الحوار نبياً تابعاً ومعلماً متبوعاً؟ وماهي الرسالة المطلوب وصولها إلينا وإلى كل الأجيال التالية القارئة للذكر، المتدبرة للآيات؟

٦ يورد الإمام البخاري -رحمه الله- ما أورده هنا بإيجاز: إن الدرس، في هذه القصة، إنما كان بسبب أن موسى عليه السلام حينما سئل: من أعلم الناس؟ قال: أنا.. فأرسل الله من يعلمه، فيا لعظمة الدرس! والمستفاد منه تربوياً لنا: طلاباً وأساتذة وعلماء في وجوب التعلم المستمر، والتواضع الملزم، وأنه ليس لأحد أن يقف عند آفاق معينة من العلم، ويقول ليس بعد ذلك من علم، لأن ثمة فوقية متراكبة تبدو بلا نهاية، أي فوق كل ذي علم عليم.

- «النبى» إذ يستأذن ليتبع، فإنه يراقب ويتأمل ويندهش ثم يبدي رأيه معترضاً
- و«المعلم» يذكر بشرط مهم من شروط الصحة والتعلم ألا هو: الصبر على التعلّم، وهو أمر أساسي لا تعلّم بغيره، وإن التمس العذر للمتعلم قائلاً: و (كيف تصبر على ما لم تحط به خُبراً؟).
- وتشخص أمام أبصارنا المشاهد «الثلاثة» كما وردت في القصة القرآنية بالترتيب: «السفينة»، «الغلام»، «الجدار».

وتعوذ بك من علم لا ينفع:

- يقص الله سبحانه علينا أحسن القصص، ثم يرصد أحسن الجوائز لقرائها؛ ولكن بشروط:
- بشرط حسن الاطلاع والفكر للاستفادة العملية.. وجائزة حسن القراءة تحصيل الحكمة التي يبني بها الفرد نفسه، وتقيم بها المجتمعات والدول كيانها على أقوى الأسس الحضارية؛ فليس هدفاً أن أطلع، أو استزيد كميّاً من المعرفة والمعلومات؛ أو أن أطلبها وجاهة أو إغراء انجذاباً للألقاب العلمية والمكانة الوظيفية؛ ذلك أن حضارتنا لم تكن قط حضارة زخرف، حضارة كمية، حضارة استهلاكية، بل كانت حضارة كيفية، تلبى حاجات الإنسان المادية المشروعة، وتشرح صدره بالأشواق الروحية.
- نتعلم ما نينفعنا ولا يضرنا، لإعمار الأرض، وحفظ النفس والعقل والعرض والمال والوطن والدين.
- لذا فمن ابتهالاتنا العلمية التي ينبغى أن تُحلّى بها واجهات مدارسنا وحصوننا العلمية، بل أن تكون موضوع أول درس في بداية كل دراسي «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع^٧، وبالها من دعوة حضارية، إنسانية، مشرقة ومشرقة.
- فكم من علم ومعلومات وثراء مادي لا ينفع، يتقلب به العالم اليوم في الشقاء، ويستخدم ظهيراً للفساد وسائط رائعة أُجهد العقل في بنائها، أنفقت فيها المليارات،

٧ رواه مسلم برقم ٢٧٢٢، وأحمد ٤/٣٧١.

تتمثل في بعض ما تضخه الشبكات والقنوات الفضائية، يفرى بها الأفراد، وتولع بها الجماعات والشعوب، وتضيع أمامها الساعات بالمليارات وتهدر بها الأعمار.

- إنها تلبّي نداء المتعة الرخيصة العاجلة، وتؤخر، وقد تُعطل أو تلغي، البحث في المصالح العليا المشروعة الضرورية لشعوب وجماعات بأسرها، فتلهي عن التعليم في أخطر مجالات التقدّم من غذاء وعلاج ودواء ودفاع؛ فتستبدل تلك البرامج الخبيثة الذي هو أدنى بالذي هو خير، وتنزع من العقل والروح أنبل ما فيهما من تفكير ومشاعر ومطامح سامية، فتحتّ على الجريمة وتدفع للفساد والإفساد!!

- وتزخر لغة بيانات منظمات الأمم المتحدة بالأرقام المنذرة، من استثمارات في المخدرات بلغت ما يقارب ألف مليار دولار في العام الواحد، ومن مصابين بأمراض فتاكة تزداد أرقامها بالملايين كل عام.

- كما تتفاقم الجرائم العامة والخاصة، تشهد بقساوتها وضراوتها وما تطلعنا عليه وسائط الإعلام كلّ يوم بل كل ساعة، فيما يتصل بانتهكات للأنفس والأعراض والأموال والأوطان.

- ربما تساوي «تكلفة» ذلك الإفساد مجموع ديون الدول والمجتمعات النامية وقد تتجاوزها!

- بل قد تسهم إسهاماً فعالاً - لو أراد أصحاب الأموال خيراً - إعادة بناء اقتصاديات تلك الدول، وإقالة مجتمعاتها من عثراتها؛ ولو أنفق معشار معشار تكلفة هذا الفساد الدولي (أي على مستوى الدول) على المشروعات التعليمية الفعالة ومراكز البحوث المضيئة في الدول النامية لكانت سبباً رئيسياً في خروجها من كثير من أزماتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. ولأسهمت بالتالي في صناعة سلام دولي حقيقي يرفع المقمت والفضب المدمر.

العلم مع العمل، قاعدة التقدّم وانطلاق الحضارة؛

(فأما الزبد فيذهب جُفَاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) (الرعد: ١٤).

- لقد التزم بناء حضارتنا الرفيعة منذ أجيالها الأولى بقاعدة (الكيف والكم) .. وبمنهج الفهم والتطبيق لا مجرد الحفظ والتلقين. ولو استمر التزام هذا النهج عبر القرون لكان خيراً عميماً لنا ورحمةً للعالمين.

- وشاهدي على ذلك ما جاء عن الصحابة -رضوان الله عليهم- الذين «كانوا إذا تعلموا من النبي (صلى الله عليه وسلم) عشر آيات لم يجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل» قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً، وهذه الكلمات الأربع ليست بالأمر الهين؛ فهي قاعدة أساسية وحيوية ومجربة، لا تكذب ولا تُكذب. وهي كالشحنة الكهربائية إذا لامست قلوب المتعلمين وعقولهم فإنها مثل كوكب دري يضيء طريق الحياة في وطنه بأكمله ولأمة بأسرها، بشرط أن يرسبها بالحماسة والإخلاص الواجب معلمون أمناء.

- وإذا ما تأملتم، فإن ذلك هو لب التدبر وهدفه، وهو الذي تدعونا إليه آيات كثيرة. وماذا نريد أكثر من التقاط حكمة وتطبيقها، بل أقول: إن ماعداه تناس ونسيان وإفقال، بل أحسبه ضياعاً وتضييعاً للمراد من الرسالة والتنزيل.

(أفلا يتدبرون القرآن) ٩.

(أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) ١٠.

(أفلم يدبروا القول) ١١.

٨ مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية، تحقيق: عدنان زرزور، ص ٢٥-٢٦.

٩ النساء، آية: ٨٢.

١٠ محمد: ٢٤، وقد لفت نظري بعد الانتهاء من الكلمة ماورد في الخطة البريطانية لإصلاح التعليم. (مجلة المعرفة) ع ٣٨، ص ٧٢ (أنه حتى تمكن المناهضة في الاقتصاد العالمي والحياة في مجتمع متحضر، لابد من فتح المغالق الكامنة.. إلخ)، أما المصدر القرآني -وهو فوق أن يقارن- فإنه يضح جانب الإنسان (العقل) المغلق في جانب آخر، ويجعل هدف التنزيل: التدبر لا يتحقق إلا بالغاء (طريقة الأفعال).

١١ المؤمنون، آية: ٦٨.

(كتاب أنزلناه إليك مبارك)، وإذا سألنا: لماذا؟ فإننا نجد الجواب في الجزء الآخر من الآية: (ليدبروا آياته)^{١٢}.

- وإذن ففي الخلاصة الحضارية والتعليمية التي ننشدها وتبعاً للأهداف المقررة
- نحن مع صناعة التدبُّر والفهم، لأجل التطبيق والتطور والتقدُّم، لأنقى والأظهر والأفضل والأصلح والأأنفع..حتى يمكث في الأرض.
- ونحن منهجياً ضد صناعة الإقمال، والانغلاق ومجرد التلقين^{١٣}، والتخلف والركود والإفساد والتحلُّل، وفي النهاية فإننا نرفض الزبد الذي يذهب جُفاء.
- هذا في النهاية جوهر إلهي حضاري تطبيقي لأهداف التعليم عندنا، تتحقق به -بالإخلاص والحماسة- تربية عظيمة، وتتشكل به خير أمة بكل تأكيد.
- والآن لتتذكر المعلم نبياً.
- وتذكر النبي متعلماً معلماً.
- وتذكر فتوحات آفاق العلم بين أقواسه العظمى ما بين: الظاهر والباطن.
- ثم نذكّر ونحرّض ونقدّر، كلّ ما آتاه الله سبباً من العلم، فأتبع سبباً، بالتفكير والتعلّم المستمرّ.
- من هذا الموقع المقدّس في كتابنا المجيد -ودون أيّ افتعال- يأتي المسمّى الكريم والشعار العظيم لما تقومون به من عمل: «المعلّم صاحب مهمّة سامية وحامل رسالة وليس طالب وظيفة».
- ومن أجل هذه المهمّة السامية: نحرض.
- ولثقل أمانتها وعظم أهدافها: نؤازر.

١٢ سورة ص، آية: ٢٩.

١٣ التلقين مطلوب في تعليم القرآن الكريم مع الاهتمام بالتدبُّر كما جاء في الآية الكريمة السابقة.

• وبسبب من المكان: نستمسك.

- فأنتم تتعمون بالانتساب إلى كيان يتشرف باحتضان أول بيت وُضِع للناس وتشرفون بحمل أمانة ومسؤولية أمام ربكم الذي إليه مصيرنا ومصيركم ومصير الخلق أجمعين.

- ثم أمام ولي أمرنا أيده الله.

- وتجاه مواطنيكم.

- وتجاه أمتكم.

- ونحو العالمين.

- وأنتم هنا تتحلقون حول «كعبة وقبلة وقلب».

- وثقوا أنكم في هذا الموقع الرفيع -وخاصة مع التطورات العلمية- ملء سمع العالم وبصره: «يراقبكم العالم، وتُنظر إليكم أمتكم، ويرتجي الخير كله منكم أبناءً بلادكم. إنها حقائق فرضها المكان والزمان والتحديات والرسالة. وأنتم قبلتم بالاختيار، وتتمسكون بالرسالة، وتلتزمون بشروط استحقاق اللقب الرفيع: (خير أمة)».

وبهذا اللقب تتعاضم الأمانة، وتتوجب القدرة بالقُدوة، فتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله.

- من لهذه الأمانة مثل المعلمين؟

أيها الإخوة المعلمون!

إن مهمتنا العظمى إعداد الإنسان المكرّم الصالح لنفسه ولغيره. وللصلاحيّة شروط يقتضيها الزمان والمكان، كما يتطلبها الموقف من الصانع.

- وإذن فلا بدّ لهذا المعلم الصانع أن يتهيأ لمن يعلمه فيعده حتى يكون كُفئاً ومنافساً للمتفوقين من أهل القرن الذي يعيشه، في أنحاء العالم، وحتى يكون متسلحاً بالإحاطة

بِعالم يتغير من ساعة لساعة، فبيث معلمنا قلقاً صحيحاً مشروعاً في نفوس تلاميذنا حتى لا نذهل عن مواكبة العصر.

- إن ما اكتشفناه من قدرات إلهية في إنسان الفتوحات الكبرى في القرن الأول الهجري يختلف عما كشفناه في إنسان ما بعد ذلك من قرون. وسوف تختلف الكشوف مساحة وعمقاً كلما مضى الزمن.

- وهذه حقيقة نغفل عنها وينطلق منها إيعاز لنا: أن تَقَدِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لتكونوا على مستوى التحدي في القرن.

- ولذا فعلى المعلم أن يكون مستقبلياً، شعاره: تعلمنا لزمن، ونعلم أبناءنا لزمن غير زماننا.

- وإذا كان التدريس بحق لباً علمياً قوياً وقدرة على نقل المعارف، فإن هذا الشعار ممّا لا يمكن تحقيقه إلا بالتحصيل المستمر والمتابعة لتيار المعرفة وتطوراتها المتجددة، والتمكن من الوسائل المستحدثة لنقل تلك المعارف.

- إن هذه التطورات المتلاحقة في مجالات المعرفة كافة تستدعي توليد أجيال مستتارة بالطموح والخيال، مسلحة بالإرادة، تصمم على التفوق والابتكار تحقيقاً لأمنها المستقبلي حريصة على مكانتها ومكانة وطنها وأمتها ودينها.

• ولذا فالمعلم الكفؤ هو مدخل الطالب الكفاء.

• والمعلم القدوة مقدمة الطالب الملتزم.

• والمعلم الطموح هو الذي يعد وينتج الطالب المبتكر.

- وعلى الوجه الآخر فإن الحقيقة الصلبة التي لا يمكن كسرها، مهما كانت مريرة، أن فاقد الشيء لا يعطيه.

- وأن «مثل الطالب المسترشد من المعلم المرشد مثل الظل من العود» يستقيم متى استقام ولا يمكن أن يستوي الظل والعود أعوج.

- ولكن ما الذي يحفز المتعلم على استكشاف القدرات الإلهية في نفسه وفي الكون من حوله، نافذاً بإذن ربه في أقطار السموات والأرض؟.
 - كيف يدرك شمولية المعرفة الواجبة والانتفاع اللازم، الواردين في الآية الكريمة: (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض)؟ وكيف يتحقق التسخير دون علم بقوانين ما في السماوات والأرض؟ إنها البصيرة - وليدة التدبر والفكر - وهي التي تكشف تلك القوانين.
 - أما الحافز: فإن الذي يلهيه هو إدراك التحديات والأخطار التي يولدها الزمان، وتحوم حول المكان وتستهدف المكانة.
 - ويتمثل هذا التحدي - في الموقع الذي نربط فيه - في التحدي العلمي العالمي، الذي تتبلور ثماره في القوة العلمية البحثية وفي (القيم الأخلاقية - العقدية) للباحثين والعلماء وغيرهم من العاملين في مختلف المجالات المعلوماتية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والإعلامية، والذي يؤدي فيه التعليم الدور الأساسي منذ خطواته الأولى.
 - إن الحديث عن مجالات التفوق الطلابي في مختلف الدول، وكشف أسبابها يشعل الروح التنافسية، ويسقط الحواجز التي تحجب عن الرؤية أسباب القوة وهي في مهادها، وليكن هذا الحديث بديلاً عن الحوائط التي أقيمت سراعاً في مجالات أخرى مشبوهة، ربما ساقط جزءاً من ثرواتنا الشبابية الغالية إلى ما يضرهم ولا ينفعنا ولا ينفعهم.
- نبني التعليم على أربعة أركان:**
- ومع اهتمامنا البالغ بالحزمة التعليمية: (المعلم والمتعلم والمنهج) فإن المدرسة العصرية المجهزة والمؤهلة لأداء مهمتها السامية في ظل التطورات المتلاحقة: هذه المدرسة هي أمر لا غنى عنه.
 - وإنا لنستطيع القول: إن بناء التعليم يقوم على أربعة: المعلم والمتعلم والمنهج؛ فهذه ثلاثة؛ أما العمود الرابع فهو المدرسة.

- ونحن ندرك جميعاً أهمية مدرسة عصرية مجهزة مؤهلة لأداء رسالتها في عصر التطورات المتلاحقة، لتدخل بنا إلى قرن سوف يستبد فيه من يَعلم من لا يَعلم.
- ومع ذلك فإن الإحاطة بأرقام الميزانيات الهائلة التي تنفق حالياً على التعليم -للمعلم والمتعلم- أمر واجب.
- وينبغي أيضاً معرفة المتغيرات الاقتصادية العالمية الجادة التي تضغط على الميزانيات المقررة والمأمولة.
- والتي تحفر فجوة بين الرغبة والقدرة في محاولة إنجاز الأهداف المقررة.
- ومع أهمية وضع المدرسة فإن الثابت تاريخياً أن المعلم الكفاء الأمين، كان يستطيع دوماً ملء الفجوة، رغم تراجع امکانات وقتها، بالنفاذ إلى أعماق عقول تلاميذه وقلوبهم، ولب علمي قوي، موقنا بذلك الشعار العميق: (محببة العلم سابقة على تعلمه).
- وأضيف من عندي لهذا الشعار أن (محببة العلم والمعلم سابقة على التعلم).
- بل إن هذه المحبة شرط لوقوعه.
- وما زلنا نذكر ذكريات حياة في مجتمعنا: قصص معلمين أفاضوا قاموا بأمانة رسالتهم، رغم ظروف بالغة القسوة، ناقصة التجهيزات.
- ومن موقعنا هذا أوجه إليهم -باسمكم وباسمي- أخلص آيات المودة والتقدير لأدوار رائدة لا ينبغي أن تُنسى. ولولا ضيق الوقت لوجهنا لأصحابها فرداً فرداً التحية المقدره.
- إن عودة عاجلة بصيرة لبداية تاريخنا الهجري، تنبئ أن ذوي بصائر تميزوا بالصدق، أولاً مع الله، ثم مع النفس، هؤلاء رجحوا قاعدة الكيف على الكم، تلك القاعدة الثمينة أسست حضارة أرسدت أعمدة خيمتها في قارات العالم الثلاث المعروفة آنذاك: آسيا، وإفريقيا وأوروبا قبل أن تتقضي المائة الأولى من تاريخها. وقامت عليها دول عظمى،

تلاّت عواصمها بالعلم من المدينة المنورة ودمشق وبغداد والقاهرة إلى القيروان غرباً
فإلى الأندلس ثم شمالاً إلى القسطنطينية (الآستانة) التي فتحتها الإسلام وامتداداً إلى
فارس جنوباً وإلى الهند وأندونيسيا شرقاً، نعد بعضاً من ذلك ولا نستطيع أن نحصيه.

- ولقد أتت من بعدهم أجيال من العلماء والمعلمين على امتداد ألف وأربعمائة عام قدمنا
فيها -نحن المسلمين- نماذج مشرفة. ومن خلال دراسات معاصرة تمت في السنوات
الأخيرة للمؤسسات التربوية العربية الإسلامية تبين فضل المربين المسلمين؛ فقامت
في تلك المدائن جامعات ومدارس عظمتها كان لها أثرها في حضارتنا وفي دولنا، وما
كان يمكن أن يقوم ببيان هذه الدول العظمى بغير نظرياتهم وجهودهم في التربية
والتعليم.

- ومن هؤلاء من أقام نظاماً تربوياً متكامله، ومنهم من كتب -على سبيل المثال- في
علم نفس الطفل ما وافقه عليه من بعده من أمثال: «لوك» و«هيوم» من أصحاب المدارس
التجريبية في أوروبا، وذهب إليه «جون ديوي» من آباء التربية الأمريكية.
أيها الإخوة والأمناء المعلمون..

إن هدفنا في التعليم العام: إحسان في البدايات لإحسان الخواتيم.

وأن يتعلم الطالب ما لا يسعه جهله في دينه وأخلاقه.

ولا يكون مثل هذا التعليم إلا إذا سبقته قنوة وتطبيق.

• فهل يرسى قيمة الصدق من يستحل الكذب؟

• وهل يفرس الشجاعة من به خور؟

• وهل يؤسس لحمل الأمانة من تجرحه الخيانة؟

نعم فتحن لا نأمر بالبر وتنسى أنفسنا، ثم إننا لا نخالف إلى ما انتهى الناس عنه.

- أما أساسيات العلوم، فإنها إن أحسن كشف مغاليقها في بداياتها، وحببت إلى قلوب

الطلاب وأذهانهم، كانت مصدر توجههم وإقبالهم عليها في مستقبل الأيام. وبهذا المدخل الرفيق يعتدل الميزان في نسب الواردين ما بين الأدبيات والعلوم الطبيعية والرياضيات، وهي قضية لها وزنها وآثارها في تلبية احتياجات المجتمعات العصرية. ولا شك أن العلوم الطبيعية والرياضيات هي الجوهر المباشر لصناعة القوة. ومن استحوذ عليها علت كلمته في الأرض سواء رفع راية العدل أم كان بفطرسته يريد أن يخرق الأرض أو يبلغ الجبال طولاً.

- وقلبوا أبصاركم وأسماعكم وتأملوا فيما يرد إليكم من أنباء وأحداث إلى يومكم هذا، فسوف تقرررون يقيناً أن لا بقاء لأهل الحق الذين لا يمتلكون ناباً ولا ظفراً عصرياً.

ومن الواجب حقاً -لكي يأخذ الأبناء بقوة ما تؤتونهم من علم- أن يقدم إليهم بطريقة لا تميت العقل، أو تبفض إلى القلب المدرسة والكتاب والمعلم.

إن عدد المعلمين في بلادنا قد يقارب اليوم مائة وأربعين ألف معلم^{١٥}، وهذا تعداد جيش كبير للتعليم، ولو شتتم حقاً لأوقدتهم جذوة التفوق والكرامة والقوة، ولألهبتم إرادة أبنائكم الطلاب لمنافسة الآخرين، وذلك في طول البلاد وعرضها. وثقوا أن كلمات المعلمين المتميزة نظل نذكرها وتؤثر فينا لعشرات السنين التالية، إنكم تمتلكون ذلك الآن وفي كل يوم.. بل في كل ساعة.. وفي كل حصة من حصص اليوم الدراسي؛ إذن فقولوا كلمتكم.. إن بين أيديكم جنين مستقبل شعبكم وأمتكم مستكناً في صدور المتعلمين.

فليكن هذا المستقبل امتداداً لحضارة عريقة، كان ميلادها هناك في أعماق بلادكم حيث تستوي كعبة، هي قبلة وقلب.

أيها الأمناء.. أيها المعلمون!

لنحرص على لغتنا الحضارية العريقة؛ نحافظ على الفصحى فنعلم بها، حتى لا نتشردم وتتفاوت معايير الفهم؛ فتحدث بها لتلاميذنا وأهلنا والناس جميعاً؛ فلا تقتصر المحافظة عليها على مدرسي ودارسي اللغة العربية، بينما هي تهجر وتتقهقر في سائر

١٥ في العام الدراسي ١٤٢٦ - ١٤٢٧ هـ، أصبح عدد المعلمين والمعلمات ومن في حكمهم حوالي أربعمئة ألف.

المواد، فهي لغة القرآن الكريم والرسول العظيم صلى الله عليه وسلم وإن تحطم الجسور بيننا وبينها يقطعنا عن هذه الجذور. وهي الجبل السري لخصوصيتنا، وهي التي تربطنا بحضارة ١٤٠٠ عام ونيف. وحضارتنا تلك نقل عنها العالم حضارته العلمية الحديثة من بوابة الأندلس الزاهرة وما إليها.

واللغة الواحدة تمثل في زمن الوحدات الكبرى مصدراً من مصادر القوة الاستراتيجية حين تصلنا بدائرة العروبة ودائرة الإسلام في العالم؛ ففي هذه الدائرة شعوب تؤمن برسالة الإسلام وتقدها من خلال اللسان العربي المبين.

• وأنتم ترون في عالم اليوم أن دولاً في أقصى الشمال الأوروبي تتواصل مع دول أقصى الجنوب الإفريقي وتتهز التواصل اللغوي فتقيم رابطة لغوية، وتستفيد منها بعد ذلك في إقامة شتى المعابر^{١٦}. وتحقيق مختلف المصالح وتحرص أمم أخرى أيضاً على إحياء لغات اندثرت أو كادت، لتقيم خصوصيتها، وتتخذ لساناً واحداً ليحل محل السنة شتى يتداول بها العلم الحديث؛ فما قال أحد في ذلك: إنهم بهذا راجعون للخلف أو تاركون للعلم الحديث!!

• ألا فلنعلم أنه لا مستقبل للأمة، ولا بقاء لها إن لم نحافظ على ثلاثة أركان:

أولها: عقيدة نتدبرها ونحترمها فنطبقها.

وثانيها: تاريخ نفخر به، يستعصي على محاولات الهدم الانتقائية والتحقير والإقصاء لتخرج الأجيال الجديدة من فلکها الأصلي، تمهيداً لدورانها في أفلاك الآخرين لا على قدم المساواة بل لتصير أتباعاً في أذيالهم.

وثالثها: لغة مبينة نعتز بها، نتعامل بها بثقة: في البيت، والمدرسة، والمسجد والجامعة، والمختبر، وفي المراجع، وعلى شبكات الحواسيب، والقنوات الفضائية، كما نغار عليها من التحريف والهجنة والانحطاط.

١٦ رابطة الدول الفرنكوفونية (الناطقة بالفرنسية) برئاسة د. بطرس غالي. الأمين العام السابق للأمم المتحدة، الموسوعة العربية العالمية، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ١٧/٣٤٠ - ٣٤١، مدخل (الفرانكوفونية).

أيها الإخوة الأمانة المعلمون، والمعلمون الأمانة:

قد يبدو لأول وهلة كثرة فيما ناديتكم به، ولكن ألا ترون أنه على الرغم من نداء الكتاب الكريم المتوالي: (يا أيها الذين آمنوا) لم يكن ذلك تكراراً قط. بل كان في كل مرة نداء داعياً، أو موقظاً، أو منبهاً أو شارحاً أو محرصاً. وكذلك فإنني حين أخاطبكم فإنما أقصد استحضار مدلول النداء لا مجرد نداء يميته التكرار.

أيها الإخوة:

منذ حوالي ثماني سنوات اجتمع أكثر من ثلاثمائة شخصية عربية علمية وتربوية وسياسية في إحدى العواصم العربية لمناقشة تقرير أعد في ثلاث سنوات عن التعليم في العالم العربي. وخرجوا من ذلك الاجتماع فقالوا: إن التعليم الذي كان من المفترض أن يساعدنا على مواجهة مشكلات التخلف، أصبح هو نفسه مشكلة معقدة تضاف إلى مختلف مشكلاتنا؟ لماذا وكيف يتحول التعليم إلى مشكلة وهو في الأصل أداة حل المشكلات؟ لقد ذكروا أن عدد سكان الوطن العربي سيصل إلى ثلاثمائة مليون نسمة عام ٢٠٠٠م، وسيبلغ عدد الدارسين منهم (١١٠) ملايين، وإذا ظلت معدلات الإنفاق كما هي (المعاصرة لوقت الندوة) فسوف تحتاج الأمة العربية إلى (١٠٠) مليار دولار سنوياً لتعليم هذه الأعداد الغفيرة. ثم يواصلون القول:

«إن هذا الجيش الغفير من المتعلمين والخريجين فيما بعد سيكونون مجرد طلاب وظائف، إذا تعلموا تعليماً هزلياً، وسوف يحصلون على رواتب لا علاقة لها بإنتاجيتهم الحقيقية.. ومن هنا سوف تكون المجتمعات خاسرة مرتين:

الأولى، في الإنفاق على تعليم هزيل.

الثانية، في توظيف عقيم بلا مردود حقيقي.. هذا في الوقت الذي تقدر فيه رواتب هؤلاء إذا وظفوا - بنصف قيمة الإنتاج المحلي الإجمالي!!.

عممت لكم هذه الجولة في العالم العربي للإحاطة بالتكلفة الباهظة للتعليم إذا لم يتسم بالكفاية للعصر الذي نعيشه والزمن الذي يليه. ومن هذا المنطلق فإننا هنا في هذه البلاد نرفض فكرة التعليم الهزيل وننادي بقاعدة الكيف لا الكم؛ لأن حصاده الاجتماعي

والاقتصادي - بآثاره السلبية - أمر لا يمكن القبول به لأي مخلص، من أي زاوية من زواياه. خاصة إذا تذكرنا ذلك الشعار: إن من يعلّم سوف يستعبد من لا يعلّم بل سوف يستعبد من الوجود. وسوف نسعى لنحت شعار جديد: «أنا أعلّم.. أنا أنافس إذن أنا موجود».

أيها الإخوة الأمناء المعلمون.. والمعلمون الأمناء..

هل رأيتم قط بناءً بغير أساس؟

أو ثمرًا يجتني من أشجار الوهم؟

أما الأساس الذي نتحدث عنه فيحتاج إلى زمن يقام فيه.

وأما الثمر فيحتاج لنبت يفرس وأشجار تمد جذورها في الأعماق.

ومن هنا أصبح الزمن والوقت محلاً للتنافس.

وكل الصراعات تجري اليوم في المختبرات والمعامل للسبق في الابتكار.

وتعمل أجهزة الرصد لسرعة اقتباس الأفكار المفيدة، والمسارعة إلى تطبيقها، كما تتبع القصور والخطأ لتلافيه وتصحيحه لحظة اكتشافه.

ولذا فإنكم تلاحظون أيضاً أن الذين تفوقوا اكتسب الوقت عندهم احتراماً فائقاً.

• ولقد قاموا بإبداع هذا المعنى الثمين في مكنون عقول المتعلمين والمتعلّمت، ومنه انداح إلى مسارات السلوك في انمواق كافة، حتى صار من بدهيات الحياة، لا تكاد تحتاج تعليماً أو تحريضاً أو تعليمات وعقوبات وأوامر سواء في الفصل الدراسي أم في الشارع أم في المستشفى، أم في صناعة الصاروخ والحاسوب، أم في التزام آداب السير في الطرقات.

• إن ساعة ثمينة واحدة تتبعثر في يوم دراسي واحد، منقوضة من حصة هنا أو هناك تعني ملايين الساعات بمثل عدد التلاميذ والتلميذات الذين يدرسون في مدارسنا كلها، فإذا ضربنا هذا العدد في أيام السنة الدراسية جميعاً كانت المعادلة ساعات باهظة مهدرة بالمليارات، سواء أكانت أعماراً تتبدد أم دراهم تحترق.

وإن لدينا من الأصول التربوية الثمينة التي تدور بشأن الزمن وتثمينه ما يمكننا من استرداد الإحساس بالقيمة الجادة للزمن. ولقد يكفينا -إذا ما راجعنا أرصدتنا- ارتباط الصلاة الدقيق بالزمن. ومناسك الحج والحركة فيه زماناً ومكاناً... وسائر العبادات بل وكثير من الأدعية والتسابيح؛ نسترجع في الذاكرة ما يردده رجع النداء الفريد فيما ينادي المنادي فجر كل يوم جديد.. أن اغتمني؛ فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

فتح جديد للزمن..

أيها الإخوة والزملاء..

لقد فتح العلم مؤخراً فتحاً مبيناً حينما تمكّن من رصد ما يدور في جزيء الخلية البشرية، وأطلع على سرعة تفاعلاته التي تتم في واحد على مليون من البليون من الثانية وهو ما أطلقت عليه علمياً: (الفيمتوثانية)^{١٧}، فأمكن تصويرها بلاقطه (كاميرا) فائقة السرعة لمراقبة حركة الذرة داخل الجزيء، وهو الأمر الذي سيؤدي إلى فتح آفاق مدهشة في مجال علاج الأمراض في بدايتها الأولى وسيتمدها أيضاً إلى تطورات هائلة في فروع متعددة من العلوم.

أود أن أذكر بأننا في تواصلنا اليومي ورصدنا لما يدور في العالم، لابد أن نصل أبناءنا بهذه الفتوح العلمية المتواليّة، فترتفع درجة استشعار قيمة الزمن وتدرك الأجيال الجديدة أن ما يتسرب منه بإرادتنا -أو بغيرها- يكون محسوباً علينا بهذا التقسيم الجديد للزمن الذي رصد واحداً على مليون من البليون من الثانية. ثم إنني أضيف أيضاً أن هذه الملاحقة للتطورات فيما يسمونه «الفجوة العلمية» لا تسقطنا في حضرة اليأس من اللحاق أو المنافسة، متى وضعنا أقدامنا على أول الطريق. ورغم كلّ العثرات والمصاعب، فإن العالم في حركة مستمرة، والحضارات تهبط وتصعد، والأيام يداولها الله بين الناس، ولكل ذلك قوانين تستتر تحت قاعدة عظمى لا تلين ولا تنكسر: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)^{١٨}.

١٧ وهو الاختراع الذي حصل به العالم المصري د. أحمد زويل على جائزة نوبل في العلوم.

١٨ سورة الرعد، آية: ١١.

روابط لا تنفصم بين البيت والمدرسة :

أيها الإخوة الزملاء...

اسمحوا لي أن أؤكد أنني لا أتصور نجاحاً للعملية التربوية دون إقامة أقوى الروابط بين البيت والمدرسة، إدارة ومعلمين؛ فمن المؤكد أن كلا من الوالد والمعلم يرى من موقعه ما لا يراه الآخر في شخصية المتعلم سلباً أو إيجاباً، ونريد كسراً لاغتراب البيت عن المدرسة كأنهما عالمان منفصلان.

• إننا ندعو للتواصل الحقيقي، وهو بكل تأكيد غير اللقاء السطحي العابر أو لقاء الاحتفالات والمناسبات العابرة. ولعل تفعيل هذا التواصل إنما يكون بالتشاور والمشاركة بالاقترحات من الأطراف كافة بعد أن يقوم اقتناع مشترك لدى الفريقين: (الآباء والمعلمين) بأهمية الوجود الحقيقي لهذه العلاقة. وفي الشطر الأول منها: أن يؤمن الآباء باستحالة حياة أبنائهم لتعلم مجّد، دون أن يخصصوا قسماً من أوقاتهم لاستثماره في تربية أبنائهم، يمثل الجدية والاهتمام الذي ينفقونه في إدارة أعمالهم أو القيام بوظائفهم، ونودُّ بصراحة ألا يقتصر دور الآباء على تمويل بيوتهم أو الإنفاق عليها.

وفي الشطر الثاني: أن يوقن المعلمون بأن هذه الصلة تيسر لهم -لأبعد مدى- العملية التعليمية- باكتشاف قدرات الطالب وقياس ميوله واتجاهاته وعلاج مواقع الضعف والنقص في تكوينه من خلال الرؤية المنزلية.

ولابد لإتمام ذلك من حسن تلقي الإدارات المختلفة للمبادرات والاقترحات من كلا الطرفين: الآباء والمعلمين، وتعبيد كافة الطرق لوصول تلك المبادرات إلى الوزارة بكافة فروعها وإداراتها، ودراستها بالاهتمام اللازم تمهيداً لتطبيقها والاستفادة منها.

وأتوقع -تأكيداً ورعاية لروح التشاور وقيمتها- أن يتسلم أولئك المبادرون ما يشعر بتسلم مقترحاتهم وتاريخ تلقيها، بحيث يطمئنون إلى أن ما طرح علينا في هذه المواقع لن يدفن في الأدراج أو يلقي حيث تذهب به رياح النسيان.

أيها الإخوة العاملون الأمانة:

قلنا آنفاً: من أجل هذه المهمة السامية نحرض

نعم... نحرض

وبيان ذلك أنني أتوقع أن تنبثق من كل مدرسة ريادة -وهي ليست رئاسة بالضرورة- تتلقى هذه الكلمات وغيرها بروح المسؤولية والأمانة التي ألقاها الله على كواهلنا ويحركها حب مجتمعتنا وأمتنا وديننا.

وأن تحرك هذه الريادة نوازع العمل الحقيقية وكوامن العطاء لدى الإخوة المعلمين -وهم حملة أمانة وأصحاب مهمة سامية نبيلة، لا مجرد طلاب وظيفة هينة- وأن تبذر هذه الريادة بذورها فيمن حولها -طلاباً ومعلمين- وأن تلزم نفسها وتلتزم بالتواضع، وباللين لا الغلظة، لإبراز المسؤوليات وتوليد الطاقات الكامنة، وأن تسعى وتدفع الآخرين لإيجاد «روح الفريق». وهذا في الحقيقة جوهر لامع من جواهر الإيمان، والمؤمنون -حيثما كانوا- يد واحدة.. وهم كالجسد الواحد. وجوهر الجسدية الواحدة التناغم والتواصل والانسجام بين مختلف الأعضاء لتحقيق هدف الجسدية الواحدة.

• وبعد فهل يعقل أن نفرس باليمنى ما نخلعه باليسرى.

• وهل يمكن لجسد أن يصل لغاية إذا كان نصف عقله يهتف به: تقدم، والنصف الآخر يوسوس له: أن تأخر!!

إن هذا الانقسام في أي فرد أو شعب أو أمة.. إذا وضعته في معادلة رياضية.. تجد حصيلة الطاقة صفراً..

من هنا أهتف للضمائر والعقول والقلوب قبل مطالبتي بالأفعال والتطبيقات والإنجاز. ولذا صدق من قال: إن العبرة النهائية ليست بما يحصل عليه الطلاب والطالبات من درجات -وإن كان هذا مطلباً مشروعاً في ذاته- وإنما الأهم هو ما نفرسه من دوافع ونوقده من أضواء في العقول والقلوب..

رَبَّنَا آتِ نَفُوسَنَا تَقْوَاهَا.

وَأَلْهَمْنَا الْعَمَلَ الصَّالِحَ مَعَ الْعِلْمِ النَّافِعِ.

وَوَسِّعْ مِن رُؤْيَيْنَا لَزَمَانِنَا وَمَكَانِنَا وَمَكَانَتِنَا.

وَأَعْطِنَا الْقُدْرَةَ عَلَى مَحَادَاةِ الْآخَرِينَ ثُمَّ مَنَاقَسَتِهِمْ.

وأعطنا من المكانة والإمكانية لتقييم الصلاة ونؤتي الزكاة.. ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر- لا في محيطنا بل على مستوى العالم -قياماً بالواجب- ليعطينا ذلك -عن جدارة- وصفنا بأننا... (خير أمة أخرجت للناس).

ج - ميثاق مهنة التعليم،

لقد كان من جملة ما وفق الله إلى إنجازه حين كنت مديراً عاماً لمكتب التربية العربي لدول الخليج إصدار ما سميناه «إعلان مكتب التربية العربي لدول الخليج لأخلاق مهنة التعليم» الذي أقره وزراء التربية والتعليم في الدوحة بدولة قطر في شهر رجب ١٤٠٥هـ، وقد طبع هذا الإعلان ووزع غير أنه كان استرشادياً؛ لذا حرصنا في الوزارة على أن نقتبس من ذلك الميثاق أهم بنوده وأن يوافق عليه من مجلس الوزراء ويصادق عليه المقام السامي فعرضت الوزارة نصوصاً محددة على لجنة التربية التي يرأسها صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد، فوافقت عليها اللجنة، واقترح أن يُقسم المعلم على الالتزام بهذه الوثيقة أسوة بقسم الضباط حين تخرجهم، غير أن مبدأ القسم لم يقر. وقد أقر المقام السامي هذا الميثاق وهو بنصومه كالآتي:

المادة الأولى،

يقصد بالمصطلحات الآتية المعاني الموضحة قرين كل منها.

أخلاقيات مهنة التعليم،

السجايا الحميدة والسلوكيات الفاضلة التي يتعين أن يتحلّى بها العاملون في حقل التعليم العام فكراً وسلوكاً أمام الله ثم أمام ولاة الأمر وأمام أنفسهم والآخريين، وترتب عليهم واجبات أخلاقية.

المعلم:

المعلم والمعلمة والقائمون والقائمات على العملية التربوية من مشرفين ومرشدين ومرشدات ونحوهم.

الطالب:

الطالب والطالبة في مدارس التعليم العام وما في مستواها.

المادة الثانية: أهداف الميثاق:

يهدف الميثاق إلى تعزيز انتماء المعلم لرسالته ومهنته، والارتقاء بها والإسهام في تطوير المجتمع الذي يعيش فيه وتقدمه، وتحبيبه لطلابه وشدهم إليه، والإفادة منه وذلك من خلال الآتي:

١. توعية المعلم بأهمية المهنة ودورها في بناء مستقبل وطنه.
٢. الإسهام في تعزيز مكانة المعلم العلمية والاجتماعية.
٣. حفز المعلم على أن يتمثل قيم مهنته وأخلاقها سلوكاً في حياته.

المادة الثالثة:

١. التعليم رسالة تستمد أخلاقياتها من هدي شريعتنا ومبادئ حضارتنا، وتوجب على القائمين بها أداء حق الانتماء إليها إخلاصاً في العمل، وصدقاً مع النفس والناس، وعطاءً مستمراً لنشر العلم وفضائله.
٢. المعلم صاحب رسالة يستشعر عظمتها ويؤمن بأهميتها، ويؤدي حقها بمهنية عالية.
٣. اعتزاز المعلم بمهنته وإدراكه المستمر لرسالته يدعوانه إلى الحرص على طهارة السيرة ونقاء السريرة، حفاظاً على شرف مهنة التعليم.

المادة الرابعة: المعلم وأداؤه المهني:

١. المعلم مثال للمسلم المعتز بدينه، المتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع أقواله وأفعاله؛ وسطياً في تعاملاته وأحكامه.

٢. المعلم يدرك أن النمو المهني واجب أساسي، والثقافة الذاتية المستمرة منهج في حياته، يطور نفسه وينمي معارفه منتفعاً بكل جديد في مجال تخصصه، وفنون التدريس ومهاراته.
٣. يدرك المعلم أن الاستقامة والصدق والأمانة والحلم والحزم والانضباط والتسامح وحسن المظهر وبشاشة الوجه سمات رئيسة في تكوين شخصيته.
٤. المعلم يدرك أن الرقيب الحقيقي على سلوكه - بعد الله سبحانه وتعالى - هو ضمير يقظ وحس ناقد، وأن الرقابة الخارجية مهما تنوعت أساليبها لا ترقى إلى الرقابة الذاتية، لذلك يسعى المعلم بكل وسيلة متاحة إلى بث هذه الروح بين طلابه ومجتمعه، ويضرب المثل والقُدوة في التمسك بها.
٥. يسهم المعلم في ترسيخ مفهوم المواطنة لدى الطلاب، وغرس أهمية مبدأ الاعتدال والتسامح والتعايش بعيداً عن الغلو والتطرف.

المادة الخامسة: المعلم وطلابه:

١. العلاقة بين المعلم وطلابه، والمعلمة وطلباتها لحمتها الرغبة في نفعهم، وسداها الشفقة عليهم والبر بهم، أساسها المودة الحانية، وحارسها الحزم الضروري، وهدفها تحقيق خيري الدنيا والآخرة للجيل المأمول للنهضة والتقدم.
٢. المعلم قدوة لطلابه خاصة، وللمجتمع عامة، وهو حريص على أن يكون أثره في الناس حميداً باقياً لذلك فهو يستمسك بالقيم الأخلاقية، والمثل العليا ويدعو إليها وينشرها بين طلابه والناس كافة، ويعمل على شيوعها واحترامها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.
٣. يحسن المعلم الظن بطلابه ويعلمهم أن يكونوا كذلك في حياتهم العامة والخاصة ليلتمسوا العذر لغيرهم قبل التماس الخطأ ويروا عيوب أنفسهم قبل رؤية عيوب الآخرين.
٤. المعلم أحرص الناس على نفع طلابه، يبذل جهده كله في تعليمهم، وتربيتهم، وتوجيههم، يدلهم على طريق الخير ويرغبهم فيه ويبين لهم الشر ويذودهم عنه، في رعاية متكاملة لنموهم دينياً وخلقياً ونفسياً واجتماعياً وصحياً.

٥. المعلم يعدل بين طلابه في عطائه وتعامله ورقابته وتقويمه لأدائهم، ويصون كرامتهم ويعي حقوقهم، ويستثمر أوقاتهم لكل مفيد وهو بذلك لا يسمح باتخاذ دروسه ساحة لغير ما يعنى بتعليمه، في مجال تخصصه.
٦. المعلم أنموذج للحكمة والرفق، يمارسهما ويأمر بهما، ويتجنب العنف وينهى عنه ويعود طلابه على التفكير السليم والحوار البناء، وحسن الاستماع إلى آراء الآخرين والتسامح مع الناس والتخلق بخلق الإسلام في الحوار، ونشر مبدأ الشورى.
٧. يعي المعلم أن الطالب ينفر من المدرسة التي يستخدم فيها العقاب البدني والنفسي، لذا فإن المربي القدير يتجنبهما، وينهى عنهما.
٨. يسعى المعلم لإكساب الطالب المهارات العقلية، والعلمية، التي تنمي لديه التفكير العلمي الناقد، وحب التعلم الذاتي المستمر وممارسته.

المادة السادسة : المعلم والمجتمع :

١. يعزز المعلم لدى الطلاب الإحساس بالانتماء لدينه ووطنه، كما ينمي لديهم أهمية التفاعل الإيجابي مع الثقافات الأخرى، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.
٢. المعلم أمين على كيان الوطن ووحدته وتعاون أبنائه، يعمل جاهداً لتسود المحبة المثمرة والاحترام الصادق بين المواطنين جميعاً وبينهم وبين أولي الأمر منهم، تحقيقاً لأمن الوطن واستقراره، وتمكيناً لنمائه وازدهاره، وحرصاً على سمعته ومكانته بين المجتمعات الإنسانية الراقية.
٣. المعلم موضع تقدير المجتمع، واحترامه، وثقته، وهو لذلك حريص على أن يكون في مستوى هذه الثقة، وذلك التقدير والاحترام، ويحرص على ألا يؤثر عنه إلا ما يؤكد ثقة المجتمع به واحترامه له.
٤. المعلم عضو مؤثر في مجتمعه، تعلق عليه الآمال في التقدم المعرفي والارتقاء العلمي والإبداع الفكري والإسهام الحضاري ونشر هذه الشمائل الحميدة بين طلابه.

٥. المعلم صورة صادقة للمثقف المنتمي إلى دينه ووطنه، الأمر الذي يلزمه توسيع نطاق ثقافته، وتنوع مصادرها، ليكون قادراً على تكوين رأي ناضج مبني على العلم والمعرفة والخبرة الواسعة، يعين به طلابه على سعة الأفق ورؤية وجهات النظر المتباينة باعتبارها مكونات ثقافية متكامل وتتعاون في بناء الحضارة الإنسانية.

المادة السابعة، المعلم والمجتمع المدرسي:

١. الثقة المتبادلة والعمل بروح الفريق الواحد هو أساس العلاقة بين المعلم وزملائه وبين المعلمين والإدارة التربوية.
٢. يدرك المعلم أن احترام قواعد السلوك الوظيفي والالتزام بالأنظمة والتعليمات وتنفيذها والمشاركة الإيجابية في نشاطات المدرسة وفعاليتها المختلفة، أركان أساسية في تحقيق أهداف المؤسسة التعليمية.

المادة الثامنة، المعلم والأسرة،

١. المعلم شريك الوالدين في التربية والتنشئة فهو حريص على توطيد أو اصرر الثقة بين البيت والمدرسة.
٢. المعلم يعي أن التشاور مع الأسرة بشأن كل أمر يهم مستقبل الطلاب أو يؤثر في مسيرتهم العلمية، وفي كل تغير يطرأ على سلوكهم، أمر بالغ النفع والأهمية.
٣. يؤدي العاملون في مهنة التعليم واجباتهم كافة ويصبغون سلوكهم كله بروح المبادئ التي تضمنتها هذه الأخلاقيات ويعملون على نشرها وترسيخها وتاصيلها والالتزام بها بين زملائهم وفي المجتمع بوجه عام.

إن ذكرى لهذه الأحاديث الموجهة للمعلمين وميثاق أخلاق مهنة التعليم التي تمت الموافقة السامية عليه لا يعنى في كل الأحوال أن ما قدم لهم كان تحفيزاً معنوياً فقط وإنما وجد الكثير من المحفزات التي تساعد على رفع كفاءة المعلم والعناية به وهى على سبيل المثال لا الحصر:

١. أقيمت مراكز للتدريب في كل إدارة تعليمية أنيط بها تقديم برامج تدريبية متعددة لتطوير المهارات والقدرات والوقوف على الجديد في ميدان أساليب التعليم وتقنياته.

٢. إعطاء الفرصة للمعلمين الذين لم يكملوا المرحلة الجامعية، لإتمام هذه المرحلة متفرغين لها محتفظين برتبهم ورواتبهم.
٣. إعادة تأهيل المعلمين تربوياً والذين لم يكن لهم مؤهل تربوي قبل ذلك.
٤. رفع البنود الخاصة بميزانية التدريب عشرة أضعاف ما كانت عليه.
٥. انتخاب المتميزين من المعلمين وابتعائهم لمواصلة دراساتهم العليا خارج البلاد.
٦. ندب المعلمين السعوديين الأكفاء للتدريس في الأكاديميات والمدارس السعودية في دول أوروبا وأمريكا لرفع كفاءتهم وإعطائهم الفرصة للاستفادة مما عند الآخرين، وكذلك إرسال المعلمين السعوديين المتميزين للتدريس في بعض الدول الشقيقة والصديقة على نفقة المملكة.
٧. الاحتفاء سنوياً بالمعلمين المتميزين عن طريق معايير فنية منضبطة تقوم بها اللجان الفنية المختصة.
٨. إشراك المعلمين في المؤتمرات والندوات التي تقام داخل المملكة وخارجها.
٩. الاتفاق مع المؤسسات التجارية والخدمية لإعطاء تخفيضات للمعلم تقديراً لجهوده، وذلك عن طريق إبراز المعلم لبطاقته.
١٠. العمل الحثيث مع وزارة المالية، بأن تحدث درجات وظيفية تتناسب ومؤهلات المعلمين، فقد كان مما يؤلمني أن بعض المعلمين يعين على درجة وظيفية أقل مما يستحقه نظاماً بسبب عدم وجود شواغر وظيفية.
١١. سعي لا يكل لحل مشكلة مكان عمل المعلمين والمعلمات في مناطق لا يرغبون العمل فيها وأصبح المعلم بحكم الاتصال الإلكتروني بالكمبيوتر في الوزارة قادراً على معرفة الوضع العام لهذه التنقلات وأنها تسير بشكل موضوعي.
١٢. الاتفاق مع شركات الحاسب الآلي بالمملكة على توفير الحاسب الآلي الشخصي للمعلمين ومن في حكمهم بأسعار مخفضة ومقسطة.

١٣. إقامة نوادي للحاسب الآلي في كل الإدارات التعليمية حتى تساهم في تطوير قدرات المعلمين ومهاراتهم وذلك بجهود الوزارة وجهود كثير من المتبرعين.

١٤. لقد سعت إلى تطوير مراتب المعلمين ورتبهم بحيث تكون رتباً علمية أسوة بأعضاء هيئة التدريس في الجامعات فيكون معلم مساعد - معلم - معلم أول - ومعلم مشرف - معلم خبير.. إلخ، وتكون الترقيات حسب الأصول العلمية وحسب التزام المعلم بأخلاقيات مهنة التعليم، وتقدير أدائه الوظيفي تقديراً متميزاً. كما أن عليه أن يجتاز برامج تدريبية تطور أداءه وخاصة في مجال الكمبيوتر والحصول على رخص في هذا المجال. كما أن الانتظام في العمل وعدم الانقطاع عنه شرط أساسي للترقية من مرتبة إلى أعلى، وأن يوافق التطوير زيادة في الرواتب بحيث تكون المهنة مشوقة، ويثبت فيها الأفضا مما يحفز المعلم لتطوير نفسه مهنيًا واكتساب مهارات وخبرات جديدة تجعل أداءه متألماً.

ومن باب الحرص على تبصير المعلمين والمعلمات بدورهم، وأن المحور الأساسي في العملية التعليمية هو الطالب وتربيته التربية السليمة. فقد كتبت رسائل إلى المعلم والمعلمة في كل مقرر دراسي أوضح لهم الغاية المرجوة من تدريس المادة، وفيما يأتي نماذج لتلك الكلمات:

أولاً: كلمة إلى معلم ومعلمة العلوم الإسلامية،

إنكم ستكونون سعداء - بإذن الله - إذا وفقتم لجعل تلاميذكم الذين تعلمونهم وتربونهم مسلمين حقاً تتمثل في شخصيتهم وفي سلوكهم اليومي أخلاق الإسلام وفضائله وعقيدته وإخلاص العبادة لله وحده.

فلا تقفوا عند نقل المعلومات إلى تلاميذكم بل اعملوا على أن يتمثل الإسلام في سلوكهم وتصرفاتهم.

وإني لأرجو لكم - مع سعادة الدنيا - سعادة الآخرة بهذا الجهد النبيل.. وفقكم الله.

ثانياً، كلمة إلى معلم ومعلمة اللغة العربية،

إنكم تقومون بعمل هو غاية في الأهمية بشأن تربية النشء تربية لغوية تجعله يحب اللغة العربية، ويعتاد التحدث بها، والكتابة وفق أساليبها، ويحسن فهم ما يسمعه أو يقرأه مكتوباً بها، فهي لغة القرآن العظيم، والرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم.

وإني على ثقة من حرصكم على أن يفهم النشء قواعد اللغة العربية، ويتقن مهاراتها، في الخط، والإملاء، والنحو، وأساليب البيان. ولا تتسوا أن تجعلوه يعتز بهذه اللغة، ويفار عليها، ويتذوق أساليبها؛ فالقدرة في اللغة والتعبير خير عون على سلامة التفكير.

ولكم مني كل تقدير وإعزاز، جعل الله التوفيق حليفكما.

ثالثاً، كلمة إلى معلم ومعلمة الرياضيات،

إن تدريسكم الرياضيات له هدف قريب وهو أن يحصل طلابكم المفاهيم العددية والرياضية ويملكو المهارات الحسابية والرياضية على اختلافها، وهذا هدف مهم لا غنى عنه ولا نزاع في ضرورته.

ولكنكم في الحقيقة تقومون من خلال تدريسكم الرياضيات بعمل تربوي فيه من العمق والشمول ما يساعد على تكوين شخصيات تلاميذكم على المنهج السليم والوصف القويم.

وإنكم لا شك مدركون أهمية الأهداف الآتية التي تترتب على الهدف المذكور، ورجاؤنا أن تعملوا جاهدين لتبدو آثارها في سلوك طلابكم وتمثّل في شخصياتهم:

١. شعور الطالب والطالبة بأن العالم كلّ منظم وفق العدد؛ فالعدد بتقدير الله يسود الكون كلّ: (وكلّ شيء عنده بمقدار)^{١٩}.

٢. تدرب الطالب والطالبة على الصدق في القول؛ فإن الأعمال الرياضية مجال خصب لتوليد معنى الصدق في النفس، وتدريب طلابكم على قول الحقّ والتماس الصدق.

١٩ سورة الرعد، آية: ٨.

٣. تنظيم الطالب والطالبة فكرهم واعتيادهم على ترتيب أفكارهم وتضيد معلوماتهم بحيث يؤدي بعضها إلى بعض ويسلم بعضها إلى بعض؛ فتنبثق المعلومة من المعلومات السابقة عليها وتؤدي إلى معلومة جديدة تترتب عليها.
٤. استشعار الطلاب أن التقدم البشري بوجه عام مواكب للتقدم في الرياضيات علماً وتطبيقاً.
٥. تقدير الطلاب لجهود أسلافهم من أعلام الرياضيات من المسلمين مع شعورهم بأن الحضارة الراهنة حصيلة لتعارف عالمي شاركت فيه الأمم من أقدم العصور إلى يومنا هذا.
٦. عزم الطلاب على أن يكونوا عوناً لأمتهم كي تستأنف عطاءها في ميدان الرياضيات وفي الإنجازات العلمية بعامة.

إن جهودكم مشكورة في تحقيق هذه الأهداف وما إليها وإن نجاحكم مرتبط بظهور أثر هذه الأهداف في شخصيات تلاميذكم وفي سلوكهم. رعاكم الله وجعل لكم في نفوس طلابكم أثراً باقياً.. والله يتولانا ويتولاكم.

رابعاً، كلمة إلى معلم ومعلمة العلوم الطبيعية،

إن الهدف من تدريس هذه العلوم -كما تعلمون- هو أن يُحصّل طلابكم معلومات صحيحة عن أنفسهم وبيئتهم، وعن الكون الفسيح حولهم، وهذا الأمر الذي لا غنى عنه هو وسيلة لتحقيق أهداف أخرى تظهر آثارها في سلوك طلابكم وشخصياتهم.

وإنكم خير من يُدرك أن تدريس العلوم الطبيعية يجعل طلابكم يستشعرون عظمة الخالق سبحانه في هذا الكون الذي يسير وفق سنن لا تتخلف، وهي أيضاً تعود الطالبة سلوك المنهج العلمي لتحصيل معلومات صحيحة عن جوانب هذا الكون الواسع الحافل بأنواع الكائنات، فتأخذ نفسها بأن تجعل العلم مقترناً بالعمل والنظرية بالتطبيق؛ فلا تكون معرفتها مبتورة عن نتائجها التطبيقية، ولا تكون أعمالها غير مستندة إلى دعائمها النظرية. فاجعلوا طلابكم شغوفين بالمعرفة متشوقين للزيادة من العلم عاملين بأمر الله تعالى: (وقل رب زدني علماً)^{٢٠}.

أخي المعلم أختي المعلمة، إن تمثل هذه الفضائل والمعاني في شخصيات طلابكم وفي سلوكهم هو معيار نجاحكم.

جعل الله التوفيق حليفكم.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خامساً: كلمة إلى معلم ومعلمة اللغة الإنجليزية،

إنكم بقيامكم بتعليم الإنجليزية تسهمون في إعداد أبناء أمتكم لتكون لهم مشاركة ودور في استئناف المسلمين لدورهم الحضاري؛ فإن العمل بالإسلام يصنع الحضارة على أيدي من يصدقون العمل به، وذلك يقتضي العلم بلغات الآخرين.

إنكم تعملون لتمكين طلابكم من اللغة الإنجليزية التي أضحت إحدى لغات العالم الأوسع انتشاراً: يعرفون مفرداتها وتراكيبها وأساليبها وقواعدها ويحسنون استخدام ما عرفوه.

١. فلا تكتفوا بتلقين المعلومات اللغوية، ولكن اعملوا على تكوين المهارات والعادات اللغوية السليمة بحيث يتقن طلابكم تلك اللغة التي تعلمونهم إياها كما يتقن كل ذي لغة لغته، ولغته الأم. وهذا مطلب بعيد وهدف عالٍ ولكنه غير متعذر، بل هو هدف ضروري فاستعينوا بالله على تحقيقه.

٢. وقد تعرض لكم مناسبات تستطيعون من خلالها أن تبتوا في نفوس طلابكم فضل العربية على غيرها من اللغات؛ فلا تضيعوا الاستفادة من المناسبة ولا تجتلبوها أيضاً بصورة مصطنعة، فجّة ومتعسّفة.

٣. وإن طبيعة عملكم توحى بطريقة غير مباشرة أن يتقن طلابكم لغته الأم؛ فإن إتقان لغة أجنبية إنما يكون له فضله بعد إتقان لغته الأم، كيف لا ولغته الأم هنا بل اللغة الأم هي اللغة العربية لغة القرآن والإسلام ولغة الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم؛ فلا يفوتكم انتهاز هذه الإحياءات الذكية.

٤. هذا وإن هناك - خلال عملكم في تدريس اللغة الإنجليزية - مواقف تبرز عظمة الحضارة الإسلامية الخالدة الأثر وفضل اللغة العربية؛ ففي اللغة الإنجليزية - وفي

لغات العالم كله- وبخاصة في مجال العلوم الكونية والحياة اليومية -بضع مئات من الكلمات المأخوذة من اللغة العربية؛ فهي كلمات إنجليزية عربية الأصل. وقد خصص لها الباحثون، ومنهم: وبستر والقائم على معجم أكسفورد التاريخي، مكاناً في معجم اللغة الإنجليزية- وفي المورد: لمنير البعلبكي، في طبعته الجديدة بدءاً من سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، قسم خاص بالكلمات الإنجليزية العربية الأصل، يعدّ نموذجاً لما في المعاجم الأخرى الإنجليزية وغيرها من لغات العالم. والذي نودّ أن تلتفتوا إليه الإفادة من المناسبة لا ليفخر الطلاب والطالبات بغير عمل، ولكن ليعلموا أن لحضارتهم الإسلامية آثاراً لا تُمحي في ميدان الحضارة الإنسانية؛ فالواجب عليهم أن يستأنفوا العمل لتكون لهم مشاركة في صنع الحضارة على غرار ما فعله الأجداد العظام؛ فهم أهل لذلك وهو الجدير بآبناء الإسلام وبناته اليوم.

٥. ومن الأهداف الجديرة بالتقديم أن تعملوا لتكون لطلابكم نية صالحة في تعلّم اللغة الإنجليزية؛ فيكون لهم فضل التعلم وفضل التقرب إلى الله بعمل صالح قائم على نية ترضي الله، ومن النية الصالحة أن نطلع على ما عند الآخرين فننتفع بما نحتاج إليه منه، ونأخذ ما يتطلبه الإسلام من أهله اليوم ليزدادوا قوة ومنزلة في العالم المعاصر، ومن النية الصالحة العزم على استخدام اللغة التي نعمل لإتقانها في نقل ما لدينا من العقيدة والقيم إلى الآخرين ليصلوا إلى المستوى العالي الذي وصلنا إليه بفضل الله وبفضل دينه؛ وذلك في عالم الفكر والعقيدة، وفي عالم الفضائل والقيم، وفي عالم التشريع ومنهاج الحياة؛ فالعالم بأشدّ الحاجة إلى هذا الهدى الإلهي، والدعوة إلى الله واجبة.. والله يقول: (وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين)^{٢١}،

ويقول: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيّن لهم)^{٢٢}، ويقول: (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين)^{٢٣}.

٢١ سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

٢٢ سورة إبراهيم، آية: ٤.

٢٣ سورة فصلت، آية: ٢٣.

إن النية الصالحة والعزيمة الصادقة مما يعزّز عملية التعلّم ويجعل لها «وظيفة» تكون بمثابة المحرّض والدافع، وهذه غنيمة تعليمية و تربوية.

أخي معلّم وأختي معلمة اللغة الإنجليزية :

إنكم تصنعون عناصر حضارية من أمتكم؛ فلا تنسوا أنكم تكونون شخصيات صالحة وأنتم تعلمون اللغة الإنجليزية لطلابكم وطالباتكم.

وإن نجاحكم مرتبط بتكوين هذه الشخصيات؛ وظهور الآثار العلمية في سلوك طلابكم وطالباتكم هو من أبرز علامات نجاحكم.

فلكم مني كل تقدير وإعزاز مع صالح الدعاء.. وفقكم الله.

وليس بالإمكان ذكر كل كلمة وجهت في كل كتاب مقرر، لكن ما ذكر يعطي تصوراً عن الغاية المحددة لتدريس كل مادة.

وتبقى المشكلة في حرص المعلم والمعلمة على إكمال تدريس المقرر وكأن ذلك هو الهدف مع أن ما وجهت الوزارة إليه هو الحرص على الطالب والطالبة والاهتمام باستفادتهما من دراسة كل مادة مقررة عليهم.

وكان السعي حثيثاً لإصدار الآتي:

١. دليل المعلم لكل مادة تعليمية.

٢. دليل لأولياء الأمور لكيفية التعامل مع المواد الدراسية.

٣. دليل مبسط للطلاب لكيفية الاستفادة من كل مادة يتعلمها.

• لقد سعيت لإنشاء هيئة للمعلمين ينضوي تحتها كل المعلمين ومن في حكمهم من أجل تطويرهم، وحماية المهنة من أن يضر بسمعتها من لا يتقيد بأخلاقها. والأمل أن ترى الهيئة النور قريباً فتكون العين الحارسة لضمان مستوى الأداء وذلك أسوة بالهيئات القائمة للتخصصات والمهن الأخرى.

هل ما تحقق للمعلم كان على مستوى طموحي؟ الجواب: لا. إن الطموح كان أكبر بكثير لأن المعلم هو الركن الركين في العملية التعليمية. وكل محاولات تطوير التعليم لا تعطي الأولوية لتطوير المعلمين فكراً، ومفاهيماً، ومعرفة، ووسيلة، هي محاولة مخففة.

كليات المعلمين

ينظر إلى كليات المعلمين على أنها (بيوت الخبرة) خاصة في المجال التعليمي وفي إطار الاهتمام بها وبالمعلمين تم إنجاز الخطوات الآتية:

- صدور موافقة المقام السامي على ما تقدمت به الوزارة والقاضي بأن يطبق على كليات المعلمين ما يطبق على الجامعات من أنظمة ولوائح، بما في ذلك تشكيل المجالس المختلفة، وأن يكون الوزير رئيساً لمجلس كليات المعلمين.
- تأسيس مجلس علمي لكليات المعلمين.
- إصدار مجلة علمية تربوية محكمة لكليات المعلمين.
- رفع الإدارة العامة لكليات المعلمين إلى وكالة الوزارة لكليات المعلمين وتعيين وكيل لها مرتبط بالوزير.
- استحداث عمادة لشؤون الطلاب، وعمادة أخرى للشؤون التعليمية والبحث العلمي، وإدارة لشؤون أعضاء هيئة التدريس والموظفين.
- تطوير برامج الكليات وفق احتياجات الوزارة بصفة خاصة والمجتمع بصفة عامة حسب ما توصلت إليه دراسة علمية تقييمية شاملة.
- إنشاء مراكز خدمة المجتمع في كليات المعلمين حسب اللائحة التنظيمية، وتقوم

المراكز بالعمل وفق برامج مخصصة حسب ما تحتاجه المنطقة أو المحافظة التي تقع فيها الكلية.

- إعطاء الفرصة للمعيدين والمحاضرين للتفرغ لإنهاء دراساتهم العليا وذلك بابتعاث بعضهم للخارج والبعض الآخر في جامعات المملكة.

- إقامة دورة رياضية دورية لكليات المعلمين.

- تعزيز المكتبات بكليات المعلمين وإمدادها بالكوادر الفنية وتأمين الكتب والدوريات ذات العلاقة بطبيعتها وكذلك تأمين ما يكفي من أجهزة الحاسب الآلي للمكتبات مع برنامج للمكتبات.

• إدخال تخصصات ومسارات في برامج كليات المعلمين مع بداية عام ١٤١٩ / ١٤٢٠هـ
تستجيب لاحتياج المدارس من المعلمين في مواكبة تطوير المنهج للمرحلتين المتوسطة والثانوية على النحو الآتي،

- تخصص الحاسب في كليات المعلمين بالرياض والدمام وجدة.

- تخصص اللغة الإنجليزية في كليتي المعلمين بالرياض وجدة.

- مساري الرياضيات والعلوم للمرحلة المتوسطة في كليات المعلمين في الرياض، الدمام، مكة المكرمة، الطائف.

• تطوير الكلية المتوسطة للتربية الرياضية إلى كلية بمسمى «كلية التربية البدنية والرياضية، تمنح درجة البكالوريوس بدءاً من العام الدراسي ١٤٢٠ / ١٤٢١هـ.

والغاية هي الرفع من مستوى معلمي التربية البدنية في مراحل التعليم العام، وللإسهام في سد احتياجات الرياضة في المملكة بالمتخصصين.

• وتم اعتماد البرامج التدريبية الآتية،

برنامج الدبلوم العام في التربية لمن يحملون مؤهلاً جامعياً غير تربوي، دبلوم لإعداد رواد النشاط، دبلوم التوجيه والإرشاد، دبلوم القياس والتقويم، دبلوم للإشراف التربوي،

دبلوم محضري المختبرات التعليمية، دبلوم مديري المدارس وكلها تهدف إلى تخريج «كوادر» بشرية مؤهلة فنياً وتربوياً، وكذلك لسد حاجة إدارات التعليم والمدارس من التخصصات المساندة للعملية التعليمية.

• الدراسة المسائية أو التفرغ الكامل،

بما أن بعض المعلمين الذين هم على رأس العمل يحملون مؤهلات أدنى من الجامعة فقد هدف المشروع إلى فتح المجال لإكمال درجة للبكالوريوس لمن لم يكملها.

التدريب والابتعاث

وجهت الوزارة اهتماماً كبيراً إلى تدريب المعلمين والقيادات المدرسية والإشرافية التربوية، والاستفادة من تجارب الدول المتقدمة تقنياً، بابتعاث بعض منسوبي التعليم في برامج تدريبية ودراسية، هادفة إلى رفع مستوى التعليم وتنمية مهارات القائمين عليه، بالتدريب المستمر ورفع مؤهلاتهم وتأهيل غير التربويين منهم، ومما تم تحقيقه:

- تطوير وحدات التدريب التربوي إلى إدارة عامة للتدريب والابتعاث وذلك بضم شؤون الابتعاث إلى التدريب.
- إحداث وحدات للتدريب التربوي في إدارات التعليم تتولى عمليات التنسيق والتنفيذ والمتابعة والتقويم والتطوير.
- إقامة (٤٢) مركزاً لتدريب المعلمين بواقع مركز واحد في كل إدارة تعليمية، مع دعم وحدات ومراكز تدريب المعلمين بما تحتاج إليه من قوى بشرية وتجهيزات تقنية.
- التركيز على جودة مخرجات برامج التدريب لتتواءم مع النسب الكمية المتنامية لأعداد المتدربين وكثرة البرامج التدريبية.

- اعتماد خطة سنوية وخمسية لتدريب المعلمين والحرص على إتاحة فرص التدريب لجميع شاغلي الوظائف التعليمية بما لا يقل عن مرة واحدة في كل خمس سنوات.
- متابعة أوضاع التدريب التربوي وإعداد خطة لتقويم البرامج التدريبية ودراسة جدواها وتطويرها.
- لقاءات وورش تربوية سنوية، مدتها لا تتجاوز ثلاثة أيام، يزداد عدد المشاركين فيها - كل عام - من المعلمين ومديري المدارس حسب تطوير الإمكانيات البشرية
- ١. برامج قصيرة - مدتها بين أسبوع وأسبوعين، تنفذ في مراكز تدريب المعلمين في إدارات التعليم، ومنها برامج في طرق التدريس وكفاياته والأهداف المسلكية وبرامج المعلمين والمشرفين الجدد واستخدام الحاسب الآلي في التعليم وتقنية التعليم.
- ٢. برامج في الخارج - قصيرة وطويلة، في إطار نقل التقنية والتجارب الناجحة عند الآخرين - مدتها بين أسبوع واحد وأسبوعين للقصيرة وثمانية أشهر للبرامج الطويلة في جامعات بريطانية وأمريكية متميزة ومن ذلك برامج في طرق التدريس الحديثة، والقيادة التربوية، وتقنية التعليم والحاسب في التعليم، وتطوير المناهج والتخطيط التربوي، والاختبارات التحصيلية، وإدارة الصف، والإشراف التربوي الفعال، وتم ابتعاث عدد من التربويين في مجال التخطيط التربوي إلى فرنسا، في منحة لليونسكو بباريس مدتها (٨) أشهر، وابتعاث عدد آخر إلى الأردن في برنامج تدريبي للتربية الخاصة مدته أربعة أسابيع، ومجموعة أخرى إلى اليابان في برنامج تربوي ضمن منح اللجنة السعودية اليابانية المشتركة (جايكا). وتوالت هذه البرامج وزاد عدد المستفيدين منها كل سنة.
- برامج متوسطة وطويلة - تتراوح مدتها بين ثلاثة أسابيع وفصل دراسي وعام دراسي - في معهد الإدارة العامة وكليات المعلمين وكليات التربية في جامعات المملكة، ضمن برامج في طرق تدريس المواد ووسائل تعليمها والاختبارات والتقويم والمشرفين الجدد، والدبلوم العام في التربية لتأهيل من يحتاجون إليه في إدارة المدارس الابتدائية وفوق الابتدائية، وتنمية مهارات المدربين وتحليل الاحتياجات التدريبية وتقويم البرامج وإدارة شؤون التدريب.

- رفع التأهيل عند المعلمين المؤهلين للحصول على الماجستير التربوي، إما بالتفرغ أو الابتعاث الخارجي أو تخفيض النصاب أو الدراسة المسائية.. حسب الحاجات والضوابط والإمكانات.
- تمكين أعداد من منسوبي الوزارة من الدراسة للحصول على درجة الدكتوراه وفقاً لما يأتي:

 ١. تمت خلال السنوات الماضية الموافقة على التحاق العشرات من منسوبي الوزارة في عدد من جامعات المملكة بالدراسة المسائية، أو الإجازة الدراسية.
 ٢. وقد تم ابتعاث العشرات من منسوبي الوزارة وفق احتياجات قطاعاتها إلى جامعات في أمريكا وبريطانيا، وتضاعفت هذه الأعداد بمرور الوقت سعياً لتطوير الأداء التربوي.

الإشراف التربوي

غني عن القول: إن كل عمل تقوم به مجموعة من الناس لا بد وأن يكون عليهم إشراف للتأكد من تحقيق كل منهم لدوره، ولتعدد المدارس وانتشارها في كافة أنحاء المملكة، ولأهمية التطوير المستمر في العملية التعليمية؛ فقد أنشئت إدارة الإشراف التربوي للقيام بالتقويم والتطوير.

وقد مرَّ الإشراف التربوي بعدة مراحل: إذ كان يسمى حين إنشاء الوزارة التفتيش وكان الهم الأكبر عند مديري التعليم هو تلقف التقارير التي يقدمها المفتشون عن المعلمين حسب اجتهاد كل واحد منهم، فهذا معلم ممتاز وذاك معلم جيد جداً والآخر جيد وآخرهم الضعيف، وفي الغالب تكون هذه التقارير غير مبنية على معايير منضبطة للتقويم. ثم جرى تعديل للاسم ليصبح «التوجيه التربوي» ومع تغير اسمه لم تتغير طبيعته جذرياً.

لذا قامت الوزارة في العام الذي تشرفت بالعمل فيه بدراسة تقويمية لما يمارسه

الموجهون واستعراض ما كتب عن هذا الموضوع باللغة العربية والإنجليزية وعقد ندوات متعددة تم التوصل فيها إلى الأخذ بالمفهوم الحديث والمناسب بحيث استبدل الإشراف بالتوجيه، فأصبحت التسمية «الإدارة العامة للإشراف التربوي» وتحددت غايته: (تحسين عملية التعلم والتعليم)، وذلك لشمول مهمة المشرف على عناصر التعليم كافة وعلى المشرف أن ينبه في تقريره إلى نقاط الجودة في كل عنصر في الأداء المدرسي لتعزيزها، وإلى نقاط الضعف لتفاديها وطريقة الخلاص منها. وأصبح واضحاً للمشرف التربوي أن من أهم مسؤولياته نقل التجارب الجيدة حين يقف على أي منها من مدرسة إلى أخرى، وأن مهمته فيما يخص المعلم هي الاستفادة من خبرته وتطويرها وليس مجرد نقده، بل إنه مطالب بأن يقترح سبل تطوير الأداء لكل معلم يجد أن أداءه يحتاج إلى تطوير.

كما أنيط بالإشراف التربوي اختيار مديري المدارس والوكلاء طبقاً للقواعد التي تم الاتفاق عليها، واستحدثت الوزارة بعد عدة دراسات اختبارات مقننة بموجبها يتم اختيار المشرفين التربويين من ضمن المعلمين.

ولقد أسهم الإشراف التربوي بفاعلية في إيجاد (حقائب) مواد تدريبية تربوية من أجل تحسين أداء المعلمين واکسابهم طرقاً جديدة في التدريس، وللإشراف التربوي الدور الرئيس في أمور عدة من بينها:

١. توظيف التقنية الحاسوبية في تطوير الإشراف وتسهيل التواصل مع المستجندات المهنية، وتخصيص بريد إلكتروني لكل مشرف تربوي.

٢. تنظيم اللقاءات المتكررة للمعلمين.

٣. إيجاد خطة مدرسية مخفضة للمدارس الصغيرة (٤٠ - ٦٠) طالباً تساعد على تخفيض عدد المعلمين.

٤. الإسهام في تقويم المنهج وتطويره - بالمشاركة مع ذوي الاختصاص في إدارة المناهج - والمتابعة والتقويم الميداني وتدريب المعلمين على مهارات معينة، من ذلك المشاركة في تطوير وثيقة المنهج والخطة الدراسية للتعليم الأساسي والرياضيات في المرحلة الثانوية والتربية الوطنية والحاسب الآلي.

٥. الإشراف والمشاركة في تنفيذ خطط النشاط المدرسي وتقييمها وتطويرها كالمهرجانات الرياضية والمعارض الفنية في أنحاء المملكة، وتنظيم بطولات ألعاب القوى والدورة الرياضية المدرسية، ولقد استفاد من تنظيم المهرجانات المئات من المعلمين والمشرفين التربويين، وللإشراف التربوي دور في اختيار مشاركات الطلاب في مسابقة (الوطن في عيون أطفالنا).

٦. ويشارك الإشراف التربوي في لجنة (المقررات الإضافية في المدارس الأهلية) وكذلك تقويم المدارس الأهلية في المملكة، وإجراء المقابلات الشخصية والتحريرية للمعلمين المتقدمين للعمل في تلك المدارس، والمشاركة في تحديد صلاحية المباني والتجهيزات.

٧. وقد كان إعداد عناصر ومفردات العديد من البرامج التدريبية التربوية وتنفيذها من مهام الإشراف التربوي، ومن ذلك برامج تدريب المعينين الجدد على الوظائف التعليمية من المعلمين ومديري المدارس ووكلائها والمشرفين التربويين ومعلمي الصفوف الأولية، وبرامج تدريب في الحاسب الآلي، والتربية الرياضية، ولقد استفاد من تلك البرامج آلاف المعلمين ومن في حكمهم. واستفاد أيضاً عشرات الآلاف من الذين على رأس العمل من برامج تدريبية قصيرة ومتنوعة بالتعاون والتنسيق مع الإدارة العامة للتدريب التربوي والابتعاث.

التعليم الموازي

التعليم الأهلي

- تم تعزيز دور التعليم الأهلي وأعطى اهتماماً كبيراً كالذي يولى للمدارس الحكومية، وفقاً لما جاء في المادة (١٧٥) من سياسة التعليم في المملكة المتضمنة أن الدولة تشجع التعليم الأهلي في كافة مراحلها، وأنه يخضع لإشراف الجهات التعليمية المختصة فنياً وإدارياً.
- فالتعليم الأهلي رديف للتعليم الحكومي حيث نستطيع القول: إن مقابل كل (١٠٠) طالب يلتحقون بمدارس الوزارة، يلتحق حوالي ثمانية طلاب بمدارس التعليم الأهلي، لذا فإن الوزارة تشرف عليه إشرافاً لا يختلف عما تقوم به نحو مدارسها.
- وتحدد الوزارة الإطار العام للمواد الإضافية، والبرامج الإثرائية في المدارس الأهلية ووضع ضوابط الترخيص لمعاهد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

- نظمت الوزارة العديد من البرامج التربوية التي تعقد في إدارات التعليم وذلك لتهيئة معلمي المدارس الأهلية الجدد.
- رتبت الوزارة زيارات لملاك المدارس الأهلية لتبادل الخبرات والتجارب، وعقد عدد من اللقاءات لمشرفي التعليم الأهلي بحضور جميع رؤساء أقسام التعليم الموازي، بإدارات التعليم.
- قامت الوزارة بمسح إحصائي لعدد المدارس الأهلية بهدف تطبيق المواصفات للتراخيص الجديدة للمباني المؤقتة للمدارس الأهلية. كما شكلت مجالس للتعليم الأهلي في كل منطقة تهدف إلى مناقشة أمور التعليم الأهلي، وتذليل الصعوبات التي تحول دون تطوير المدارس الأهلية.
- تحدد الوزارة كل عام معايير الإعانة السنوية للمدارس الأهلية وضوابطها من خلال تقنين المعايير المستخدمة حالياً، حيث تبلغ قيمة الإعانة حوالي (٥٦) مليون ريال سنوياً، إضافة إلى الإعانات العينية من كتب دراسية.
- ضاعفت الإدارة العامة للتعليم الأهلي من جهودها وأعدت ضوابط التعاقد الداخلي والخارجي في المدارس الأهلية، واحتياج هذه المدارس من المعلمين.
- ولتشجيع عملية التوطين في التعليم الأهلي، أعدت الوزارة برنامجاً تربوياً تكرم فيه المدارس المتميزة في الاستفادة من الكفايات الوطنية في المجال التربوي، ويقام لذلك حفل تكريمي في كل عام.
- وألزمت الوزارة المدارس الأهلية بفصل المراحل الدراسية في مبانٍ مستقلة بأسلوب يضمن استقلالية كل مرحلة بأجهزتها وملاعبها وأفتيتها.
- تم تكليف الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية (جستن) بدراسة عن المدارس الأهلية في الموضوعات الآتية:
 - إجراء دراسة تقييمية شاملة للمدارس.
 - دراسة وضع نظام الاعتماد التربوي ومعايير.

- وضع تنظيم لمجلس إدارة المدارس الأهلية.
- المواد الدراسية المضافة خارج الخطة الدراسية.
- نظام الاعتماد التربوي للمدارس الأهلية ،
الجهة المكلفة: الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية.
هدف هذا المشروع إلى ما يأتي:
 - تطوير معايير موضوعية تساعد المسؤولين في التعليم على تقييم الأداء في مؤسسات التعليم الأهلي وتقديم المعلومات التي تساعد المؤسسات على النمو والاستمرار.
 - التأكد من أن المؤسسة أو المدرسة لديها أهداف مقبولة، ومحددة وتمتلك المصادر والوسائل المناسبة لتحقيق أهدافها.
 - تشجيع التطور والنمو الذاتي من خلال التقييم المستمر لهذه المدارس، وتقديم المشورة والمساعدة في تطوير المؤسسة أو المدرسة الأهلية.
 - تشجيع التنوع والابتكار ضمن حدود المعايير المقررة لضمان المستوى المطلوب.
 - حماية المؤسسات والمدارس الأهلية من التدخلات التي قد تؤثر -سلباً- على أدائها السليم وممارستها التعليمية.
 - حماية المجتمع من المؤسسات التعليمية غير المؤهلة.
- ومن نتائج الاعتماد التربوي حين تنفيذه:
 - تصنيف المدارس الأهلية إلى فئات متدرجة طبقاً للمعايير.
 - تحفيز المدارس الأهلية على الوصول إلى فئات أعلى مما هي عليه، بتحسين أدائها واستكمال جوانب النقص فيها.
 - إطلاع أولياء الأمور الراغبين في إلحاق أبنائهم في هذه المدارس على فئات المدارس الأهلية.

وأخيراً فإن المؤتمر السنوي للتعليم الأهلي الذي تتعاقب إدارات التعليم في مناطق المملكة على استضافته يمثل حدثاً مهماً حيث يلتقي ما لا يقل عن (٥٠٠) من القائمين على التعليم الأهلي مع الوزير ووكلائه ومعهم مديرو التعليم من أجل تشجيع التعليم الأهلي وحل ما قد يعترضه من إشكالات.

ولقد توصلت الوزارة إلى خطة تطويرية من شأن تنفيذها للعشر السنوات القادمة ١٤٢٥ - ١٤٣٥هـ إلى أن تكون نسبة الطلبة من البنين والبنات في المدارس الأهلية لا تقل عن ٢٥% من مجموع الطلاب في التعليم العام.

التعليم الأجنبي

بدأ التعليم الأجنبي بالمدرسة العربية السعودية التي أنشئت بموجب قرار مجلس الوزراء الصادر في ١٢/٤/١٣٩٤هـ، وكان يقوم بمسؤولياتها ويشرف عليها مجلس إدارتها الذي شكل بالقرار الوزاري الصادر في ٢٠/٢/١٣٩٥هـ ويصدر مجلس إدارة المدرسة عن مجلس الإشراف الذي شكل بالقرار الوزاري الصادر في ٢٠/٢/١٣٩٥هـ، القاضي بأن يكون وكيل الوزارة للشؤون الفنية رئيساً له.

كانت الغاية في المقام الأول من إنشاء المدرسة المشار إليها هي خدمة أبناء الجاليات غير المسلمة من المقيمين في المملكة، وقد تضمن قرار إنشائها أن يكون لها فرعان أحدهما في مدينة جدة والآخر في مدينة الظهران، إضافة إلى مقرها الرئيسي في مدينة الرياض.

وبعد إنشاء المدرسة العربية السعودية العالمية بفرعها حدثت زيادة كبيرة ومطرودة في أعداد الأجانب المقيمين في المملكة وجنسياتهم، مما تطلب توفير خدمة التعليم لأولادهم، وتلبية لهذه الحاجة منحت الوزارة تراخيص محدودة بغرض فتح مزيد من المدارس العربية السعودية التي يضاف إلى اسم كل منها اسم الجنسية التي تخدمها

المدرسة ولم تعد مقصورة على الجاليات غير المسلمة بل شملت الجاليات المسلمة غير الناطقة باللغة العربية، مثل المدرسة العربية السعودية الأمريكية، والمدرسة العربية السعودية البريطانية، والمدرسة السعودية الباكستانية، والمدرسة السعودية الهندية.

ولقد تبين لي أن الإشراف والمتابعة من الوزارة على هذه المدارس القليلة المرخصة شبه معدوم، كما اتضح أن عشرات المدارس قد افتتحت لكل جالية دون ترخيص ودون تطبيق المعايير التربوية المتعارف عليها، بل إنه يمارس في بعضها بعض أوجه النشاط الذي لا علاقة له بالتربية والتعليم.

ومع يقيني بأن التعليم العام ينبغي أن يكون متاحاً لكل من هو في سن التعليم من الذكور والإناث بصرف النظر عن جنسيته فإني كذلك أدرك أنها ليست مسؤولية الدولة أن توفر ذلك مجاناً لمن هم ليسوا من مواطنيها، خاصة إذا كانوا من غير الناطقين باللغة العربية التي هي لغة التعليم في المملكة، ولكن مسؤولية الوزارة هي التأكد من أنه تعليم تتوافر فيه كل العناصر التربوية الأساسية. لقد أصبحت هذه القضية تقلقني وتشغل بالي من عدة نواح: فمن ناحية فإن المدارس العشوائية ينبغي أن تقفل إذا لم تتوافر فيها الشروط التي منها كفاءة المعلمين وتأهيلهم، وصلاحية المبنى، والانضباط ووجود التجهيزات والوسائل. وفي هذا الصدد فقد تمت الاستعانة بالجهات الأمنية وأقفلت المدارس التي لا تحقق فيها الشروط اللازمة وحُوّل الطلاب إلى مدارس مرخصة تنطبق عليها الشروط. وقد بلغ ما أغلق منها في الرياض وحدها ستين مدرسة، وهذه التسمية تسمية تجاوزية فليس في أي منها مقومات المدرسة!!

ومن ناحية أخرى فإني لم أر مسوغاً لجعل ملكية المدارس وإدارتها مقصورة على غير السعوديين ورأيت أن يتاح المجال للمواطنين لتملك المدارس الأجنبية والعمل فيها.

ثم إن تسميتها بالمدارس العربية السعودية ثم إضافة اسم البلد إليها ليس الأنسب، ولذا فقد تقرر أن تسمى إدارتها العامة «الإدارة العامة للتعليم الأجنبي».

ولقد دفعت إلى مجلس الوزراء لائحة جديدة للمدارس الأجنبية تم إقرارها من قبل المجلس ومن مجلس الشورى.

اللائحة الجديدة للمدارس الأجنبية (التعليم الأجنبي) :

لائحة المدارس الأجنبية التي وافق مجلس الوزراء الموقر عليها بالقرار ذي الرقم ٢٦ الصادر في ٤/٢/١٤١٨هـ تتكون من (٢١) مادة تنظم وضع المدارس الأجنبية الخاصة بالجاليات المقيمة في المملكة العربية السعودية، وتُعرّف التعليم الأجنبي، وتُحدّد الجهة المسؤولة عنه، وتبيّن علاقة الوزارة بالمدارس الأجنبية، وتوضّح دور الجهات الحكومية الأخرى ذات الاختصاص، وهي وزارة الداخلية ووزارة الخارجية والرئاسة العامة لتعليم البنات.

مجلس الإشراف على المدارس الأجنبية :

تكوين المجلس : يشارك في مجلس الإشراف كل من:

- وزير التربية والتعليم رئيساً
- وكيل وزارة الداخلية عضواً
- وكيل وزارة الخارجية عضواً
- وكيل وزارة التربية والتعليم عضواً
- المشرف على المدارس الأجنبية بالوزارة أميناً

مهام المجلس :

يقوم المجلس بمهمة الإشراف على المدارس الأجنبية، ويضع التعليمات والقواعد اللازمة لتنفيذ اللائحة الخاصة بها، وقد منحت له صلاحية الموافقة على البنود الآتية:

١. القواعد والإجراءات اللازمة لمنح التراخيص.
٢. الطلبات التي تقدم لافتتاح مدارس أجنبية.
٣. البرامج والمناهج التعليمية.
٤. الرسوم الدراسية.
٥. التبرعات والهبات التي تمنح للمدارس الأجنبية.

اجتماعات المجلس،

يجتمع المجلس مرتين خلال العام على الأقل، ويجوز دعوته للانعقاد بطلب من رئيسه، أو باقتراح أحد الأعضاء بشرط موافقة الرئيس.

وقد عقد المجلس اجتماعه الأول بعد تكوينه في ١٤١٨/٣/٢ هـ، وأقرت فيه القواعد والإجراءات التنفيذية الخاصة باللائحة، كما أقر الشروط اللازمة للترخيص بفتح مدارس أجنبية، وتوالت الاجتماعات فعمد اجتماعه الثاني في ١٤١٩/١/١٧ هـ ووافق فيه على فتح مجموعة كبيرة من المدارس الأجنبية، ومنح التراخيص التي تسمح بذلك للراغبين ممن تنطبق عليهم الشروط، وأصبح هذا المجلس هو المخول بالنظر في كل شؤون التعليم العام لغير السعوديين من غير الناطقين باللغة العربية.

نظام المدارس الأجنبية الإداري والتعليمي والمالي،

النظام الإداري،

تتولى الوزارة الترخيص بفتح المدارس الأجنبية والإشراف عليها وعلى فروعها من خلال الجهة المختصة فيها، حيث تقوم هذه الجهة وهي الإدارة العامة للتعليم الأجنبي بالاطلاع على سجلات المدارس، وتراقب الوضع الإداري فيها، وتسعى إلى ضبطه، وتكلف كل مدرسة بتنظيم مختلف جوانب العمل فيها، ومن ذلك تكوين مجلس إدارة للمدرسة يُمثل فيه أولياء أمور الطلاب، وتُمكن الوزارة ممثلة في الجهة المختصة من حضور اجتماعاته، وتقديم تقرير سنوي إلى مجلس الإشراف على المدارس الأجنبية، يتضمن سير العمل في المدرسة، وبيانات عن تنفيذ ميزانيتها، وتوضيح أسباب المخالفات والتجاوزات إن وجدت.

وقامت الوزارة بتكوين لجنة تتولى التحقيق في مخالفات أحكام لائحة المدارس الأجنبية (التعليم الأجنبي)، أو القرارات الصادرة تنفيذاً لها، والتوصية بالعقوبة المناسبة لكل مخالفة، وتوقيع العقوبة بقرار من الوزير بناءً على ما توصي به اللجنة المكونة من:

رئيساً

- وكيل الوزارة

عضواً

- مندوب من وزارة الداخلية

- مندوب من وزارة الخارجية عضواً
- المشرف على المدارس الأجنبية بالوزارة عضواً
- أحد المختصين في الشريعة الإسلامية عضواً

ويجوز التظلم من القرارات الصادرة بعقوبة الغرامة أو إلغاء الترخيص أمام ديوان المظالم.

النظام التعليمي:

لقد وسعت اللائحة الجديدة للمدارس الأجنبية مفهوم المراحل الدراسية فيها حيث أصبحت تشمل رياض الأطفال والابتدائية والمتوسطة والثانوية أو ما يعادلها، وكلفت كل مدرسة بتحديد مستواها في الأوساط التعليمية والأكاديمية المختلفة، وكُلفت بأن تضع منهجاً عن الحضارة الإسلامية واللغة العربية وتاريخ المملكة وجغرافيتها تدرسه لطلابها بما لا يقل عن ساعة واحدة في الأسبوع، وذلك وفقاً للقرار المؤرخ في ٢٤/٧/١٤٢٥هـ، كما اشترطت على المدارس خلو مناهجها مما يسيء إلى المملكة ونظامها.

ومع توسع التعليم الأجنبي وازدياد عدد مدارسه وتنوعها، فقد تهيأت الفرصة للتربويين السعوديين لكي يطلعوا على أنماط ونماذج من التعليم والإدارة مغايرة لما يطبق في محيطهم، وتهيأت كذلك للتربويين الأجانب العاملين في هذه المدارس الفرصة لكي يطلعوا على التجربة السعودية في مجال التعليم. وهذا نوع من التعاون لعل من أهم ثماره تعزيز النظرة الإيجابية إلى المملكة نظاماً ومنهاجاً وثقافة وتعليمياً.

النظام المالي:

يتم تمويل المدارس الأجنبية من الرسوم الدراسية والتبرعات والهيئات، وتقدم كل مدرسة أجنبية لمجلس الإشراف الميزانية التقديرية السنوية باللغة العربية، وذلك قبل بداية كل عام دراسي، تتضمن بياناً للاحتياجات الإدارية والفنية والمالية، ومصادر تأمينها وتمويلها.

نظام القبول في المدارس الأجنبية:

كان القبول عند إنشاء المدارس في عام ١٣٩٥هـ مقتصرأ على الطلاب الأجانب غير

المسلمين، ثم بعد ذلك ونتيجة لعدد من المستجدات والمسوغات التي أقرتها الجهات العليا تم على مراحل استثناء عدد من الفئات، مثل الدبلوماسيين الذين سمح لهم بأن يلحقوا أولادهم بهذه المدارس، وكذلك سمح للطلاب العرب والمسلمين الذين سبق لهم الالتحاق بمثل هذه المدارس في بلدانهم، أو لكونهم يختارون هذا النوع من التعليم أن يلتحقوا بالمدارس الأجنبية التي يمكن أن يطلق عليها مدارس عامة، مثل المدارس الأمريكية والبريطانية والفرنسية.. الخ، وأما المدارس الأجنبية التي أنشئت أساساً لتعليم أبناء جالية معينة، مثل المدارس الباكستانية والهندية والتركية والفلبينية والأفريقية فإن التسجيل فيها مقصور على أبناء تلك الجاليات فقط، ويحدد ذلك الترخيص الصادر لها، مع إمكانية قبول أي طالب آخر فيها من غير الجالية بعد موافقة الوزارة التي تبنى موافقتها على أنه لا يوجد للجالية التي ينتمي إليها مدرسة في المنطقة أو المحافظة التي يقيم فيها.

ولا يجوز قبول الطلاب السعوديين في المدارس الأجنبية، عدا من تقضي الضرورة بالتحاقهم فيها من الطلاب القادمين من الخارج الذين لا تمكنهم ظروفهم الدراسية من الالتحاق بالمدارس السعودية، فللوزير النظر في الموافقة على قبولهم في المدارس الأجنبية وهذا الأمر خاص بمن كان أهلهم يعيشون في بلد ليس فيها تعليم باللغة العربية، أو لظروف مشابهة حددتها قواعد جرى العمل بها.

التوسع في التعليم الأجنبي،

نتيجة لزيادة أعداد الأجانب المقيمين في المملكة، وتعدد جنسياتهم خلال العشرين سنة الماضية، ورغبة بعض الجاليات الاستقلال بمدارس خاصة بهم تطبيق الأنظمة والمناهج التعليمية القائمة في بلدانهم، فقد تم الترخيص لافتتاح عدد من المدارس الأجنبية لجاليات متعددة في عدد من مناطق المملكة ومحافظاتها، حتى بلغ إجمالي تلك المدارس على مستوى المملكة (٦٥) مدرسة لجاليات من دول أمريكا وأوروبا وآسيا وأفريقيا.

وتتركز هذه المدارس بصفة أساسية في ثلاث مناطق هي: منطقة الرياض وفيها (٢٤)

مدرسة، ومنطقة مكة المكرمة^١، وفيها (١٩) مدرسة باستثناء العاصمة المقدسة (مكة المكرمة) حيث يمنع فتح مدارس أجنبية فيها، والمنطقة الشرقية وفيها (١٤) مدرسة، بالإضافة إلى بعض المدارس في مناطق أخرى من المملكة.

وقد اتخذ مجلس الإشراف عدة قرارات مهمة ساعدت على توسيع قاعدة إنشاء المدارس الأجنبية منها:

١. الموافقة على قواعد وتعليمات تنفيذ لائحة المدارس الأجنبية كما وردت في ملف الاجتماع المقدم من الإدارة العامة للتعليم الأجنبي.
٢. الموافقة على إجراءات الحصول على الترخيص وشروطها للمواطنين السعوديين لفتح مدارس أجنبية.
٣. الموافقة على إجراءات الترخيص لممثلي الجاليات من غير الدبلوماسيين لفتح مدارس أجنبية.
٤. الموافقة على مبدأ تملك المواطنين السعوديين لمدارس أجنبية، وفقاً للشروط والضوابط والإجراءات المقترحة التي أقرها المجلس في هذه الجلسة للأسباب الآتية:
 - أن ذلك أدعى إلى توفير التعاون الأمني اللازم بين هذه المدارس والجهات المختصة.
 - أنه أدعى إلى انضباط مناهجها، وأنشطتها المدرسية.
 - إتاحة الفرصة للمواطنين للكسب المشروع في هذا المجال الشريف، إضافة إلى أنه يعين بعض الجهات المختصة مثل مكاتب العمل على تشغيل المواطنين في الوظائف المناسبة لهم.
٥. البت في موضوع المدارس التي أغلقت أو على وشك الإغلاق، بسبب مخالفتها لشروط الترخيص الممنوح لها.

١ مدينة جدة والطائف أهم مدينتين ضمن منطقة مكة المكرمة بعد العاصمة المقدسة (مكة المكرمة).

٦. الموافقة على منح تراخيص أولية مشروطة لافتتاح مدارس أجنبية للمتقدمين الذين أكملوا جميع شروط الترخيص حسب حاجة كل مدينة في مناطق المملكة ومحافظاتها منها ما هو للمواطنين ومنها ما هو للجاليات.

٧. منع فتح مدارس أجنبية في مكة المكرمة والمدينة المنورة، مع السماح للمدارس الأهلية المملوكة للمواطنين السعوديين وذات السمعة الطيبة القائمة في المدينتين المقدستين بفتح أقسام لتعليم أبناء الجاليات المسلمة فيها، وفقاً للائحة المدارس الأجنبية.

٨. وضع تنظيم خاص لتعليم أبناء الجاليات التي أغلقت مدارسها.

٩. السماح لأبناء العرب غير السعوديين بالدراسة بالمدارس الأجنبية.

تنوع مدارس التعليم الأجنبي:

بناءً على قرار مجلس الإشراف على المدارس الأجنبية منح الترخيص للمواطنين السعوديين بافتتاح مدارس للتعليم الأجنبي أصبح موجوداً في المملكة نوعان من المدارس الأجنبية وهما:

١. مدارس الجاليات الأجنبية، وهي المدارس التي تصدر تراخيصها باسم ممثلين لجاليات معينة، منها المدرسة الهندية، والباكستانية، والبريطانية.. وغيرها، وتدرس كل مدرسة من هذه المدارس المنهج المقرر في بلادها، ويتولى رعايتها مجلس إدارة يمثل فيه أولياء أمور الطلاب.

٢. المدارس المرخص لها باسم مستثمرين سعوديين، وتدرس كل مدرسة المنهج الذي تختاره هي ويرخص لها بتدريسه، ولا تنسب هذه المدارس لجاليات معينة.

النظم والقواعد التي تحكم أعمال المدارس الأجنبية:

لائحة المدارس الأجنبية الصادرة بقرار مجلس الوزراء هي الأساس لإعداد الأنظمة والتعليمات التي تحكم المدارس الأجنبية، وحيث نصت المادة «التاسعة» من اللائحة بأن يضع مجلس الإشراف التعليمات والقواعد اللازمة لتنفيذ اللائحة فقد بادر المجلس بالقيام

بمهامه وأصدر عدداً من القرارات والتعليمات المنظمة لسير العمل في المدارس، وذلك من خلال اجتماعاته الدورية التي يعقدها كل عام، هذا إضافة إلى ما يتطلبه الميدان من القواعد والتعليمات التي يتم إعدادها بالتعاون بين وزارة الداخلية، والخارجية، والتربية والتعليم، وإمارات المناطق من خلال تكوين اللجان وفرق العمل التي تمثل هذه الجهات، وفيما يأتي أهم القواعد والتعليمات التي صدرت خلال السنوات الأربع الماضية لتنظيم المدارس الأجنبية:

١. ضوابط النظام الداخلي للمدارس الأجنبية التي يملكها سعوديون وتخدم الطلاب المسلمين المبلغة للمدارس.
٢. تخصيص مشرفين تربويين لمدارس التعليم الأجنبي في المناطق التعليمية لمتابعة هذه المدارس وتوجيهها وتقويم أدائها والتأكد من تنفيذها للتعليمات المبلغة لها، ومساعدتها على تحقيق الأهداف التربوية المرجوة منها.
٣. وضع (قواعد لاستخدام العاملين في المدارس الأجنبية).
٤. إعداد (ضوابط إقامة الاحتفالات المدرسية في المدارس الأجنبية)، وبلغت بها جميع المدارس الأجنبية بتاريخ ١٤٢٠/٧/٢٢هـ، وتقوم إدارات التعليم بمتابعة تطبيقها.
٥. وضعت قواعد تنظيمية وخطوات إجرائية لدراسة طلبات قبول الطلاب السعوديين في المدارس الأجنبية وفقاً للمادة (الخامسة) من اللائحة التي تنص على أنه لا يجوز قبول الطلاب السعوديين في المدارس الأجنبية وفقاً للمادة (الخامسة) من اللائحة التي تنص على أنه لا يجوز قبول الطلاب السعوديين في المدارس الأجنبية عدا من تقتضي الضرورة التحاقهم بها من الطلاب المأثدين من الخارج الذين لا تمكنهم ظروفهم الدراسية من الالتحاق بالمدارس السعودية، فللوزير النظر في الموافقة على قبولهم في مدة تحددها ظروف كل طالب في كل سنة، بما لا يتجاوز ثلاث سنوات، وقد تم تعديل هذه المادة بناءً على قرار مجلس الوزراء رقم (٢٢٠) في ١٤٢٤/٨/١٠هـ، لتصبح كالآتي: «لا يجوز قبول الطلاب السعوديين في المدارس الأجنبية، عدا من تقتضي الضرورة التحاقهم بها من الطلاب السعوديين القادمين من الخارج الذين

لا تمكنهم ظروفهم الدراسية من الالتحاق بالمدارس السعودية، على أن يتم ذلك بموافقة الوزير على قبولهم في مدة تحددها ظروف كل طالب في كل سنة».

٦. كوَّنت لجنة تحضيرية -لمجلس الإشراف على المدارس الأجنبية- مهمتها دراسة طلبات افتتاح المدارس الأجنبية وتدقيقها، ويشارك في اللجنة أعضاء من وزارتي الداخلية والخارجية.

٧. تم تحديث الشروط والضوابط والإجراءات والنماذج اللازمة لطلب الترخيص للمدارس الأجنبية، وطبعت في كتيب، وبدأ العمل بها.

٨. كوَّنت لجنة للنظر في مخالفات المدارس الأجنبية برئاسة وكيل الوزارة للتعليم، وعضوية مندوب من وزارة الداخلية، والخارجية، ومشرف توعية إسلامية، واثنين من مسؤولي التعليم الأجنبي، وبدأت بمزاولة مهامها.

٩. أعدت (قواعد تنظيمية لمجالس إدارات مدارس الجاليات الأجنبية)، وصدر بها قرار في ١٦/١١/١٤٢٢هـ.

١٠. وضعت الشروط والضوابط الخاصة بمعادلة شهادات الصف الثاني عشر الصادرة من المدارس الأجنبية وصدر بها قرار في ٥/٤/١٤٢٣هـ، هذا إضافة إلى استصدار عدد من التعليمات المنظمة لاختيار مديري المدارس الأجنبية. والإجراءات والنماذج اللازمة لتجديد تراخيص المدارس.

وما يزال نمو المدارس الأجنبية في المملكة مستمراً حيث بلغت إحصائية عدد هذه المدارس إجمالاً في مختلف مناطق ومحافظات المملكة (٢٧٢) مائتين واثنين وسبعين مدرسة تشمل جميع فئات المدارس الأجنبية من جاليات وملاك سعوديين وذلك في العام الدراسي ١٤٢٦/١٤٢٧هـ.

وفي النهاية فإن هناك أموراً تضمنتها القواعد التي وفق الله لتبنيها وينبغي التنويه عنها هي:

١. إلزام المدارس الأجنبية بتدريس مقررين على الأقل في كل صف دراسي أحدهما في

اللغة العربية والحضارة الإسلامية والثاني عن تاريخ المملكة وجغرافيتها.

٢. الإشراف الدقيق والمتواصل من قبل الوزارة على هذه المدارس للتأكد من سلامة المحتويات وكفاءة المعلمين ومن عدم وجود ما يسيء إلى الإسلام أو دياره وإلى المملكة العربية السعودية خاصة في أي من المدارس سواء في المنهج أو في الكتب المرجعية وما تحتويه المكتبة وغير ذلك، مع التأكد من عدم تعارض كل ما في المدارس من نشاط مع قيم المملكة والأعراف السائدة فيها.

٣. توظيف السعوديين في كل ما في استطاعة السعوديين القيام به من أعمال تربية أو إدارية أو غير ذلك. وعدم السماح بالاستقدام إلا ما تدعو الضرورة إليه.

٤. تمكين السعوديين من الاستثمار في هذا الميدان الفسيح وقد أبدع الكثيرون منهم في ذلك وأصبح لهم سبق وتميز.

٥. نقل التجارب المدرسية الجيدة والملائمة في المدارس الأجنبية إلى المدارس الحكومية.

٦. عدم السماح للجاليات العربية بافتتاح مدارس لها بحكم أن التعليم في المملكة يتماثل مع نظم التعليم في الدول العربية الأخرى.

٧. توسيع المراحل التعليمية بحكم أن نهاية المرحلة المتوسطة في اللائحة القديمة هي الحد الأعلى المسموح به للمدارس الأجنبية بينما اللائحة الجديدة لم تحددها مما أتاح توفير التعليم الثانوي لأبناء الجاليات.

ولقد مكن هذا التوسع من حل مشكلة عويصة؛ فقد كان الكثير من المقيمين غير السعوديين حين ينهي أبناؤهم المرحلة المتوسطة في حيرة من أمرهم فمنهم من يفادر المملكة نهائياً ليصحب أولاده من أجل مواصلة دراستهم ومنهم من يرسل أسرته بكاملها إلى بلد آخر ويبقى هو وحيداً بعيداً عنهم أو يرسل الأبناء وحدهم وفي ذلك مشكلة عويصة وخاصة لأولياء أمور البنات.

لقد أصبح التعليم الأجنبي في المملكة في مستوى جيد وقد تمكنت معظم مدارسها

من الحصول على الاعتراف الأكاديمي من هيئات علمية مرموقة، وتيسر قبول خريجي المرحلة الثانوية لمواصلة تعليمهم الجامعي؛ وذلك نتيجة الانضباط وتطبيق المعايير الأكاديمية المتعارف عليها مع إشراف دقيق ومتواصل.

محو الأمية وتعليم الكبار

كانت الجهود في الماضي منصبة على محو الأمية بين السكان من خلال مدارس ليلية تقيمها الوزارة، وهي جهود آتت أكلها غير أننا أدركنا أنه ينبغي أن يرافق هذه المدارس الليلية جهود أخرى تتمثل في العمل على محو الأمية للأمية في مواقع عملهم فبدأنا بوزارة التربية والتعليم، وأصبحت الوزارة بهذا الجهد أول وزارة بلا أمية، ثم عملنا مع الأمن العام ليصبح الأمن العام بلا أمية. ثم عملنا مع الإدارة العامة للمسجونين لمحو أمية الأميين من المسجونين. ثم تحولت المفاهيم إلى المدن وأصبحت المدينة المنورة أول مدينة بلا أمية بعد الحملة المكثفة التي قمنا بها، وفي الوقت الحالي وحسب الخطة فإن مكة المكرمة التي يجري العمل على محو الأمية بين سكانها ستصبح هي المدينة الثانية من مدن المملكة الخالية من الأمية وتتوالى الجهود في محو أمية سكان المدن والقرى لتصبح المملكة بإذن الله من أوائل الدول العربية التي تحتفل بأن جميع سكانها دون أمية.

هذا إلى جانب ما تقوم به الوزارة في الصيف من كل عام حيث تتبع الرُّحَّل وسكان الهجر والقرى النائية تمحو أميتهم وتتساعد مع الوزارات الأخرى مثل: الصحة، والشؤون الاجتماعية، والشؤون الإسلامية، والمتبرعين في سد عوزهم وعلاجهم وإرشادهم. وما تابع حصول المملكة على تلك الجوائز العالمية والعربية من جهات مختلفة لتجاحها في برامج محو الأمية وتعليم الكبار إلا أكبر دليل ناصع على ثمره تلك الجهود.

التعليم البيئي العالمي (جلوب)

برنامج التعليم البيئي العالمي (جلوب) (Globe) هو نشاط علمي وتعليمي يشترك فيه العلماء المتخصصون في علوم الأرض وما يتصل بها من شؤون البيئة وظواهرها وقضاياها، ويشترك معهم المعلمون والطلاب في مدارسهم هذا النشاط العلمي يشارك فيه الآن ما يقرب من مائة وعشرين دولة وقد كانت المملكة العربية السعودية هي المشارك التاسع والتسعين وذلك عندما تشرف الكاتب بتوقيع اتفاقية بين حكومة المملكة وحكومة الولايات المتحدة الأمريكية في العام ١٤٢٣هـ في مقر الخارجية الأمريكية في واشنطن وذلك تنفيذاً للأمر السامي الكريم المبني على قرار مجلس الوزراء الموقر.

هذا البرنامج هدفه التوعية بأهمية المحافظة على البيئة، وتعويد الطلاب على الإسهام بفاعلية في كل ما من شأنه حمايتها من التلوث، ومشاركة الآخرين من سكان المعمورة أيّاً كان موقعهم في العمل الدؤوب نحو هذا الهدف السامي من خلال تبادل المعلومات عبر الإنترنت، ويقوم الطلاب المشاركون في مشروع «جلوب» بإدخال بياناتهم عن أحوال البيئة من حولهم واستقبال بيانات المدارس الأخرى في أنحاء العالم، والقياسات والبيانات التي يحصل عليها الطلاب المشاركون في المشروع تساعد العلماء المشاركين في برامج أبحاثهم البيئية، كما أن هذا البرنامج البيئي يساعد على التعرف على الثقافات المختلفة.

لقد تم تجهيز مجموعة من المدارس في أنحاء المملكة بكل ما تحتاجه للمشاركة في هذا البرنامج وتم إعداد أدلة منظمة لعمل المشروع، وقد كتبت مقالة تمهيدية في دليل المعلم والطالب لمشروع جلوب البيئي جاء فيها:

أولاً، إن أجيال علماء الأمة الإسلامية التي ننتمي إليها كان لهم فضل السبق في علوم الأرض وعلم البيئة، وتشهد مؤلفاتهم الباقية إلى اليوم على هذا الفضل الذي يشيد به المنصفون من غيرنا.

ثانياً، كان نزول القرآن الكريم فتحاً مبيناً في مجال علم الأرض، وقد جاء ذكر الأرض في كتاب الله (٤٥١) مرةً في معاني شتى منها ما يتصل بعلم الأرض. ونحن نعلم أن الإيمان بالله مركز في أعماق الفطرة البشرية، وأن النظر في آيات الله في الأرض وفي

الكون عامة يدعم هذا الإيمان ويعزّزه ويجعله أكثر غنى. (وفي الأرض آيات للموقنين)^٢ وقال تبارك وتعالى - وقال عزّ وجلّ: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)^٣ وقال تعالى: (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون)^٤ وقال: (والأرض فرشناها فنعم الماهدون)^٥؛ ففي كتاب الله تعريف بحقائق تتصل بالأرض، وفيه تنبيه على عناصر البيئة وظواهرها المتنوعة، وفيه دعوة ملحة إلى النظر في الأرض والسماء وما فيهما: (قل انظروا ماذا في السماوات والأرض)^٦؛ فمن أجل هذا لا يغيب عن أذهان القائمين على تنفيذ هذا البرنامج التعليمي البيئي هذا الهدف الشريف وهو تعزيز الإيمان وإغناؤه وتدعيمه، ولا تفوتهم الفرصة أيضاً في الكشف عن حقائق تتصل بالأرض، وفي وصله بالحياة القائمة والإفادة من جوانبه العملية عملاً بمبدأ (التسخير) الذي تكرّر أيضاً في القرآن الكريم.

ثم إن المحافظة على البيئة هدف إسلامي أصيل ونبيل؛ ونشاط البرنامج عون لنا على تحقيق (التربية البيئية) بأوسع معانيها وأشملها. وقد نهى الله في القرآن الكريم عن الإفساد في الأرض في آيات كثيرة كثيرة؛ قال تعالى: (وإذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحبّ الفساد)^٧، وقال: (ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس)^٨.

وقد تكرّر نهي الله عن الإفساد في الأرض. قال تعالى: (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها)^٩.

٢ سورة الذاريات، آية: ٢٠.

٣ سورة فصلت، آية: ٥٣.

٤ سورة الحجر، آية: ١٩.

٥ سورة الذاريات، آية: ٤٨.

٦ سورة يونس، آية: ١٠١.

٧ سورة البقرة، آية: ٢٠٥.

٨ سورة الروم، آية: ٤١.

٩ سورة الأعراف، الآيات: ٥٦ و ٨٥.

ثالثاً: إن هذا المشروع عالمي - وهذا من خصائصه - ولكن هذا لا يمنع أن تظهر خلال تنفيذه خصوصيتنا، بل هو مناسبة لإبراز فضل الإسلام في هذا الجانب، وتعريف الناس به.

رابعاً: من المعلوم اتساع مساحة الأرض التي تشغلها المملكة العربية السعودية بخاصة، وشبه جزيرة العرب بوجه عام؛ فمساحة المملكة تضارع مساحة القارة الأوروبية، ويقترن بهذا الاتساع تنوع البيئات فيها وإمكان حصول طلاب المعرفة على معلومات متنوعة وحقائق كثيرة بسبب هذا الاتساع والتنوع، فينبغي أن نفيد من هذا، ويجب تبادل المعلومات التي نحصل عليها بين مختلف المناطق التي ينفذ فيها هذا المشروع.

خامساً: نتواصى - أيها الإخوة الكرام معشر القائمين بتنفيذ المشروع - بأن نستدرك ما فاتنا، وأن نكون مشاركين بجد بل أن نكون سابقين غير مسبوقين ومتبوعين لا تابعين، وأن نعمل بأمر ربنا: (وقل رب زدني علماً) ^{١٠}، وعلينا أن نفيد، في تنفيذنا للمشروع، من أحدث ما وصل إليه الإنسان من الأدوات الحديثة، وأن يكون لنا أيضاً دور مشرف في اختراع الأدوات اللازمة وفي صنعها (أو تصنيعها - كما يقال).

ومع اعتزازي الكبير بهذا المشروع وما حققه من وعي ومن تفاعل بين طلاب المدارس المشاركة مع طلاب من دول عالم آخر، فإن النجاح الذي تحقق فاق ما توقعنا، والتوسع في هذا البرنامج أخذ في الازدياد، ولقد حصلت بعض المدارس في المملكة على ميداليات ذهبية لإسهامها الفاعل في هذا البرنامج الحيوي مع حداثة تبيننا لهذا المشروع.

العناية بالمدرسة

لعله من المفارقات العجيبة أن التعليم النظامي واجه عدم قبول في عدد من مناطق المملكة ومحافظاتها في البداية، سواء للبنين أو البنات، وكان أكثر مقاومة لمدارس البنات، وقد تحولت هذه المقاومة إلى إقبال منقطع النظير، وأي موقع سكاني يتباهى أهله بأن في محيطهم مدرسة وتزايدت الضغوط الاجتماعية مما جعل المدارس في أعدادها الكبيرة لا تتناسب في كثرتها مع عدد السكان، ونسبة مئوية كبيرة من هذه المدارس عدد طلابها قليل (أقل من مائة طالب).

ضوابط ومعايير فتح المدارس والفصول

ومن أجل الظروف السابق ذكرها لزم وضع ضوابط محددة لفتح المدارس وإغلاقها، وأعطى لمجالس المناطق صلاحية تطبيق هذه القواعد مما مكن من:

- فتح مدارس جديدة في المراحل الثلاث: الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية في المدن والقرى والهجر تتوفر فيها كل المقومات الضرورية للمدرسة حسب مرحلتها.

- استثمار الغرف الزائدة في المباني المدرسية الحكومية، بدمج بعض المدارس أو ضم مدرسة من مرحلة دراسية إلى أخرى في المبنى نفسه، مع الفصل بين المرحلتين.
- توفير مبالغ طائلة كانت تصرف لفتح مدارس جديدة.
- التخلص من عدد من المدارس المستأجرة غير المستوفية للشروط التعليمية مع ما ينفق من أموال في أجورها.
- تأمين الماء لكل مدرسة لا تصلها الشبكة العامة.
- كما تم بناء خارطة للهيكل التشغيلي للمدرسة، وتحديد العدد المطلوب للطاقت البشرية من إداريين ومعلمين وغيرهم، ويعتمد في ذلك على وضع تصنيف للمدارس من حيث نوع المرحلة وعدد الفصول والطلاب فيها مما مكن من رسم خريطة مستقبلية للتوسع في افتتاح المدارس تعتمد على معدلات النمو والتوزيع السكاني ومعرفة الاحتياجات الفعلية اللازمة من الطاقم التشغيلي سنوياً وتحديدها لكل مدرسة وإيقاف الهدر الوظيفي «ترشيد الوظائف».

المباني والتجهيزات المدرسية

من مظاهر عمليات التجديد في الوزارة في السنوات الأخيرة، التوسع في إنشاء المباني الحكومية ومما يذكر أولاً في هذا المجال الجهود التي بذلت لبناء مقر جديد للوزارة في الأرض المخصصة لذلك الغرض في شارع الملك عبد الله بن عبد العزيز في الرياض فهو مبنى يجمع ما تشتمت منها في أماكن متفرقة وخاصة بعد دمج تعليم البنات في الوزارة. فلقد تم اعتماد المبالغ اللازمة والموافقة على المخططات الهندسية، وإنني على يقين بأنه (بعد الانتهاء من تشييد المبنى) سيصبح معلماً من معالم عاصمتنا الحبيبة الرياض وذلك بتميز تصميمه محاطاً بما وفق الله الوزارة لتخصيصه من الأرض للنزهة وممارسة رياضة المشي.

ومن مظاهر التجديد إقامة المدارس ذات التصاميم الجيدة والمتطورة والمناسبة لظروف المملكة، ولقد هياً الله من الأسباب ما مكن من تنفيذ بناء مدارس حكومية في المدة التي تشرفت فيها بالعمل في الوزارة أو اعتمد للبناء في الميزانيات للسنوات الثلاث الأخيرة في مدن المملكة وقراها كافة أعداداً تفوق كل ما أقيم في المدة السابقة للعام الدراسي ١٤١٦هـ/١٤١٧هـ، إضافة إلى توجه الوزارة لتنفيذ المجمعات التعليمية التي تخدم الأحياء ذات الكثافة السكانية العالية، وتحقق الفائدة المثلى من المبنى، حيث يحتوي المجمع على ثلاث مراحل تعليمية في موقع واحد، فأمكن بذلك التغلب على مشكلة عدم توافر الأراضي الكافية لأكثر من مدرسة، كما تحقق البعد الاقتصادي، نتيجة توفير عناصر تربوية مشتركة مثل مركز مصادر التعلم (المكتبة سابقاً) والملاعب الرياضية وصلات النشاط الفني والاجتماعي.

ولقد كان للمهندس عبد الله بن حمد الفوزان وكيل الوزارة للمباني والتجهيزات المدرسية الدور الأهم في إنجاز ما تحقق بحكم نشاطه ومتابعته المستمرة وتوظيفه لعلاقاته الحميمة مع الآخرين للمصلحة العامة.

كما تم تزويد المدارس بالأعداد الكافية من الأجهزة والوسائل التعليمية الحديثة وتشمل: أجهزة الحاسب الآلي والفيديو والتلفاز والمختبرات بأنواعها ومعامل اللغة مما أدى إلى تحسين أساليب التدريس.

ومع كل الجهود التي تبذل لتطوير المبنى المدرسي فإن التعقيدات الإجرائية تمثل عائقاً كبيراً، ومن أمثلة التعقيدات الإجرائية ما كان يجري العمل به في إيصال التيار الكهربائي إلى المباني المدرسية التي تبنيها الوزارة بدل المستأجرة حيث تقوم شركة الكهرباء السعودية بإيصال التيار الكهربائي بسعر محدد لكل كيلو فولت أمبير.

وبموجب هذا الإجراء كان لزاماً على الوزارة أن تنتظر وقتاً طويلاً بعد انتهاء المباني الجديدة وتجهيزها وتأثيرها لإدخال التيار الكهربائي وتكون النتيجة اعتذار شركة الكهرباء عن إيصال التيار في الوقت المطلوب للوزارة لظروفها المالية.

وحرصاً من الوزارة على كسب الوقت والإنجاز وإنهاء التعاقد مع المباني المستأجرة

التي لا تقني بالعرض المدرسي وتكلف الوزارة أعباء مالية كثيرة فقد أسند إيصال الكهرباء إلى مقاولين بأسعار تتجاوز ما تتقاضاه الشركة السعودية للكهرباء ولكن فيه توفير مالي للوزارة نتيجة الاستفناء عن المباني المستأجرة.

ويرفض الممثل المالي إجازة صرف قيمة تأمين معدات الضغط العالي لأنها مخالفة لما تحدد من تكاليف نظامية لإيصال التيار الكهربائي وتحمل الوزير في مرات عديدة المسؤولية وصرف للمقاولين من ميزانية الوزارة مما نتج عنه توفير ما يدفع في المباني المستأجرة وفي سرعة الاستفادة من المبنى المدرسي اللائق.

ونتيجة لهذه التجربة وخشية من إعاقة تسلم المباني التي تبنيها الوزارة تم إدراج توريد وتركيب مهمات الضغط العالي وإيصال التيار الكهربائي ضمن عقود مشاريع البناء وأصبحت من ضمن التزامات المقاولين التعاقدية.

وقد شملت إنجازات الوزارة من المباني والتجهيزات المدرسية ما يأتي،

- وضع الخطة الوطنية لمستقبل المباني المدرسية والتأكيد على أهمية دعم ميزانية المشاريع والصيانة، وتتضمن هذه الخطة ثلاثة برامج هي:
- برنامج تأمين الأراضي، وبرامج الإنشاءات، وبرامج الصيانة والتشغيل.
- توفير احتياجات المدارس والإدارات التعليمية من المكيفات ومبردات المياه، وفي هذا الصدد فإني أذكر بكل ارتياح أنه في أول سنوات عملي تشرفت بمقابلة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله، فسألني عن حال المدارس، فأجبتته بأن ما اعتمد في الميزانية لذلك العام لا يكفي لتوفير المكيفات ومبردات المياه في كل المدارس فقال: كم يحتاج هذا من المال؟ فقلت: أمهلني حتى أسأل وقد أجريت اتصالاً هاتفياً في الحال مع المهندس عبد الله الفوزان وكيل الوزارة للمباني والتجهيزات المدرسية عن المبلغ اللازم لهذا الأمر فأجاب: ٦٥ مليون ريال تقريباً وأخبرت الملك رحمه الله، وما هي إلا أيام قليلة حتى وصلني شيك بالمبلغ باسمي لإنفاقه في هذا الغرض. وقد كان لذلك التبرع السخي دور كبير في تحسين وضع المدارس مما مكنها أن تقوم بدورها على أفضل وجه.

- دعم الإدارات الهندسية بإدارات التعليم بالكفايات الفنية السعودية، من مهندسين وفنيين، ومنح المزيد من الصلاحيات للمسؤولين في هذا القطاع.
- تطوير الأداء، بإدخال الحاسب الآلي ورفع كفاءة العاملين بالتدريب والابتعاث وتبادل الخبرات وزيارة الدول المتقدمة وعقد اتفاقيات تعاون مع منظمة اليونسكو للإفادة مما توصلوا إليه.
- تشجيع أصحاب المدارس الأهلية؛ فحين تمت الموافقة على إقامة مباني تعليمية أهلية على بعض الأراضي المخصصة للمرافق التعليمية التي لا تحتاج إليها الوزارة في ذلك الحين تقدمت مجموعة من ملاك المدارس الأهلية إلى إدارات التعليم للاستفادة من هذا القرار.
- أسهمت الوزارة في إعداد الرسوم لمدرسة المستقبل المتمثلة في مجمع تعليمي يوفر للحى والأحياء المجاورة كل ما تحتاج إليه من أنشطة ثقافية ورياضية وقاعات مغطاة وأفنية.... الخ.
- في مجال ترميم المباني التعليمية، تم إنجاز الكثير من عمليات الترميم.
- فيما يخص الصيانة تم إعداد خطة الصيانة الذاتية التي تشمل إنشاء ورش ثابتة وورش متحركة وتأمين قطع الغيار، والأدوات والأجهزة، وتوفير الأعداد اللازمة من الفنيين.

وسعت الوكالة إلى برامج تطويرية منها :

١. تمويل بناء مشاريع المباني التعليمية وشراء الأراضي لها بهدف زيادة عدد المدارس الحكومية من قبل القطاع الخاص دون تحميل ميزانية الدولة أعباء مالية جديدة في وقته، تنفيذاً لسياسة الدولة بمشاركة القطاع الخاص في التنمية بتفعيل دور هذا القطاع، في الإسهام في بناء المرافق الحكومية المهيأة للأداء الجيد، وتحسين مستوى القائم منها والاستغناء التدريجي عن المباني المستأجرة وذلك عن طريق:
 - تمويل بناء مشاريع تعليمية على أراضٍ تملكها الوزارة، عن طريق رجال الأعمال والمستثمرين، وسداد القيمة على أقساط طويلة الأجل (بموجب عقود استصناع).

- تمويل الأراضي، وتمويل بناء مشاريع تعليمية عليها، وسداد قيمة المشروع مضافاً إليها قيمة الأرض على أقساط، وتؤول ملكيتها للوزارة بعد السداد (بموجب عقود استصناع).
- تمويل شراء الأراضي، وتمويل البناء، وتأجيله للوزارة بعقود إيجار طويلة الأجل، ثم تعود ملكيتها للوزارة بعد مدة تسديد يتفق عليها، أو بقاء ملكيتها لمالكها حسب الاحتياج (بموجب عقود إيجار مع الوعد بالتملك) وقد صدر بشأن هذه الحالات قرار من مجلس الوزراء.
- ٢. استثمار غلال الأوقاف، والأموال التي لدى بعض الجهات، مثل التأمينات الاجتماعية، ومعاشات التقاعد، وسندات الخزينة، في تمويل بناء المشاريع التعليمية، وشراء الأراضي اللازمة لتلك المشروعات وتسديد القيمة على أقساط.
- ٣. استبدال (أو بيع) أراضٍ تكون الوزارة في حاجة عاجلة إليها بالأراضي والمباني التي لا تحتاج إليها الوزارة في الوقت الحالي، أو استثمار عقد البيع في شراء أراضٍ أخرى تحتاج إليها، أو بناء المشاريع التعليمية أو صيانتها أو تأجير هذه الأراضي لملاك المدارس الأهلية وهو ما صدر بشأنه قرار من مجلس الوزراء.
- ٤. قبول تبرع المقتدرين من أهل الخير من المواطنين لبناء مشاريع تعليمية على نفقتهم الخاصة.
- ٥. تشجيع الاستثمار بالتعليم الأهلي وتشجيع أصحاب المدارس الأهلية على بناء مشاريع مدرسية بمواصفات تحقق المعايير التربوية.
- ٦. بناء قاعدة البيانات للخارطة المدرسية لتواكب الوزارة التطور الهائل في أنظمة وتسجيل المعلومات بما يحقق المساعدة في اتخاذ القرارات السليمة المبنية على أسس علمية وذلك بتحديد جميع الأراضي والمباني التعليمية بالأحياء السكنية على جميع خرائط مدن المملكة، بما يحقق المرونة في استيعاب المتغيرات، وكذلك التوزيع الأمثل داخل التجمعات الريفية والحضرية، ومعرفة البيانات الشاملة عن المبنى المدرسي، التي توضح غرف الدراسة والغرف المساندة والأقنية مع أبعادها ومساحتها، مع تسجيل كافة المعلومات وإدخالها بالحاسب الآلي.

٧. تطوير تصاميم نماذج المشاريع التعليمية، وفقاً للمعطيات التربوية المتطورة والمناهج الدراسية، والمرحلة التعليمية.
٨. إنفاذ ما توصلت إليه الدراسات عن تخفيض التكلفة الإنشائية لتلك المباني مع عدم الإخلال بالمتطلبات التربوية، والمعايير والمواصفات التصميمية.
٩. بناء قاعدة معلومات كبيرة، هي الأولى في تاريخ الوزارة، لمواصفات المباني المدرسية، والأثاث تسهم إسهاماً جيداً في تحديد الأسس والمعايير الفنية والتصميمية.
١٠. تقييم تصاميم المشاريع باستبانة آراء ذوي العلاقة (المشرفين على التنفيذ ومديري المدارس والمعلمين والطلاب) حققت تلافياً السلبيات في التصاميم القادمة.
١١. الاستعانة ببعض الجهات الاستشارية المتخصصة في عمارة المباني التعليمية والاستفادة من خبراتها في هذا المجال بما في ذلك منظمة اليونسكو.
١٢. وضع استراتيجية عامة للتجهيزات المدرسية لتطوير الاهتمام بمجال الأثاث المكتبي والمدرسي، ليوكب تطور المباني المدرسية، ويتم التنسيق مع الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس لإيجاد مواصفات قياسية في هذا المجال.
١٣. وضع خطة لصيانة الأثاث بإنشاء ورش متخصصة في إدارات التعليم، وذلك للاستفادة من (الرجيع) والأثاث.
١٤. الأخذ بآراء المتخصصين الفنيين والتربويين في ملاءمة ما تم تأمينه من أثاث، من الناحية الفنية والتربوية، وفق التجربة العملية للطالب والمعلم، والعمل على تلافى الملاحظات السلبية مستقبلاً.
١٥. كما اتجهت الوزارة لإعداد مخططات المباني ومواصفاتها، بما يحقق خفض تكلفة الإنشاء والتشغيل والصيانة، وبما لا يتعارض مع كفاية المبنى للخدمة التعليمية وذلك عن طريق:

• إدخال حسابات الهندسة القيمة عند تصميم المشروع.

• اختيار مواد إنشاء ومواد تشطيبات قليلة التكاليف، عالية الجودة.

- التعدد الوظيفي لبعض العناصر المكونة للمبنى.
- إنشاء مجتمعات مدرسية تشترك في عناصر واحدة للأنشطة الرياضية والاجتماعية والثقافية.
- الالتزام بتحديد النماذج والمواقع بطريقة موضوعية بناءً على معلومات دقيقة عن الاحتياج.
- توفير الحد الأدنى من العناصر والخدمات الضرورية في المبنى المدرسي.
- الاهتمام بالجودة النوعية للمواد والتمديدات، ودقة التنفيذ، باعتبارها من عوامل إطالة العمر الافتراضي للمبنى وتقليل تكاليف الصيانة.
- تصميم نموذج مبسط في التكوين والمواصفات للمدارس التي يقل عدد طلابها عن (١٠٠) طالب وهي غالباً مبان مستأجرة، ودراسة عرض هذا النموذج لتنفيذه بواسطة القطاع الخاص.
- التوعية في طريقة استخدام المبنى وتشغيله.

المدارس السعودية في الخارج

من باب حرص المملكة العربية السعودية على توفير التعليم لأبنائها حيثما كان موقعهم فقد أقامت عدداً من المدارس والأكاديميات في الخارج، التعليم فيها باللغة العربية إلى جانب تمكين الطلاب من لغة البلد المقيمين فيه، وكان السعى حثيثاً لتطوير أداء هذه الأكاديميات مما اقتضى معه القيام ببعض الإجراءات والتي منها:

- إنشاء شبكة حاسب بين الوزارة والمدارس السعودية في الخارج لربط الأكاديميات والمدارس السعودية في الخارج بشبكة حاسب وبريد إلكتروني مع الوزارة، بهدف

تدعيم وسائل الاتصال بين تلك المدارس والوزارة، وتزويدها بكل ما يستجد من أعمال تربوية وفنية في وقت مبكر، والمتابعة اليومية لأعمال تلك الأكاديميات والمدارس.

- التوسع في الإشراف على اختبارات الثانوية العامة، واختبارات المنازل لتشمل جميع الأكاديميات والمدارس السعودية في الخارج، واستمرار إرسال مشرفين تربويين للإشراف على تلك الاختبارات، والعودة بالإجابات ورئاسة لجان الاختبارات بها.

- إيفاد مديري مدارس ومعلمين سعوديين في تخصصات مختلفة للتدريس في الأكاديميات والمدارس السعودية في الخارج.

- إصدار كتيبات ونشرات تعريفية وبرامج إعلامية خاصة لإطلاع المهتمين والموفدين وأولياء الأمور، للاستفادة من فرص التعليم المختلفة التي توفرها الدولة لأبنائها في الخارج.

- متابعة أعمال اللجنة الدائمة لافتتاح المدارس وتحديد الرسوم الدراسية المكونة من كل من وزارة التربية والتعليم، ووزارة المالية، ووزارة الخارجية التي تعمل على:

- دراسة طلبات افتتاح المدارس السعودية في الخارج.

- التوصية بأسلوب التعليم المناسب في حالة عدم توفر شروط افتتاح المدرسة.

- تحديد الرسوم الدراسية وفقاً لأسلوب التعليم المقترح.

مشروع عبد الله بن عبد العزيز وأبنائه الطلبة للحاسب الآلي

أصبحت تقنية المعلومات من أهم مصادر الدخل القومي للعديد من الدول، بل إن دولاً كانت تعد من الدول النامية قبل سنوات قليلة أصبحت اليوم من أكبر مصدري التقنية، كما أصبح دخلها من ناتج المعلوماتية والحلول التقنية يوازي الدخل الصناعي. وقد أسهم في ذلك أن المعلوماتية لا تحتاج إلى بنية تحتية صناعية خاصة بها باستثناء تلك اللازمة للاتصالات مع تطوير مستوى التعليم والاستثمارات المتعلقة بذلك. ومما يميز تقنية المعلوماتية أن العنصر البشري يستطيع الإنتاج والمشاركة فيها من أي مكان إذ ليس للتقنية المعلوماتية حدود مثل الصناعة والتجارة والزراعة، كما أنها غير مرتبطة بأعمار معينة، حتى إن عدداً من الشركات الرابحة في مجال التقنية قامت على قيادات شابة في مقتبل العمر.

لذا ركزت الدول -التي تبتهت لهذا الأمر مبكراً- على تطوير مستوى التعليم وأنشأت عدداً من الكليات المتخصصة بالتقنية يلتحق بها من عندهم الاستعداد والميول لذلك التخصص من طلاب المرحلة الثانوية. وقد بنت هذه الدول قواعد علمية راسخة بالتفاعل

الإيجابي مع التقنية ومنتجاتها الحضارية، والتعامل المنطقي والموضوعي مع التدفق المعلوماتي؛ مما عزز مواقعها التنافسية دون أن تفقد أصالتها وهويتها وقيمها. جاء هذا نتيجة تأهيل أبنائها في المجالات التقنية ضماناً لعدم التخلف عن الركب الحضاري. وقد استطاعت دول -مثل ماليزيا، والهند، وسنغافورة، وكوريا- أن تجذب شركات الاستثمار الأجنبية إليها لما توفره من أيدٍ عاملة مؤهلة في مجال المعلوماتية، حتى أصبحت تلك الشركات تفضلها على مواطنها الأصلية لحسن تأهيل اليد العاملة وللتوفير في التكاليف التشغيلية، وفي المقابل قدمت تلك الشركات دعماً اقتصادياً كبيراً ساعد على جذب الاستثمارات وامتد إلى تيسير تصدير الناتج المعلوماتي من برامج وتطبيقات وحلول.

إن ما وصلت إليه تلك الدول من المستوى المعلوماتي التقني لم يكن ليتحقق لولا توفير جميع السبل الكفيلة بتنمية الموارد البشرية مثل: تطوير مستوى التعليم، وإنشاء البنية التحتية المعلوماتية وبنية الاتصالات، وتوفير الكليات والمعاهد المتخصصة وإدخال التقنية بالتعليم في المراحل الدراسية الأولى (التعليم العام).

لقد أدركت أنه خلال السنوات العشر القادمة سيتخرج في المرحلة الثانوية ثلاثة ملايين طالب وطالبة في المملكة، وقد يجد منهم مليون ونصف المليون مقاعد جامعية أو فرص عمل، بينما سيبقى مليون ونصف دون عمل أو قبول في أي مؤسسة تعليمية أو قطاع عسكري، وهو ما يحتم تهيئة أولئك ليكونوا مصدراً من مصادر الدخل الوطني لا عالة عليه، ولا يتم ذلك إلا بتأهيلهم التاهيل التقني المناسب الذي يجعلهم عناصر منتجة لا مستهلكة فقط.

إن تبني خيار تقنية المعلومات لتحقيق أهداف التنمية وتهيئة الأجيال القادمة لمواجهة التحديات المعاصرة ضرورة ماسة لتطوير العملية التعليمية التي هي أساس التنمية الوطنية.

ومع أنني شخصياً أحسب من جيل يُنظر إليه على أنه ليس على ألفة مع التقنية، ولم يعدت عليها، لكن لإيماني بأن العلم والتعلم لا يقفان عند سن معين، بدأت بتعريف نفسي على هذه التقنية وكيف تسهل علينا معشر التربويين أداء رسالتنا ورفع مستوى التعليم في وطننا، وأصبحت على يقين بمدى أهمية إدخال التقنية إلى التعليم؟ لذا

شرعت الوزارة بخطوات نحو هذه المزوجة بينهما وإن كانت محدودة في بداياتها -ولكن الخطوة الأولى هي الأهم دائماً- وكان الهدف والعزم هو شيوع استخدام الحاسب الآلي في مدارس المملكة على كل المستويات وبالذات في المرحلة الثانوية.

وازداد حماسي لاستخدام التقنية ورفع مستواها ونسبة إدخالها في مراحل التعليم العام، حين لمسنا «بوصفنا مختصين» نتائج إيجابية من التجربة التي قمنا بها وكيف أنها سهلت العمل الإداري والتربوي وكيف ازداد الطلاب الذين استخدموها ثقافة، فتضاعف اهتمامي بالتقنية وركزت عليها في محاضراتي وأحاديثي الصحفية واجتماعاتي، لأنها أحد أهم السبل وأفضلها التي تساعد -بإذن الله- على أن نقفز بالتعليم في المملكة إلى أرفع مستوى، وبصورة ملموسة.

خطوات المشروع

تقدم شايبان في أول شهر شعبان من عام ١٤٢٠هـ، هما (المهندس رعد بن محمود المارديني والأستاذ تركي بن فهد الرمالي) بفكرة مشروع يساعد الوزارة على إدخال التقنية في التعليم على نطاق واسع وتلخص فكرة المشروع في الآتي:

١. ربط مرافق التعليم العام (المدارس والمكاتب وإدارات التعليم وجهاز الوزارة) بشبكة اتصالات تسهل تناقل المعلومات فيما بينها.
٢. استخدام التقنية بصورة فاعلة في نظام التعليم وسيلة وأداة للتحصيل العلمي.
٣. تطويع التقنية لرفع كفاءة الأعمال الإدارية في الوزارة.
٤. تطبيق التعليم الإلكتروني لتخفيف تكاليف إدارة التعليم في المناطق البعيدة.

واستمر العمل على تفصيل هذه الفكرة إلى أن وُفقنا لعرضها بتاريخ ١٦/١/١٤٢١هـ على خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز (وكان ولياً للعهد آنذاك).

وكان حماسه - حفظه الله- واضحاً عند عرض فكرة المشروع واقترحت عليه أن يكون اسم المشروع (مشروع صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز للحاسب الآلي المدرسي). وكان تجاوبه سريعاً بعيداً عن مسار التعاملات الرسمية وحركتها، وتأكيداً على دعمه للفكرة وحرصه على مصلحة الوطن أعلن تبرعه للمشروع بمبلغ «عشرة ملايين ريال» وأصدر برقية في اليوم التالي، هذا نصها:

المملكة العربية السعودية

١٧/١/١٤٢١هـ

ديوان مجلس الوزراء

برقية

معالي الدكتور محمد بن أحمد الرشيد

وزير المعارف

أبنائي المواطنين. طلبة المدارس في جميع مراحلها سلمهم الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

لقد سعدت غاية السعادة وأنا أرى مشروع الحاسب الآلي المدرسي ينطلق بفاعلية هادفاً إلى تحقيق الأفضل لتأهيل أبنائنا من الأجيال السعودية الشابة لمحاكاة العصر ومتغيراته، واحتياجاته المتسارعة في خطاها الثقيلة في وطنها.

إنه عصر يستنطق كل متحرك وجامد، يحمل في أحشائه ذرائع مختلفة اللون والطعم والرائحة، لا تجانس بينها بالفكر ولا اتحاد في معطياتها.. إنه خليط من المتناقضات السلبية والإيجابية، التي تحتّم على كل أمة مدركة لأهمية الأجيال القادمة وتأثيرها على المسار الوطني أن تنهض بمقدراتها لتحقيق الوعي الأمثل لدى أبنائها في محاولات جادة وحثيثة لإعاقة كل غث لا يُسمن ولا يُغني، ودفع لكل فائدة نحن في المملكة العربية السعودية شعباً وحكومة أحوج إليها في زمن التقنية وعلومها.

واليوم يا أبنائي: أخاطبكم من خلال هذه الرسالة مستثيراً كل راکد في النفوس، متوكلاً على الله ثم عليكم وعلى وعيكم وروح خلاقه تغذت ولا زالت على آمال الوطن

مشروع عبد الله بن عبدالعزيز وأبنائه الطلبة للحاسب الآلي

وأمنيته في أن نراحم بالمناكب أمماً سبقتنا في هذا المجال، فلنأخذ عنها كل نافع بنفعه، ولنزدري بأخلاقنا وقيمتنا وقبل ذلك إيماننا بالله كل دخيل عليها وعلينا، ولننهل من معين العلم وصفو المشرب خدمة لديننا وأمتنا، وليكن ذلك حاجة لا ترفاً، فالأهم تقاس مكانتها بالعطاء الذي يؤثر ويغير ويحدث، وما أجمل ذلك إذا جاء متسقاً ونابعاً من نقاء ديننا وأصالة أخلاقنا.

أبنائي الأعزاء: إن إيماني بالله ثم في كل كلمة قلتها يجعلني أتجاوز مكان المسؤولية التي أحملها فأخاطبكم كمواطن له من الحقوق كما عليه من الواجبات، لذلك فمن حقي أن أشارككم العزة لله ثم الوطن، ومن واجبي أن أكون معكم في مسيرتكم عضداً بعضد نحو بناء أمة حديثة ما عهدت في تاريخها أن تطأطء برأسها ذلة أو هواناً، فيحمل كل منكم دوره مع واجبه دون تقليل أو تهميش له، مُعلنًا في ذات الوقت تغيير مسمى مشروع (صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز للحاسب الآلي المدرسي) ليصبح (مشروع عبد الله بن عبد العزيز وأبنائه الطلبة للحاسب الآلي).

صاحب المعالي: عندما أشد على يدك اليوم مقدرًا جهودكم والعاملين في قطاع التعليم، وجميع أبنائي الطلبة، فإنني بذلك أصفح كل إنسان يضع مصلحة الدين ثم الوطن فوق كل اعتبار فامض في خطواتك واعلم بأننا نثمن العطاء ونقدره.

هذا وأسأل الله لنا جميعاً التوفيق والسداد لخدمة ديننا ووطننا بقيادة أخي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز-أيده الله بنصره.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أخوكم

عبد الله بن عبد العزيز

نائب رئيس مجلس الوزراء

وكان خطابه - حفظه الله - حافزاً ومفرحاً لي ولكل من اطلع عليه من المنتسبين للتعليم وغيرهم، وقد زادني إحساساً بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقي، وضرورة العمل وبذل الجهد لتفعيل معاني هذه البرقية الكريمة.

ورداً على برفية سموه الكريمة كتبت له في اليوم نفسه:

المملكة العربية السعودية

وزارة المعارف

مكتب الوزير

برقية

صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز، ولي العهد،

نائب رئيس مجلس الوزراء، رئيس الحرس الوطني

حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

حين تشرفت -يا صاحب السمو- بأن عرضت على أنظاركم الكريمة مشروع الأمير عبد الله بن عبد العزيز للحاسب الآلي وتطبيقاته في مدارس وزارة المعارف من خلال:

١. دعم المنهج التعليمي باستخدام تقنية العصر، وجعلها أداة تعليمية مرتبطة بشبكة متكاملة.

٢. توسيع قاعدة استخدام الحاسب الآلي لتشمل مراحل التعليم كافة.

٣. تأهيل جيل ناشئ متمكن من هذه التقنية، قادر على مسايرة العصر، وتلبية احتياجاته.

٤. توسيع دائرة المعرفة بالوقوف على المعارف والاكتشافات في الدول الأخرى عن طريق شبكة تعليمية متطورة.

كان تجاوبكم كريماً، وتشجيعكم عظيماً.

وبالأمس -يا صاحب السمو- تأتي مهافتكم لتعطيني المزيد من السعادة، والدعم،

مشروع عبد الله بن عبدالعزيز وأبنائه الطلبة للحاسب الآلي

والتشجيع، وتؤكدون لي أهمية المشروع، وتعلموني بأنكم أول المتبرعين له بمبلغ (١٠) ملايين ريال، وتبني (٣٠٠) طالب سنوياً، طيلة مدة دراستهم.

ثم تزداد بهجتي اليوم بتسلم برقيتكم الكريمة الموجهة لي، ولأبنائنا الطلاب، قرأت فيها حكمتكم، وحثكم لي شخصياً، ولأبنائكم، على المضي قدماً في هذا الطريق العلمي المهم.

إن تشجيعكم لنا -يا سيدي- سيكون لنا -بعد عون الله- دافعاً وحافزاً على بذل المزيد من الجهد لمضاعفة العطاء، لأننا ندرك ما ترمون إليه، وتؤمنون به، من أننا لن نكون لنا المكانة التي نطمح إليها ما لم نمتلك ناصية هذا العلم، وأن أبناءنا مخولون -بما من الله عليهم به من طاقات- أن يكونوا من المبدعين. فبدون الإتقان والإبداع والتفوق لن نكون لنا كلمة مسموعة في المحافل الدولية.

إننا -يا صاحب السمو- نشعر بعظمة المسؤولية، وليس لنا عذر في القعود عن تحقيق الآمال، ونعدكم أن نكون -إن شاء الله- عند حسن ظنكم.

صان الله لهذه البلاد أمنها وعزها، وبارك لها فيما أنعم عليها وحفظ لها قيادتها الرشيدة وعلى رأسها، خادم الحرمين الشريفين، وسموكم الكريم، وسمو النائب الثاني. والله يحفظكم ويرعاكم، وتفضلوا بقبول وافر الإجلال والتقدير.

١٧ محرم ١٤٢١ هـ

وتزامناً مع صدور الموافقة كان فريق العمل المكلف بالتعاون مع فريق استشاري قد انتهى إلى تحديد متطلبات المشروع وسبل تخطي العوائق وقدم تقريراً بعد الحصول على نتائج الدراسة المبدئية بناءً على مسح مبدئي وزيارة الجهات ذات العلاقة مثل الاتصالات السعودية ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ومؤسسة الاتصالات الفضائية العربية (عرب سات).

وحوى ذلك التقرير الملامح الأولية لمتطلبات التقنية في مدارس التعليم العام، ومدى موائمة الشبكة المحلية لتقديم هذه الخدمات لقطاع التعليم، بالإضافة إلى دراسة التكاليف المبدئية.

وقدم الفريق الاستشاري عرضاً للمعنيين من منسوبي الوزارة عن كيفية دمج التقنية في التعليم وتجربة «كندا» في هذا المجال.

وبعد الحصول على نتائج الدراسة المبدئية (تقنية وتحليل التكاليف) تم تحليل مكونات المشروع الأولية على أساس النتائج والتي تعتمد على:

- استخدام الشبكة العامة على أساس سعر مُخفض كما هو شائع في الدول التي استخدمت الشبكة العامة.
- تعويض النقص في الشبكة العامة باستخدام تقنيات الاتصال اللاسلكي والاتصالات الفضائية.
- تجهيز المدارس بمعامل مرتبطة بمراكز خدمة.
- وجود مركز خدمة أساسي ومراكز فرعية.

وتم احتساب تقدير التكاليف التأسيسية في الدراسة المبدئية (بنين) على أساس معدل ٦٥٠ ريال لكل طالب وعدد الطلاب الذكور في التعليم العام (آنذاك) ١,٤٨ مليون طالب، على أن يتم تسديد هذه التكاليف بواسطة عقود تمويل طويلة الأجل (١٠ إلى ١٥ سنة) كمشروع تعليمي أي بمعدل ٧٠ مليون ريال سنوياً وهذا أمر متعارف عليه في الشركات الكبرى، بالإضافة إلى تكاليف تشغيل سنوية تقديرية تبدأ من ٤ ملايين ريال سنوياً حتى تصل إلى حوالي ٢٥ مليون ريال سنوياً.

وعلى أساس هذه التكاليف السنوية تم تصميم برامج تمويل من غير اعتمادات الميزانية يتم من خلالها توفير هذه التكلفة السنوية، وتعتمد هذه البرامج على المشاركة الجماعية من المجتمع والقطاع الخاص، تمت بلورتها بالتعاون مع استشاري متخصص في برامج التسويق المماثلة.

وتضمنت الخطة تبني برامج تمويلية أخرى عند الحاجة إلى ذلك خلال تطور العمل في المشروع، بالإضافة إلى إيجاد سبل تمكن القطاع الخاص من المشاركة والاستثمار لاحقاً، وتم ذكر هذا في العرض الأساسي للمشروع الذي تشرّفنا بتقديمه إلى المقام السامي.

وكان العمل على مسارين منفصلين أولهما دراسة تفاصيل المشروع تقوم بها لجنة تصدر وثيقة للمشروع (وثيقة الرؤية والأهداف)، وشارك في هذه اللجنة مجموعة من داخل الوزارة ومن جهات أخرى (الجامعات وقطاع التقنية) وقد نص تقرير اللجنة عند انتهاء عملها على ضرورة إنشاء شبكة بيانات خاصة -لخدمة قطاع التعليم- ونوقشت الوثيقة واعتمدها الوزارة ورفعت بخطاب رسمي إلى المقام السامي وتم تأييدها حسب البرقية الموجهة لوزير المعارف بتاريخ ٢٦/٧/١٤٢١هـ.

وعلى هذا تبلورت صورة المشروع على النحو الآتي:

الرؤية

استيعاب تقنية المعلومات والاتصالات وتوظيفها واستخدامها إيجابياً في العملية التعليمية وتطوير قدرات المعلمين في رفع المستوى المعرفي للطلاب وتمكينهم من الوصول إلى مصادر التعلم المباشرة، والارتقاء بمخرجات التعليم لتخريج جيل منتج ذي مهارات عالية.

الأهداف

الهدف الأول:

تنمية مهارات الطلاب وإعدادهم إعداداً جيداً يتناسب مع المتطلبات المستقبلية، وذلك باستخدام تقنية المعلومات في التعليم والاستفادة منها.

تتمى مهارة الطلاب باستخدام تقنية المعلومات والاستفادة منها من خلال إدخال التقنية للمدارس، حيث ستتوفر التقنية فيها كمصدر للمعلومات في مراكز مصادر التعلم، وفي الفصول الدراسية كآلية للتعليم. كما ستتوفر تقنية المعلومات للطلاب في المنزل عن طريق شبكة الإنترنت، حيث سيتمكن كل طالب من تصفح المواقع التعليمية المختلفة والحصول على المحتوى العلمي، وهذا يمكنه من الاتصال بمدرسته وزملائه ومعلميه إلكترونياً.

ومن خدمات تقنية المعلومات التي توفرها شبكة المشروع للطلاب:

- التواصل الإلكتروني بين الطلاب والمعلمين وأولياء الأمور وإدارة المدرسة.
- توفير آلية التعليم عن بعد.
- تنظيم الندوات والمؤتمرات الطلابية عن طريق الشبكة.
- المشاركة في المسابقات العلمية والثقافية عن بعد.
- تنمية قدرات الطلاب من خلال المشاركة بتحرير مجلة الطالب.
- تقديم المعلومات العامة للطلاب من خلال دليل الطالب الشامل.
- إتاحة فرص الإبداع للطلاب من خلال المشاركة في مواقع الطلاب.
- ارتباط الطلاب السعوديين الدارسين بالخارج بالشبكة.

الهدف الثاني،

رفع مستوى قدرات المعلمين في توظيف تقنية المعلومات في الأنشطة التعليمية كافة.

يتم رفع مستوى المعلمين باستخدام تقنية المعلومات في الأنشطة التعليمية كافة من خلال إدخال التقنية للمدارس، وسيتمكن المعلم من الاستفادة من تقنية المعلومات في تحضير الدروس للطلاب، والحصول على المصادر والمعلومات اللازمة للعملية التعليمية من خلال شبكة المشروع. كما ستتوفر تقنية المعلومات للمعلم في المنزل عن طريق شبكة الإنترنت.

ومن خدمات تقنية المعلومات التي ستوفرها شبكة المشروع للمعلم الأمور الآتية :

- توفير الكتب المدرسية وأدلة المعلمين الإلكترونية.
- توفير الدروس النموذجية وطرق التدريس والأسئلة والتمارين المحولة والأمثلة وتطبيقات القوانين.
- مساعدة المعلم في تقديم الواجبات المدرسية والمعلومات والتعليمات للطلاب.
- إتاحة الفرصة لأي معلم أن ينفذ موقعاً خاصاً به ضمن مواقع المعلمين على شبكة الإنترنت.
- تقديم المعلومات الخاصة بخدمة المعلمين ضمن دليل المعلم الشامل.
- الربط بالمواقع الخاصة بتدريب المعلمين في جميع المجالات التقنية والعلمية والتربوية

الهدف الثالث،

إيجاد البيئة المعلوماتية بمحتواها العلمي الملائم لاحتياجات الطلاب والمعلمين وإتاحة مصادر التعلم المباشرة لهم.

ستوفر من خلال شبكة المشروع البيئة المعلوماتية بمحتواها العلمي المتكامل لتلبية احتياجات الطلاب والمعلمين لتوظيفها في التعليم والتعلم. وستسهم تقنية المعلومات في تحسين مستوى العملية التعليمية للطالب والمعلم. كما ستتاح مصادر التعلم المباشرة لكل من الطالب والمعلم، والأسلوب الأمثل لتوظيفها والاستفادة منها في التعليم.

ومن خدمات تقنية المعلومات وخدمات المحتوى العلمي والتربوي التي ستوفرها شبكة المشروع للطالب والمعلم ما يأتي،

- توفير الكتب المدرسية الإلكترونية والبرامج التعليمية التفاعلية ومناهج الوسائط المتعددة، والبرامج الإثرائية، والمصادر المتعلقة بها.
- توفير قواعد البيانات الأساسية والموسوعات والمعاجم والمراجع التربوية.

- الربط بالمواقع ذات العلاقة بالتعليم.
- الربط بالمواقع التي تقدم التجارب العلمية، وربط المناهج بالحياة العملية.
- توفير مناهج ذوي الاحتياجات الخاصة والموهوبين.
- توفير بنك الأسئلة المتكامل لجميع المواد والمراحل الدراسية.
- توفير الألعاب التعليمية لمختلف المستويات.

الهدف الرابع:

تحسين العملية التعليمية لتخريج جيل يحسن استخدام تقنية المعلومات.

سيكون خريج المرحلة الثانوية قادرا على مجاراة العصر بالاستفادة من تقنية المعلومات في مجالاته العملية، وذلك بعد اثنتي عشرة سنة من التعامل الجاد المثمر معها. وستساعد التقنية على رفع أداء الطالب العملي وقدرته على توظيفها في حياته العملية، خصوصا وأن مجال تقنية المعلومات من محركات الاقتصاد الحديث المهمة.

وسيسهم المشروع في تحسين مخرجات التعليم على النحو الآتي:

- رفع مستوى تحصيل الطلاب الدراسي من خلال استغلال تقنية المعلومات بما توفره من أدوات حديثة للتعلم والتعليم.
- تمكين الطلاب من استخدام تقنية المعلومات في العمليات التعليمية.
- ابتكار الأساليب والطرق الكفيلة بارتباط الطلاب بشبكة المشروع واستثمارها.

الهدف الخامس:

الإسهام في إيجاد نواة لصناعة تقنية معلومات متقدمة في المملكة.

سوف يسهم المشروع في توفير الأيدي العاملة اللازمة لصناعة تقنية المعلومات. والبنية التحتية الأساسية لصناعة تقنية المعلومات تتكون من بنية اتصالات جيدة وأيدي عاملة مدربة ومؤهلة تأهيلا جيدا. ومن المكمل لهذا بناء صناعة تدريب متكاملة تركز على صقل قدرات ومهارات خريج الثانوية العامة وتهيئته لسوق العمل.

وسيسهم المشروع في إيجاد نواة لصناعة تقنية المعلومات على النحو الآتي:

- تدريب طلاب المرحلة الثانوية على بعض التطبيقات الحاسوبية الهامة والشبكات وقواعد البيانات.
- وضع الأسس العامة للتدريب اللاحق للمرحلة الثانوية.
- رعاية الطلاب المبدعين عبر برامج خاصة لهذا الغرض.
- التعاون مع القطاع الخاص في تحديد احتياجاتهم من الأيدي العاملة.

الهدف السادس:

تكثيف التوعية الشاملة بأهمية توظيف تقنية المعلومات في التعليم، ونشر المعرفة بتقنية المعلومات بين أفراد المجتمع.

سيسهم المشروع في نشر وزيادة وترسيخ أهمية استخدام واستثمار تقنية المعلومات في مساندة العمليات التعليمية. وكذلك اتساع استخدامها في مجال التعليم على المستوى الإجرائي والمعلوماتي إضافة إلى توفير المعارف الأساسية والإثرائية لخدمة التعليم بشكل خاص والمجتمع بشكل عام. وسيكون موقع المشروع المرجع الأساسي للحصول على المعلومات والعلوم والمعارف العامة، والمعلومات الموسوعية من قبل جميع أفراد المجتمع.

وسيسهم المشروع أيضاً في نشر المعرفة بتقنية المعلومات على النحو الآتي:

- توفير الموسوعات والمراجع والمعارف لجميع أفراد المجتمع.
- توفير التدريب التقني والعلمي لجميع أفراد المجتمع.
- توفير الربط بالمواقع المنتقاة المفيدة لجميع أفراد المجتمع.

آلية تحقيق الأهداف

- لتحقيق أهداف المشروع سيتم بناء شبكة وطنية معلوماتية وخدمية شاملة تغطي جميع مدن وقرى المملكة وفق خطة تكون مما يأتي:
- شبكة بيانات وطنية تربط المؤسسات التعليمية وجميع إدارات التعليم والمدارس، موصولة بشبكة الإنترنت المحلية.
 - موقع عام شامل على شبكة الإنترنت يشتمل على جميع خدمات الشبكة، ومعلوماتها، ومداخل الشبكات والمواقع المربوطة بها.
 - محتوى علمي وتربوي يشتمل على المناهج الدراسية، ومصادر المعلومات المتعلقة بها، وربطها بالشبكة.
 - الشبكات المحلية بالمدارس وإدارات التعليم والمؤسسات التعليمية، وربطها بالشبكة.
 - أجهزة حاسب مبروطة بالشبكات المحلية في المؤسسات التعليمية وإدارات التعليم.
 - أجهزة حاسب أو نهايات طرفية مبروطة بالشبكات المحلية في المدارس (المعامل والفصول).
 - توصيلات للطلاب وأولياء الأمور والمتعلمين من المنازل (عن طريق مزودي خدمة الإنترنت).

الفئات المستفيدة من المشروع

الطلاب،

يهدف المشروع إلى تمكين جميع الطلاب من الاستفادة من شبكة المشروع في تصفح المواقع التعليمية المشتملة على المناهج الدراسية والكتب الإلكترونية. كما يمكنهم التعلم باستخدام تقنية المعلومات في الفصول الدراسية وفي المنازل، ومن الحصول على المعلومات والتعليمات والبيانات من معلمهم ومن إدارة المدرسة ومن زملائهم. وسيمكنهم -عن طريقها- الحصول على إجابة التساؤلات والاستفسارات التي تعرض لهم في أي وقت.

أولياء الأمور،

يهدف المشروع إلى تمكين أولياء أمور الطلاب من الاستفادة من شبكة المشروع في التعرف على أداء أبنائهم وعلى تحصيلهم العلمي، وفي الحصول على المعلومات والتعليمات والبيانات من معلمي أبنائهم ومن إدارة المدرسة ومن أولياء الأمور الآخرين. وسيمكنهم عن طريقها الحصول على إجابة التساؤلات والاستفسارات التي تعرض لهم أو لأبنائهم في أي وقت، وكذلك الاطلاع على مواقع الموسوعات والمراجع العامة.

المعلمون،

يهدف المشروع إلى تمكين جميع المعلمين كل حسب تخصصه من الاستفادة من شبكة المشروع في الاطلاع على المواقع التعليمية المختلفة والكتب الإلكترونية، وفي تقديم المعلومات والتعليمات والبيانات للطلاب وأولياء أمورهم، وتقديم الواجبات المدرسية للطلاب والحصول عليها منهم وذلك بسرعة فائقة ودقة. وسيمكنهم عن طريقها الحصول على المعلومات التي يحتاجون إليها من إدارة المدرسة، ومن الطلاب وأولياء أمورهم بالطريقة نفسها.

مسؤولو المؤسسات التعليمية وإدارات التعليم،

يمكن لجميع مسؤولي المؤسسات التعليمية الاستفادة من شبكة المشروع في تقديم المعلومات والتعليمات والبيانات إلى الجهات المعنية التابعة لهذه المؤسسات (إدارات

التعليم، المدارس، المعلمين، الطلاب، أولياء الأمور)، وسيمكنهم عن طريقها الحصول على المعلومات التي يحتاجون إليها من تلك الجهات.

مديرو المدارس والإداريون والمشرفون التربويون وأساتذة الكليات،

يمكن لجميع مديري المدارس والإداريين والمشرفين التربويين الاستفادة من شبكة المشروع في تقديم المعلومات والتعليمات والبيانات إلى الجهات المعنية المرتبطة بالمدارس (إدارات التعليم، المعلمين، الطلاب، أولياء الأمور). كما سيمكنهم عن طريقها الحصول على المعلومات التي يحتاجون إليها من تلك الجهات أو الأفراد.

المهتمون بالتربية والتعليم،

يمكن لجميع المهتمين بالتعليم الاستفادة من شبكة المشروع وذلك بالحصول على المعلومات التربوية والمراجع والإحصاءات والبيانات وتعليمات المؤسسات التعليمية.

طلاب كليات المعلمين وكليات التربية،

يمكن لجميع الطلاب الجامعيين المختصين بالتربية الاستفادة من شبكة المشروع في تصفح المواقع التعليمية، وفي الحصول على المعلومات والتعليمات والبيانات المتعلقة بالتعليم. ويمكنهم أيضاً الاطلاع على البحوث التربوية المتعلقة بتخصصاتهم، ونشر بحوثهم وأرائهم التربوية للاستفادة منها.

خدمات الشبكة،

لتحقيق أهداف المشروع، ستقدم شبكة المشروع مجموعة من الخدمات التقنية الأساسية للمستفيدين منها: تقديم المناهج الدراسية والوسائط المتعددة ومعلومات وثائق المناهج، والمعلومات العامة، والبريد الإلكتروني والتخاطب، وغيرها.

المناهج الدراسية،

من خلال شبكة المشروع سيتمكن مسئولو المؤسسات التعليمية من متابعة المعلمين فيما يخص المناهج وشرح الملاحظات أو الغموض الذي قد يحيط بها. وبهذا يتم اختصار الوقت والجهد الذي يبذل لإيصال مثل هذه المعلومات للمعلمين، ويمكن إضافة خدمة جديدة وهي شرح المسائل المتعلقة بالمناهج، مثل: الأهداف والتداخل بين المناهج

للطلاب، بالإضافة إلى المعلومات المقدّمة لأولياء الأمور الخاصة بالمناهج وتعريفهم بأهدافها، وأهمية كل هدف للطلاب.

وستقدم شبكة المشروع المناهج على شكل وسائط متعددة، وبهذا تضمن المؤسسات التعليمية وصول المعلومات والمعارف للطلاب بصورة موحدة ومتساوية. والوسائط المتعددة تضمن توحيد أسلوب إيصال التعليم لجميع أفراد المجتمع مهما بعدوا عن المدن الرئيسية.

كما أن الوسائط المتعددة ستساعد المؤسسات التعليمية في التغلب على مشكلة كثرة الطلاب في الفصول وتخطيها الأعداد المسموح بها عادة. وستوفر شبكة المشروع الارتباط بالمواقع التي تقدم المناهج الدراسية على شكل وسائط متعددة، بحيث تشمل برامج الوسائط المتعددة على عرض بالصوت والصورة والتفاعل الحي مع الطالب والاعتماد على نظام التجزئة والتكامل في عرض المعلومات العلمية. هذا مع إمكانية تقديم برامج تربوية وتعليمية للطلاب حسب فئاتهم العمرية مع الاستفادة من طرائق العرض المختلفة والمشوقة كأفلام الكرتون وغيرها.

وستؤمن شبكة المشروع للطلاب والمعلمين الارتباط بالمواقع التعليمية التي توفر الكتاب المدرسي ودليل المعلم الإلكتروني، ووثائق المناهج، والدروس النموذجية، وطرق التدريس للمعلمين.

وستوفر شبكة المشروع -أيضاً- الارتباط بالمواقع التي تقدم معلومات شاملة عن المناهج ومصادر المعلومات المتعلقة بها، وكذلك ربط المناهج بالحياة العملية والارتباط بالمواقع التي تقدم المناهج الإثرائية^١، ومناهج الطلاب الموهوبين، ومصادر المعلومات المتعلقة بها، وكذلك ربط المناهج بالحياة العملية. بالإضافة إلى المعلومات الخاصة بأولياء الأمور الخاصة بالمناهج الإثرائية وعلاقتها بالمناهج الأصلية.

وستوفر شبكة المشروع -أيضاً- الارتباط بالمواقع التي تقدم بنوك الأسئلة لجميع

١ ويقصد بها المناهج التي تزيد وتثري المعلومات في كل فرع من فروع المواد الدراسية زيادة على المادة الأصلية المقررة.

المواد والمراحل وبعدها من المستويات. وتعتمد هذه البنوك على تعدد أساليب طرح الأسئلة وتووعها وتووع أساليب وطرق حلها، وتشتمل البنوك على آلية الانتقال العشوائي للأسئلة لضمان عدم عرض نفس الأسئلة في كل مرة يستعرضها الطالب.

هذا مع توفير آلية التعرف التلقائي على مواطن القوة والضعف لدى الطلاب، وتقديم تقرير بذلك.

الموسوعات والمراجع،

ستوفر شبكة المشروع للمنتسبين لحقل التعليم الارتباط بمواقع المعلومات الموسوعية الشاملة عن التعليم والتربية، مثل الموسوعات والمعاجم والمراجع والمختصرات والتراجم من المراجع الأجنبية، والبحوث المتعلقة بالتعليم.

خدمة ذوي الاحتياجات الخاصة من الطلاب وأولياء أمورهم،

تقدم شبكة المشروع مناهج ومعلومات وبيانات وإرشادات ونصائح للطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة وأهاليهم ومعلميهم. ويمكن من خلالها متابعة هؤلاء الطلاب وملاحظة تطورهم والوقوف على متطلباتهم ومراعاة حالاتهم.

الربط بالمواقع التعليمية،

تربط الشبكة بين المواقع التعليمية ذات العلاقة المباشرة بالأهداف العامة لسياسة التعليم بالمملكة، وقد وضعت الأسس والضوابط والمواصفات والشروط الخاصة بربط المواقع بشبكة المشروع، وصدرت لائحة بهذا الشأن تحدد الأسس العامة والجوانب الفنية والعلمية لربط المواقع بشبكة المشروع.

عقد المسابقات والندوات والتنافس بين المدارس المختلفة،

تتم الاستفادة من شبكة المشروع في عقد المسابقات العلمية والثقافية بين الطلاب في جميع أنحاء المملكة، وتسهم شبكة المشروع في اجتياز الحواجز المكانية (الجغرافية)، كما يمكن عن طريقها عقد الندوات والمشاركات المختلفة بين المدارس.

تقديم خدمات خاصة بالطلاب السعوديين الدارسين في الخارج،

ستستخدم شبكة المشروع الطلاب الدارسين في الخارج وأهاليهم خدمة كبيرة إذ ستوفر

لهم الربط الدائم والمستمر بالمؤسسات التعليمية ببلدهم وتزويدهم بالمناهج الدراسية، والأخبار التعليمية والمعلومات والتعليمات أولاً بأول.

البريد الإلكتروني،

من خدمات شبكة المشروع الأساسية البريد الإلكتروني لجميع فئات المستفيدين منها. وسيمنح كل عضو من أعضاء شبكة المشروع بريداً إلكترونياً خاصاً به. وستتمكن المؤسسات التعليمية وإدارات المدارس من إرسال الرسائل الإلكترونية للمنتسبين لها أفراداً أو جماعات، ويمكنها كذلك استقبال الرسائل من جميع المنتسبين لحقل التعليم.

التخاطب الإلكتروني،

ستكون هذه الخدمة متاحة لجميع منتسبي المؤسسات التعليمية والتابعين لها من معلمين وطلاب وأولياء أمور ومشرفين تربويين ومديري المدارس وإدارييها. وستلتزم هذه الخدمة بضوابط عديدة من أهمها: الالتزام بالآداب الشرعية والحرص على التخاطب الهادف البناء. وسيكون لهذه الخدمة عدة مستويات تخضع لفئات المستفيدين منها.

نظام الإدارة المدرسية،

سيكون بمقدور المؤسسات التعليمية استخدام شبكة المشروع في التعامل مع برنامج الإدارة المدرسية وممارسة الإجراءات الإدارية، مثل تسجيل وتدوين بيانات وسجلات ومعلومات الطلاب ودرجاتهم أولاً بأول، ومعلومات تعداد الطلاب بالمدارس والكتب الموزعة، ومراسلة أولياء الأمور فيما يتعلق بأداء أبنائهم، وسلوكهم بالمدرسة.

معلومات المدارس ومعلومات التعليم،

تتيح شبكة المشروع نشر معلومات المدارس العامة وتفاصيل مواقعها والإحصائيات الخاصة، والتي ستكون متاحة للجميع للاستفادة منها. ويمكن أيضاً الاستفادة من النظم الجغرافية الإلكترونية في بيان مواقع المدارس. وستوفر شبكة المشروع الارتباط بالمواقع المختصة بتقديم معلومات شاملة عن التعليم للمهتمين بالتعليم من بيانات وإحصاءات وتنبؤات مستقبلية وخطط وغيرها.

وحددت الوثيقة أيضاً مراحل التنفيذ بصورة عامة وقسمتها إلى أربع مراحل عامة،

وبهذا انتهى وصف ما جاء في وثيقة «الرؤية والأهداف» التي تمثل ما تم في المسار الأول.

أما المسار الثاني فهو تفصيل برامج التمويل من خارج الميزانية التي بدأ العمل فيها بعد صدور الموافقة على المشروع وتم التعاقد مع جهات مختصة لتكوين فرق عمل تسويقية للقيام بأعمال كل برنامج، وكان أحدها برنامج «تسوق في وطني» الذي تقوم فكرته على ربط حركة الحياة اليومية بالتعريف بأهمية إدخال التقنية للتعليم وضرورة دعم مشروع «وطني».

ويُعدّ هذا البرنامج النقطة الأساسية لانطلاق برامج المشروع وهو الذي تم البدء به، إذ تعتمد عليه البرامج الأخرى من حيث: التعريف بالمشروع وتقديمه إلى المجتمع وإبراز المشاركة الجماعية من خلال مشاركة الفرد عن طريق توظيف النمط الحيوي اليومي الطبيعي في التسوق بموجب آلية يتم معها تحصيل مبالغ لمصلحة صندوق وطني. وقام الفريق بتصميم البرنامج بمشاركة شركات كثيرة مولت أغلب نواحي البرنامج مثل الحملات الدعائية وحملات التوعية والجوائز. وقدمت جهات تجارية كثيرة خصومات خاصة يحصل عليها حامل بطاقة (تسوق في وطني) والتي تم التنسيق مع مراكز تجارية على مستوى المملكة لبيع هذه البطاقة في نقاط بيع، ويعود دخل بيع هذه البطاقات لصالح صندوق وطني.

استمر التنسيق في هذا البرنامج حوالي ثمانية أشهر وانطلق في شهر رمضان عام ١٤٢١هـ من خلال حملة مكثفة للتوعية بأهمية التقنية للمجتمع والتعليم. وعند انطلاق البرنامج اصطدم فريق التنفيذ بعقبة صعب تجاوزها وهي فتوى شاعت بين الناس بتحريم برنامج (تسوق في وطني) بصورة مطلقة. مما أدى إلى إغلاق منافذ بيع البطاقات، فتلمسنا في الوزارة الأسباب تحسباً من أن الجهات المنفذة لم تقم بواجبها والقيام بالإجراءات المطلوبة للقيام بعمل كهذا، فتبين لنا أن كل الإجراءات والموافقات من كل الأجهزة الحكومية قد استكملت وفي مقدمتها خطاب المقام السامي الموجه لكل الجهات ذات العلاقة القاضي بتسهيل سبل نجاح المشروع ومع كل المحاولات التي بذلناها لإجلاء الصورة وشرح الموقف إلا أن الضرر لحق البرنامج وتوقف بانسحاب الجهات التجارية المشاركة وتظلمهم لعدم حصولهم على عائد نتيجة تلك الفتوى.

وقد تم وضع برامج تمويل عديدة أخرى منها: تصميم حملة توعية خاصة تستهدف الأفراد في الصحف والتلفاز للمشاركة في هذا البرنامج، وتوقف في بدايته للظروف نفسها التي أثرت على المشروع عند انطلاق برنامج تسوق في وطني.

ومن تلك البرامج التمويلية الفريدة برنامج «لوحة وطني»، حيث تم تصميم هذا البرنامج الذي يقوم على مشاركة الفنانين التشكيليين في المملكة بلوحات تعبر عن المشروع وبلغ عدد اللوحات المشاركة أكثر من مائة لوحة تم اختيار ٢٠ لوحة منها بواسطة لجنة مختصة من الجامعات السعودية، على أن يتم استكمال العمل في البرنامج لاحقاً بحيث يتم تكبير هذه اللوحات وتركيبها في المدارس برعاية الشركات التجارية مقابل مبلغ يسدد لمصلحة صندوق وطني. وواجه فريق العمل الذي يتولى هذا الشأن صعوبات كثيرة بحيث تقرر تجميده.

إن هذه العقبات التي واجهت برامج التمويل جعلت التقدم فيها متعذراً، وأصبح من الواضح أن الاعتماد على برامج التمويل لن يكون فعالاً.

ومع هذا كله لم نتوقف في الوزارة عن الحلم الذي نصبو إليه وهو العمل الجاد الصبور الذي يرمي إلى إحداث هذه النقلة النوعية ليكون تعليمنا متميزاً يتماشى مع متطلبات العصر وتحدياته.

وفي هذه المدة المقلقة لسير المشروع انتهى فريق العمل الاستشاري الكندي من إتمام التحليل التقني وتجميع المعلومات المفصلة من الشركات التقنية بتاريخ ١٤٢١/٩/٩هـ، واستمر عمل اللجان لمناقشة توصيات وتقارير الاستشاري حتى ١٤٢١/١٠/١٠هـ، وعلى أساس عمل الاستشاري تقدم إلى المشروع ٣٩ شركة في مجالات مختلفة. وقدمت الشركات عروضاً وعلى مستويات متفاوتة بدءاً من التنفيذ كعقولين وحتى عرض تمويل المشروع على أسس تجارية.

ثم قمنا بإرسال خطاب رسمي إلى معالي وزير البرق والبريد والهاتف بتاريخ ١٤٢١/٨/٤هـ نشعره بالمتطلبات الفنية التي أدرجها الاستشاري ونطلب من معاليه التعاون وتذليل كل العقبات، وقد تم تسليم نسخة من هذه المتطلبات إلى شركة الاتصالات السعودية لتكون على علم بها.

كانت المؤشرات كلها ترى ضرورة حصول الوزارة على موافقة المقام السامي على خصخصة المشروع وذلك بمنح رخصة (اتصالات بيانات) لمصلحة شركة استثمارية تمول تكاليف قطاع التعليم مجاناً مع إمكانية أن تمارس هذه الشركة العمل التجاري بعد سنتين من صدور الموافقة الرسمية.

وللعلم فإن ما أنجز من أعمال ودراسات كان في وقت قياسي، ولم يستغرق إلا ثمانية أشهر من صدور الموافقة الكريمة وكان المحفز لنا ما وجهه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز (ولي العهد آنذاك) لنا نحن التربويين في تلك الرسالة الواضحة عندما قال حفظه الله «عندما أشد على يدك اليوم مقدراً جهودكم والعاملين في قطاع التعليم، وجميع أبنائي الطلبة، فإنني بذلك أصافح كل إنسان يضع مصلحة الدين ثم الوطن فوق كل اعتبار فامض في خطواتك واعلم بأننا نثمن العطاء ونقدره».

إن عدم تجاوب وزارة البرق والبريد والهاتف (وزارة الاتصالات والمعلومات الآن)، جعلنا نبادر بتشجيع القائمين بأن يستغلوا الوقت لتأكيد فعالية خدمات المشروع بصورة مرئية، فتم تجهيز تجربة حية في معهد العاصمة النموذجي بالرياض على الساحة الرياضية المغلقة وتم ربطها بمدرسة البجادية الثانوية في محافظة السر التي تبعد أكثر من ٢٠٠ كيلومتر عن مدينة الرياض ومجمع الأمير سلطان في جدة، وقاموا بتنفيذها أيضاً خلال وقت قياسي وتم عرضها على أنها «تجربة محاكاة خدمات المشروع» والتي أصبحت جاهزة للعرض بتاريخ ١٢/١١/١٤٢١هـ.

ولخصت التجربة خدمات المشروع بصورة عملية شارك فيها طلاب من المدارس المشاركة ومعلمون متعاونون مع المشروع، وكانت الخدمات التي تم عرضها في التجربة كما يأتي:

- استخدام التقنية في الفصل الدراسي
- الدروس المباشرة-التعلم عن بعد
- التقنية في التعليم
- استخدام نظم التعريف-البطاقة الذكية

- صيانة الأجهزة المدرسية
- استفادة الطلاب خارج المملكة
- تفاعل البيت مع المدرسة
- طلاب الاحتياجات الخاصة
- مركز خدمة الشبكة

واستمر الاستشاري واللجنة التقنية في إنهاء عملهم بإصدار نسخة نهائية بعد المراجعة بتاريخ ١٠/١٠/١٤٢١هـ، وتم التوصل إلى نتائج الدراسة بعد تفصيل الاحتياجات والاجتماعات مع الجهات ذات العلاقة مثل الاتصالات السعودية التي ذكرت عند الاجتماع معها صعوبة توصيل الخدمات إلى جميع مرافق التعليم وإمكانية توفير الخدمة حسب القدرة وتوفير خصم خاص لقطاع التعليم يصل إلى نسبة ٢٠٪ - كما ذكرت اللجنة التقنية وأكدت هذه النسبة لاحقاً هيئة الاتصالات. وقامت اللجنة التقنية بدراسة تقرير الاستشاري ووثقت رأيها في محضر بتاريخ ١١/١١/١٤٢١هـ، والذي جاء مماثلاً لما ذكر في وثيقة الرؤية والأهداف.

وبعد مرور أربعة أشهر طويلة تمت خلالها مراجعة الدوائر الفنية المختصة في وزارة البرق والبريد والهاتف، ومناقشة إمكانية حصول قطاع التعليم على ترددات تسمح له بربط مراقفه على مستوى المملكة - حسب النظام - لم نرَ أي تقدم عملي لتحقيق هذا المشروع الذي يحتاج إلى كل عون ومساندة، وإلى بداية تدفعه إلى الأمام بدلاً من أن تثبطه وتعيقه وأن عدم التجاوب كان لأسباب استعصى علي أن أعرفها أو أصدقها، فكلها تصب في «قال فلان ونقل فلان وحلف فلان» فعادت ذاكرتي إلى مواقف قديمة تم هدم أمور جيدة فيها بناء على شكوك وسوء ظن. إن ما يؤلم أن تكون الإشاعات المفرضة مؤثرة في متخذي القرار وانها لآفة كبيرة أن لا تتحقق الأهداف الخيرة نتيجة تصديق أحاديث وأخبار عارية عن الصحة.

ومما يحسن ذكره في هذا المقام، هو طلب شركات كثيرة -متنوعة الحجم- مقابلة مسؤولي الوزارة لعرض خدماتها في هذا المجال ورتب الفريق التقني زيارة لإحدى هذه

الشركات المتقدمة (وهي شركة «إتش بي» هوليت باكارد) وهي من أكبر شركات التقنية على مستوى العالم، وقد التقيت بالسيدة «كارلتون فيورينا» التي حضرت من الولايات المتحدة الأمريكية وهي رئيسة تلك الشركة التي تصل مبيعاتها إلى ٤٥ بليون دولار أمريكي (في ذلك الوقت). وفي ذلك الاجتماع عبرت رئيسة الشركة العملاقة «إتش بي» عن مدى سعادتها وانبهارها بمشروع الوزارة وقدمت عرضاً يصعب رفضه ومفاده أن تقوم الشركة ببناء كامل احتياجات المشروع كما ورد في الملفات على أساس تمويلي طويل الأمد من ١٥ إلى ٢٠ سنة، مع استعدادهم لمنح المشروع الذي يتبع قطاع التعليم خصماً خاصاً يخفف من إجمالي التكاليف بصورة عالية.

وانتهى اللقاء مع رئيسة الشركة على أساس التواصل لاحقاً لأن الصورة عندنا لم تكن واضحة ولأننا لم نتلق رداً إيجابياً من الجهات الحكومية الأخرى التي يفترض أن تبادر بالرد على طلبات المشروع كي تتمكن من الاستفادة من حماسة جميع من حضروا نقاشات المشروع وعروضه فلم نواصل المراسلات وتوقف الأمر عند ذلك الاجتماع الذي كنا متفائلين ومستبشرين بما تم فيه من اتفاق مبدئي.

بدأ الوقت يمضي ونحن شبه متوقفين عن العمل نجري دراسة تلو الأخرى ونطلب من لجاننا تحليل ما توصلوا إليه، وفي لقاء مع وكلاء الوزارة اجتمع الرأي على تكوين لجان عمل جديدة بتاريخ ١٤٢١/١٢/٢٤هـ هدفها استعراض نتائج عمل اللجان التي تمثل «احتياجات المستخدم التفصيلية»، ونحصل على زيادة تفاصيل متطلبات التعليم، وبدأت هذه اللجان بالعمل وأنهت ما كُلفت به بتاريخ ١٤٢٢/٥/٦هـ وانتهى عملها بتسليم وثائق اللجان (وثائق المستخدم - التدريب والمحتوى والتطبيقات) وكانت مطابقة لما تم التوصل إليه سابقاً.

مضى ١٧ شهراً منذ بدء المشروع، وبدأ الإحباط يدب في النفوس لعدم التقدم خطوة جديدة، ثم طلب الدكتور خضر القرشي بوصفه مشرفاً عاماً على المشروع عرض وثائق المستخدم ونتائج الدراسات السابقة على استشاري جديد، وتم اختيار الشركات الاستشارية حسب وثيقة المشروع، وفي الوقت نفسه وعلى ضوء ما جاء في تقارير اللجان النهائية بُدئ في تكوين فرق عمل في مجال تدريب المعلمين والمحتوى، وتزويد الخدمة بمشاركة جهات متخصصة من القطاع الخاص.

وخلال هذه المدة وصل المشروع في عام ١٤٢٣هـ خطاب من السيد «كريستيان ف روفسينغ» -عضو الاتحاد الأوروبي- يثني فيه على المشروع الذي تعرف عليه عندما زار فريق العمل دولة الدانمرك (جزء من زيارة فريق العمل لبعض التجارب المماثلة في بعض دول أوروبا: فرنسا وهولندا والدانمرك) وفيه يرى أن هذا المشروع التربوي يعد مشروعاً متميزاً واعداً في نمودجه التعليمي والمهني، ويقترح لإيضاح عمل المشروع ونمودجه التربوي، وعرضه على البرلمان الأوروبي والهيئات ذات العلاقة في الاتحاد الأوروبي، وذكر أن المشروع عند تطبيقه يمثل فرصة سانحة يمكن استخدامه لتعليم اللغة العربية في دول أوروبا.

استمر عمل الاستشاريين في المشروع حتى ١٥/٤/١٤٢٣هـ. وعند قرب انتهاء عمل الاستشاريين (منتصف شهر صفر ١٤٢٣هـ) تقدم الاستشاري إلى الوزارة طالباً التوقف عن العمل لعدم وجود قرار يحدد الاتجاه الفني الذي يجب أن يسلكه، وأكد في تقريره جميع ما تم التوصل إليه سابقاً.

خلال عمل الاستشاري قمت بمخاطبة معالي مدير جامعة الملك فهد للبترول والمعادن الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الدخيل، طالباً منه ترشيح أحد أعضاء هيئة التدريس بالجامعة ليرأس فريقاً يراجع الأعمال التي تمت ويقدم التوصيات لنا كي نتخذ على أساسها خطوات عملية. تم تكوين فريق من جامعة الملك فهد للبترول والمعادن برئاسة سعادة مدير مركز البحوث والاستشارات الدكتور صالح بن محمد باخرية مع أعضاء من الجامعة في مجالات التقنية المختلفة لمراجعة أعمال الاستشاريين والتأكد من التوصيات، بعد ذلك قدموا تقريراً أبدوا فيه موافقتهم على النتائج التي تم التوصل إليها، وأوصى فريق الجامعة بضرورة عرض المتطلبات على سمو ولي العهد بدون أي تأخير.

وفي الوقت نفسه كان فريق العمل يقوم بتنفيذ تجربة ربط المدارس بعد الاستعانة بشركات متخصصة لربط ٤٠ مدرسة على مستوى مدن الرياض وجدة والدمام.

وتحدد بعد ذلك يوم العرض على صاحب السمو الملكي ولي العهد (آنذاك) في يوم ٢٤/٢/١٤٢٣هـ، وشاركت في تقديم العرض بمتطلبات المشروع مع زملائي من الوزارة وفريق جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ومن مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية

ومن إدارة المشروع وتخلل العرض نقاش ومشاركة من المشاركين، وبعد أن اطلع سمو ولي العهد على العرض أبدى إعجابه به وأيد الخطوات التي تمت ووجه بالآتي تحميل الخزينة العامة أي تكاليف.

وزار الفريق بكامله بعد ذلك صاحب السمو الملكي النائب الثاني (آنذاك) وتم تقديم العرض له وشرح الفكرة وأبدى سموه سروره وزود الفريق ببعض الملاحظات الجوهرية مع التأكيد على أنه -لأهمية المشروع- لا بد من تنفيذه بالكامل بواسطة القطاع الخاص، وأنه من المستحسن -لضخامة المشروع- العرض على مجلس الوزراء ليتم بشأنه اتخاذ القرار المناسب.

وفي تاريخ ١٤٢٣/٧/١٤ هـ صدرت بقرية سمو ولي العهد موجهة إلى معالي وزراء المالية و «البرق والبريد والهاتف» بالإضافة إلى وزير المعارف، مشاراً فيها إلى خطابي الذي تضمن طلب الموافقة على توفير (متطلبات المشروع) ومشار فيه إلى خطاب مرفوع إلى المقام السامي من معالي وزير البرق والبريد والهاتف (بتاريخ ١٤٢٣/٥/٨ هـ) وفيه يعارض هيكلية المشروع المقدمة من قبل وزارة المعارف والتي تقضي بإسناد التنفيذ إلى القطاع الخاص مع توفير «شبكة معلومات» خاصة بالمشروع لأسباب ذكر أنها اقتصادية وإجرائية ونظامية، ووجه سمو ولي العهد في برقيته الوزراء بالاجتماع (لجنة وزارية) ودراسة الموضوع وعلى هذا الأساس تم تشكيل لجنة تحضيرية من قبل اللجنة الوزارية.

اجتمع أعضاء اللجنة التحضيرية عدة اجتماعات حضرها ممثل عن وزارة المعارف وجامعة الملك فهد للبترول والمعادن ووزارة البرق والبريد والهاتف وهيئة الاتصالات ووزارة المالية. واستعرضت اللجنة كل المعلومات المقدمة من وزارة المعارف التي تحتوي على عرض عناصر ومكونات المشروع ومتطلبات المشروع.

وفي آخر اجتماع للجنة التحضيرية نوقشت جميع الجوانب، وتم الوصول إلى نتيجة نهائية مفادها أن المشروع بجميع عناصره ومكوناته مهم جداً للوطن وأن تنفيذه يُعد ضرورة ملحة، ولكن الأعضاء يرون أن يتم تنفيذه عن طريق زيادة اعتمادات في ميزانية وزارة المعارف وباستخدام شبكة شركة الاتصالات -وذكر لي أحد الحاضرين لهذا الاجتماع بصورة شخصية- بعد انتهاء الاجتماع ما صرح به أحد أعضاء اللجنة التحضيرية

من خارج الوزارة أمام الجميع وقال «بصورة غير رسمية ولأهمية هذا المشروع للوطن ولإبراء ذمتي فإن ما اقترحته اللجنة التحضيرية لن يفيد المشروع وحتماً سوف يؤثر على تنفيذه».

تم توقيع محضر اللجنة التحضيرية بتاريخ ١٣/١/١٤٢٤هـ وعلى أساس قرار اللجنة التحضيرية صيغ محضر اللجنة الوزارية بتأييد نتيجة اللجنة التحضيرية، وقام وزير التربية والتعليم (وزير المعارف آنذاك) برفع المحضر بتاريخ ٢٣/١/١٤٢٤هـ إلى مقام خادم الحرمين الشريفين (سمو ولي العهد، آنذاك) وملخصاً ما جاء في المحضر من تأييد الموقعين على أهمية تنفيذ المشروع بكامل مواصفاته وتفصيله وأن المشروع سيقفز بالتعليم إلى مستوى عالٍ، وأن تمويله يكون عن طريق زيادة الاعتمادات للمشروع في موازنة وزارة المعارف، وليس عن طريق شبكة بيانات خاصة بالمشروع، وعلى هذا جرى العمل حسب ما ورد في المحضر.

قبلت بهذا على مضض وإن كنت لم أزل أرى أنه ليس الأنجع، ولم يخف علي أن وتيرة العمل وسرعة الإنجاز اعتماداً على ما في بنود الميزانية سوف تتبدل وتجعل نقطة البداية للمشروع غير محددة بالإضافة إلى تغير جدولته ومراحله وحتى تغير في متطلباته ووصفه. وبهذا أصبح المشروع الحلم متعثراً وفي مرحلة الانتظار يبحث عن حركة تعيد إليه وهجه وتستثير كل راكد في النفوس.

اعتمد في موازنة وزارة التربية والتعليم ابتداء من العام المالي ١٤٢٤/١٤٢٥هـ بند خاص بشبكة المعلومات والحاسب الآلي ولكنها غير كافية ولن يتحقق ما كنا نطمح له وفي الزمن المحدد.

مؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله لرعاية الموهوبين (النشأة والإنجازات)

منذ كلفت بمسؤولية الوزارة وأنا أفكر في وسيلة فعالة وملموسة لتحقيق مواد وردت في وثيقة (سياسة التعليم) تتعلق باكتشاف الموهوبين ورعايتهم وإتاحة الإمكانيات والفرص المختلفة لتعمد مواهبهم، سواء في إطار البرامج العامة أو بوضع برامج خاصة لهم، فقد أكدت سياسة التعليم على دور الدولة في رعاية النابغين وأن على الجهات المختصة وضع الوسائل المناسبة لاكتشافهم والعناية بمواهبهم.

تحدثت في هذا الشأن مع عدد من المختصين، وقرأت فيه، واطلعت على تجارب الأمم الأخرى، وسعيت لمشاهدة برامج محددة لرعاية الموهوبين في بعض النظم التعليمية التي أتيج لي أن أزورها أو أن أقرأ عنها.

وبعد أن تكون لدي رصيد نظري عن الموضوع رأيت أن أفضل وسيلة لابتداء الجهد العملي بهذا الشأن هي أن أنسق بين جهود الجهات المختلفة ذات الصلة والاهتمام بالموهوبين، أو التي أتوقع أن يرتبط بها أي مشروع لرعاية الموهوبين في المستقبل.

ولقد سبق للوزارة أن دعت مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية والرئاسة العامة لتعليم البنات آنذاك وجامعة الملك سعود، فاستجابت هذه الجهات مشكورة واشتركت جميعاً في تكوين فريق من الباحثين المختصين لتطوير الاختبارات والمقاييس الموضوعية للكشف عن الموهوبين.

وقد أجرى هذا الفريق دراسة قيمة بهذا الشأن واستطاع أن يطور مقاييس ملائمة للبيئة السعودية، وسهلت وزارة المعارف ورئاسة تعليم البنات له تطبيق هذه المقاييس على فئات عمرية مختلفة من التلاميذ والتلميذات مما تأكد معه صدق هذه المقاييس وثباتها وملاءمتها حسب الأصول العلمية المرعية.

وبناءً على ما انتهى إليه أعضاء الفريق من النتائج المتضمنة اقتراحاً على الوزارة لوضع برامج خاصة لرعاية الموهوبين في مدارس المملكة. فقد دعوت في ٢٩/١٠/١٤١٨ هـ إلى اجتماع حضره وكلاء الوزارة والوكلاء المساعدون والمديرون العامون، وفريق العمل الذي أنجز الدراسة، وانتهى الاجتماع بقرار إنشاء (برنامج الكشف عن الموهوبين ورعايتهم) وربطه بالأمانة العامة للتربية الخاصة التابعة للوزارة. ومع أهمية هذا الإنجاز لأنه سابقة في التعليم السعودي فإنني كنت أفكر في كل فئات الموهوبين من الطلبة التابعين لنظام التعليم وغير الطلبة ممن ليسوا في المدارس، لذا رأيت أن من المهم أن يحصل هذا البرنامج على الدعم الرسمي المتمثل في احتضان وزارة المعارف له، وأن يحصل كذلك على الدعم الأهلي الذي قد يساعد في ربط الموهوبين بالشركات والمؤسسات الخاصة التي قد تفتح لهم أبواب الرعاية والتدريب، وقد تشكل مصدراً مهماً للدعم المالي لبرامج الموهوبين.

عرضت فكرتي بهذا الخصوص على خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز وسمو ولي العهد الأمير سلطان بن عبد العزيز، فاستحسن الملك عبد الله بن عبد العزيز (وكان ولياً للعهد آنذاك) فكرة إنشاء جمعية أهلية خيرية ترعى الموهوبين يكون اسمها (الجمعية السعودية لرعاية الموهوبين) فكتبت إلى مقامه الكريم خطاباً بهذا الشأن واقترحت أن تكون الجمعية تحت رعاية أحد ولاة الأمر لما يحظون به من محبة الناس واحترامهم وتقديرهم وتجاوبهم.

مؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله لرعاية الموهوبين (النشأة والإنجازات)

استجاب الملك عبدالله بن عبدالعزيز لاقتراحي ووجهني بخطاب يفيد بموافقة الكريمة على أن يكون رئيساً للجمعية المأمولة، وشرفتني بأن أكون نائباً للرئيس ووجهني -أيضاً- لإعداد دراسة كاملة حول هذا الموضوع، وأن أعرضها على صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سلطان بن عبد العزيز (النائب الثاني آنذاك)، للاستئناس في هذا الشأن.

واغتناماً للوقت عملت على جبهتين لتفعيل التوجيه الكريم:

الأولى: شكلت لجنة من مسؤولين في الوزارة وخبراء ومستشارين وممثلين لرجال الأعمال، وكلفتهم بإعداد تصور متكامل عن الجمعية المزمع تكوينها: أهدافها ونظامها وتشكيلها الإداري وتمويلها وعضويتها وما إلى ذلك مما يشكل نظاماً متكاملماً يكون أساساً لإنشائها.

الثانية: دعوت في الوقت ذاته مجموعة منتقاة من رجال الأعمال وأعيان البلاد والمفكرين لأطرح عليهم الفكرة وأستأنس بأرائهم، وقد عقد الاجتماع في مقر الوزارة وحضره أكثر من ستين شخصية جاؤوا من أجل ذلك الغرض من مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجدة، والمنطقة الشرقية وغيرها من بلدان المملكة.

وقد لقيت الفكرة قبولاً مدهشاً من النخبة الممتازة الذين عرضتها عليهم بل إنهم سارعوا إلى التبرع لها بسخاء وكان ما أعلن عنه من التبرعات في تلك الأمسية يفوق (١٠٠) مائة مليون ريال سعودي، مما أثلج صدري وطمأنني إلى سلامة التوجه.

في الوقت نفسه أنجز فريق الدراسة عمله وعرض عليّ مسودة مشروع الجمعية فقدمته بدوري إلى سمو ولي العهد الأمير سلطان بن عبد العزيز (النائب الثاني آنذاك) الذي أبدى موافقته الكريمة عليه فرفعت بذلك خطاباً إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (سمو ولي العهد آنذاك) أفدته فيه بما تم، واستأذنته أن أوجه دعوة باسمه الكريم إلى عدد من الأمراء، ورجال الأعمال والفكر لعقد لقاء برئاسة سموه، لإعلان الجمعية وإقرار نظامها وإجراءات عملها واختيار أعضاء مجلس إدارتها وتحديد مصادر دعمها.

وافق سمو ولي العهد على المقترحات المذكورة فكونت لجنة من مسؤولي الوزارة للتحضير للاجتماع المهم الذي نزمع فيه إعلان إنشاء الجمعية المنشودة.

إنشاء مؤسسة الملك عبد العزيز ورجاله لرعاية الموهوبين

جرى التحضير للاجتماع المهم المشار إليه، وبذل الزملاء في الوزارة جهداً عظيماً لإقامته على أفضل شكل ممكن، وتكونت لجان فرعية عملت ليلاً ونهاراً لإنجاز العمل المطلوب على أكمل وجه وفي أسرع وقت.

في الموعد المحدد، وهو مساء الأحد ٣ شعبان ١٤١٩هـ الموافق ٢٢ نوفمبر ١٩٩٨م، عقد اللقاء المقرر في قاعة الملك فيصل بفندق «الإنتركونتيننتال» بالرياض شرفه برئاسته خادم الحرمين الشريفين (سمو ولي العهد آنذاك) الملك عبد الله بن عبد العزيز، وحضره عدد من أصحاب السمو الأمراء والمعالي الوزراء وكبار رجال الأعمال والمفكرين والمتقنين ومسؤولي الدولة والمجتمع.

كانت المفاجأة التي أثلجت صدري وصدر كل من حمل هذا الهم هي كلمة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز التي أعلن فيها تغيير مسمى الجمعية لتكون: (مؤسسة الملك عبد العزيز ورجاله لرعاية الموهوبين).

كان ذلك حدثاً تاريخياً بكل المقاييس، فبجانب أنه كان تتويجاً لجهود حثيثة وصادقة في اتجاه اكتشاف الموهوبين ورعايتهم، فإن إعلان المؤسسة كان تيمناً بمرور مائة سنة على بدء توحيد البلاد ومتزامناً مع احتفالاتها بهذه المناسبة العظيمة.

الآن وقد مرت سنون عدة على هذا الحدث التاريخي لا يزال صدى كلمة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز - حفظه الله - في أذني يثير في الحماس والتفاؤل، لذا أجد من المفيد أن أقتبس هنا كلمته في تلك المناسبة لأنني أعتبرها نبزاً

لرعاية الموهوبين في المملكة حيث قال -حفظه الله- :

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها الأخوة الأفاضل:

كم تمنيت أن يكون أخي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز في مكاني هذا بينكم إلا أن المشاغل والمواعيد حالت دون حضوره -يحفظه الله- لكنه بيننا ومعنا بعزمه ودعمه ورعايته لهذا الجمع، فإن كان غائباً عنا فإنه حاضر بروحه وبما نحمله جميعاً له من حب وولاء.

أيها الأخوة الأفاضل:

إن التاريخ في ماضيه القريب منا والبعيد ملك وحق مشاع للجميع بشخصه وأحداثه وأن أقرب مثال لنا هو وحدة هذه البلاد التي قامت على كلمة الحق جل جلاله فسخر لها المولى إرادة الرجال الكبار الذين جادوا بأرواحهم قبل متاعهم فحملوها على ظهور المطايا موحدين الحق تبارك و تعالی خلف قائدهم مؤسس بلادنا الحديثة الملك عبدالعزيز -رحمهم الله جميعاً- والذي شاركهم في كل واردة وشاردة... في آمالهم وأحزانهم وطموحاتهم وتطلعاتهم وكان منهم بمثابة الأب والأخ والرفيق قبل أن يكون قائدهم وكانوا محيطين به بإخلاصهم وعطائهم وولائهم تحفهم رعاية الله ثم حب قائدهم.

ولأن الحال كذلك وهو ما نؤمن به إيماناً مطلقاً إن شاء الله فإننا نعلن استبدال الأسم هذه الجمعية لتكون من مآثر الملك الراحل لرفاق دربه لتصبح مؤسسة الملك عبد العزيز ورجاله لرعاية الموهوبين.

أيها الأخوة الأفاضل:

إن الموهبة دون اهتمام من أهلها أشبه ما تكون بالنبتة الصغيرة دون رعاية أو سقاية ولا يقبل الدين ولا يرضى العقل أن نهملها أو نتجاهلها... لذلك فمهمتنا جميعاً أن نرعى غرسنا ونوليه اهتمامنا ليشدد عوده صلباً وتورق أغصانه ظللاً يستظل به بعد الله لمستقبل

سنطالبهم فيه بدورهم الذي نحن في أشد الحاجة إليه في عصر الإبداع وصهر
الموهبة وتجسيدها على الواقع خدمةً للدين ثم الوطن.

إن أبناءنا الموهوبين هم عطاء الله لنا؛ دورنا تجاههم كبير وثقيل وإن لم نفعل ما
يملية علينا واجبتنا تجاههم فإننا نتنكر لعطاء المولى ولا نستحقه.

لذلك أيها الأخوة الكرام لا قيمة لوجود دون حضور ولا لعطاء دون نتيجة فذلك عبء
على بلادنا ومضيعة للوقت ومدعاة لسخرية الآخرين... فلنكن حاضرين تفاعلاً مع
المعطيات ليكون لعطائنا ولجهدنا ثمرة يراها العالم وتفخر بها أمتكم وليكون الاسم على
مسمى».

وقد أقيمت في ذلك اللقاء كلمة أفتيس منها الآتي:

إن هذا اليوم - ياسيدي - يوم مشهود.

فأنا أنظر إلى هذا اليوم المشهود بعين البصيرة، أستشرف مستقبله؛ فأراه (كشجرة
مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها). فقد شاءت
سنة الله في خلقه أن يصنع الموهوبون في كل أمة - بتوفيقه وتسديده - قدر الله فيها؛
فهم العقل المفكر، والرأس المدبر، والرأي المنير. ولهذا يجد دارس التاريخ - في قديمه
وحديثه - أن الأمة إذا أرادت النهوض والسبق قدّمت لتلك الصفوة القليلة المختارة من
أبنائها ما تستحقه من العناية والاهتمام، لتقطف - بعد ذلك - ثمرة اهتمامها أضعافاً
مضاعفة: علماً وأديباً، ورقياً ومجداً، وعزة وقوة اقتصادية وعسكرية، وعلمية، وسواها.

ومن الفأل الحسن - ياسيدي - أن تأتي هذه المناسبة في ظلال الذكرى الغالية على
قلب كل مواطن مخلص؛ ذكرى مرور مئة عام على توحيد هذه البلاد الكريمة على يد
الوالد الباني، والعبقري الفذ، الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله - ،
وأكرم مثواه، وطيب ثراه.

إنه فآل حسن: فقد كان الملك المؤسس عبد العزيز في نفسه عظيماً موهوباً، راعى
في بناء دولته - من ضمن ما راعى - حقّ الموهوبين، فأتى بهم من كل مكان: من أبناء
مملكته، ومن الأقطار الأخرى، لم يمنعه من ضمّهم تحت جناحه بعد ديارهم، واختلاف

مؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله لرعاية الموهوبين (النشأة والإنجازات)

أمصارهم، ما داموا موهوبين ومن الأقوياء الأمناء، والنبلاء الشرفاء، القادرين على أن يحققوا للعاهل العظيم هدفه العظيم، المتألق بالنور يشع من رايته الخضراء، الخفاقة بأقدس شعار: «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

لقد أضحت من المسلمات عند علماء التربية، والاجتماع، والاقتصاد، والسياسة، وغيرهم أن «الموهبة الإنسانية» هي أعظم وأندر وأهم ثروة في المجتمع، وأن المجتمعات التي استطاعت أن تتعرف على المواهب والقدرات المتميزة التي يمتلكها عدد قليل من أبنائها، وأن تهيبء الفرص المثلى لاستثمارها هي المجتمعات المنتجة المتقدمة، وما سواها مجتمعات تلهث خلفها، أو تتخبط في تيه التخلف والجمود.

ونحن إذ نسعد بوجود الكثير من معطيات التقدم والمدنية في بلادنا الغالية، لنؤمن بأن أهم منها الاستثمار في العقول المبدعة، وإنشاء مؤسسات ترعاها، كهذه الجمعية التي يترأسها رمز من رموز بلادنا، تُعنى باكتشاف وتعهّد الموهوبين، النابغين، النابهين، الذين يصنعون -بتوفيق الله لهم- التقدّم والمدنية، وما تلك المظاهر الراقية إلا ثمار إبداع عقولهم، وقوة سواعدهم، وإن أمثال هذا العمل هو قمة النهضة وأوج التحضّر..

إن جمعية الملك عبد العزيز ورجاله لرعاية الموهوبين -التي يُعلن عن قيامها اليوم- مؤسسة خيرية تبغى رفعة شأن هذه البلاد التي شرفها الله بخدمة أظهر البقاع، والتي انفردت براية لا تُساميها أو تُدانيها راية، وإن إعزاز هذه الراية، وإعطاءها مكانها اللائق بها بين الأمم لا يكون بالتمني والكلام، بل لابد له من العمل الدائب، والجهد المتواصل، والبذل الكريم ابتغاء مرضاة الله.

لقد كانت هذه الجمعية حلما يراود أذهان الكثيرين من أبناء هذا البلد، فالحمد لله الذي حققه على يد سموكم، وجعلكم سبباً في خروجه من عالم الأمانى إلى عالم الواقع، وإني على يقين -إن شاء الله- بأننا سنحقق المزيد من الآمال، وسوف نرى المزيد من أبنائنا مخترعين مبدعين: «وأطباء حاذقين، ومهندسين متفوقين، وعلماء رائدين، وأساتذة متميزين، وأدباء متالقين، يسهمون بفاعلية كبيرة في رقي بلدهم وتقدمه بل وتقدم الأمة العربية والإسلامية في الحضارة الإنسانية».

وجهت الدعوة لحوالي سبعمائة شخص حضر أكثرهم وحين انتهى ذلك المساء

المبارك كانت قد ولدت مؤسسة الملك عبد العزيز ورجاله لرعاية الموهوبين وأعلن عن تبرعات وصلت إلى حوالي مائتي مليون ريال لدعمها.

تلا ذلك صدور الأمر الملكي الكريم رقم أ/١٠٩ وتاريخ ١٣/٥/١٤٢٠هـ بإقرار نظام المؤسسة. كما صدرت أوامر سمو رئيس المؤسسة بتشكيل مجلس الأمناء والمجلس التنفيذي واللجان الرئيسية.

كانت السنة التي تلت إعلان إنشاء المؤسسة مهمة للغاية من عدة نواح فمن الناحية التنظيمية صار واضحاً لدي أن المؤسسة الجديدة بمواردها التي تم التبرع بها (أو التي وعدنا بها) ستكون هيئة خيرية لدعم شأن عام ولذا فلن تكون بديلاً عن جهاز رديف ضمن وزارة التربية والتعليم يتولى رعاية الموهوبين وفق كيان الوزارة وإمكاناتها البشرية والجغرافية الشاسعة ويستفيد في الوقت ذاته مما يأتيه من دعم المؤسسة.

كان واضحاً لدي في هذا الشأن - كما في كثير من الشؤون العامة الأخرى - أنه لا بد من تكامل جهود القطاعين الحكومي والأهلي؛ لذا وجهت بإنشاء الإدارة العامة لرعاية الموهوبين ضمن وزارة التربية والتعليم، وتأكيداً لأهمية دورها جعلت تبعيةها لوزير التربية والتعليم مباشرة.

وبذلك تحول برنامج اكتشاف الموهوبين ورعايته إلى مشروعين متكاملين أحدهما مؤسسة خيرية هي: مؤسسة الملك عبد العزيز ورجاله لرعاية الموهوبين، والآخر إدارة حكومية ضمن وزارة التربية والتعليم هي الإدارة العامة لرعاية الموهوبين.

شهدت السنوات التالية لقيام المشروعين تكاملهما بشكل متميز في ما يتعلق باكتشاف الطلبة الموهوبين ورعايتهم.

وزادت المؤسسة على جهدها فيما يخص الطلبة جهوداً أخرى مهمة فيما يخص فئات أخرى من الموهوبين كالمخترعين، وبذلك صارت قوة مهمة في حياة نابغي البلاد وموهوبيها، وفيما يلي عرض مختصر عن المؤسسة وعن أهم إنجازاتها في السنوات التي تشرفت فيها بالعمل نائباً لرئيسها ورئيساً لمجلسها التنفيذي.

مؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله لرعاية الموهوبين (النشأة والإنجازات)

أقيمت مؤسسة الملك عبد العزيز ورجاله لرعاية الموهوبين من أجل أن تصبح جهة مرجعية مؤثرة ورائدة في الكشف عن الموهوبين ورعايتهم والإسهام في تنمية قدراتهم واستعداداتهم إلى أقصى حد ممكن لتمكينهم من التأثير الإيجابي في نهضة المجتمع السعودي.

الهيكل التنظيمي للمؤسسة

يتكون الهيكل التنظيمي للمؤسسة من التشكيلات الإدارية التالية:

١ / ١ مجلس الأمناء،

برئاسة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز وكان (آنذاك) ولياً للعهد.

٢ / ١ المجلس التنفيذي،

برئاسة نائب رئيس المؤسسة وكنت من وقت التأسيس إلى حين إعفائي أقوم بهذه المهمة، ويضم المجلس التنفيذي خمسة عشر عضواً من الأمراء والوزراء ورجال المال والفكر.

٣ / ١ ينبثق عن مجلس الأمناء عدد من اللجان الدائمة هي،

- اللجنة القانونية.
- اللجنة العلمية.
- لجنة تنمية الموارد.
- لجنة الاستثمار.
- اللجنة الثقافية والإعلامية.

٤ / ١ الجمعية العمومية،

٥/١ الأمانة العامة ، وتتكون من :

- أمين عام المؤسسة.
- الإدارة العلمية.
- الإدارة المالية والإدارية.
- إدارة الإعلام والعلاقات العامة.
- إدارة تنمية الموارد.

أهداف المؤسسة

- ١/٢ توفير الدعم المالي والعيني لبرامج ومراكز الكشف عن الموهوبين ورعايتهم.
- ٢/٢ تقديم المنح للموهوبين لتمكينهم من تنمية مواهبهم وقدراتهم.
- ٣/٢ إنشاء جوائز في مجالات الموهبة المختلفة.
- ٤/٢ إعداد البرامج والبحوث والدراسات العلمية في مجال اختصاصها ودعمها بذاتها أو بالتنسيق أو المشاركة مع غيرها.
- ٥/٢ توفير الدعم والرعاية للموهوبين وأسراهم لمساعدتهم على تذليل الصعوبات التي تحد من نمو قدراتهم ومواهبهم.
- ٦/٢ دعم برامج إعداد وتطوير وتدريب الكوادر المتخصصة في مجال اكتشاف ورعاية الموهوبين.
- ٧/٢ تنمية واستثمار الاختراعات والابتكارات بذاتها أو بالمشاركة مع الآخرين.
- ٨/٢ تقديم المشورة للجهات الحكومية وغير الحكومية لغرض رعاية الموهوبين.
- ٩/٢ التنسيق مع المؤسسات والمراكز داخل المملكة وخارجها في مجال اختصاصاتها.
- ١٠/٢ إصدار المواد الإعلامية المتخصصة لنشر المعرفة والوعي في مجال الموهوبين.
- ١١/٢ القيام بما تراه محققاً لأهدافها من أوجه النشاط الأخرى.

موارد المؤسسة

- مساهمات الأعضاء المؤسسين.
- اشتراكات الأعضاء السنوية.
- التبرعات والهبات.
- إيرادات الأنشطة ذات العائد المادي.
- الإعانات الحكومية.
- الوصايا والأوقاف.
- عائدات استثمار ممتلكات المؤسسة الثابتة والمنقولة.

عضوية المؤسسة

1. تمنح عضوية المؤسسة لمن يرى رئيس المؤسسة منحه العضوية.
2. تكتسب العضوية بموافقة رئيس المجلس التنفيذي في الحالات الآتية:
 - من يقدم دعماً مادياً أو معنوياً متميزاً للمؤسسة.
 - المتميزين في تخصصات لها علاقة بنشاط المؤسسة.
 - الموهوبين وأولياء أمورهم.

إنجازات المؤسسة

مر على إنشاء المؤسسة أكثر من ست سنوات مما استدعى تقويم مسار التجربة حتى الآن ومحاولة استشراف المستقبل في ضوء أهداف المؤسسة ونتائج التقويم وما يبديه الأعضاء من الملاحظات. والواقع أنه يجري تقويم المؤسسة باستمرار وتعرض نفسها لكثير من النقد الذاتي اقتناعاً بأن الرضا عن النفس سبب للركود والتبؤ. وبجانب التقويم العام فإن كل برامج المؤسسة تحتوي على فعالية للتقويم، ومن خلال الاستعراض للأداء خلال تلك السنوات يتضح دور المؤسسة في رعاية الموهوبين والمبدعين^١.

ولتوضيح الأداء فإنه يحسن ربطه بأهداف المؤسسة المنصوص عليها في المادة الثالثة على النحو الآتي:

الهدف الأول،

توفير الدعم المالي والعيني لبرامج ومراكز الكشف عن الموهوبين،

ولرعايتهم في هذا الشأن تقدم الدعم المالي المباشر للإدارة العامة لرعاية الموهوبين في وزارة التربية والتعليم لأن هذه الإدارة هي المظلة التي تشرف على مراكز رعاية الموهوبين فتدفع المؤسسة مبالغ مالية تطلبها الإدارة للصرف على بنود مختلفة لازمة لتفعيل دور هذه المراكز. كما أنها بين وقت وآخر تقدم دعماً عينياً لبعض المراكز على شكل أثاث أو تجهيزات مكتبية أو أجهزة حاسب آلي. ويأتي الدعم من الميزانية السنوية مباشرة أو من متبرعين تتوسط المؤسسة بينهم وبين الجهات المستفيدة. وفي تحقيق هذا الهدف تم في تلك المدة صرف أكثر من (٢٦) ستة وعشرين مليون ريال.

١ لغرض الإيجاز يُعرف الموهوب هنا بأنه شخص لديه قدرات عقلية تزيد عن نصيب متوسط الناس إما في أحد جوانب الإستعداد الذهني أو في درجة ذكائه الإجمالية. والموهبة بهذا التعريف قدرة كامنة يُستفاد منها أو لا يُستفاد منها بحسب المؤثرات المحيطة بالشخص، وتقاس بالإختبارات المقننة للذكاء والقدرات الذهنية.

أما المبدع فهو شخص متميز في أدائه الذهني أو المهني تميزاً يتجاوز به حدود المؤلف ويتسم فيه بابتكار وسائل في الأداء وتحقيق نتائج من الإنجاز تظهر فيها القدرة على الخروج عن الأساليب المألوفة إلى أساليب مستحدثة ومبتدعة. والإبداع بهذا المعنى قدرة ظاهرة تُقاس بالإنجاز.

الهدف الثاني،

تقديم المنح للموهوبين لتمكينهم من تنمية مواهبهم وقدراتهم،

وفي هذا الخصوص فقد وجدت سبع منح قائمة للدكتوراه، وأربع منح للماجستير يتم تمويلها من ميزانية المؤسسة وتكلف حوالي خمسة ملايين ريال، وتم الحصول على عشرين منحة في المدارس الأهلية المتميزة للطلبة الموهوبين وحوالي مائة منحة في المؤسسات التدريبية المتخصصة، وهذه تم تمويلها من الجهات المتبرعة مباشرة وتم تسجيلها تبرعات للمؤسسة، وقيمتها في حدود خمسة ملايين ريال أيضاً، فيكون ما تم صرفه أو التزم به في هذا الشأن لتلك المدة (١٠) عشرة ملايين ريال.

الهدف الثالث،

إنشاء جوائز في مجالات الموهبة المختلفة،

إن تحقيق هذا الهدف يقتضي تحديد مجالات الموهبة. ففي مجال المواهب الطلابية أنشئت جائزة المؤسسة للإبداع العلمي. قيمتها في أول عام «مليوناً ريال» تبرعت بها مجموعة شركات «عبد اللطيف جميل»، كما تبرع رجل الأعمال الشيخ «سعد المعجل» بمليون ريال سعودي قيمة الجائزة في عامها الثاني. وتم الاحتفال بتسليمها للفائزين بها.

وفي مجال تقنيات المياه أقيمت مسابقة تقنية المياه، وقيمتها سبعة ملايين ونصف ريال تُصرف على مدى خمس سنوات وتبرع بها مركز فقيه للأبحاث والتطوير.

وفي مجال الاختراعات قدمت جوائز للمخترعين السعوديين في لقاءهم السنوي للعام ١٤٢٥هـ وأصبح هذا تقليداً سنوياً مستمراً بحمد الله.

وفي مناسبات مختلفة رعتها المؤسسة أو كانت طرفاً فيها قدمت جوائز أو مولت جوائز متفرقة للموهوبين والتميزين كما في معارض الفن التشكيلي أو الأنشطة والمسابقات الطلابية.

الهدف الرابع،

إعداد البرامج والبحوث والدراسات العلمية في مجال اختصاص المؤسسة ودعمها بذاتها أو بالتنسيق أو المشاركة مع غيرها،

وفى هذا الشأن تم إجراء بعض الدراسات وترجمة أخرى وتمويل بعض الأنشطة البحثية ومع أن النشاط في هذا الشأن مُبَدَّد وقليل فنمت حاجة ماسة إلى تنظيمه وتكثيفه بحيث يكون لدى المؤسسة خطة واضحة للبحوث مبنية على تصوُّر متكامل لما ينبغي بحثه وكيفية تحويله والإشراف عليه ثم نشره لمصلحة الفئات المستهدفة به.

الهدف الخامس،

توفير الدعم والرعاية للموهوبين وأسرهم لمساعدتهم على تذليل الصعوبات التي تحد من نمو قدراتهم ومواهبهم؛

كلما تبينت حاجة إلى دعم مالي مباشر لبعض الموهوبين فإن المؤسسة تبادر إلى ذلك. أما الأسر فلا يُقدم لهم دعمٌ يذكر بسبب عدم وجود مؤشرات فعّالة على مستوى المملكة لحالات الأسر المحتاجة التي لديها أبناء موهوبون. وإن هناك تخوفاً من الدخول في هذا المجال بسبب صعوبة ضبطه بشكل دقيق وبسبب ضخامة المبالغ التي قد يتطلبها تنفيذها.

الهدف السادس،

دعم برامج إعداد وتطوير وتدريب الكوادر المتخصصة في مجال اكتشاف ورعاية الموهوبين؛

وفى هذا الشأن مولت المؤسسة بالكامل إعادة تأهيل خريجي برنامج التفوق العقلي حتى يلائموا متطلبات وزارة التربية والتعليم كاملة وتمول أيضاً بعض برامج التدريب التي تطلبها الوزارة. كذلك أسهمت المؤسسة في استقدام بعض الخبراء إلى جانب تمويل برامج دكتوراه وماجستير لمتخصصين في علوم الموهبة، لكن أي أداء فعّال في هذا الشأن مرتبط مباشرة بوجود خطة متكاملة لدى وزارة التربية والتعليم لتأهيل أعداد محددة من المختصين في سنوات معينة. إذا توفرت هذه الخطة فإن تحقيق هذا الهدف يصبح أوضح مساراً وتبقى كلفة التنفيذ مرتبطة بمتطلبات خطة الوزارة بهذا الخصوص، وهي في حاجة إلى بلورة.

الهدف السابع،

تنمية واستثمار الاختراعات والابتكارات بذاتها أو بالمشاركة مع الآخرين،

وفي هذا المضمار تقدم المؤسسة الخدمة الوحيدة من نوعها داخل المملكة في مجال تقديم المشورة للمخترعين فتنفرد أفكارهم الابتكارية وتفحصها بنفسها وبواسطة المختصين. وتساعدهم مالياً في تسجيل البراءات ودفع مصاريف المحامين. وتسوّق اختراعاتهم لدى الجهات ذات الاهتمام ولدى الأفراد. وتنظم اللقاء السنوي للمخترعين السعوديين وقد صار الآن تقليداً مرغياً يتطلع إليه المخترعون السعوديون فيعرضون مخترعاتهم فيها. وخدمت المؤسسة أكثر من أربعمئة مخترع استفادوا من خدمات المؤسسة ونظمت ندوة متكاملة حول حاضنات المخترعات والعمل جار على إنشاء أول حاضنة تقنية في المملكة العربية السعودية.

الهدف الثامن،

تقديم المشورة للجهات الحكومية وغير الحكومية فيما يتعلق برعاية الموهوبين،

والأداء في تحقيق هذا الهدف مختلط؛ بعضه جيد وبعضه ضعيف. الجزء الجيد يتمثل في الخدمات الاستشارية التي تقدمها المؤسسة من خلال برامج التدريب والتأهيل التي تم الإشارة إليها. وتُقدم خدمات استشارية متفرقة لجهات تطلبها. أما الجزء الضعيف فهو عدم وجود مبادرات منظمة من المؤسسة للجهات الحكومية وغيرها باقتراح برامج رعاية أو استحداث لوائح وتشريعات تهدف إلى تشجيع الإبداع ورعاية النابغين. لكن ذلك أحد ما تركز عليه الخطة الخمسية التي تم العمل على إتمامها.

الهدف التاسع،

التنسيق مع المؤسسات والمراكز داخل المملكة وخارجها في مجال اختصاصاتها؛

ولهذا تشترك المؤسسة في كثير من المؤتمرات والندوات المحلية والإقليمية وبعض المؤتمرات والندوات الدولية. ولها عضوية في بعض الجمعيات والاتحادات الدولية المتخصصة في مجال رعاية الموهوبين مثل الاتحاد الدولي للمخترعين في سويسرا، والمجلس الدولي للأطفال الموهوبين والنابغين، والرابطة الأمريكية للأطفال الموهوبين، والجمعية السعودية لنقل التقنية، والمجلس العربي للموهوبين والمتفوقين. وقد نظمت عدة مؤتمرات وندوات تطرقت لفروع من شؤون الموهوبين شارك فيها ذوو الاهتمام والصلة

من داخل المملكة وخارجها، مع سعي حثيث قائم لتنظيم الجهود في هذا الشأن وفقاً لرؤية متكاملة لاهتمامات المؤسسة.

الهدف العاشر:

إصدار المواد الإعلامية المتخصصة لنشر المعرفة والوعي في مجال الموهوبين؛

وفي هذا الصدد أصدرت المؤسسة مجلة «موهبة» وهي دورية متخصصة في مجالها تصدر كل شهرين، وهي الوحيدة من نوعها باللغة العربية ولاقت استحساناً من القراء وازداد انتشارها وقراءها في أنحاء الوطن العربي، وتم إقرار إصدار أعداد محكمة للمختصين. وللمؤسسة موقع على شبكة الإنترنت وهو www.gifted.org.sa مع جهود مثيرة في مجال النشرات والترجمات والكتب المتخصصة.

الهدف الحادي عشر:

القيام بما تراه محققاً لأهدافها من أوجه النشاط الأخرى؛

وهذا هدف عام بحكم طبيعته المفتوحة عمداً. ويدخل فيه كل ما تقوم به المؤسسة من النشاط الاستثماري والاتصالي والتبرعي وغير ذلك من الأنشطة التي لها صلة مباشرة أو صلة غير مباشرة بالمسؤولية الشاملة في مجال اكتشاف الموهوبين ورعايتهم. من ذلك بناء مقر للمؤسسة وبناء مجمع تجاري بغرض الاستثمار وبرامج لتحسين دخل المؤسسة وزيادة التبرعات ووضع خطة خمسية لتوجيه عمل المؤسسة بما في الخطة من مشاريع وبرامج متعددة.

وباختصار فإن هذه المؤسسة الفريدة في أهدافها ووظائفها استطاعت في زمن قصير أن تحقق الكثير وفي مقدمة ذلك إشاعة ثقافة الموهبة والبحث عنها وتمييزها، وقد قدمت رعاية لأكثر من خمسة آلاف طالب وطالبة على شكل برامج علمية إثرائية وتقديم حوافز مالية للإبداع العلمي، ومشاركته في مسابقاته العلوم والرياضيات وخدمات فريدة مثل برنامج (كن مخترعاً) وبرنامج (المبدعة الصغيرة) وبرنامج (هذه فكرتي) وبرنامج (إثراء) إلى جانب المنح الدراسية للشهادات العلمية في الخارج، وتدريب المعلمين والمشرفين من الرجال والنساء من قبل خبراء من الخارج، ليكونوا على وعي ودراية باكتشاف الموهوبين ورعايتهم، إلى جانب الرعاية الفردية للمخترعين وتنظيم لقاءهم السنوي بالتناوب بين مناطق المملكة الفريدة وإعداد البرنامج التلفزيوني الأسبوعي عن الموهوبين باسم (عالم الموهوبين).

وأخيراً فلابد من ذكر أمرين بالغى الأهمية وهما:

١ - مشاريع البناء:

• يوشك مقر المؤسسة على الانتهاء وقد بنى على أرض مساحتها أكثر من خمسة عشر ألف متر مربع، وهي جزء من الأرض التي عليها مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية وعلى طريق من أهم الطرق في مدينة الرياض وهو معلم معماري متميز بجماله وحسن تصميمه، وقد تم جمع تكلفة البناء من متبرعين واتخذ قرار بهذا الخصوص ألا يكون الصرف على إقامة هذا المعلم مما عند المؤسسة من موارد. وقد وفق الله لجمع هذا المبلغ من المتبرعين إما نقداً أو عيناً مثل: التبرع بالأسمنت أو الحديد، أو الزجاج وما إلى ذلك.

• يوشك المركز التجاري الذي يبنى على أرض تم منحها للمؤسسة من ممتلكات الحكومة بأمر من خادم الحرمين الشريفين رئيس المؤسسة الملك عبد الله بن عبد العزيز، وهذا المركز المقام في الحي التجاري في مدينة الرياض سيكون دخله حين يتم تأجيره من أهم الروافد المالية للمؤسسة.

٢ - الوضع المالى للمؤسسة حتى نهاية تكليفي:

اتخذ المجلس التنفيذي للمؤسسة -بناءً على اقتراح تقدمت به- قراراً يقضي بالألا يصرف من رأس مال المؤسسة الذي جاءت به التبرعات السخية، وإنما الصرف على البرامج يكون من أحد ثلاثة مصادر هي:

١. العائد من الاستثمار لأموال المؤسسة.

٢. الاشتراكات المالية السنوية التى يقدمها المتبرعون إذ إن كثيراً من المتبرعين بجانب تبرعاتهم الأولى التزموا باشتراك سنوي.

٣. التبرعات التى تحدد لنشاط معين والتمويل المباشر لبعض البرامج، ولقد تم اتباع سياسة متشعبة الجوانب تهدف إلى تنمية الموارد بهدف تمكين المؤسسة من تحقيق غاياتها ومقابلة ظروف المستقبل ومتطلباته بثقة وطمأنينة.

وأخيراً تم التمكن ولله الحمد من تنمية رأس مال المؤسسة ليبلغ حوالي (٤٠٠) أربعمئة مليون ريال سعودي، إما في استثمارات قائمة أو عقارات.

وحين أعتز بالموقف المشجع والداعم لخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز لهذا العمل الرائد فإني أقدر جهد الكثيرين الذين بذلوا من وقتهم ومالهم والذين ساهموا في عمل اللجان المختلفة وفي مجلس الأمناء والمجلس التنفيذي ومن الانصاف أن أقدم شكراً خاصاً للأمين العام للمؤسسة الدكتور حمد بن محمد البعادي لأنه لولا فكره النير وعمله الدؤوب ما تحقق للمؤسسة ما جعلها شامخة وفريدة في مجال وظيفتها وإنجازاتها.

التطوير التربوي

تطوير سياسة التعليم في المملكة

أقر مجلس الوزراء وثيقة سياسية التعليم في المملكة في عام ١٣٨٩هـ وهي عبارة عن توجهات عامة تحدد الأهداف للمراحل الدراسية المختلفة والتخطيط لها لكن ما ورد فيها لا يحسب نظاماً، ثم إن أموراً جدت تقتضي تعديل كثير مما جاء في الوثيقة من توجهات. لذا تقدمت إلى اللجنة العليا لسياسة التعليم بوثيقتين أولاهما عن «نظام التعليم العام» وقد احتوى المقترح على إحدى وثلاثين مادة وذلك بعد دراسة مستفيضة لواقع الحال، واستشرف المستقبل، واستعراض نظم التعليم العام في البلدان العربية والبلدان الأجنبية، واقتباس المناسب منها. وفي ذلك النظام تحددت أهداف التعليم وسلطاته، فبعد المادة الأولى التي تشتمل على التعريفات جاءت المواد الأخرى على النحو الآتي:

المادة الثانية:

يبني نظام التعليم العام في المملكة العربية السعودية على الإسلام عقيدة وعبادة ونظاماً متكاملًا للحياة.

المادة الثالثة:

يقوم نظام التعليم العام على أسس عامة تقوم عليها عملية التربية والتعليم وتعنى بتعريف الفرد بربه ودينه وإقامة سلوكه وتحقيق أهداف المجتمع والوطن وفق ما هو منصوص عليه في النظام ولوائحه التنفيذية.

المادة الرابعة:

التعليم العام هو جزء أساسي من السياسة العامة للدولة يسير وفق نظام التعليم ولوائحه وخططه التفصيلية التي توضع حسب مقتضى الحاجة وتبنى أهدافه على العناصر الآتية:

١. الالتزام بالعميقة الإسلامية بمنهجها الشامل للإنسان والكون والحياة وغرس العميقة في نفوس النشء، وإكسابهم المعارف والمهارات النافعة، التي تهيئهم ليكونوا أعضاء صالحين في المجتمع، مخلصين لوطنهم، معترزين بحاضره، مسهمين في صنعه، وبتاريخه الذي شيده الآباء والأجداد.
٢. حفظ كرامة الإنسان التي قررها القرآن الكريم وكلفه القيام بأمانة الله في الأرض: قال تعالى: (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً)^١.
٣. الحقوق العامة التي كفلها الإسلام وشرع حمايتها حفاظاً على الأمن، وتحقيقاً لاستقرار المجتمع المسلم في الدين، والنفوس، والنسل، والعرض، والعقل، والمال.
٤. التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع: تعاوناً ومحبة وإخاء، وإيثاراً للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة والتعاون لخير الإنسانية كافة مع سائر الشعوب والأمم والجماعات.
٥. تحقيق مطالب التنمية في نموها المستمر بما يواكب تغير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المحلية والاقليمية والعالمية.

١ سورة الإسراء، آية: ٧٠.

٦. تأكيد الانتماء للأمة العربية بقيمها الأصيلة ومتطلباتها المعاصرة وآمالها واتجاهاتها نحو المستقبل.
٧. مراعاة اتجاهات العصر بعلاقاتها الإقليمية، والدولية، ومقتضياتها، بما يعزز التعايش السلمي مع الآخرين (بما لا يتعارض مع المبادئ الإسلامية وثقافة الأمة).
٨. نتائج البحوث العلمية والتربوية والقدرة على تكوين مهارات التفكير المستقل وتنمية القدرة على المشاهدة وتقويتها، والتأمل في آيات الله في الكون سعياً نحو إدراك حكمته تعالى من الخلق للقيام بدور فاعل في بناء الحياة وتوجيهها توجيهاً سليماً.
٩. حاجات المتعلم وخصائص نموه حسب كل مرحلة عمرية.
١٠. التأكيد في جميع برامج التعليم العام على قيم الإيمان الصحيح والطاعة لله وطاعة رسوله وأولي الأمر، والولاء للوطن والمليك، وتدعيم الوحدة الوطنية وتحصين الناشئ من كل ما من شأنه إثارة النعرات والفتن والتطرف والغلو والعنف والانحراف.
١١. إعداد الطالب ثقافياً وعلمياً واجتماعياً إعداداً يمكنه من التعرف الصحيح على نفسه وقدراته وإمكاناته وكيفية تميمتها، ويهيؤه للتواصل ببسر وسماحة مع مجتمعه العربي ومحيطه الإسلامي والإنساني، والإسهام في تطويره وتقديمه مع توعيته بالخصوصية الثقافية والحضارية للمجتمع العربي والإسلامي.
١٢. تزويد الطالب بقدر كاف من المهارات والقيم التي تمكنه من اختيار نوع النشاط المناسب لاستمراره في مواصلة التعلم بنفسه لتحقيق التنمية الذاتية والعطاء لمجتمعه ووطنه.
١٣. إعداد الطالب ليكون لبنة صالحة في بناء أمته ويشعر بمسؤولياته تجاه وطنه والدفاع عنه، وتزويده بالمعلومات والخبرات وإكسابه المهارات وتنمية الاتجاهات السلوكية البناءة ليكون عضواً عاملاً في المجتمع محصناً ضد التيارات المنحرفة.

المادة الخامسة:

التعليم العام في المدارس الحكومية في المملكة العربية السعودية مجاني، واللغة

العربية هي لغة التعليم في جميع الموضوعات والمراحل إلا ما اقتضت المصلحة تعليمه بلغة أخرى.

المادة السادسة:

التعليم العام إلزامي لمن أكمل سن السادسة إلى سن الخامسة عشرة.

المادة السابعة:

يمنع الاختلاط بين البنين والبنات في جميع مراحل التعليم إلا في رياض الأطفال مع الالتزام بالحشمة والوقار والعفة.

المادة الثامنة:

مدة الدراسة في المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية اثنا عشر عاماً موزعة على ثلاث مراحل هي: الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وتحدد اللوائح سنوات كل مرحلة دراسية والأهداف العامة والخاصة لكل مرحلة. وتبين اللوائح قواعد قبول الطلاب لكل مرحلة من مراحل التعليم والحد الأقصى للسن بكل صف دراسي وكل مرحلة، وشروط النقل في المدارس والتحويل إليها من الخارج.

المادة التاسعة:

تكون مواعيد بدء الدراسة لكل فصل حسب التقويم الدراسي الذي يصدره مجلس الوزراء.

المادة العاشرة:

يمنح الطالب بعد إتمام كل مرحلة دراسية شهادة إتمام تلك المرحلة، وتبين اللوائح القواعد والشروط اللازمة للحصول عليها.

المادة الحادية عشرة:

تنشئ الدولة المدارس للمراحل المختلفة حسب الاحتياج بحيث يكون الهدف النهائي لخطّة إنشاء المدارس بما ييسر الالتحاق بها.

المادة الثانية عشرة:

للووزير عند الحاجة إنشاء مدارس أو برامج تجريبية مخصصة لتطبيق التجارب التربوية والتعليمية الحديثة تمهيداً لتعميمها بعد نجاحها وثبوت جدواها.

المادة الثالثة عشرة:

تكون رياض الأطفال مرحلة مستقلة بمبانيها وفصولها عن مراحل التعليم الأخرى، وتهدف إلى تهيئة الطفل لبدء تلقي التعليم في مراحل التعليم العام.

المادة الرابعة عشرة:

يصدر الوزير قراراً بإنشاء الإدارات التعليمية في مناطق المملكة ومحافظاتها وفق اللائحة التنفيذية لهذا النظام.

المادة الخامسة عشرة:

تقوم المدارس بتنفيذ برامج التعليم العام تحت إشراف الإدارات التعليمية في المناطق والمحافظات.

المادة السادسة عشرة:

ينشأ في كل مدرسة مجلس يمثل فيه الآباء والمعلمون، وينشأ في كل منطقة أو محافظة مجلس مماثل يضم أعضاء من مجالس المدارس ويصدر الوزير القواعد المنظمة لهذه المجالس.

المادة السابعة عشرة:

تولي الوزارة عنايتها لاختيار المعلم، ولا تسمح له بممارسة المهنة إلا بعد حصوله على رخصة تمكنه من ممارسة مهنة التدريس، وتقوم بوضع الضوابط المنظمة لذلك.

المادة الثامنة عشرة:

تعنى الوزارة بالمناهج الدراسية باعتبارها وسيلة مهمة من وسائل التربية والتعليم ويرتبط الهدف العام من التعليم بالهدف العام للدولة من التربية والتعليم، وينبغي أن تكون المناهج وفقاً لما يلي:

١. أن تنبثق من الإسلام ومن مقومات الأمة وأسس نظامها.
٢. أن توافق حاجات الأمة، وترمي إلى تحقيق أهدافها.
٣. أن تناسب مستوى الطلاب وحاجاتهم.
٤. أن تعنى بالإفادة من الحاسب الآلي وتقنيات التعليم وإثرائها.

المادة التاسعة عشرة:

يتم تقويم تحصيل الطالب بهدف تعزيز عملية التعلم، والتحقق من اكتسابه العلوم والخبرة والمهارات وفق الأساليب السليمة للتقويم، وتقوم الوزارة بالجوانب العملية التعليمية (المدخلات والمخرجات) للتحقق من جميع جوانبها وذلك كله وفق اللوائح التي يصدرها الوزير.

المادة العشرون:

تكفل الدولة حق ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة بجميع فئاتهم في التعلم على اختلاف مراحلهم عبر تقديم أنماط الخدمة المختلفة التي تحددها طبيعة كل تلميذ وقدراته واحتياجاته.

المادة الحادية والعشرون:

تلتزم الدولة بمحو الأمية بين جميع المواطنين بمختلف فئاتهم، عبر أنماط متعددة وبرامج تعليمية تناسب واحتياجات المجتمع وتلبي رغبات الدارسين الكبار وحاجاتهم على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

المادة الثانية والعشرون:

تقوم المدارس السعودية في الخارج بتوفير فرصة التعليم لأبناء السعوديين والراغبين من غيرهم، على أن تتضمن مناهجها -فيما تتضمن- المقررات السعودية.

المادة الثالثة والعشرون:

تقوم الدولة بتشجيع انتشار التعليم الأهلي ودعمه في كل مراحل التعليم العام وتهيئة السبل لزيادة نسبة التعليم الأهلي.

المادة الرابعة والعشرون:

ينشأ مجلس أعلى للتعليم العام يشرف على شؤونه بكل أنواعه ومراحلها ويتم تكوينه على النحو الآتي:

١. رئيس مجلس الوزراء رئيساً
٢. وزير التربية والتعليم عضواً
٣. الرئيس العام لرعاية الشباب عضواً
٤. وزير الخدمة المدنية عضواً
٥. وزير التعليم العالي عضواً
٦. وزير المالية عضواً
٧. وزير التخطيط والاقتصاد عضواً
٨. وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد عضواً
٩. وزير الثقافة عضواً
١٠. وزير العمل عضواً
١١. وزير الشؤون الاجتماعية عضواً

١٢. خمسة أعضاء من الشخصيات العامة من ذوي الاهتمام بالتربية والتعليم يعينهم رئيس مجلس الوزراء بناءً على اقتراح من وزير التربية والتعليم لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد لمرحلة واحدة.

المادة الخامسة والعشرون:

يكون للمجلس أمانة عامة يرأسها أمين عام متفرغ بدرجة وكيل وزارة يعين بناءً على اقتراح وزير التربية والتعليم ويعاون الأمين العام عدد كاف من الموظفين الفنيين والإداريين يعينهم وزير التربية والتعليم.

المادة السادسة والعشرون:

يضع المجلس التنظيم اللازم لأعماله والقواعد الإجرائية لاجتماعاته واتخاذ قراراته وتنفيذها.

المادة السابعة والعشرون:

يتولى المجلس تحقيق التكامل بين المدارس وغيرها من المؤسسات القائمة على تنفيذ سياسة التعليم والخطط والبرامج التربوية من جانب، والجهات المؤثرة في نظام القيم الفردية والاجتماعية وأنماط السلوك والتعليم المستمر من جانب آخر، بحيث يحافظ هذا التكامل على الأهداف الرئيسية للنظام التعليمي ويثبت المبادئ والقيم التي يقوم عليها.

المادة الثامنة والعشرون:

يختص المجلس برسم سياسة التعليم وبرامجه، وله بوجه خاص:

١. إقرار السياسات والخطط التربوية وضمان ارتباطها بخطط التنمية.

٢. دراسة ما يحيله إليه رئيس المجلس من موضوعات تتصل بمهمته.

المادة التاسعة والعشرون:

يصدر الوزير بعد موافقة المجلس القرارات المنظمة لبرامج الدراسة وخططها ومناهجها في ضوء الأهداف العامة والخاصة بكل مرحلة.

المادة الثلاثون:

يصدر الوزير اللوائح التنفيذية والقرارات اللازمة لتطبيق هذا النظام خلال سنة من تاريخ نشره، ثم يصدر ما يقتضيه تنفيذ النظام منها كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

المادة الحادية والثلاثون:

يعمل بهذا النظام بعد تسعين يوماً من تاريخ صدوره، ويلغى ما يتعارض معه من أحكام.

وقد قدمت مع النظام مذكرة تفسيرية تشرح كل مادة من مواد النظام المقترح ومسوغات وجودها.

وقدمت مذكرة أخرى تحمل عنوان: «أسس التعليم العام ومحاوره في المملكة العربية السعودية» ونصها الآتي:

يقوم التعليم العام في المملكة العربية السعودية على عدد من الأسس ويدور حول عدد من المحاور، وله ملامحه العامة التي تميّزه والتماساً لتوحيد الرؤية وتجنباً لتداخل الصور والرؤى في بعض الأذهان وُضعتْ المعالم الآتية:

١. إنه تعليم يهدف إلى إعداد الإنسان الصالح والمواطن الصالح، فأما الإنسان الصالح فهو الإنسان المؤمن بربه، المطيع له، المؤدي لما كلفه به، المجتنب لما نهاه عنه، المدرك للمعاني الكبيرة لاستخلاف الله للإنسان في الأرض، والمستشعر لعظمة رسالة الإسلام، والمستشرف لمسؤوليته تجاه الدعوة إليه والدفاع عنه.

وأما المواطن الصالح فهو الذي يعرف حق أولي الأمر عليه، وحق وطنه عليه، ويعتز بالانتماء إليه، ويدرك أن هذا الوطن بقدر ما يسعه يسع إخوانه فيه، وأن لهؤلاء حقوقاً، أقواها حق القرابة القريبة وحق أولي الأرحام، ثم هي تتدرج حتى تصل إلى حقوق ضيوف الوطن من المستأمنين والذميين، وبين أعلى درجاتها وأدناها درجات متعددة للجيران والزلاء والأصدقاء وغيرهم من الناس جميعاً.

٢. يركز على المتعلمين لأنهم المقصد الأول والأخير في العملية التربوية، فالطلاب والطالبات هم الشريحة المستهدفة، وهم محل الاستثمار الأمثل.

٣. يحرص على انتقاء المربين الأكفاء المتميزين في أخلاقهم وسلوكهم، وتدريبهم على استيعاب المعطيات العلمية المستجدة في مجالات تخصصهم، لأن المعلم هو أهم عناصر العملية التربوية التعليمية.

٤. تعليم يركز على اللغة العربية لغة القرآن المجيد خاتم الكتب المرسله - وأداة التخاطب بين العرب ولسان حضارتهم - بحيث لا تنتهي مرحلة التعليم العام إلا ويكون الطالب قادراً على أن يعبر في عفوية وسلامة وصحة ويسر باللغة العربية الفصحى بصفتها أداة اتصال فعّالة في أمور حياته، وجسراً يعبره إلى تراث أمته وحضارتها.

٥. تعليم مفتوح القنوات موجّه للمواطنين كافة دون تمييز، يمكن المتعلمين - وفق

استعداداتهم وإمكاناتهم- من خلال صيغه وأشكاله المتعددة من التهيؤ للالتحاق بعالم العمل والمهنة، أو مواصلة الدراسة لمراحل تالية إذا رغبوا، ويمدّهم أيضاً للمشاركة في أوجه نشاط مجتمعهم ومسؤولياته.

٦. تعليم يدرّب على مهارات التفكير وينمّي ملكته لدى الدارس، ويبيّن مزالق التفكير التي تعيد به عن الصواب لاجتنابها، وليكون قادراً على التحليل والاستنباط.

كما يعلم (طريقة البحث) عن المعلومة الصحيحة ليتمكن الدارس من الاعتماد على نفسه ويكون قادراً على البحث عن المعلومة من مصادرها الموثوقة.

٧. يعلم أصول الحوار، وأدب الاختلاف، وقواعد الائتلاف، وروح البحث عن الحقيقة، والتسليم بالخطأ، والرجوع إلى الصواب.

٨. يربي على الأخلاق الإسلامية الفاضلة، والسلوك المستقيم، ويفرس في النفوس الاعتدال، والرفق، والمحبة، والتواضع، واحترام الآخرين، ونبذ التعصب، والعنف، والكرهية، والاستعلاء.

٩. تعليم يستقي مضمونه وهياكله وطرائقه من مجموعة الحاجات الإنسانية الأساسية اللازمة للفرد بما يكفل تفتح شخصيته وتنمية طاقاته وإمكاناته، واكتسابه الكفايات اللازمة لمواصلة تعلمه الذاتي، والإسهام الإيجابي الفعّال في أوجه النشاط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في مجتمعه؛ وهو بذلك برنامج تعليمي متكامل في حد ذاته وليس مجرد حلقة تعليمية تستقي أهدافها من متطلّبات حلقات تعليمية تليها.

١٠. تعليم يقوم على مبدأ التربية المستديرة، ويسعى لتنمية المجتمع الدائم التعلم؛ فهو يرسّي البدايات الأساسية لتعليم يمتدّ مدى حياة الفرد، وينسّق لهذا الغرض جهوده مع أوجه النشاط التعليمية النظامية وغير النظامية في مجتمعه، سعياً وراء إيجاد فرص اكتساب القدر الأساسي من التعليم الذي يلبي الحاجات الإنسانية التعليمية الأساسية اللازمة للفرد على النحو الذي يمكنه من الانتفاع بها. وذلك في إطار شبكة متكاملة تنتظم هذه الجهود والبرامج، بحيث تسمح بالتعليم والعمل المتناوب، أو التعليم المتناوب (لمن تركوا التعليم ويودّون العودة إليه)، واستخدام إمكانات المجتمع

ومؤسساته في التعليم والتدريب وجعلها أجنحة ممتدة للتعليم الأساسي، مع تحقيق القنوات والتشريعات والنظم التي تكفل ذلك وتيسره.

١١. تعليم وظيفي منفتح على بيئته أخذاً وعطاءً، يوثق العلاقة بين ما يدرسه الطالب وما يحيط به في بيئته لتكون البيئة -بمصادر إنتاجها وثرواتها وأساليب حفظها وحمايتها، وما يتوافر فيها من خبرات وأوجه نشاط- مصدراً أساسياً للمعرفة، ومجالاً للبحث والدرس والعمل والتطبيق.

١٢. تعليم يؤكد في مناهجه وطرائقه على الجوانب العملية، ويُعنى بالتطبيق، ويسعى -ما استطاع من خلال الخبرة المباشرة والتفاعل مع الواقع- لتكون الأسس النظرية والمبادئ العامة مرتبطة في خبرة المتعلم بجزئياتها وتطبيقاتها، وليست مجرد صيغ تردّد، أو مقولات تُحفظ، وهو بذلك يشجع على التجريب، ويمنح الأولوية للعمل والممارسة.

١٣. تعليم قد حُطّطت هياكله، ووضعت نظمه، بحيث يكون التقويم النهائي منصباً على جهود الدارسين فيه وما تعلموه بالفعل، وما اكتسبوه من مفاهيم وأتقنوه من مهارات، مهما تعددت القنوات والأساليب التي تم ذلك من خلالها سواء في المدرسة أو خارجها.

١٤. تعليم يؤكد في أهدافه وأوجه نشاطه وأساليب تقويمه على تعزيز الاتجاهات الإيجابية التي تحاصر معوقات التنمية في المجتمع؛ فهو يؤكد أمر الربط بين التعليم والعمل المنتج، وينمّي القدرة على اتخاذ القرار وتحمل مسؤولياته، والتحلي بروح المبادرة، والاستعداد لبذل الجهد، والإصرار على الإتقان، وتوجيه المجتمع المدرسي بما ينمّي مبدأ الشورى ومهارات العمل الجماعي، ويوجد المناخ الذي يترجم العلم إلى نهج فكري في ممارسات الحياة اليومية، ومواجهة المشكلات والتخطيط للتغلب عليها.

١٥. تعليم يرسّي -من خلال أسلوب بناء مناهجه، والمسلك والقنوة التي يمثلها معلموه، والمناخ العام الذي يوجّه النشاط والعلاقات في مؤسساته- دعائم التوازن الذي يعمق لدى الناشئة الثقة والتفهم، والإيمان العميق بالذاتية الثقافية لأمتهم في قيمها

وحضارتها الإسلامية العربية، والإصرار في الوقت نفسه على إعمال الفكر وبذل الجهد، واكتساب المهارات اللازمة للحاضر والمستقبل. لمتابعة التقدم التقني الهائل المتمثل في وسائط الاتصال، وتقنية المعلومات، وغيرها مما هو قائم حولهم، والمشاركة في صنعه، لأن من يملك المعلومة ويحسن استخدامها يملك واحداً من أهم أسباب القوة.

١٦. تعليم يشارك المستفيدون منه والمعنيون به في التقييم المستمر لبرامجه، لضمان تجدد المستمّر في تلبية حاجاتهم واهتمامهم، ومتابعة مطالب سوق العمل وأولوياته.

١٧. تعليم يُعنى بالمعوقين ويتوجه إلى دمجهم مع العاديين ليعيشوا حياة واقعية عملية، ويعدّهم ليكونوا عناصر فعالة في مجتمعاتهم.

١٨. تعليم يعنى عناية خاصة بالموهوبين: باكتشافهم أولاً، ثم برعاية مواهبهم، وتوجيهها، وإتاحة الفرصة أمامهم لتنميتها والاستفادة منها، وتوظيفها في خدمة المجتمع خاصة والإنسانية عامة.

١٩. تعليم يعطي التقنية ووسائل الاتصال حقها من الاهتمام بها، وتعليمها، وإتقانها، ثم المشاركة في صنعه، لأنها تمثل أهم عناصر المدينة الحديثة، وامتلاكها امتلاك لناصية القوة.

٢٠. تعليم يتطور باستمرار في: مناهجه، وأساليبه، وطرائق تقويمه، وتجهيزاته، وإدارته، في إطار الثوابت والأخلاق الإسلامية.

هذه هي أهم أسس التعليم ومحاوره التي على المسؤولين في وزارة التربية والتعليم العمل على ضوئها لكي تتحقق في في إعداد المعلمين وتدريبهم وفي برامج التعليم العام ومناهجه وإدارته.

ماذا يريد المجتمع من التربويين؟

إمعاناً من الوزارة في التعرف على نظرة المجتمع إلى ما يجب أن يكون عليه واقع المؤسسة التربوية (وزارة التربية والتعليم وما يتبعها من مدارس) وأن يقف المجتمع على ما يريده القائمون على التربية من المجتمع فقد استأذنت الوزارة المقام السامي في إقامة ندوة بعنوان: (ماذا يريد المجتمع من التربويين؟ وماذا يريد التربويون من المجتمع؟)، وأن يكون برعاية خادم الحرمين الشريفين (ولي العهد آنذاك)، وقد جاءت الاستجابة الكريمة، وافتتح الندوة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض.. وقد أقيمت فيها كلمة جاء فيها:

١. همّ التربية والتعليم هو همّ كل زمان ومكان وإنسان. فهو قديم جديد لأنه للأمم كالغذاء للأجسام. فالأمة بدون تربية وتعليم تموت، والجسم بدون طعام وشراب يموت.

وعندما نتساءل: ماذا يريد المجتمع من التربويين، وماذا يريد التربويون من المجتمع؟ فنحن نقول بصيغة أخرى: ماذا يريد الكل من البعض، وماذا يريد البعض من الكل؟ فالمجتمع (كل) والتربويون (بعض)!!

فالمعلمون والمعلمات هم أيضاً آباء وأمهات لهم أبناء وبنات في المدارس والجامعات، فهم من جهة يمثلون التربويين، ومن جهة أخرى يمثلون المجتمع. فالمعملية -إذن- متداخلة، والتأثير متبادل، والتعاون لا بد منه، كما أن المصارحة والمكاشفة لا بد منهما، لتتضح الأخطاء، ويُعترف بها، ويُعمل على تلافئها.

إن القائمين على أمر التعليم والمعلمين والطلاب على حد سواء، هم أبناء هذا المجتمع، لم يأتوا من قطر آخر، أو كوكب آخر، فنقدهم ولومهم، على الأخطاء والتقصير -إن كان صحيحاً- هو لوم المجتمع لنفسه، ونقده لذاته.

٢. إننا معشر التربويين نشعر بثقل الأمانة الموضوعة في أعناقنا، لأننا مؤتمنون على أنفس ما تملكه الأمة: فلذات أكبادها، ونحن مسؤولون عن هذه الأمانة في الدنيا والآخرة. لذا نبذل قصارى جهدنا في حدود وسعنا لإعطاء هذه الأمانة حقها. إنها

أمانة تقتضي منا تربية النشء على الدين الصحيح، والخلق القويم، والعلم النافع، والعمل الصالح، وإعدادهم لخوض غمار حياة اليوم التي لم تعد كحياة أمس، ولأن يحققوا معنى استخلاف الله تعالى لهم في الأرض، هذا الاستخلاف الذي لا يتم إلا باستكمال جميع أركانه، ومنها التبحر في علوم العصر، وامتلاك ناصية التقانة والقدرة على المنافسة والتفوق، فما أعظمها من أمانة!!

٣. ونحن نشعر بالامتنان والعرفان لكل مواطن غيور مهتم بقضايا التربية، يتخذ موقفاً إيجابياً، إما بالكتابة في الصحف والمجلات عن واقعنا وآمالنا، وإما بالكتابة المباشرة للمسؤولين في الوزارة، أو بالزيارة والمناقشة لتصحيح خطأ، أو تصويب إجراء، أو السعي لتحقيق أمل.

٤. في هذه الندوة نريد أن نجتمع ونستمع إلى شرائح تمثل المجتمع بكل فئاته، لنسمع منهم المزيد، ونعرفهم بواقع المؤسسات التربوية، وما تم فيها من نجاح بتوفيق الله، ثم بدعم أولياء الأمر، وما لا يزال موجوداً من أمور تحتاج إلى المزيد من التطوير. ونعرض العقبات إن وجدت، ونتمسح معاً للحلول لها.

٥. إن التربويين الذين يشرف منسوبو وزارة المعارف (بالانتماء إليهم) ينتظرون من المجتمع المزيد من الدعم والتواصل، ونذكر أولياء أمور الطلاب والطالبات -الذين قد ينسون في غمرة الحياة أن المدارس تحتضن بين جنباتها أعلى ما عندهم- نذكرهم أنهم شركاء معنا في إعداد هذا النشء، وما لم يتواصل الشركاء ويتعاونوا فلن تتحقق آمالهم المشتركة، إننا نريد منهم الدعم والتشجيع، ونريد منهم أيضاً أن يساعدونا على اصطفاء أفضل العناصر الصالحة للعملية التربوية التعليمية فالمناهج الجيدة، والمباني الحديثة ضئيلة الجدوى إذا لم يكن المعلم متميزاً، والمعلم الممتاز يتلافى بمقدرته القصور في المقررات والمباني. وفي التاريخ ألوف البراهين على ذلك، فكم خرّج المعلمون الممتازون علماء أعلاماً جثوا على الركب فوق الحصر في مساجد صغيرة متناثرة في قرى العالم الإسلامي!؟

٦. إن التربويين يريدون أن يعي المجتمع أننا أصحاب رسالة، ندرك أعباءها، وأن الخطوات التطويرية والتنظيمية لا تتخذ جزافاً، إنما هي نتيجة دراسات، وتأملات، ومناقشات

مختصين مخلصين يرون -في أغلب الأحيان- بحكم موقعهم القريب وبحكم المهنة والممارسة، ما لا يراه الآخرون الذين لا يمارسون وليسوا أهل تخصص.

٧. إننا نشعر -وأقولها بصراحة- أن دور المجتمع يجب أن يكون أكثر إيجابية، وأن يسعى كل مقتدر في مجال اقتداره من أجل سد الثغرات، وتطوير المدرسة مادياً ومعنوياً. ونطالب أفراد المجتمع ألا يصدروا أحكامهم جزافاً، وأن يكون نقدهم قائماً على الحقائق لا على اتباع الظن، حتى لا يشعر التربويون بالإحباط نتيجة لعدم تقدير ما يقومون به.

٨. لقد بدأ الدعم السخي من المواطنين القادرين في مجتمعنا فترعوا بسخاء لبناء المدارس، وتجهيزها بما تحتاج إليه، وقدّم كل إنسان على قدر استطاعته، فلا جود إلا بالموجود، كما يقال. وعندنا في مجتمعنا السعودي -بحمد الله- نماذج مشرفة من هؤلاء، وفي تاريخنا أمثلة كثيرة على الأوقاف العلمية لفائدة المعلمين، والطلاب، ودور العلم. وعلى كل واحد ألا يقلل من شأن إسهامه مهما كان: إما بعلمه، أو فكره، أو ماله... وأقرر أن الدولة لم تقصر، ولكن مساهمات المواطنين تمكن من التحسين والتطوير.

٩. إن المدرسة هي عنوان الحي الذي تقوم فيه، ونريد أن يعمل أهل الحي جميعاً على جعل عنوان حيهم أكثر جمالاً، ونجاحاً، وعطاءً.

١٠. إن علينا -معشر التربويين- أن نحث الخلى في تخريج أجيال مؤمنة بدينها، وفيه لوطنها، متمكنة من تقنية المعلومات والاتصالات التي هي بمثابة القوى المحركة للتقدم الاقتصادي.

لقد عقدت ندوة الرؤية المستقبلية للاقتصاد السعودي مؤخراً، وتعددت محاورها، وأوراق العمل فيها، ومع تعددها فقد اتفقت على أن جودة التعليم هي العامل الأهم في التقدم الاقتصادي لأي شعب من الشعوب.

وقد أكدت على أن الحاجة ماسةً إلى أيدي عاملة حاصلة على تعليم عال وتدريب في حقول العلوم والرياضيات. إننا حين ندير ظهورنا للعلوم الحديثة نأخذ في التراجع عن ركب الأمم القوية.

إن موقف قيادتنا الرشيدة التي جعلت الإنفاق على التعليم في رأس سلم أولوياتها واضح جلي، فليس للتربويين - من معلمين ومعلمات، ومدربين ومديرات، ومشرفين ومشرفات... وغيرهم - ليس لهم عذر في القعود عن تحقيق طموح قيادتهم، والإسهام في بناء المستقبل المشرق لوطنهم وأبنائهم، بعون الله وحسن توفيقه.

لقد أكد دولة رئيس الوزراء الماليزي «مهاثير محمد» في كلمته القيمة التي ألقاها في مستهل الندوة المشار إليها: المعنى الذي نتفق عليه جميعاً، وهو أن مواكبة العصر لا تقتضي بالضرورة إلى الكفر والإلحاد كما يحدث في الغرب. بل إن التحديث الإسلامي ومواكبة العصر يمكن أن يحققا توازناً بين هذه الحياة والحياة الآخرة، وأمتنا الإسلامية حققت هذا السبق والريادة حين بزت في العلوم البحتة والتطبيقية، والرياضيات على وجه الخصوص، سائر الأمم. وأضاف: ويعلم الله أن الأمة الإسلامية في ميسس الحاجة لدولة مسلمة تكون قوة عالمية، والمملكة العربية السعودية مؤهلة لذلك، إذا ما اختارت لنفسها هذا الطريق، وأعانها عليه المسلمون في سائر أنحاء العالم... وإن دافعنا لذلك ليس شئ الغزوات على أحد، بل لضمان ألا يتعرض المسلمون وبلدانهم للقهر، كما هو شأنهم اليوم. إننا إذا أحسنّا العمل بتعاليم الإسلام الحنيف، فإننا سوف نصبح أقوياء على المستويين الاقتصادي والاجتماعي، بدون أن نفقد شيئاً من عقيدتنا، أو هويتنا.

وخرجت الندوة ببيان ختامي جاء فيه:

أولاً، لقد أثرى مضامين الندوة مشاركة مجتمعية واسعة من خلال مجموعات العمل التي سبقت الندوة والتي عقدت في مختلف مناطق المملكة، وشارك فيها قرابة (٥٠٠٠) مشارك ومشاركة، ثم أثريت حوارات هذه الندوة عبر ندوة جماهيرية شارك فيها نخبة من مثقفي ومفكري المجتمع مع نخبة من التربويين، وذلك بغرض الوصول إلى رؤية مشتركة بين المجتمع والتربويين من أجل تعليم وتربية أفضل في بلادنا.

وقد خرجت الندوة بالعديد من الرؤى والأفكار والتوصيات، التي ستساعد على وضع «تصور مشترك لتطوير التعليم في المملكة العربية السعودية».

علماً بأنه سيتم مع هذا البيان الختامي إرفاق كافة أوراق العمل والمشاركات والتوصيات للإفادة منها عند وضع آلية عمل التصور المشترك.

ثانياً، ملامح التصور المشترك لتطوير التعليم في المملكة العربية السعودية:

لا تقوم حياة المجتمعات ونهضة الأمم على الإجراءات والمعالجات الآتية، بل لابد من أن تنطلق مسيرتها من خلال خطط ومعالجات استراتيجية تنبثق عن رؤية شمولية متكاملة للتطلعات القادمة.

وتظهر الحاجة ملحة في المملكة العربية السعودية إلى وضع رؤية علمية طموحة تنطلق من الواقع لتواجه المستقبل وتوجهه حيث يشكل النمو السكاني المرتفع تحدياً أمام المخططين، وسيحمل ربع القرن الحادي والعشرين بمشيئة الله في طياته نمواً هائلاً لأعداد السكان ممن تتراوح أعمارهم بين (0-19) سنة، إذ يتوقع أن يتجاوز عددهم خمسة وعشرين مليون نسمة من الذكور والإناث، ولا شك في أن دلالات هذه الأرقام تحمل في طياتها جوانب سلبية، كما تحمل في الوقت نفسه جوانب إيجابية، فهذه الفئة العمرية تمثل ضغطاً على التعليم والصحة وغيرهما، مما يتطلب إعداد العدة لاستيعابها وتوجيهها، وتحمل أيضاً بشائر إيجابية إذا استثمرت ووجهت نحو تطوير قدراتها المختلفة كي تسهم في تسريع عجلة التنمية.

من هذا المنطلق فالسؤال المُلح هنا: من المسؤول عن التعليم؟ إن الجواب الأمثل هو: نحن، أي أعضاء المجتمع بكافة عناصره ومنهم التربويون، وهذا هو الجواب الطبيعي الذي يفترض أن تبنى عليه قاعدة المشاركة بين التربويين والمجتمع، والذي بدوره يصبح النظام التعليمي والمدرسة بشكل خاص كبش الفداء لأي قصور في عملية النمو الاجتماعي والاقتصادي.

لكن هذه المشاركة بين التربويين والعناصر المكونة للمجتمع لن تتفعل ولن تجدي ما لم تنطلق من أصحاب القرار على مستوى الدولة، وما لم تجد الدعم السياسي لها من مؤسسات الدولة العليا، دعماً يتمثل في إيجاد النظم والمؤسسات الاجتماعية التي تكوّن القنوات لهذه العلاقة التشاركية التربوية.

إن تقاسم المسؤولية والمشاركة في اتخاذ القرار يقود وبشكل قوي إلى شعور جميع أعضاء المجتمع من العاملين في المؤسسات التربوية أو خارجها بالانتماء أولاً إلى تلك

القرارات وثانياً إلى المجتمع الذي أصدر تلك القرارات، وهذا الشعور يؤدي أيضاً إلى تبني القرارات وتفعيلها بشكل إيجابي يحقق الأهداف المرجوة، ونتيجة لتفعيل العلاقة المجتمعية التشاركية يبدأ مفهوم الثقة عند تبني الأعمال والأفكار التجديدية داخل العملية التعليمية بكافة عناصرها مما يكون له كبير الأثر في دعمها وتطويرها.

إن الرؤية المستقبلية لما يتوقعه التربويون من المجتمع السعودي هي أن يكون (مجتمع تَعَلَّم) توظف موارده المالية والفكرية على جميع المستويات الرسمية والشعبية معاً سواءً في داخل المدرسة أو خارجها لتنمية المواطن المتعلم الذي اكتسب القيم والعلوم والمعارف والمهارات والاتجاهات المطلوبة، وأصبح قادراً على المشاركة في بناء المجتمع بشكل فعّال.

وفي (مجتمع التعلم) الذي ننشده تركيز كبير على التعليم المستمر وأنشطة التعلّم على مدى حياة الفرد، وعدم تركيزها فقط على مراحل التعليم العام.

إن هناك حاجة ماسة للانتقال من مجتمع يركز على الحصول على شهادات وتكون قيمة الفرد فيه معتمدة على الدرجة التي حصل عليها أو الجامعة التي تخرج فيها إلى مجتمع يُقوّم فيه الفرد بناءً على ما لديه من قيم ومعارف وعلوم ومهارات واتجاهات بغض النظر عن المستوى التعليمي الذي وصل إليه أو الشهادة التي حصل عليها.

ولتحقيق التعليم الأمثل المؤسس على أفكار الرؤية المستقبلية «الآنفة»، القائمة على مفهومي «العمل التشاركي» و «مجتمع التعلم»، فإنه لا بد من تفعيل ما يأتي:

- التأكيد على حسن إعداد واختيار وتأهيل المعلمين.
- قيام القطاع الخاص ومؤسساته بتقديم الدعم المادي للعمليات التعليمية وتطويرها باعتبار ذلك من أهم جوانب العملية التشاركية بين التربية والمجتمع والذي يجب أن يكون وفق تنظيم واضح لا يقوم فقط على التبرع والهبات بل على فائدة الطرفين. وعلى القطاع الحكومي توفير الحوافز والتسهيلات للقطاع الخاص للقيام بهذا الدور.
- ضرورة أن يواكب تطوير التعليم تطوير مماثل في باقي منظومات الحياة في المجتمع

السعودي، وإلا فإن الجهود التي سوف يبذلها العاملون في مجال تطوير التعليم سوف تذهب سدى؛ فالفرد مهما نال حظاً متطوراً من التعليم يظل إعداده وتدريبه ناقصاً بدون تضافر جهود القطاعات الأخرى في توعيته وتنقيفه وحثه على العمل.

• اختيار فريق من التربويين ومن المجتمع لمراجعة هذه الرؤى والتوصيات وتكوينها بالصورة النهائية، تمهيداً لرفعها إلى الجهات العليا لإقرارها والتوجيه بوضع آلية مجدولة لتنفيذها وإعمالها.

صياغة مناهج التعليم بصورة تراعي:

- الاهتمام بالأفراد من حيث كونهم أفراداً وتعزيز الشخصية الإسلامية، وقبول الفروق الفردية بينهم سواء أكانت في التعليم أو القدرات العقلية والمستويات الاجتماعية والاقتصادية والتوزيع الجغرافي.

- جعل الطالب محور العملية التعليمية في بيئة صحية آمنة.

- الاهتمام بجوانب النمو (الجسمي، والعقلي والنفسي، والاجتماعي) للطلاب، وتعزيز السمات الإنسانية في شخصياتهم.

- تعزيز الترابط الأسري، والانتماء نحو المجتمع الأكبر، والشعور بالوطنية علي المستوى المحلي، والإسلام على المستوى الأوسع، وتدريب الطلاب علي سماع الرأي الآخر، والتعامل معه بهدوء وثقة.

- توعية الطالب والطالبة بأهمية العمل التطوعي وتدريبهما عليه، لما فيه من فوائد عظيمة تتمثل في القضاء على صور الفراغ المتعددة، واكتساب الصفات الشخصية الإيجابية، والتخلص من السلبية، وتعلم ضبط النفس، والقدرة على تحمل المسؤولية واتخاذ القرار، وتحقيق مفهوم الانتماء والمواطنة.

• إيجاد مجالس تربوية دائمة، تكرس الشراكة بين مؤسسات التربية (البيت، المدرسة، المسجد، الإعلام، الأندية،...)، وتراعى الانسجام وتعزز الفعالية بين تلك المؤسسات، مما يساعد على توحيد التوجهات التربوية، واقتراح الحلول التي تتناسب مع الظروف

البيئية والاجتماعية لكل مدينة أو حي، ويعيد للمدرسة دورها الريادي في النهوض بالمجتمع.

• الاستمرار بصورة دورية (كل سنتين مثلاً) في عقد حوار وطني تربوي على غرار ندوة (ماذا يريد المجتمع من التربويين؟ وماذا يريد التربويون من المجتمع؟) يتابع ما تم الاتفاق عليه من اقتراحات وتوصيات ويفعل تنفيذها، ويناقش الرؤى التربوية المستجدة في العالم.

ثم شكّل فريق عمل برئاسة معالي الدكتور محمود محمد سفر ليضع رؤية تشاركية لتطوير التعليم ومعه زملاء من الوزارة ومن خارجها تتبثق رؤيته مما دار في تلك الندوة وقدم الفريق تقريره الذي جاء نصه على النحو الآتي:

الرؤية العامة للتعليم،

بتضافر جهود المجتمع بكافة هيئاته وأفراده مع جهود وزارة التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية سوف تقدم الوزارة -بعون الله تعالى- تربية متطورة ذات كفاءة عالية منطلقة من قيم الإسلام وتعاليمه، ومن المعطيات الحضارية النافعة، تليبي احتياج الطلاب والطالبات، وتسهم في نموهم نمواً متكاملأً، وتزودهم بالقيم الإسلامية معرفة وممارسة، ومهارات التفكير، وتمكنهم من التفاعل الإيجابي مع كافة التغيرات التي تطرأ على المجتمع وتهيئهم للتعامل بكفاءة ومرونة مع التقنيات المتطورة، وتحقق للمجتمع تطلعاته في استثمار طاقات أبنائه في بناء مستقبل مشرق.

الأهداف العامة،

١. مشاركة المجتمع في رسم السياسات التربوية ومراقبة تنفيذها.
٢. تحسين البيئة المدرسية بكافة جوانبها.
٣. تطوير المنهج بما يتوافق مع القيم الإسلامية ويواكب التطورات التربوية المتسارعة بحيث يلبى احتياجات الطلاب والطالبات كافة ويساعدهم على استخدام مهارات التفكير وإعمال عقولهم فيما يتعلمونه ليتمكنهم من الاستيعاب والفهم والحوار والمناقشة.

٤. تنوع مصادر المعرفة باستخدام التقنيات الحديثة في التعلم كمصادر وأدوات للتعليم والتعلم بما يحقق للطالب والطالبة القدرة علي المنافسة محلياً ودولياً.
٥. تطوير كفايات المعلمين والمعلمات وتنمية دوافعهم، وحثهم على توسيع معارفهم وثقافتهم العامة.
٦. تحسين النظام المحاسبي وإشراك هيئات وأفراد من المجتمع في هذا النظام تطويراً وتنفيذاً.

آليات تحقيق الأهداف

الآلية التنفيذية	الأهداف العامة
١. إعادة تشكيل اللجنة العليا لسياسة التعليم بحيث تضم التربويين من المجتمع.	١. مشاركة المجتمع في رسم السياسات ومراقبة تنفيذها بحيث تضم فئات من المجتمع والتربويين.
٢. إعادة تشكيل اللجان العليا بوزارة التربية والتعليم.	
٣. تطوير وتفعيل مجالس التعليم بالمناطق التعليمية.	
٤. إنشاء مجالس تعليمية محلية على مستوى المحافظات تضم فئات من المجتمع.	
١. إعادة تشكيل مجالس إدارة المدرسة بحيث تضم أعضاء من المجتمع المحلي للمدرسة.	٢. تحسين البيئة المدرسية بكافة جوانبها.
٢. توفير المباني والتجهيزات المدرسية المناسبة.	
٣. الالتزام بالمعايير المثلي في كافة جوانب العملية التعليمية مثل (طالب / فصل - طالب / معلم).	
٤. توفير التجهيزات التقنية اللازمة للمدرسة.	

الأهداف العامة

آلية التنفيذ

- | | |
|---|--|
| <p>١. تحديد كفايات المتعلم المطلوب تحقيقها في المناهج.</p> <p>٢. تطوير طرائق التدريس للمعلمين والمعلمات لتحقيق أهداف المنهج.</p> <p>٣. بث مفاهيم الانتماء الوطني داخل المناهج.</p> <p>٤. تطوير نظم تأليف الكتب الدراسية ضمن المشروع الشامل لتطوير المناهج.</p> <p>٥. متابعة تقويم تطوير المناهج بحيث تساعد الطالب على اكتساب مهارات التفكير العلمي والمهارات الحيوية.</p> | <p>٣. تطوير المنهج بما يتوافق مع القيم الإسلامية وبيوأكب التطورات التربوية المتسارعة بحيث يلبي احتياجات الطلاب والطالبات كافة ويساعدهم على استخدام مهارات التفكير وإعمال عقولهم فيما يتعلمونه ليتمكنهم من الاستيعاب والفهم والحوار والمناقشة</p> |
| <p>١. التوسع في تدريب المعلمين والمعلمات على استخدامات تقنيات المعلومات والاتصال في المجالات التربوية المختلفة.</p> <p>٢. توفير أوعية المعلومات غير الورقية في مراكز مصادر التعليم.</p> <p>٣. تصميم مواقع تعليمية على الإنترنت لخدمة أغراض التعليم الإلكتروني.</p> <p>٤. تفعيل دمج تقنيات التعليم في المناهج الدراسية.</p> | <p>٤. تنويع مصادر المعرفة باستخدام التقنيات الحديثة في التعلم كمصادر وأدوات للتعليم والتعلم بما يحقق للطلاب والطالبات القدرة على المنافسة محلياً ودولياً.</p> |
| <p>١. تحديد الاحتياجات التدريبية للمعلمين والمعلمات وإعداد حقايب تدريبية.</p> <p>٢. تحديث مناهج إعداد المعلمين في الكليات والجامعات، لتتوافق وطرائق واستراتيجيات التدريس والتعليم الحديثة.</p> | <p>٥. تطوير كفايات المعلمين والمعلمات وتنمية دوافعهم، وحثهم على توسيع معارفهم وثقافتهم العامة.</p> |

الأهداف العامة

آلية التنفيذ

٣. تدريب المعلمين والمعلمات على تطبيق طرائق واستراتيجيات التدريس والتعليم الحديثة.
٤. تطوير أنظمة اختيار المعلمين والمعلمات ومعايير استمرارهم في العمل.
٥. وضع نظام يصنف المعلمين والمعلمات (رتب المعلمين) وفق معايير تحدد لهذا الخصوص وإدراج حوافز للمتميزين منهم.
٦. تطوير معايير تقويم الأداء للمعلمين والمعلمات.
٧. وضع معايير لتقويم ثقافة المعلم وسعة معارفه العامة.

١. استقلال الهيئات التي تتولى تقويم أداء المؤسسات التربوية إدارياً ومالياً عن وزارة التربية والتعليم، بحيث تكون مؤسسة عامة يتشارك القطاع الخاص في تمويلها وإدارتها ثم في متابعة تقاريرها.
٢. تحسين النظام المحاسبي وإشراك هيئات وأفراد من المجتمع في هذا النظام تطويراً وتفيداً.
٢. تحديث وتطوير نظام تقويم للمدرسة وإجراءاته وأدواته بما يتوافق مع تطور التعليم والنظم المحاسبية.
٣. بناء معايير لتقويم أداء البرامج التعليمية في الوزارة وإدارات التربية والتعليم.
٤. تعديل نظام التعليم بما يتفق ونظم المحاسبة.

متطلبات

إصدار القرارات من الجهات ذات العلاقة فيما يأتي:

١. وضع خطة وطنية للتعليم وتوفير المتطلبات البشرية والمالية والتنظيمية لها ووضع آلية للمتابعة والإشراف والتقويم لها واعتماد ذلك من مجلس الوزراء.

٢. وضع خطة تنفيذية تشارك فيها جميع القطاعات المعنية في المؤسسات الحكومية والأهلية ومؤسسات المجتمع التطوعية لتحقيق التطوير الشامل للتعليم.
٣. إنشاء مجلس أعلى للتعاون والتنسيق والتكامل بين القطاع الخاص ومؤسسات التعليم.
٤. تطوير البنية التنظيمية لوزارة التربية والتعليم بما يوفر لهيئات المجتمع الإسهام في رسم السياسات وصنع القرارات ومتابعة الأداء التعليمي.
٥. إسناد عمليات التقويم الخارجي للأداء التعليمي (الكفاءة الخارجية) إلى هيئات مشتركة بين القطاع الأهلي والقطاع الحكومي ونشر ذلك للمجتمع بشكل دوري.
٦. استحداث هيئات اجتماعية متخصصة (مؤسسات أو جمعيات) لشؤون التعليم تشارك أجهزة الوزارة في تقديم الجهد التعليمي مثال: إنشاء مجالس للآباء والمعلمين على مستوى الإدارات.
٧. إجراء البحوث المتعمقة من قبل المختصين لتفعيل وتطوير المشاركات المجتمعية في العمل التعليمي والتنظيمات والمتطلبات اللازمة لتحقيق هذه المشاركة.
٨. مساهمة الجامعات ومراكز البحوث في نقل خبراتها في معالجة قضايا ومشكلات التعليم والمجتمع.

تطوير الخطط والمناهج الدراسية

كنت قد أشرت في معرض الحديث عن خطط العمل إلى الدراسة التي نتجت عنها «وثيقة أولويات العمل في وزارة المعارف» وأن المناهج حظيت في تلك الدراسة بالمرتبة الأولى ضمن اهتمامات عينة الدراسة، وقد تم التطوير على مرحلتين:

المرحلة الأولى،

كان البدء في المرحلة الأولى هو: «تطوير خطة ومناهج الصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الابتدائية»، ولقد كان من الأهداف الفرعية لتطوير الخطط والمناهج التي حددها أفراد العينة التي تمّ استفتاءؤها هدف مهم حظي بالمرتبة الرابعة ضمن ترتيب الأهداف التفصيلية الخاصة بمجال وهو:

«دراسة مناهج الصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الابتدائية

والتأكد من ملاءمتها لإكساب التلاميذ المهارات الأساسية»

وهذا يعني أن على الوزارة مباشرة العمل لتحقيق هذا الهدف المهم، فكان أن عُقدت اجتماعات لتوخي أفضل السبل للعناية بهذه المرحلة المهمة من التعليم التي تتشكل فيها المهارات الأساسية لدى الطالب، والتي تكون مصدر قوة أو ضعف للطالب في القادم من حياته التعليمية العامة والعليا. وقد توصلت مع المختصين بالمنهج إلى اقتناع بأن مجرد التركيز على الكتب والمقررات الدراسية -التي هي في الغالب ما يعنيه الكثيرون عند مطالبتهم بتطوير المنهج- لا يمكن أن يحدث نقلة ذات شأن كبير في مسيرة التطوير، والمنهج كما هو معروف له حلقات مرتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً؛ فالسياسة والأهداف تؤطر المنهج، وتحدد المبادئ الأساسية له، والمحتوى الدراسي يحدد المعلومة، والمهارة والمعرفة، والفعاليات التدريسية تحدد مدى فاعلية أو عدم فاعلية اكتساب تلك المعلومات والمهارات والمعارف. وتأتي حلقة التقييم لتكون الأهم ضمن منظومة هذه الحلقات، فمن خلالها يتم الحكم على مدى تحقيق السياسات والأهداف، وبالتالي مدى مناسبة المحتوى، ومدى فاعلية الفعاليات التدريسية والمؤثرات المرتبطة بها. وتبعاً لذلك رثي أن يبدأ في تعديل مناهج الصفوف الأولى من المرحلة الابتدائية من خلال حلقة التقييم، وكانت لائحة

الاختبارات آنذاك محل نقاش في الوزارة، وبذلت فيها جهود كبيرة قبل مجيئي إلى الوزارة، إلا أنها لم تكتمل، ولم تصل إلى مرحلة الدفع بها إلى قنوات اتخاذ القرار، ووجدت مع زملائي أنه من المهم إعادة دراسة مقترح اللائحة من قبل مختصين في هذا الجانب وإنجازها مع إعطاء الصفوف الأولى تركيزاً خاصاً وإفرادها بأسلوب تقويمي خاص بها يؤدي إلى تغيير نمط الفعاليات التدريسية، ويحتم إجراء تعديلات محددة على المقررات. ولأن العمل اليومي، ودورة عجلة الإجراءات اليومية، لا تتيح المجال للتفكير المتأن في أمر بالغ الأهمية كهذا، فقد أوصيت بتشكيل فريق عمل من المشهود لهم بالخبرة والاختصاص في مجال المناهج وأساليب القياس والتقويم، ووفرت لهم مكاناً بعيداً عن ضجيج الوزارة، وحرصت على عدم مغادرتهم ذلك المكان إلا بعد إتمام جميع جوانب لائحة التقويم، أو ما كان يسمى بلائحة الاختبارات، ومن ضمنها تعديل النظر كلياً إلى الصفوف الأولية من المرحلة الابتدائية. وسيأتي الحديث لاحقاً عن اللائحة التي سميت بـ «لائحة تقويم الطالب» وما تضمنته من تشريعات تطويرية جديدة غير أنني سأخصص الحديث هنا لما يخص المرحلة الابتدائية الأولية.

يتعامل الكثير من المعلمين مع تلاميذ هذه المرحلة بالأسلوب نفسه الذي يتعاملون به مع طلاب المراحل العليا، مع أن الاختلاف في المرحلة العمرية يحتم تبني أساليب تعليمية وتقويمية مختلفة تماشى مع معطيات علم نفس النمو وتداعيات النمو الجسمي والنفسي والعقلي للتلميذ في هذه المرحلة. ولهذا تبنت لائحة تقويم الطالب أسلوباً مختلفاً في التقويم يبني على اكتساب المعلومة أو المهارة، ليكون تركيز المعلم منصباً على اكتساب التلميذ المهارة، ويتطلب أسلوب التقويم هذا تحليل المادة العلمية في المواد الدراسية المقررة إلى مهارات ومعارف وعلوم، وتحديد الحد الأدنى من هذه المهارات والمعارف والعلوم، الذي يتوجب على التلميذ اكتسابه ليكون مؤهلاً للانتقال من صف إلى صف أعلى في هذه المرحلة.

لقد غير هذا الأسلوب التقويمي النظرة السائدة لدى المعلمين ولدى الآباء والأمهات عن التعليم في المرحلة الأولية، فلم تعد الدرجة الرقمية مؤشراً ذا دلالة على مستوى التحصيل الدراسي للتلميذ، وتحول معيار الحكم على أداء التلميذ إلى المعيار المحكي

الذي يقيس مدى تقدم التلميذ قياساً بقدراته هو، وليس مقارنة بغيره من التلاميذ، وهو الأمر السائد في البلدان المتقدمة تعليمياً؛ ليس في المرحلة الأولية فحسب بل في جميع مراحل التعليم العام. وكان الهدف النهائي هو بلوغ ما بلغته دول العالم المتقدمة في هذا المجال، ولكن بصفة تدريجية تبدأ بالصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الأولية، وتنتقل بعد نضوج الممارسات إلى الصفوف الأعلى، عاماً بعد آخر.

وقد أحدث هذا التغيير ضجة في الأوساط التعليمية، وانقسم الناس حياله إلى فريقين ما بين مؤيد ومعارض، وكانت سمة عدم استيعاب مقتضى النظام الجديد هي المحفز لمقاومة هذا التطوير. إلا أن الوزارة استعدت لذلك بإعداد الأدوات وأدلة التطبيق، وعقدت اللقاءات ومجموعات العمل لإيضاح أساليب التطبيق، واعتبرت أن ما تنتجه من أدوات لتطبيق هذا النظام قابلة للتعديل في ضوء تجارب التطبيق الميدانية، ولم يمر زمن طويل حتى نضجت تلك الأدوات واستقرت وأصبحت أمراً مألوفاً في جميع مدارس البنين والبنات، وتعمقت تبعاً لذلك الثقافة التربوية لدى المعلمين والمعلمات، وأضحت المصطلحات التربوية المستخدمة أكثر ثراءً وعمقاً.

ومن أهم العقبات التي شكلت عبئاً على الوزارة إصرار بعضهم في الوسط التعليمي، وفي الوسط الإعلامي على أن النظام الجديد يؤدي إلى ضعف التلاميذ وانخفاض مستوى التحصيل الدراسي لديهم؛ بحجة أن الاستغناء عن الدرجة الرقمية هو إلغاء للاختبارات؛ مما يجعل النجاح تلقائياً. وهذا بالطبع فهم قاصر للنظام، فهو لدى الذين فهموه وهم الأكثرية أسلوب تقويمي أكثر صعوبة مما كان ممارساً في السابق، ويلقي بتبعات ومسؤوليات أكثر تحديداً على المعلم من حيث المتابعة الدقيقة والتدريس المتقن، وعلى الآباء والأمهات من حيث التواصل مع المعلم والمدرسة. فقد أصبح من واجبات المعلم -على سبيل المثال- الاستمرار في تدريس مهارات معينة لم يتقنها التلميذ إلى أن يتمكن من إتقانها، بصرف النظر عن موقعها في الكتاب المقرر، بينما كان المعلم في السابق ينهي كل وحدة دراسية ولا يعود إليها سواء أتقنها التلاميذ أم لم يتقنوها؛ لأنه مطالب بإنهاء المقرر الدراسي مع نهاية العام، وهو ما أكد للعاملين في الميدان التربوي أن النظام الجديد ليس نظاماً تقويمياً فحسب بل هو تطوير جذري للمنهج التعليمي بكامله في هذه المرحلة.

ولإدراك الوزارة أن مقاومة التغيير والتطوير أمر متوقع، فقد استمرت في ترسيخ فهم النظام الجديد بالتدريب، وبإنشاء وحدات متخصصة في الصفوف الأولية من المرحلة الابتدائية إلى درجة أنها أصبحت وكأنها مرحلة مستقلة بذاتها من شدة التركيز عليها، وهو الهدف الذي كان في الحسبان منذ البداية، لأنها مرحلة التأسيس التي يجب أن تتأسس فيها المهارات الأساسية في القراءة والكتابة والحساب بصفتها مواد دراسية تراكمية يؤدي الإخفاق في مستوى معين فيها إلى استمرار الإخفاق في المستويات الأعلى.

ولم تمض السنوات الأربع التي حددت ليتم بعدها مراجعة لائحة تقييم الطالب وإجراء ما اقتضته التجارب الميدانية من تعديلات إلا وقد تولد اقتناع شبه جماعي بضرورة تعميم الأسلوب المستخدم في الصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الابتدائية إلى الصفوف الرابع والخامس والسادس، وهو الأمر الذي حظي بالقبول من اللجنة العليا لسياسة التعليم، ومن ثم الموافقة السامية الكريمة كدليل على صحة التوجه، والأمل في المعلمين الأفاضل أن يعمقوا ممارساتهم وتجاربهم التربوية -ليحققوا بكفاءتهم وإخلاصهم- مزيداً من النجاحات في تغيير مفهوم التعليم، ونقله من الشكلية والنمطية إلى أن يكون تعليماً مؤثراً يتجسد أثره على الطالب في مستقبل حياته العلمية والعملية، وبهذا تكون قد تخلصنا من الأهداف الجزئية القريبة المدى والمتمثلة في النجاح، وتجنب الرسوب، والحصول على الدرجات إلى الأهداف الأهم البعيدة المدى التي يتحقق للطالب فيها القدرة الحقيقية فلا يترك التعليم العام إلا وهو قارىء متميز يجيد التحليل والاستنتاج، وكاتب متمكن لا يقع في الأغلاط الإملائية، قادر على التعبير عن نفسه بوضوح؛ يمتلك الأساس القوي في العلوم والرياضيات والمعرفة والثقافة ببقية المواد المهمة في المنهج، وعلى رأس ذلك الفهم الصحيح للإسلام وتعاليمه والتمسك القوي بالعقيدة السليمة من الشوائب.

المرحلة الثانية،

وكانت المرحلة الثانية هي تطوير الخطط الدراسية للمراحل التعليمية الأخرى وقد حرصت على أن يقوم تطوير الخطط الدراسية على مرتكزات أهمها التركيز على حاجات المتعلم وحاجات المجتمع ودمج التقنية بالتعليم واتباع أسلوب التكامل الأفقي في التعليم العام والتكامل الرأسي في التعليم الثانوي، وقد كان من أبرز سمات الخطة الدراسية

الجديدة التي اعتمدت بعد دراسة مستفيضة من قبل اللجان الفنية ومجلس التطوير التربوي ثم لجنة التربية برئاسة سمو ولي العهد الأمير سلطان بن عبد العزيز وتوجت بموافقة المقام السامي الكريم عام ١٤٢٥هـ ما يأتي:

١. اعتمادها على أسلوب التكامل المبني على القيم والمبادئ والاتجاهات الإيجابية والمهارات والحقائق التي يحتاجها المتعلم وتتناسب مع خصائص نموه وحاجات المجتمع، والتي تمثل سلوك المتعلم بوصف ذلك مُخرجاً من مخرجات التعليم.
٢. التمشي مع منهج الصحابة والسلف الصالح في العصور الأولى وعلماء التابعين والأئمة الأربعة وعلماء اللغة العربية -رحمهم الله- في التكامل في التعليم، ومع النظريات الحديثة في الرياضيات والعلوم.
٣. التركيز في مواد التربية الإسلامية واللغة العربية على الجوانب التطبيقية، التي لها صلة بحياة الطالب.
٤. تكامل القيم والمبادئ الإسلامية النبيلة وربطها في جميع المواد الدراسية مثل الدراسات الاجتماعية واللغة العربية والعلوم والنشاط... إلخ
٥. التقليل من عدد المواد الدراسية المنفصلة التي يشتكي منها الطلاب وأولياء أمورهم، بحيث يصبح التكامل بواقع لا يقل عن ٥٠٪ من المواد الدراسية، من خلال تكامل حقائقها ومهاراتها واتجاهاتها وقيمها التكامل الرأسي والأفقي. فعلى سبيل المثال: في الخطة السابقة كان عدد مواد الصف الأول الابتدائي (١٢) مادة دراسية فأصبحت الخطة الجديدة لا تزيد على (٧) مواد دراسية. وفي بقية صفوف المرحلة الابتدائية من (١٨) مادة دراسية إلى (٨) مواد دراسية مع عدم تأثر الوزن النسبي لكل مادة، بل إن بعضها زاد ولكن قلَّ عدد المواد المفصلة. وقد أُضيف عدد من المواد، مثل: الحاسب الآلي والتربية الاجتماعية والوطنية واللغة الإنجليزية والتربية المهنية.
٦. عدم إغفال أو حذف أي مادة من مواد التربية الإسلامية أو اللغة العربية بل التركيز عليها من خلال تكاملها وتوظيفها سلوكياً.

٧. توحيد الخطة الدراسية بين البنين والبنات.

٨. توظيف التقنية مع الطلاب بحيث لا يكون الكتاب هو المصدر الوحيد للتعليم.

كما تم تطوير مفهوم المنهج من المفهوم القديم أو الضيق كما يسميه المتخصصون في علم المناهج الذي يقتصر على الكتاب، إلى المفهوم الواسع الذي يشمل جميع ما تقدمه المدرسة للطلاب ليشمل: المنهج المكتوب، والمنهج الموصى بتعليمه، والمنهج المدعم، والمنهج المتعلم... إلخ، وهذا المفهوم أوجب القيام بالآتي:

١. إعداد وثائق وطنية للمنهج في جميع المجالات بنيت على أسس علمية وتم تحكيمها وعرضها على عدد من الخبراء اعتمدت على الخطة الدراسية الجديدة وأسسها التي بنيت عليها، ليتم بناء جميع عناصر المنهج على ذلك المنهج الوطني من كتاب دراسي ودليل للمعلم وتقنيات مصاحبة وكتب النشاط والكتب الإثرائية... إلخ

٢. دمج تقنيات التعليم بالعملية التربوية، وإحداث مراكز لمصادر التعلم التي انتشرت في العديد من المدارس في جميع المراحل، والغرض من هذا المشروع هو تطوير التعلم في المدارس بغية تفعيل الجوانب التقنية لدعم المنهج المدرسي وعمليات التعليم والتعلم. وكان لها أثر كبير على الطلاب والطالبات والمعلمين والمعلمات.

٣. مشروع إدخال الحاسب الآلي في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة من خلال التكامل مع المواد الأخرى وقد تم إعداد مواد تعليمية وأدلة دراسية للطلاب في جميع المراحل.

٤. إعداد نظام جديد للتعليم الثانوي تمت دراسته في مجلس التطوير التربوي ولجنة الخطط الدراسية في الوزارة، واعتمدت من لجنة التربية برئاسة سمو ولي العهد ووافق عليها المقام السامي الكريم عام ١٤٢٥هـ، وهذا المشروع يعتمد على نظام الوحدات المعتمدة، وبموجبه حُفِّض عدد المواد في كل فصل دراسي إلى أقل من الثلاثين وذلك وفق أسلوب التكامل الرأسي والأفقي ونظام الوحدات، وفتح مجال الاختيار للطلاب وتغيير نظام التقويم مع التركيز على المهارات والجوانب التطبيقية بالإضافة إلى الجوانب المعرفية والمهارات الحيوية والمهنية، وإحداث مرونة كبيرة في خطته، وقد أظهرت نجاحاً كبيراً في تجربتها في السنة الأولى لعام ١٤٢٥هـ للبنين والبنات في مختلف أنحاء المملكة.

لقد تحقق من خلال التطوير الذي تم إقراره للخطة الدراسية للتعليم الثانوي مزايا عدة أهمها:

- إتاحة الفرصة أمام الطلاب والطالبات ليختاروا المواد التي يريدون دراستها وفق تعليمات تراعي رغبتهم وقدراتهم، والإمكانات المتاحة.
 - تخفيف حالات الرسوب والإخفاق في الدراسة، وما يترتب عليهما من مشكلات نفسية واجتماعية، فالنظام الجديد يتيح الفرصة أمام الطالب الذي يرسب في مادة أو أكثر أن يختار غيرها أو أن يعيد دراستها في فصل لاحق أو سنة لاحقة، بدون أن يرسب أو يعيد سنة دراسية كاملة، وهذا غير متوفر في النظام المعمول به سابقاً.
 - الاهتمام بالجانب التطبيقي المهاري من خلال تقديم مقررات مهارية دراستها مطلوبة من قبل جميع الطلاب والطالبات.
 - الأخذ بمنحى التكامل الرأسي، من خلال تقديم مقررات يكافئ الواحد منها مقررين أو أكثر من المقررات التي يدرسها الطالب حالياً حسب النظام المعمول به سابقاً.
 - تنمية قدرة الطلاب والطالبات على اتخاذ القرارات المتعلقة بمستقبلهم، مما يعمق ثقتهم في أنفسهم، ويزيد إقبالهم على المدرسة والتعليم، ماداموا يدرسون بناءً على اختيارهم ووفق قدرتهم، وفي المدرسة التي يريدون.
 - تمكين الطالب والطالبة التخرج في سنتين ونصف مع صفين، وإنَّ الفصل الصيفي يعالج حالات التعثر في بعض المواد لدى بعض الطلاب أو الطالبات.
5. توفير حقائب تدريبية لجميع العاملين في حقل التعليم لتفعيل المنهج والخطة الدراسية الجديدة ابتداءً بالمؤلفين للمناهج ثم المشرفين التربويين والمديرين والمعلمين... إلخ
6. تطبيق رخصة المعلم المنبثقة من مشروع كفايات المعلمين، وقد أنجز هذا المشروع

الذي كان له دور في ترشيح المعلمين للعمل في مهنة التعليم في المدارس الحكومية والأهلية، وهو بمثابة آلية للتعرف على قدرات المعلمين المنتميين لوزارة التربية والتعليم، وتطوير أدائهم، واستكشاف جوانب القصور الموجودة لديهم والعمل على سدها.

٧. التقويم المستمر في الصفوف الأولية في التعليم العام والذي أثبت نجاحه ولذلك صدر قرار اللجنة العليا لسياسة التعليم بتعميمه على بقية الصفوف في المرحلة الابتدائية.

٨. تنقيح الكتب الدراسية من بعض التكرار الموجود في أكثر من مادة أو تناقض المعلومات أو وجود بعض المعلومات التي لا يحتاج إليها الطالب وقد لا تواجهه في حياته أو ليست من الأولويات التي لا بد له أن يعرفها.

٩. إضافة ما يرسخ مفاهيم التربية الوطنية في وثيقة المنهج وتضمينها الخطة الدراسية الجديدة.

١٠. التعاقد مع شركة عالمية متخصصة لتبني سلسلة عالمية في العلوم والرياضيات تم الاتفاق عليها مع الدول الأعضاء في مكتب التربية العربي لدول الخليج وهي هاركورت الأمريكية، وتشتمل على جميع عناصر المنهج والأدوات التقنية المصاحبة وأدلة للمعلمين وكتب إثرائية وموقع على الإنترنت... إلخ، وتقارب تكلفة المشروع ألف مليون ريال سعودي لمدة عشر سنوات.

١١. إعداد وثيقة لأسس التعليم العام ورياض الأطفال تمت دراستها من قبل عدد من اللجان، ومن مجلس التطوير التربوي في الوزارة واعتمدت من لجنة التربية برئاسة سمو ولي العهد عام ١٤٢٥هـ.

القواعد المنظمة لتقويم العام الدراسي

وجدتُ من الأجدى أن تصدر قواعد تحدد العام الدراسي: بدءاً وانتهاءً وإجازات، وما إلى ذلك، وأن تقر هذه القواعد من المقام السامي بحيث يسهل عنها الإعلان؛ لأن الذي كان يجري هو اقتراح مواعيد الدراسة لعام دراسي قادم بدءاً وانتهاءً مع نهاية العام الدراسي الذي يسبقه. وبعد دراسة مستفيضة جرى فيها تقصي العوامل التربوية والمناخية والاقتصادية وما هو معمول به في دول أخرى، أقرت اللجنة العليا لسياسة التعليم القواعد التي اقترحتها لمواعيد الدراسة في خمس سنوات قادمة، وافق مجلس الوزراء عليها بعد أن أجازها مجلس الشورى وهذه القواعد هي:

١. تقسيم السنة الدراسية إلى فصلين دراسيين، ويجوز فتح المجال للدراسة والتدريب في الصيف.
٢. مدة الدراسة لكل فصل دراسي لا تقل عن (١٥) أسبوعاً لا تشمل المدة المطلوبة للاختبارات (بعد نهاية دراسة الفصل الدراسي) ولا المدة المطلوبة للتسجيل والتهيئة (قبل بدء الدراسة).
٣. ١. مدة الاختبارات النهائية لكل فصل دراسي لا تزيد على أسبوعين. ب. يمكن تقديم موعد الاختبارات النهائية أسبوعاً واحداً أو جزءاً من الأسبوع عند الضرورة القصوى أو لحالات خاصة يقدرها الوزير المختص أو من في حكمه (رئيس الجهة التعليمية المعنية).
٤. إجازة ما بين الفصلين الدراسيين أسبوعان، وقد تختصر إلى أسبوع واحد عند الضرورة.
٥. يطبق على المدارس والمعاهد والجامعات وما في حكمها، في مواعيد إجازات عيدي الفطر، والأضحى، ما يطبق على موظفي الوزارات والمصالح الحكومية الأخرى.
٦. يسبق بدء الدراسة للفصل الدراسي الأول ثلاثة أسابيع لعودة المعلمين والتهيئة وإجراء الاختبارات للدور الثاني في مدارس التعليم العام وما في حكمها، والتسجيل والتهيئة للجامعات وما في حكمها.

٧. يكون بدء العام الدراسي في النصف الأول من برج السنبله، وتحديدأ في أول سبت من شهر سبتمبر. وتكون نهاية العام الدراسي بعد انتهاء اختبارات الفصل الدراسي الثاني) في أواخر برج الجوزاء بحيث لا تتعدى منتصف شهر يونية قدر الإمكان.

٨. أ. إذا وقعت إجازة ما بين الفصلين الدراسيين أو جزء منها خلال شهر رمضان المبارك من أي عام وكانت المدة المتبقية على بدء إجازة عيد الفطر المبارك أقل من أسبوعين فتمدد إجازة ما بين الفصلين لتتصل مع إجازة عيد الفطر المبارك، ومن ثم تبدأ الدراسة للفصل الثاني بعد إجازة عيد الفطر المبارك مباشرة.

ب. إذا صادف بدء العام الدراسي خلال شهر رمضان المبارك من أي عام، وكانت المدة المتبقية على بدء إجازة عيد الفطر المبارك أقل من أسبوعين فتمدد الإجازة الصيفية لتتصل بإجازة عيد الفطر المبارك، ومن ثم يبدأ العام الدراسي بعد إجازة عيد الفطر المبارك مباشرة.

ج. يطبق ما ورد في (أ-ب) على إجازة عيد الأضحى المبارك.

٩. تراعى الظروف والفصول المناخية في بدء الحصاص اليومية ونهايتها (فيما عدا مواعيد الاختبارات الموحدة) أما بدء الحصاص في أيام شهر رمضان المبارك فيتحدد بما ينسجم مع دوام موظفي الحكومة.

١٠. تخضع هذه القواعد خلال الأعوام الخمسة القادمة للمراجعة والتقويم من قبل الجهات المختصة.

وقد لاقى هذه القواعد استحساناً وقبولاً، وكانت محل ارتياح الناس جميعاً. وبعد خمس سنوات من تطبيقها جرت دراسة أثبتت صلاحيتها مع تعديل بسيط في بعض أجزائها.

التقويم الشامل لنظام التعليم

يقصد بالتقويم الشامل للتعليم: الوقوف على جميع مكونات التعليم، ومعرفة مدى تحقيق التعليم للغاية المبتغاة منه. وبما أن المؤسسة التربوية أكثر التصاقاً بالناس؛ إذ الحاجة لها مستمرة، والتوقعات تجاهها متباينة كانت عرضة للنقد بشكل أكبر من بقية مؤسسات المجتمع، فضلاً عن أن التعليم يشكلهما مجتمعياً؛ إذ لا يخلو بيت من معلم أو معلمة ومتعلم أو متعلمة.

كان التعليم ولا يزال -بحكم تخصصي- أمراً يشغل بالي ومحل اهتمامي؛ فأنا -في المقام الأول- معلم وأستاذ جامعي، ثم توالى علي المهام ذات العلاقة بالشأن التربوي وكنت من المسهمين بأرائهم عبر الكتابة في الصحافة المحلية، وعبر المحاضرات والندوات واللقاءات العلمية، وحينما كنت عضواً في مجلس الشورى تقدمت باقتراح رفع للمقام السامي أعرض فيه الحاجة إلى نظرة شاملة للتعليم تقف على حاله وتدرسه من جميع جوانبه يقوم بها فريق علمي أعضاؤه من ذوي تخصصات ومهن مختلفة، ومما جاء في الاقتراح:

لسنا بدعاً في النظرة الشاملة لواقع تعليمنا، فهناك العديد من الدول المتقدمة تقوم بين الحين والآخر بمراجعة شاملة لواقع التعليم فيها ومن أشهر الدراسات: التقرير الشهير عن واقع التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية المعروف باسم «أمة معرضة للخطر» وقام بالدراسة فريق من العلماء بتكليف من الحكومة المركزية، وترجمه مكتب التربية العربي لدول الخليج حينما كنت مديراً عاماً له إلى اللغة العربية، وبعد تأمل طويل في أحوال التعليم لدينا ازداد اقتناعي بأهمية مشروع يعني بتقويم التعليم وتطويره، لذا تقدمت بمقترحي لخادم الحرمين الشريفين حينما أصبحت وزيراً للمعارف، وقد استندت المذكورة المرفوعة للمقام السامي إلى عدد من المسلمات الأساسية التي أسفرت عنها بحوث ودراسات شتى وأبرز هذه المسلمات ما يأتي:

- التربية في معناها العام «مصطلح» يشير إلى العمليات التي تهيئ الأجيال الناشئة للإسهام في حركة المجتمع وتطويره من خلال تنمية الأفراد عقلياً ووجدانياً وسلوكياً.

وتضطلع بمهام هذه التنمية في أي مجتمع قوياً مُتعددة هي: الأسرة، والمدرسة، ووسائل الإعلام، والنظام العام في المجتمع في جوانبه الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية.

- وقد أدى تعقد المجتمعات وتطور المعارف الإنسانية في المجالات المختلفة إلى تخصيص مؤسسات معينة: وهي المدارس والجامعات وما إليها للنهوض بالعبء الأكبر من المطالب التي تفرضها تنمية البشر؛ فبرز مصطلح «التعليم» للإشارة إلى نظام فرعي من أنظمة المجتمع المتكامل مع الأنظمة الأخرى في المجتمع، للسعي إلى تأصيل ذاتية الأمة وتحقيق التنمية الشاملة فيها.
- وبرزت الحاجة إلى ضرورة تنسيق الجهود التي يضطلع بها نظام التعليم مع الأنشطة التي تهض بها الأنظمة الأخرى؛ لتتوحد حركة المجتمع في غاياتها وأهدافها ووسائلها؛ لضمان ألا يهدم نظام آخر في المجتمع ما بينيه نظام التعليم.
- الإنفاق على التعليم استثمار في تنمية الإنسان، وهو غاية التنمية ووسيلتها الفعالة. وقد دلت البحوث التي أجراها البنك الدولي حديثاً على أن عائد الاستثمار في التعليم أعلى من عائد الاستثمار في قطاعات أخرى. ولذا فإن نظام التعليم بحاجة دائمة إلى المراجعة والتقويم في ضوء التغيرات التي تحدث في بنية المجتمع، وفي ضوء التقدم المعرفي الحادث في الفكر الإنساني بعامه، وفي الفكر التربوي والممارسات التعليمية بخاصة.
- تواجه نظم التعليم -سواء في الدول المتقدمة أو في الدول النامية- حملات من النقد، بل النقد العنيف أحياناً، وتركز هذه الحملات في كمها وفي نوعها على أهمية التعليم في تنمية الأفراد والمجتمعات على حد سواء. وتمثل هذه الحملات في تأكيد ضعف الكفاية الداخلية للتعليم، وهي تعني انخفاض مستويات أداء المتعلمين في تحصيل المعارف، واكتساب المهارات والاتجاهات، وسمات الشخصية، وألوان التذوق المستهدفة من تعليم المواد والأنشطة التي تعلم في مؤسسات التعليم؛ وهي تعني تدني مستوى أداء الخريجين في ممارسة الأعمال التي يقومون بها -بعد تخرجهم- في قطاعات الإنتاج والإدارة والخدمات المختلفة. وتأسيساً على ذلك ظهرت موجات تدعو إلى تطوير

التعليم، وتعاليت -في البلاد المتقدمة والنامية- الصيحات التي تدعو إلى تقويم نظام التعليم تمهيداً لإصلاحه أو تطويره، أو إعادة بنائه من جديد.

• أكد عدد كبير من الدراسات والبحوث على أن التعليم في جوهره نظام ثقافي معقد، وأن السياسات التعليمية في إصلاح التعليم أو تطويره قليلة الجدوى، وأن التطوير الحقيقي للتعليم يتمثل في تعظيم عوائد الجهود التي يبذلها الطلاب والمعلمون والمديرون بوصفهم العاملين فعلاً في خطوط الإنتاج التعليمي، وأن الجهود التي تبذلها الأجهزة المركزية في الدولة والإدارات التعليمية في الأقاليم جهود تدعم التطوير، ولكنها ليست العوامل الحاكمة أو الحاسمة في إحداثه، وأن الحكمة تقتضي إحداث توازن بين المركزية واللامركزية في تطوير التعليم في: أهدافه وبنائه، ومناهجه، ومواده التعليمية، وأساليبه، وطرقه، وتقويم الطلاب في اتجاهاتهم نحو أنفسهم وثقافتهم ومجتمعهم، وفي كل ما يصدر عنهم من أعمال في مجالات مختلفة للحياة.

إن هذه المسلمات تمثل الإطار العام الذي أعدت هذه الخطة -خطة التقويم الشامل- في ضوءه.

نظام التعليم في المملكة العربية السعودية .. حقائق وملاحظات،

النظر إلى نظام التعليم في المملكة العربية السعودية في ضوء الإطار السابق يؤكد الآتي:

١. عناية الدولة بالتعليم، وتتمثل هذه العناية في الزيادة السنوية الكبيرة في الميزانية المخصصة للتعليم. وقد أدت هذه الزيادة إلى التوسع الكمي في عدد الطلاب والطالبات الذين تستوعبهم مؤسسات التعليم، سواء في ذلك التعليم العام، والتعليم الفني، والتعليم الجامعي، وابتعثت أعداد من طلاب الدراسات العليا لاستكمال تعليمهم في الخارج في كثير من المجالات.

٢. الجهود التي بذلها الرواد في مجال نشر التعليم، وهي جهود تذكر لكل من أسهم فيها وتشكر، ولا يعني السعي إلى تقويم مسيرة التعليم تمهيداً لتطويره التقليل من شأن العاملين فيه، بل يعني السعي لتكميل جهودهم وتعريضهم، والوقوف على منجزاتهم ومساعدتهم للتخلص مما قد يعوق استمرار نجاحهم.

٣. حرص الوزارة ووزارة التعليم العالي، والرئاسة العامة لتعليم البنات، والمؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني، والجامعات في المملكة على تطوير التعليم في أهدافه، وأساليبه؛ ويدخل في ذلك المحاولات الجادة في إعداد المعلمين، وتحسين أوضاعهم الوظيفية، وتطوير المناهج، والكتب، وطرق التعليم، ونظم الاختبارات، وتقديم خدمات شتى للطلاب.

ظواهر خلل:

وتبرز بجانب تلك الحقائق ظواهر خلل تحتاج إلى وقفة تأمل للفحص عن أسبابها، والكشف عن أنجع الوسائل لعلاجها، ومن أبرز هذه الظواهر ما يأتي:

١. عدم وفاء نظام التعليم بالمملكة بمتطلبات المجتمع السعودي من معظم الكفايات: المهنية، والعلمية، والثقافية، والفنية، في مجالات متعددة من مجالات التنمية الاقتصادية، والإدارية، والعلمية، والاجتماعية. ولعل من أقوى الشواهد على هذه الظاهرة التركيب الحالي للعمالة في أنواعها المختلفة، ومستوياتها المتعددة في معظم قطاعات الإنتاج بالمملكة وخصوصاً القطاع الأهلي، وهذا يؤكد ضعف التوجيه المهني، والقصور في اكتشاف المهارات لدى الطلاب في المراحل الدراسية السابقة للتعليم الجامعي، مع أن التوجيه المهني واكتشاف المهارات من أهم وظائف مراحل التعليم العام.

٢. ضعف أداء خريجي التعليم العام والتعليم الجامعي. وتبدو هذه الظاهرة -أكثر ما تبدو- في نتائج الاختبارات، وفي التقارير الخاصة بالأداء الوظيفي في أجهزة الدولة؛ تلك التقارير التي تكشف مستوى أداء هؤلاء الخريجين، وهو ما يؤكد الضعف المتراكم للإعداد منذ المراحل الأولى للتعليم.

٣. عزوف كثيرين من خريجي الجامعات والمعاهد المتخصصة عن العمل في المجالات التي تخصصوا فيها، والحرص الدائم على الأعمال الإدارية والمكتبية البعيدة عن التخصص الذي درسه؛ وهذا دليل على أن التحاق معظم الطلاب في الكثير من التخصصات لم يكن مبنياً على ملاءمة التخصص لقدرات الطالب وميوله المكتشفة في المراحل الأولى من التعليم، وفي أحيان أخرى بسبب جبههم للدعة والراحة.

٤. قصر العام الدراسي مقارناً بمدته في دول متقدمة ونامية على حدّ سواء؛ فقد تبين أن المدة الزمنية التي يقضيها الطلاب في الدراسة طوال العام لا تتجاوز (١٤٠) يوماً بينما يمتد العام الدراسي في اليابان -مثلاً- إلى (٢٤٣) يوماً، وهذه المدة الدراسية في المملكة هي أقصر المدد الدراسية في كل ما وقف عليه المتبعون للنظم المدرسية في كل دول العالم. ثم إن عدد ساعات الدراسة اليومية في المملكة، التي تتراوح بين ٥-٦ ساعات في اليوم، هي الأخرى من أقل عدد الساعات الدراسية اليومية في العالم.
٥. نسبة الرسوب والتسرب بين طلاب التعليم العام في المملكة عالية؛ فمعدل ما يقضيه الطالب -وكذلك الطالبة- في المرحلة الابتدائية هو أكثر من ثمان سنوات، وفي المرحلة المتوسطة والمرحلة الثانوية هو أكثر من أربع سنوات ونصف لكل مرحلة، وهذا ما كشفته دراسات عديدة أجراها مكتب التربية العربي لدول الخليج، وبعض الباحثين في هذا المجال في الجامعات السعودية ووزارة المعارف.
٦. ضعف عام في الأساسيات من المعارف وخصوصاً اللغة العربية، التي تبين من خلال الملاحظة تدني مستوى خريجي المرحلة الثانوية فيها، تضاف إلى ذلك مؤشرات ضعف أخرى منها: عدم تساوي ما يبذل من جهد ومال في تعليم اللغة الإنجليزية مع حصيلة الطلاب فيها، وذلك مما جعل جامعة الملك فهد للبترول والمعادن تخصص عاماً دراسياً كاملاً للتهيئة تركّز في معظمها على تعليم اللغة الإنجليزية، وتفتعل هذا جامعات سعودية أخرى.
٧. نسبة المباني الحكومية للمدارس إلى المباني المستأجرة لا تصل إلى ٥٠٪ حسب إحصاءات العام الدراسي ١٤١٣-١٤١٤هـ، مع أنه من المعروف تربوياً أن البيئة المدرسية المهيأة تهيئة جيدة عامل مهم في جذب الطلاب وتمكينهم من الدراسة في جو مريح يساعد على التحصيل.
٨. ضعف روح المواطنة عند غالبية الطلاب، وقلة المؤشرات التي تدل على شعور قوي بالانتماء إلى الوطن كياناً شاملاً، والاعتزاز بقيم المجتمع، وتمثل ذلك الشعور عملاً وعطاءً يفيد الفرد منه نفسه وأهله والمجتمع قاطبة.

٩. انتشار ظاهرة التعليم الأهلي مما يوحي بعدم اطمئنان كثير من أولياء أمور الطلاب إلى مستوى التعليم الحكومي.

محاولات العلاج:

لقد درجت الجهات المعنية بالتعليم في المملكة على علاج مشكلاته بصورة جزئية؛ فكلما أُلحِت مشكلة من مشكلات نظام التعليم سمعت الجهة المعنية إلى علاجها بصورة منعزلة عن بقية المشكلات؛ فتحن تارة تطور المناهج، وتارة تعمل على تطوير تدريب المعلمين، وحيناً تغير الكتب المقررة ونجددها، وحيناً آخر نسعى إلى تحسين الوضع الوظيفي للمعلم، وهكذا... دون أن تكون هناك محاولة للعلاج الشامل لما يعانيه النظام التعليمي من عيوب، وما يسبب -بالتالي- في البنية الاجتماعية، وفي هيكل القوى البشرية من خلل أو قصور.

وقد يكون ذلك الاتجاه إلى علاج المشكلات بصورة مجزأة أمراً مفهوماً في غياب نظرة تقويمية شاملة إلى النظام التعليمي من حيث هو نظام متكامل مترابط الأجزاء، ولكن تجارب البلدان التي سبقتنا في هذا المجال تدلنا على أن التطوير الجزئي مضیعة للوقت، وإهدار للمال، وأن السبيل الآمنة لتطوير التعليم تتمثل في النظر إلى نظام التعليم بوصفه نظاماً متكامل مكوناته، ويؤثر بعضها في بعض بصورة تجعل الانصراف إلى تطوير مكون واحد في ذاته، دون النظر إلى المكونات الأخرى، عملاً قليل الجدوى.

ولعل قعود بعض الدول عن تطوير نظام التعليم فيها بصورة شاملة راجع إلى ضعف القدرة الاقتصادية في بعضها، وإلى مقتضيات النظام السياسي والاجتماعي، أو إلى ندرة الكفايات المؤهلة لإنجاز متطلبات التطوير في بعضها الآخر.. وقد توجد هذه المعوقات جميعها في دول أخرى.

ونحمد الله -جلت قدرته- على أن هذه المعوقات غير قائمة في المملكة العربية السعودية؛ فالإنفاق على التعليم يزداد بصورة فريدة بين كل دول العالم، والنظام الإسلامي الاجتماعي يدعو إلى نشر التعليم، وتراثنا الإسلامي يحض على تجديد التعليم وترشيدته، والكفايات المؤهلة للنظر في تشخيص أدواء نظام التعليم وتطويره متاحة في المملكة وفي الدول العربية، وسياسة المملكة قائمة على أن الإنسان هو هدف التنمية ووسيلتها في أن واحد.

لذا فإننا نعتقد أن الوقت قد حان للقيام بدراسة تقييمية شاملة لنظام التعليم ما قبل الجامعي - بوصفه مصدر المُدخلات في التعليم الجامعي - دراسة تستقصي نواحي القصور لتقترح وسائل التغلب عليها، حتى يحقق التعليم الأهداف المرجوة منه لخير المجتمع وخير المواطنين.

أهمية الدراسة الشاملة لنظام التعليم:

لعله قد استبان - مما تقدم - أن الدراسة الشاملة لنظام التعليم تهدف إلى تقييم خصائصه، وتبحث عن أوجه القوة فيه، وتتقصى نواحي الضعف، وتحاول وصف أنجح سبل العلاج لها. ولمثل هذه الطريقة أهميتها البالغة في تعرفنا على حقائق النظام التعليمي، وأبرز خصائصه، واحتمالات تطويره، وإمكانات تحديته.

وفي هذه الدراسة عون كبير لمتخذي القرار في مجال التعليم؛ فإنها تضع تحت أيديهم البدائل للوضع القائم، مؤيدة بالنتائج الفعلية التي يحققها النظام الحالي في كل مكوناته، وتشير إلى ما يتوقع من نتائج إذا تمت المواءمة بين مطالب التنمية الاجتماعية والاقتصادية مع ما تتطلبه عمليات وتنظيمات في الجوانب المختلفة لنظام التعليم أو جزء منه.

وتلك الدراسة الشاملة يتوقع منها أن تؤدي - بمجرد القيام بها - إلى تحسين العملية التعليمية بما يستخدم فيها من أدوات، وبمن يشارك فيها من القائمين بالفعل على العملية التعليمية في المراحل المختلفة، سواء أكانت هذه المشاركة في مراحل التفكير والتخطيط والإعداد، أم في مراحل التنفيذ للمسح والاستقصاء، أم في مراحل وصف العلاج لأوجه القصور أو تحديد مواطن القوة في النظام التعليمي القائم.

والدراسة الشاملة لنظام التعليم ما قبل الجامعي، في المرحلة الحالية من التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي تشهده المملكة، تؤدي إذا أحسنت الإفادة منها، واتخذت لها الوسائل المناسبة إلى حسن ربط التعليم: نظاماً ومؤسسات، بحاجات المجتمع ومقتضيات تطوره.

وأخيراً، فإن التطوير المستمر للعملية التربوية التعليمية يعتمد أساساً على وجود مثل هذه الدراسة التقييمية الشاملة التي تعد نقطة بدء لا غنى عنها لأي محاولة جادة للتطوير أو التحديث.

طبيعة الدراسة :

إن دراسة من هذا النوع، جديرة بأن تتجاوز التقسيمات التقليدية المصطلح عليها في تصنيف البحوث التربوية؛ لذلك فإنها يحسن أن توجه بحيث تكون: دراسة تاريخية، وصفية، تشخيصية، تقويمية، تطويرية في آن واحد، وأن تتمثل حصيلتها النهائية في المعاونة على وضع خطة متكاملة للتطوير الشامل للتعليم ما قبل الجامعي في المملكة بكل مكوناته، وفي كل مراحل وأنواعه.

وللوصول إلى هذا فإن الدراسة يجب أن تتكامل في منهجها وأدواتها، سواء في ذلك المداخل الدينية، والنفسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتعليمية، والإحصائية، والتحليلية، ودراسة الحالات، وغير ذلك من المداخل التي يكشف عنها التعمق المستمر في منهج البحث ووسائله وفي البدائل المتاحة.

فريق الدراسة :

إن تطوير التعليم وزيادة فعاليته في المملكة العربية السعودية يحتاج إلى جهد كبير، وتخطيط مفصّل، ومتابعة دائمة؛ لذا فإنه من المستحسن أن يسند إلى مؤسسة مثل مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بحكم تخصصها في مجال البحوث، ولها سابق خبرة في مثل هذا الأمر. ومن أجل تناول هذا التقويم بطريقة علمية دقيقة لا بد للمدينة أن تستعين بفريق من الباحثين من أساتذة الجامعات وغيرهم، إضافة لمساعدة وزارة المعارف والجهات التعليمية الأخرى، ويكون من مهمات هذا الفريق تقويم الأوضاع الراهنة لواقع التعليم ما قبل الجامعي ومؤسساته، وذلك رغبة في تعزيز مؤشرات الجودة، والتخلص من مؤشرات الضعف فيه، والاسترشاد في كل ذلك بأفضل تجارب الأمم الأخرى، بما يتناسب وقيم المجتمع العربي السعودي المسلم، مع مراعاة الإمكانيات المتاحة والإمكانات الكامنة التي يمكن بعثها وتوظيفها.

مجالات عمل الفريق،

ولكي يحقق الفريق الهدف الذي من أجله أنشئ فإنه يتناول بالدرس والتمحيص أبعاداً من أهمها:

١. النظر في سياسة التعليم وغاياته وأهدافه، ومدى مواكبتها لمطالب تأصيل الذاتية

1. العربية الإسلامية، وتحقيق التنمية الشاملة في آن واحد، ومدى تحقيق السياسة القائمة للتعليم في الممارسة وعلى الواقع.
2. مدى ارتباط التعليم باحتياجات المواطنين، واحتياجات المجتمع بعامه، كما تتمثل في توجيهات التنمية الشاملة في المملكة.
3. السلم التعليمي، ومدى الانسجام بين مراحل المختلفة، وأنواعه المتعددة، وتحديد مواقع الفائض ومواقع الإهدار، ومواطن الاختناقات، ومدى المرونة في الانتقال من نوع إلى آخر من أنواع التعليم ما قبل الجامعي.
4. المناهج ومدى ملاءمتها لتأصيل ذاتية الأمة، وتحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي، ومدى فاعلية النماذج المستخدمة في تطوير المناهج.
5. العام الدراسي ومدته ووفاءه بمتطلبات الدراسة، واليوم الدراسي، ومدى ملاءمة مدته للطلاب وللاستيعاب المناهج والموازنة بين اليوم الدراسي الكامل واليوم الدراسي المحدود.
6. تقدير مدى كفاية المعلم العلمية المعرفية (= الأكاديمية) والمهنية ودرجة إقباله على مهنته، وما ينبغي أن يتخذ لتطوير كفاياته، سواء في برامج التدريب في أثناء الخدمة أم في معاهد وكليات التربية وإعداد المعلمين.
7. طرق أساليب التعليم ومدى فاعليتها في تخريج الشخصية السعودية المعاصرة التي تحتفظ بأصالتها وتواكب التطور.
8. أساليب التقويم - الاختبارات - ومدى دلالتها ومدى ارتباطها بالأهداف الموضوعية للتعليم، وكيف يمكن تطويرها بحيث تتلاءم والغاية والأهداف المنشودة من التعليم.
9. الإدارة المدرسية: واقعها، واحتياجاتها، ووسائل وطرق تنمية العاملين فيها على المستويين المركزي والمدرسي.
10. الهياكل التنظيمية لأجهزة التعليم مركزية كانت أو محلية، ومدى ما بينها من

انسجام، ودرجة فاعليتها في المجتمع المحلي، وفي تحقيق غاية التعليم وأهدافه مع دراسة وافية عن نمط الإدارة التربوية واقتراح سبل تطويرها.

١١. المباني المدرسية والتجهيزات والمختبرات وكيفية استخدامها لمصلحة العملية التعليمية.

١٢. إيجاد عدد من الوسائل والطرق لقياس تحصيل الطلاب العلمي ونموهم الاجتماعي في أنواع التعليم السابق على الجامعي ومراحله المختلفة.

١٣. الوسائل الكفيلة بدعم البحوث التربوية وتطويرها من حيث نوعيتها وكميتها، وجعلها ذات فائدة مباشرة لمتخذي القرار التعليمي بخاصة وللمجتمع المهني بوجه أخص.

١٤. اقتراح أمثل السبل المؤدية إلى القضاء على الأمية مع تحديد الحجم الحقيقي لنتائج الجهود التي بذلت في هذا المجال، وما يمكن القيام به فيه.

١٥. التعليم الفني ومدى ملاءمة برامجه وعملياته لمجالات عمل الخريجين، والأسس التي يجب أن يبنى عليها التوسع فيه، وتحديث شعبه وعلاقته بالتعليم العام.

١٦. دراسة الجدوى التعليمية والاجتماعية والاقتصادية لبعض جوانب التطوير التي حدثت في التعليم السابق على الجامعي، ويشمل ذلك النظام الدراسي للتعليم الثانوي وتفرّع التخصصات والأطوار التي مر بها ذلك النظام.

١٧. ظاهرة انتشار التعليم الأهلي، ومدى تحقق الأهداف والوسائل التربوية في هذا النوع من التعليم، مع فحص دقيق للممارسات وطرائق التعليم والاختبارات فيه، وأثر هذا التعليم على مسيرة التعليم العام بوجه عام، ومدى التزام المدارس الأهلية بتوظيف المؤهلين من المعلمين السعوديين وغيرهم، وتحديد الفوارق بين المدارس الحكومية والمدارس الأهلية، والمزايا لكل منهما.

١٨. العلاقة المطورة والمتابعة بين مراحل التعليم التي منها الجامعي، ومدى ارتباط كل منها بالآخر.

أمثلة لأنشطة الفريق،

١. الدراسات التحليلية للوثائق والسياسات والتقارير والبحوث والإحصاءات ذات العلاقة.
٢. الدراسات المقارنة مع دول عربية وأجنبية.
٣. إجراء البحوث الميدانية المتكاملة على عينات مماثلة لكل من الطلاب والمعلمين والمشرفين والمدرسين في مختلف مراحل التعليم السابق على الجامعي وأنواعه المختلفة.
٤. تحليل متعمق لنتائج الاختبارات العامة، ورصد الاتجاهات الماثلة في أسئلة الاختبارات، والأنماط السائدة في النتائج.
٥. استطلاع آراء ذوي العلاقة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية في كافة القطاعات ومرافق الخدمات.
٦. عقد ندوات عامة، ونوعية، وتحليل مضامين الأوصاف والاقتراحات والاتجاهات التي تصدر عن الفئات المعنية المختلفة.
٧. وضع نماذج تطبيقية يسترشد بها في تطوير وضع المناهج، وفي إعداد المعلمين والموجهين والمديرين، وإعداد المواد التعليمية (الكتب المقررة).
٨. إشراك المشرفين التربويين ومديري المدارس والمعلمين في كل مراحل التعليم العام في الدراسة والتحليل، واستنباط الحلول لكل المشكلات التي تعترض مسيرة التعليم.

آلية التنفيذ،

حين يتم إقرار هذه الخطة التقويمية للتعليم فإن مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية سوف تقرر آلية التنفيذ التفصيلية بالاتفاق مع فريق العمل الذي يسند إليه العمل، كما سيتم تحديد الأولويات والجدول الزمني لإنجاز المشروع.

النتائج المتوقعة وفق ما وضع لهذه الدراسة من أهداف:

إن الآفاق التي تشملها الدراسة تتسع لتضم وجهي النظام التعليمي بصفته نظاماً مؤثراً في البنية الاجتماعية وهيكل القوى البشرية، ومتأثراً بمتطلبات التنمية الاجتماعية، وذلك بأوسع ما لهذا المصطلح من دلالات ومؤشرات وتطبيقات.

لذلك فإنه -طبقاً للأهداف المحددة لهذه الدراسة الشاملة- من المنتظر أن تكون النتائج إذا يسر الله-شاملة شمول آفاقها، متعددة تعدد الجوانب التي تؤثر في النظام التعليمي، والجوانب التي يؤثر فيها النظام التعليمي في مجتمعنا السعودي.

ونتوقع أن تؤدي هذه الدراسة -بإذن الله- إلى تغيير في بنية النظام التعليمي وأطره، وتجعله أكثر حيوية (ديناميكية)، وأقدر على التطور، وأكثر تميزاً بالمرونة المناسبة لمقتضيات التغييرات الاجتماعية المتلاحقة بسرعة لم يعدها الناس من قبل. وفي ذلك ما ليس يخفى من عون لمخططي التنمية، وللمواطن الذي تخدمه تلك الخطط، وللوطن الذي تنفذ فيه، ثم إن تطوير نظام التعليم في ذاته سوف يمكننا -فيما نرجو بإذن الله- من تخريج أجيال ذات مستوى جيد من الإدراك والقدرة على المشاركة الفعالة في بناء النهضة التي نحن في سبيل استكمال أسبابها في خططنا التنموية الحالية والمستقبلية. هذا إلى جانب تفاعل مؤسسات التعليم مع المؤسسات الأخرى في المجتمع، من خلال سعيها إلى ملاحقة المتطلبات الاجتماعية لتطوير أدائها بما يكفل الوفاء بها. وإذا أنجزت هذه الدراسة يستحسن أن تحال إلى مجلس الشورى لتمحيصها، وتبويب توصياتها مع تحديد أولويات العمل، تمهيداً للرفع إلى المقام السامي الكريم للتوجيه بما يراه بشأنها.

والجدير بالذكر أننا مستمرين في مسيرتنا، ولسنا متوقفين بانتظار ظهور نتائج التقويم، بل نسدّد ونقارب، حتى إذا ظهرت النتائج عدّلنا من المسيرة حسبما يظهر لنا، وفق ما تقتضيه المصلحة.

على إثر ذلك عقدت اللجنة العليا لسياسة التعليم اجتماعها الأول يوم الأحد ١٤١٦/٤/٢٩هـ بقصر صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز بمدينة جدة

وبرئاسته، ناقشت خلاله موضوع التقويم الشامل للتعليم، واتخذت حيال ذلك توصياتها الآتية:

١. أهمية القيام بعمل تقويم شامل للتعليم في المملكة العربية السعودية، وضرورة الإسراع في بدء الدراسة، وأن تكون الدراسة شاملة للتعليم العام، والعالي، والفني، والمهني (بنين وبنات) متناولة كل الجوانب العملية، والتعليمية، والتربوية وعناصرها (البرامج، المناهج، الإدارة التربوية، المباني، المختبرات، الكتب المقررة، سلم التعليم ومراحله، العام الدراسي، اليوم الدراسي، القدرات الاستيعابية، التسرب، والرسوب، المدرسين وإعدادهم، الاختبارات، علاقة المناهج بحاجة الطلاب، علاقة البرامج بخطط التنمية، ومتطلبات العصر) على أن تبرز الدراسة نقاط الجودة، والطريقة المثلى لتعزيزها ونقاط الضعف، وطرق الخلاص منها.
٢. يشكل فريق عمل متفرغ لهذه المهمة يرتبط باللجنة العليا لسياسة التعليم، تختار اللجنة أعضائه من مختلف التخصصات ذات العلاقة، ومن مختلف الجهات التعليمية، مع الاستعانة ببعض الكفاءات، من مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، والقطاعات العسكرية، ومجلس الشورى، كلما كان ذلك ممكناً ومن ترى اللجنة العليا مناسبة الاستعانة بهم من بقية القطاعات، والمؤسسات، ومراكز البحوث.
٣. يتولى هذا الفريق القيام بالدراسة المشار إليها، وتختار اللجنة العليا لسياسة التعليم بناء على اقتراح نائب رئيس اللجنة رئيساً ونائباً له.
٤. يشكل فريق عمل رديف من الرئاسة العامة لتعليم البنات، والأقسام النسوية في الجامعات، من المؤهلات السعوديات، ترأسه إحدى المتخصصات، وتكون حلقة وصل بين الفريق الأساسي وهذا الفريق عبر رئيس فريق العمل.
٥. يقوم كل من:

وزير المعارف (التربية والتعليم) نائب رئيس اللجنة العليا لسياسة التعليم

ووزير التعليم العالي

وزير العمل والشؤون الاجتماعية

والرئيس العام لتعليم البنات

بالاجتماع مع اللجنة التحضيرية للجنة العليا لسياسة التعليم لدراسة المشروع بشمولية وعمق، من جميع جوانبه وأبعاده، بما في ذلك برنامج العمل المقترح وخطته، والجهات التي ترشح للمشاركة فيه، واختيار المشاركين، وتحديد المدة التقريبية لإنجاز الدراسة، مع الأخذ في الحسبان أهمية عامل الوقت.

٦. يرصد لهذا العمل اعتماد مالي، في حدود خمسين مليون ريال سعودي، يودع في أحد البنوك الوطنية، ويصرف منه وفق أسس وتعليمات تقترحها اللجنة العليا لسياسة التعليم ويوافق عليها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رئيس اللجنة العليا لسياسة التعليم.

٧. يقدم رئيس الفريق كل شهرين تقريراً إلى اللجنة العليا لسياسة التعليم، يتضمن ما تم إنجازه وما قد يعترض سير العمل من معوقات، لغرض المتابعة والاطمئنان على سير العمل بإيجابية وفاعلية.

٨. يُتعرّف على ما لدى الجهات التعليمية المختصة، من رؤية، وخبرات ودراسات، وتقارير وتجارب لغرض إغناء عمل الفريق، وتكامل الدراسة.

٩. لا يشارك فيه من له علاقة بالتنفيذ إلا بقدر تزويد فريق البحث بمعلومات تعينه على تحقيق الغرض، لدقة التقويم، وواقعيته، وحياديته.

١٠. لفريق العمل أن يعقد ندوات، واجتماعات مع المسؤولين عن التعليم في أي منطقة تعليمية يراها، وأن يقوم بجولات استطلاعية على المؤسسات التعليمية في أنحاء المملكة.

١١. للفريق أن يستعين بالخبرات في مجال التربية، وعلم النفس، والقياس والتقويم من خارج المملكة، بعد أخذ موافقة وزير المعارف.

١٢. يرفع ما تتوصل إليه اللجنة الوزارية من نتائج دراستها للموضوع مع اللجنة التحضيرية، إلى اللجنة العليا لسياسة التعليم لدراسته، واتخاذ الإجراء المناسب بشأنه.

١٣. رفع ما تضمنه هذا القرار لمقام خادم الحرمين الشريفين رئيس اللجنة العليا لسياسة التعليم لتلقي توجيهاته الكريمة.

بعد ذلك صدرت بقرية رئيس مجلس الوزراء المتضمنة اطلاع المقام الكريم على كامل الأوراق المتعلقة بدراسة ضعف المستوى التعليمي والتربوي في المملكة، ومشروع خطة تقويم التعليم العام، وتنظيم إعداد المعلمين، ومراجعة المناهج الجامعية وتطويرها. وأطلع مجلس الوزراء على ذلك في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٤/٣/١٤١٧هـ برئاسة صاحب السمو الملكي، ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورأى ما يلي:

١. الموافقة على دراسة واقع التعليم ومستقبله في المملكة حسبما ورد في محضر اللجنة العليا لسياسة التعليم ووفق خطة شاملة، ومنهج علمي، انطلاقاً من التزام المملكة الثابت بتوفير التعليم العام، وتمشياً مع توجيهات المقام الكريم بجعل التعليم في قمة سلم أولويات الإنفاق العام.

٢. يتولى القيام بهذه الدراسات كفاءات علمية سعودية ما أمكن.

٣. قبل الشروع في تنفيذ تفاصيل خطة التقويم، يتعين أن يقوم فريق العمل الذي سيتولى الدراسة بمراجعة المهام المطلوب أن تتطرق لها خطة التقويم الشامل للتعليم، والجدول الزمني، لإنجاز كل جانب من جوانب هذه الخطة، والتكاليف المطلوبة لتنفيذ كل مهمة، ويحال ذلك للجنة الوزارية المشار إليها على أن ينضم إليها معالي وزير المالية والاقتصاد الوطني.

٤. يراعى عند الدراسة ما أشار إليه صاحب السمو الملكي وزير الداخلية، من وجوب شمول النظر جميع تخصصات التعليم ومراحله، وأنواعه، بما في ذلك برامج التعليم العسكري، لا سيما البرامج المرتبطة بوزارة الداخلية.

٥. يتعين الاستفادة من البحوث والدراسات التي قامت بها عدة جهات في هذا المجال

ويطلب من الجهات المعنية ومراكز البحوث في الجامعات، ومدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية المشاركة في إنجاز هذه الخطة والقيام بجمع المعلومات ذات الصلة بها.

٦. أفادت الأمانة العامة لمجلس الوزراء بأن مجلس الوزراء قد رأى ضم موضوعي تنظيم إعداد المعلمين والتقارير المعد عن ضعف المستوى التعليمي، والتربوي في المملكة، إلى مشروع خطة تقييم التعليم في المملكة واعتبارها أحد موادها وانتهت البرقية برغبة المقام السامي الكريم إكمال اللازم بموجبه.

ثم عقدت اللجنة العليا لسياسة التعليم اجتماعاً صباح يوم الأحد ١٤١٧/٦/١هـ في مكتب وزير المعارف شارك في هذا الاجتماع أعضاء اللجنة التحضيرية، استعرضت فيه الأسماء المقترحة لفريق العمل، والمقدمة من كل من:

وزير المعارف (التربية والتعليم) نائب رئيس اللجنة العليا لسياسة التعليم

وزير التعليم العالي

وزير الحج

وزير العمل والشؤون الاجتماعية

وزير الإعلام

الرئيس العام لتعليم البنات

واتخذت حيال ذلك التوصيات الآتية:

• فيما يتعلق بآلية التنفيذ فيكون على النحو الآتي،

١. ترشيح فريق العمل الذي سيتولى الدراسة من الكفايات الوطنية ذات التخصصات المختلفة، ويتم الترشيح من قبل نائب رئيس اللجنة العليا لسياسة التعليم، بعد تلقيه ترشيحات الجهات التعليمية المختلفة، ومن خلال الاستعانة بمراكز البحث، ومن ضمنها مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية.

٢. تجتمع اللجنة العليا لسياسة التعليم لتسمية رئيس الفريق ونائبه وأعضائه استناداً على اقتراحات نائب رئيس اللجنة العليا لسياسة التعليم وزير المعارف.
٣. يقوم فريق الدراسة المعين بإعداد خطة الدراسة وما تتضمنه من مهام، ويقوم أيضاً بإعداد الجدول الزمني، وكذلك الموازنة واللائحة المالية للمشروع، إضافة إلى اقتراحات بأسماء الباحثين، وفرق العمل الفرعية، واللجان المنبثقة منها.
٤. تعرض خطة الدراسة متكاملة بعد ذلك على اللجنة الوزارية المكونة من:
وزير المعارف (التربية والتعليم) نائب رئيس اللجنة العليا لسياسة التعليم
وزير التعليم العالي
وزير العمل والشؤون الاجتماعية
وزير المالية والاقتصاد الوطني
وزير التخطيط
الرئيس العام لتعليم البنات
وتقوم هذه اللجنة بدراسة خطة الدراسة المقدمة من فريق العمل من خلال الاجتماع باللجنة التحضيرية للجنة العليا لسياسة التعليم.
وتقوم باعتماد أسماء المشاركين في المشروع، وتحديد المدة التقريبية لإنجازه، إضافة إلى اعتماد الميزانية التقديرية للمشروع.
٥. تقوم الجهات التعليمية المختلفة بتكوين فرق عمل رديفة تكون بمثابة حلقة وصل بين الفريق الأساسي والجهة التعليمية.
٦. يبدأ العمل في المشروع، ويقوم رئيس فريق العمل برفع تقرير كل ثلاثة أشهر إلى اللجنة العليا لسياسة التعليم، لغرض تقويم عمل الفريق، ومعالجة ما قد يعترضه من معوقات.

٧. يؤخذ في الحسبان ما يأتي،

- يؤخذ في الحسبان أن فريق العمل هو المحرك الأساسي للمشروع من حيث: إعداد الخطة، وتسمية الباحثين، والخبراء، واقتراح النشاطات والفعاليات المرتبطة بالمشروع، وكتابة التقارير، وله أن يستعين بالخبرات الأجنبية، إن دعت الحاجة، وذلك في الأمور التي لا تتعلق بالمناهج والاستراتيجيات.
- تتلخص مهام الفريق حسبما جاء في التوجيه السامي الكريم في القيام بدراسة مستفيضة لواقع التعليم، وتشمل جميع المتغيرات، بحيث تكشف عن المؤشرات الكمية والنوعية ونقاط القوة، ونقاط الضعف، ومعالجتها، إضافة إلى ذلك يضطلع الفريق بمهمة وضع خطة تفصيلية لمستقبل التعليم، من حيث النظام، والبرامج، والمناهج والإدارة، والتمويل... إلخ
- يجب أن تشمل الدراسة جميع تخصصات التعليم، ومراحل وأنواعه، بما في ذلك برامج التعليم العسكري وبراغي الفريق ضرورة الاستفادة من البحوث، والدراسات التي قامت بها الجهات البحثية في المملكة.
- يرتبط فريق العمل باللجنة العليا لسياسة التعليم.
- للفريق استقلالية تامة، ويقتصر دور الجهات التعليمية على تزويده بالمعلومات وإعانتة في توفير كل ما يحتاج له، وللدراسة ميزانية مستقلة.
- توفر للفريق كافة الإمكانيات (المكان -السكرتارية- التجهيزات).
- فيما يتعلق بترشيح فريق العمل،

بعد الاطلاع على الأسماء المقترحة من كل من:

وزير التعليم العالي

وزير الحج

وزير المعارف

وزير العمل والشؤون الاجتماعية

وزير الإعلام

الرئيس العام لتعليم البنات

أوصى المجتمعون برفع الأسماء المقترحة للمقام السامي، لتلقي توجيهاته حول الأسماء المناسبة للعمل ضمن فريق العمل.

• رفع هذا المحضر لمقام خادم الحرمين الشريفين رئيس مجلس الوزراء، رئيس اللجنة العليا لسياسة التعليم، لتلقي توجيهاته الحكيمة.

بعد ذلك تلقت اللجنة العليا لسياسة التعليم بقرية صاحب السمو الملكي نائب رئيس مجلس الوزراء المتضمنة التوجيه الكريم بأن تختار اللجنة العليا لسياسة التعليم الأسماء من البيانات المشفوعة ببرقية سموه الكريم، للقيام بدراسة واقع التعليم ومستقبله في المملكة، وأن يعرض وزير المعارف على سموه الكريم أسماء من يقع الاختيار عليهم، على أن يكونوا من حملة الدكتوراه، ويحد معقول من حيث عددهم.

وبعد الاختيار صدرت موافقة سمو ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء على قيام من تم اختيارهم وعددهم (٢٧) شخصاً بإجراء الدراسة.

وبعد ذلك بدأ فريق التقويم الشامل للتعليم اجتماعاته فكان اجتماعه الأول في ١٤١٨/١١/٢هـ برئاسة وزير المعارف نائب رئيس اللجنة العليا لسياسة التعليم لشرح الفكرة والإجابة عن الأسئلة، تلا ذلك اجتماعات عديدة برئاسة رئيس الفريق الدكتور سعود الجماز في مقر خصص لاجتماعات الفريق انتهى فيها الفريق إلى إعداد خطة عمل الفريق، ولائحته المالية، والميزانية المتوقعة له خلال مدة العمل لعرضها على اللجنة الوزارية. وقد اعتمد لعمل الفريق ميزانية مستقلة يصرف منها بتوقيع رئيس اللجنة.

وبعد عمل دام أكثر من ثلاث سنوات ولقاءات عدة قُدمت فيها الكثير من الاقتراحات والدراسات قدم فريق التقويم الشامل للتعليم التقرير النهائي عما كلف به وعقد اجتماع لأعضاء اللجنة العليا لسياسة التعليم برئاسة صاحب السمو الملكي النائب الثاني لرئيس

مجلس الوزراء وزيرالدفاع والطيران والمفتش العام بمنزل سموه بالخالدية في جدة بتاريخ ٢٠/٢/١٤٢٢هـ ورأى المجتمعون الآتي:

- إعادة قراءة التقرير النهائي وتدوين الملاحظات والرؤى والمقترحات من قبل كل عضو وإرسالها إلى رئيس الفريق الدكتور سعود الجماز في أقرب وقت.
- يقوم رئيس الفريق بالعمل مع رؤساء اللجان الفرعية لتبويب الملاحظات الواردة وتلخيصها وإبداء الرأي حولها تمهيداً لعرضها في اجتماع آخر يعقد لهذا الغرض.
- تحديد موعد الاجتماع القادم الذي سيتم فيه دراسة التقرير، كل جزء على حدة، في ضوء الملاحظات الواردة إلى رئيس الفريق على أن يكون موعد الاجتماع مساء الإثنين ٤/٤/١٤٢٢هـ الموافق ٢٥/٦/٢٠٠١م.

وبناءً على ما سبق عقد اجتماع برئاسة صاحب السمو الملكي النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام في قصر سموه بجدة وبحضور أعضاء اللجنة العليا لسياسة التعليم والأعضاء الذين شاركوا في الاجتماع السابق، وتوصل المجتمعون إلى الآتي:

- إن ما حواه التقرير -رغم الجهود المبذولة فيه- لم يتجاوز مرحلة الرؤى والتوجهات إلى مرحلة الافتراحات المحددة المحسوسة المرتبطة بالمقررات والخطط الدراسية والإشراف على التعليم؛ ولهذا فإن التقرير بحاجة إلى أن يستنتج منه ما يمكن أن يكون أساساً لاتخاذ قرارات محددة، ومن هنا فإنه قد يكون من الأنسب إحالة التقرير إلى جهة تدرسه وتنقله من مرحلة الرؤى والتوجهات إلى مرحلة القرارات القابلة للتنفيذ، ورئي أن الأنسب إحالته إلى مجلس الشورى، وهذا بطبيعة الحال يتطلب خطاباً بهذا الشأن إلى صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني يطلب فيه ثلاثة أمور:

١. استعجال مجلس الشورى لإنهاء دراسة التقرير في مدة لا تزيد على ثلاثة أشهر.
٢. الاهتمام بالجوانب العملية التي يمكن أن تؤدي إلى التطور الملموس في التعليم، والتركيز بصفة خاصة على التعليم الفني والمهني والتعليم العالي.

٣. التركيز على أهمية مشاركة القطاع الخاص للدولة في تطوير التعليم، ثم ينظر بعد ذلك في إمكان إعادة الموضوع إلى هذه اللجنة بعد مجلس الشورى الذي اتخذ بشأنه توصيات رفعت للمقام السامي.

ولقد كنتُ عبر موقعي في الوزارة أحدو مطايا الطموح نحو المنى المعشبة والغد الأجل، وفي خلدي يتردد صدى صدر البيت القائل:

منى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً

ولأن عَجَزَ البيت لم يكن مناسباً مع صدره من حيث الواقع الذي كنت أعيشه في الوزارة فقد أبدلته بعجز آخر وأعدت صياغة البيت كالتالي:

منى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى وإلا وصلنا جهدنا نحوها جهداً

وضعت عجز هذا البيت شعاراً لي في خدمة هذه المهمة من خلال مواصلة الجهد بالجهد في سبيل تحقيق الطموحات.

ولكن - وللأسف الشديد - خرجت نتائج هذا التقويم في شكل حلٍ وسطٍ دون ما كنت أمله، نظراً لاختلاف توجهات وآراء وأفكار من أسندت لهم هذه المهمة العظيمة. وقد تحقق تطوير للتعليم تجاوز في حدوده وقيمه ما تم التوصل إليه من نتائج التقويم الشامل الذي قام به الفريق.

تطوير مناهج التربية الدينية

تحتاج المناهج الدراسية عامة ومناهج التربية الدينية خاصة إلى تطوير لتلاءم ومتطلبات العصر. هذه حقيقة أدركتها وكتبت عنها مقالات عدة قبل أن أكون على رأس العمل في وزارة المعارف.. وتعمق إدراكي حين وقفت على تفاصيل مفردات الكتب المقررة. وفي أول زيارة لي ميدانية وجدت معلماً في المرحلة المتوسطة في محافظة بيشة يشرح للتلاميذ في الصف الثالث عن بيع المنابذة والملامسة والحصاة فإزداد يقيني بأن تعطي الأولوية لتطوير أهم مقومات مناهجنا الدراسية وهو «التربية والثقافة الإسلامية». وتوالت الملاحظات المكتوبة من المعلمين في الميدان يذكرون لي أمثلة مما ورد في الكتب المقررة وعلى سبيل المثال مادة الفقه للسنة السادسة الابتدائية، وما فيها من تفاصيل عن الزكاة (زكاة الحبوب، والثمار، والنقدين، والركاز)، والطالب في سن ليس عنده مما ذكر شيء ولا يعقل مفرداتها. عند ذلك استشرت وناقشت كثيرين من ذوي الاختصاص وراجعت معهم الكتب المقررة في كل الصفوف الدراسية وخرجنا بتصور عن هذا الأمر في ورقة بعنوان «مناهج التربية الدينية والحاجة إلى تطويرها»، وهي ورقة أولية لم تكن للتداول، عرضتها على بعض كبار المسؤولين واقترحوا تعديلات عليها أجريتها على الورقة، ثم أخذت موعداً مع سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله في الطائف، وقراءتها كاملة عليه فأجرى تعديلات طفيفة وقال: إنها مناسبة. ورشح لي ثلاثة من العلماء الشرعيين ليراجعوا مناهج التربية الدينية على هذا الأساس فاجتمعت مع كل واحد منهم غير أنني فوجئت بأن كل واحد منهم، يتصل بي يبدي أسفه وأنه لا يستطيع التصدي لهذا الأمر بسبب ما عنده من أعمال. ونص الورقة بعد إجراء كل التعديلات عليها التي وجّه بها سماحة الشيخ ابن باز هي الآتي:

١. «تميزت المملكة العربية السعودية -ولله الحمد- منذ عرف فيها التعليم النظامي بالتركيز على تعليم الأحكام الشرعية والعلوم الإسلامية تعليماً متصلاً من أول خطوة تظاً فيها قدم التلميذ مقر المدرسة إلى آخر سنوات تعليمه عند إتمام الدراسة الثانوية.

٢. وتحرص المملكة العربية السعودية -ممثلة في راعي نهضتنا العلمية خادم الحرمين

الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، وقياداتها جميعاً على مختلف المستويات- على التميز الذي أصبحت ثمرته جزءاً من نسيج الفرد السعودي والمجتمع السعودي، يعرف به الفرد حيث كان، ويعرف الآخرون به مجتمعنا أياً كان نوع علاقتهم به.

٣. وقد جرت عدة محاولات لتطوير الدراسات الإسلامية ومناهجها في التعليم العام كان آخرها قرار وزير المعارف عام ١٤١٦هـ الخاص بتوزيع مقرر القرآن الكريم على جميع مراحل الدراسة وتدريبه في كل سنوات التعليم العام.

٤. ولكن هذه المحاولات الجزئية لم تصل بنا حتى الآن إلى تصور متكامل للتكوين الذي ينبغي أن تكون عليه هذه المناهج لتحقيق الهدف الرئيسي المرجو منها، وتحقيق معه الأهداف المكملّة والعرضية التي تتراد تبعاً -لا أصالة- من بناء المنهاج على نحو معين، في وقت ما، في مجتمع بذاته.

٥. والهدف الرئيسي من التعليم العام هو الإسهام -مع وسائل التربية ووسائط التأثير الأخرى- في «إعداد الإنسان الصالح والمواطن الصالح».

فأما الإنسان الصالح فهو الإنسان المؤمن بربه، المطيع له، المؤدي لما كلفه به، المجتنب لما نهاه عنه، المدرك للمعاني الكثيرة لاستخلاف الله للإنسان في الأرض، والمستشعر لعظمة رسالة الإسلام، والمتشرف بمسؤوليته تجاه الدعوة إليه والدفاع عنه.

وأما المواطن الصالح فهو الذي يعرف حق أولي الأمر عليه، وحق وطنه عليه، ويعتز بالانتماء إليه، ويدرك أن هذا الوطن بقدر ما يسعه يسع إخوانه فيه، وأن لهؤلاء حقوقاً، أقواها حق القرابة القريبة وحق أولي الأرحام ثم هي تتدرج حتى تصل إلى حقوق ضيوف الوطن من المستأمنين والذميين، وبين أعلى درجاتها وأدناها درجات متعددة للجيران والزملاء والأصدقاء وغيرهم من الناس جميعاً.

والمواطن الصالح يعرف أن الناس لا يصلحون فوضى، ولذلك فلا بد من نظام يجمعهم ويرابط يوحد جهودهم لخدمة الوطن، وأن هذا النظام وتلك الرابطة لها حق الطاعة في المعروف والنصح عند الحاجة إليه وأن آخر أمرها لا يصلح إلا بما صلح به

أولها: طاعة الله ورسوله، ويدرك هذا المواطن تمام الإدراك أنه مطالب بالإسهام في إنماء وطنه وتطوره، وأنه يجب عليه الذود عنه في وجه عدوه والخارجين على نظامه.

6. إذا اتفقنا على هذا الهدف الرئيسي: وهو الإسهام في إعداد الإنسان الصالح والمواطن الصالح، فإن الأهداف الفرعية والتكميلية والتبعية، والموضوعية، والإجرائية، يقدر على صياغتها وترتيبها بترتيب سنوات تنفيذ المنهج المتخصصون في هذا الشأن، وهم بحمد لله كثيرون في بلادنا وخبرتهم لا تقل عن خبرة نظرائهم في أي مكان آخر، ومعرفتهم بأوضاع مجتمعتنا وماضيه وحاضره تعينهم أكبر العون في أداء مهمتهم على خير وجه.

7. وقد قامت هذه المقترحات -المبدئية- في هذا الأمر على بصيرة بعدد من الأمور التي تجب ملاحظتها، بيانها هو الآتي:

1/7- إن القدر الذي يخصص من وقت الدروس في مختلف سنوات الدراسة للعلوم الدينية لايجوز المساس به، وإذا اقتضت الضرورة أو تطلب حسن السياسة التربوية إعادة توزيعه على السنوات فإن ذلك لايعني إنقاصه بحال من الأحوال.

2/7- إن الموضوعات التي تجرى دراستها في كل سنة من سنوات الدراسة النظامية يجب أن تتواءم مع التكليف المطلوب شرعاً من الطلاب في معدل العمر الذي يكونون عليه في هذه السنة أو المجموعة من السنين.

3/7- إن الموضوعات التي تجرى دراستها في سنوات التعليم العام جميعاً يجب أن تكون ملائمة لعمر الطلاب بوجه عام، وللتكليف الشرعي له، بالمتوقع منهم أن يمارسوه مما يحتاجون إلى معرفة حكمه الشرعي من حل أو حرمة أو سواهما منذ التحاقهم بالدراسة النظامية حتى انتهائهم منها.

4/7- إن المقررات التي تدرس في التعليم العام لا تهدف بأي صورة من صورها، ولا في أي مرحلة من مراحل الدراسة إلى إعداد متخصصين في العلوم الإسلامية.

فالدراسة الثانوية العامة -وهي نهاية مسؤولية التعليم العام- ليس من أهدافها

-ولا يجوز أن يكون من وظيفتها- أن تخرج متخصصين في علوم القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، أو الفقه الإسلامي، أو التوحيد أو غيرها مما يمر به الطالب بالقدر المناسب لعمره وعقله في أثناء دراسته.

وإنما غاية ما يمكن أن ترمي إليه الدراسة العامة أو تحققه هو أن تعلم الطالب الأحكام والمعارف الدينية الضرورية التي لا يستغني عن معرفتها أحد وأن تتيح له تكوين فكرة عامة عن غيرها من المعارف الإسلامية حتى يبحث عنها عند العلماء بها أو في مصادرها المدونة عندما يحتاج إليها.

وقد صاغ العلماء عبارتين للدلالة على هذه المعارف الضرورية اللازمة معرفتها لكل مسلم فسموها (ماليسع المسلم جهله) وهي تشمل فرائض الدين التي لا يصح إسلام المرء بغيرها.

كما قالوا: عن مكملاتها إنها (ما لا يليق بالمسلم جهله) وهي الأمور التي إذا لم يعرفها غابت عنه معالم وملامح كثيرة من المعالم والملامح المميزة للمجتمع المسلم.

فأما النوع الأول فهو ما يجب أن تتضمنه المناهج في التعليم العام. وأما النوع الثاني فيختار منه أهمه وأكثره عموماً ليدل على غيره مما هو أقل أهمية أو أندر وقوعاً.

وقد يتعين اتباع هذا النهج في صناعة المنهج واختيار مفرداته إذا تذكرنا أن الطلاب في مدارسنا -كما هو الحال في مدارس بلدان أخرى- ليسوا في مرحلة تخصصية وإنما في مرحلة تعليمية توحد فيما بين مفاهيمهم ومعارفهم الأساسية الضرورية لتحقيق الغايتين المذكورتين آنفاً «الإنسان الصالح، والمواطن الصالح».

وهذه الغاية هي نفسها التي ترمي إليها الدراسة العامة في مختلف فروع المعرفة: ففي اللغة العربية يدرس الطالب في التعليم العام ما يستقيم به لسانه وقلمه وما يمكن به أن يفهم نصوص اللغة العربية التي يبتغى من دراستها فهمها

فهما عاما، لكنه لا يصبح متخصصا في آدابها، وتاريخها وتطورها وبنائها، وصرفها. وفي العلوم يدرس الطالب قدراً يوقفه على أهم قضاياها ومكتشفات البشرية ومخترعاتها ومخترعيها وقد يكسبه بعض المهارات الأساسية، ولكنه لا يتخرج من الدراسة الثانوية متخصصا في الكيمياء، أو الفيزياء، أو الرياضيات أو نحوها من العلوم.

وهكذا في مختلف فروع المعرفة التي تتعرض لها مناهج الدراسة العامة.

٥/٧- وترتب على هذا الذي سلف بيانه من طبيعة الدراسة العامة أن المبادئ والأساسيات يجب أن تكون هي محور الاهتمام في المناهج والمقررات وأن يكون ذلك واضحا في صناعة المنهج واختيار مفرداته، وفي تركيز المعلمين في شرحهم له. وأن توفر الدولة -لحاجة الكافة- المتخصصين في العلوم الشرعية الذين يلبون الحاجات المتجددة في الإفتاء والقضاء والوعظ والإرشاد والتعليم. وهؤلاء لن يكونوا من خريجي مدارس التعليم العام، وإنما سيكونون ممن تخصصوا في الجامعات التي تقف جهودها على تخريج المتخصصين في العلوم الإسلامية، أو في أقسام الدراسات الإسلامية في الجامعات العامة، بحيث يمكنهم تأهيلهم العلمي من أداء رسالتهم السامية في المجتمع بكفاءة وجدارة.

٨. ويتصل بما تقدم ما يلاحظه المطالع لمناهج التربية الدينية في التعليم العام من قلة العناية بجانب الأخلاق، وهو أمر يجب الاهتمام به اهتماما كبيرا، فمن المعلوم للكافة أن الأزمة الخلقية التي تواجه شعوب العالم تقوم أساسا نتيجة للفصل الذي جرى في أماكن كثيرة بين مناهج التربية وبين قواعد الأخلاق وأصولها حتى أصبح الظن بالتمسكين بأهدابها أنهم متخلفون عن روح العصر.

ومعلوم أن العالم -بعد التطور المذهل في وسائل الاتصال- صار كقرية صغيرة يعرف أقصاها بما وقع في أديانها لحظة وقوعه ويتأثر به وينفعل له. ويصدق ذلك على الخير والسلوك والقيمة سواء بسواء. ولا عاصم لأجيالنا الناشئة -بعد الله تعالى- من التأثير بمؤثرات السوء من ذلك كله إلا زيادة الجرعة الخلقية في مناهج التربية، وربط الدعوة إلى أقوم الأخلاق وأحسنها بالطاعة لله تعالى والنزول الحتمي عند أوامره

والوقوف اللازم عند نواحيه. وطريق الوصول إلي أحسن الهدى في ذلك هو النظر في المناهج والمقررات القائمة والعمل على تطويرها بالتأكد فيها على الجانب الخلقي وزيادته كمّاً وكيفاً مع التنبيه إلى ضرورة سؤال أهل العلم عند الحاجة إلى البيان عملاً بقول الله تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)^٢.

٩. والعلاقات بين الناس -في عالم اليوم- أكثر تعقيداً وتشابكاً مما كانت عليه قبل عشرين سنة فضلاً عن أن تقارن بما كنا عليه قبل نصف قرن من الزمان. لقد كان الناس في كثير من مدناً -فضلاً عن قرانا وباديتنا- ينظرون إلى الغريب نظرة مغايرة لنظرتهم إلى بني جنسهم أو بلدهم، ولم يكن هذا الغريب يظهر إلا نادراً، وكان في الغالب زائراً عارضاً أو ماراً مرور الكرام في طريقه لأداء حج أو عمرة أو زيارة.

واليوم تعج بلادنا -لما حباها الله به من فضل- بمئات الألوف من غير أبنائها وهؤلاء فيهم المسلمون، وغير المسلمين، وغير المسلمين كلهم دخلوا بأمان من إمامها وحكومتها، وللإسلام أحكامه الأساسية ولفقهاؤه وعلمائه تفصيلات كثيرة في شأن معاملة المسلمين فيما بينهم، وفي تعاملهم مع غير المسلمين ولا يجوز أن تغفل مناهج التربية الدينية إعداد الطالب لحقائق الحياة في هذه الأمور.

ولا يصح أن يخرج الطالب من مرحلة الدراسة العامة وهو لا يدرك مايجوز له وما لا يجوز من أحكام التعامل مع الآخرين والعلاقة بهم.

وقد يكون في الفقه رأيان أحدهما يتسم باتباع روح السماحة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية حتى وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها «حنيفية سمحة» وأراد أن تعلم يهود أن «في ديننا فسحة» والثاني يتجه إلى التشديد أو التشدد الذي بعثت عليه أو دعت إليه ظروف محلية أو وقتية عاشها الفقيه، أو آلف، أو أفتى مجتهداً في ظلها.

والذي أراه أن المناهج يجب أن تقف مع الرأي والاجتهاد الذي يفسر الأدلة الشرعية متخذاً سنده روح السماحة الأصيلة في بناء الدين نفسه وهي روح دلت عليها نصوص لا تحصى من الكتاب الكريم والسنة المطهرة. ويجب بالتالي تنقية المناهج من الآراء

التي تنحو نحواً لم يدفع أصحابها إليه إلا ظروف مكانية أو زمانية ينتفي تأثيرها في الفتوى والاجتهاد بانقضائها.

١٠. وهذه المسائل هي موضوع تخصص العلماء والفقهاء ولا ينبغي أن يشغل بذكرها وتعلمها طلاب التعليم العام، إلا بالقدر الذي يخدم الهدف العام لتشرب روح الدين الإسلامي عند الطلاب.

وقد ألف كثير من العلماء في أساسيات الدين وألف بعضهم فيما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين. والخلاف في الفروع الاجتهادية أصل محتمل وقاعدة العلماء سواء أكانوا من المذهب القائل بتصويب كل مجتهد أم كانوا من المذهب القائل بتصويب واحد وأن الباقيين يؤجرون على اجتهادهم وإن أخطأوا، قاعدة الجميع: أن الخلاف في الفروع الاجتهادية لا تشريب فيه على أحد ولا يجوز للمجتهد أن يحمل غيره من المجتهدين أو أتباع غيره من المجتهدين على ما يراه صواباً، ولهذا قالوا: «لا يعترض بمذهب على مذهب».

وتعليم الطلاب في مرحلة التعليم العام كلها يجب أن ينحو هذا المنحى حتى تتشبع نفوسهم باحترام الآخرين وتقديرهم وينظروا إلى الخلاف وإلى المختلفين عنهم - أو معهم - نظرة صحية تتفق مع الخلق الإسلامي الحميد.

١١. ويترتب على اتباع النهج السالف ذكره في التأليف والتعليم أن ينشأ الطالب على أساس صحيح من التفتح الذهني والمرونة «الفكرية» والقدرة على تقبل وجود الآخر والعيش معه والعمل إلى جواره. وقد أصبحت هذه ضرورات لازمة لحياتنا في طورها الحالي فنحن لا نستطيع العيش في عزلة عن الدنيا ونحن نحتاج في تطوير بلادنا وتحديثها إلى خبرات وطاقت من العالم كله وأبنائنا يسافرون إلى كل أركان الأرض طلباً للعلم أو الرزق أو الراحة أو غير ذلك من الأغراض وكل هذه الصور من التواصل البشري نتعرض فيها إلى أناس غيرنا لا بد - كي نحسن الاستفادة منهم والإفادة لهم - أن يقوم تعاملنا معهم على قاعدة الاحتمال والقبول للغير والتفهم لأساس تكوينه الذي يؤدي في النهاية إلى اختلافه عنا واختلافنا عنه ثم برغم هذا الاختلاف نحن نعمل معا ونعيش معا، ولا بد لصلاح ذلك من تأصيل معنى قبول الاختلاف في نفوس أبنائنا وعقولهم.

١٢. التربية الدينية ليست قسماً مغايراً لمناهج التربية الأخرى ولا هي في فروعها المتعددة قسائم متافرة لكل منها مجاله ونطاقه. ولكنها في الحقيقة كل متساند يقوم بعمل خاص بين أعمال أخرى تقوم بها المناهج النظرية والعلمية والعملية لتخرج لنا جميعاً إنساناً صالحاً ومواطناً مؤمناً كما تقول سياستنا التعليمية.

وقد يكون مما يسهم -دون قصد- في تشتيت الفكر وإبراز الفوارق وتجاهل مواضع التشابه والتكامل تقسيم منهج التربية الدينية إلى قرآن وتفسير وحديث وفقه وتوحيد ثم فصله عن المناهج المتعلقة به مثل مناهج اللغة العربية ومناهج التاريخ وعلى الرغم من مزية تعريف الطلاب بتنوع المعارف الإسلامية وانقسامها إلى علوم تخصصية فإن عدم مراعاة تكامل المعارف التي تقدم من خلال كل مقرر مع ما يقدم في المقررات الأخرى، وعدم الإيحاء إلى الطالب بتساند هذه العلوم في صناعة «المعرفة الإسلامية» المتكاملة يفقد هذه المزية أهم آثارها وانفع نتائجها.

ولن يتحقق النفع الكامل من هذا التنوع إلا إذا أُعيد اختيار مفردات هذه المقررات وروعي في صياغتها هذا المعنى -معنى التكامل والتساند- ونظر مع ذلك إلى المقررات الأخرى المتصلة بها مثل مقررات اللغة العربية والتاريخ -وربما الجغرافيا وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها- نظرة فاحصة هدفها أن يكون بينها جميعاً من التوافق والاتساق ما يشعر الطالب بوحدة المعرفة الإنسانية بالرغم من تنوع مصادرها وحقولها واهتماماتها.

ولذلك فإنه قد يكون مناسباً ونحن نبحث في سبل تطوير هذه المناهج أن نفكر في تحويلها إلى منهج يكمل بعضه بعضاً تحت عنوان جامع وهو التربية الدينية أو التربية الإسلامية أو أي عنوان آخر مناسب نجمع تحته متفرقات المناهج الحالية وتكون صياغتها متكاملة بعضها مع بعض بحيث يجد القارئ -الطالب- فيها مصدر الحكم الفقهي من القرآن والسنة ومصدر القاعدة العقيدية منها وأثر كل واحد من هؤلاء في الآخر واضحاً محدداً بحيث تدرك النفس في سن الطالب الصغيرة نسبياً حاجتها إلى «الدين كله» لا بعض فروعها دون بعض كما قد يكون حادثاً الآن. وإيضاح ذلك أن الطالب اليوم قد لا يجد نفسه محتاجاً في حياته العملية غداً إلى شيء مما درسه دراسة نظرية في التفسير أو في علوم القرآن أو في التوحيد تلك التي درسها

بمعزل عن الأحكام العملية المرتبة عليها إما لأن معاني مآدرسه مستقرة في نفسه منذ صغره، ومستقرة في وجدانه بالافتتاح الفطري أو بالتلقي المستمر المباشر من الآباء والأجداد، وإما لأنه ليس من أهل التفكير في هذه المسائل وعلومها. ولكنه إذا درسها مرتبطة بأحكام الحلال والحرام والمندوب والمكروه في الفقهيات التي سنختار له أن يدرسها فإنها لن تبرح ذهنه، ولن يستشعر أنها عبء زائد على طاقته الاستيعابية يدرسه دون أن يكون له عائد مفيد أو ذو قيمة في حياته العملية.

١٣. ولا يقل أهمية عن جميع ما تقدم أن تكون لغة المادة المختارة للتربية الدينية لغة داعية إلى التفكير والتأمل، لا لغة داعية إلى الاستظهار والحفظ. إن الذي يحفظه الطالب لأداء اختبار فيه يذهب عنه فور انتهائه من أداء اختبار أما الذي يستثير فيه كوامن الفكر، وقدرات العقل وممكنات النظر، ويعلمه الصواب والأصوب والحسن والأحسن كما يعلمه الخطأ اليسير المقتصر والخطأ الجليل الذي يجب أن يحذر.. مثل هذا لا ينسى ولا يهمل لأنه يتحول في النهاية إلى عادة محمودة في التعامل مع كل المواضيع في الحياة وإلى أسلوب تفكير يهتدي به صاحبه في مواجهة كل مشكل يتعرض له. وهذا الهدف -على جلالته- لا يحتاج إلى أكثر من بذل العناية اللازمة له في صياغة مفردات المناهج وشروحها والأسئلة التي تلحق بكل جزء منها ثم يكون الدور الأكبر للمعلم النابه الحريص على أبنائه أن يصرف جهده إلى تربية ملكة التفكير والمحاورة العقلية في طلابه، مهتدياً بالمنهج الذي بين يديه وقد عهد به إليه ليهيئ عقول الطلاب على وفقه، لا ليلقنهم أجزاءه وتفصيله حتى يحفظوها عن ظهر قلب.

١٤. وإذا أردنا أن نمثل لمجمل ما قلناه -دون دخول في التفاصيل الدقيقة لكل جزء من أجزاء المنهج وكل صغيرة وكبيرة في مفرداته- فإننا نستطيع أن نمثل لذلك بما نذكره في الفقرات الآتية:

١/١٤- في منهج التوحيد للصف الأول الابتدائي: بدلا من الصياغة الحالية في صورة سؤال وجواب مباشرين يمكن أن تكتب للطفل السطور الآتية لتلخص له فكرة المنهج:

«نحن نعيش في كون فسيح وأنت رأيت
الحي الذي تعيش فيه ورأيت الحقائق التي
تحيط بالبيوت، والحدائق العامة، وهي مملأى
بالنباتات والأشجار، ويمر علينا في حياتنا
كل يوم ليل ونهار. وفي النهار تطلع الشمس
وفي الليالي المقمرة نرى القمر منيراً في السماء
وأحياناً تحجب السحب الشمس أو القمر
ومن هذه السحب ينزل المطر في موسم
الأمطار في الشتاء، ومن الماء الذي ينزل مطراً
من السماء أو تجري به الأنهار أو يستخرج من
باطن الأرض من الآبار تنبت الزروع والأشجار
والثمار وبعض مناطق بلادنا سهول تزرع وبعضها
جبال متعددة الأنواع بعضها ينبت عليه أنواع
مختلفة من النباتات وبعضها لا ينبت عليه شيء
وكل هذه الأشياء وغيرها هي من صنع ربنا تبارك
وتعالى فهو خالق كل شيء مما ذكرناه
ومما لم نذكره فتبارك الله أحسن الخالقين
لا نعبد أحداً سواه».

ثم يكون الدرس في الححصص المتعددة لهذه القطعة مع بيان معاني جملها وتحليلها لنصل بالتلميذ إلى النتائج نفسها التي يقصدها المنهج الحالي ولكن قد لا تصل إليه بالطريقة القديمة لكننا هنا دربناه على:

١. النظر إلى ما حوله من مخلوقات الله.

٢. التفكير في علاقتها بعضها ببعض.

٣. الاتجاه نحو إدراك التمايز والتنوع في الخلق.

٤. إدراك وحدانية الخالق سبحانه وتعالى.

٥. ترتيب النتيجة اللازمة لذلك وهي استحقاق الرب وحده - سبحانه وتعالى - للعبادة دون سواه.

هكذا نصنع في باقي دروس التوحيد وفي دروس الفقه للصفوف الأول والثاني والثالث الابتدائية. فيكون درس الوضوء والصلاة مثلاً قصة عن طفل أبوه يتوضأ فسأله عن الوضوء فبينه له، ثم شرح له أن الوضوء من أجل الصلاة ثم صلى أمامه. ويصف النص على لسان الطفل صلاة أبيه ثم يبين عدد صلوات اليوم وركعاتها.. إلى آخر ما يتضمنه المنهج للصفوف الابتدائية الثلاثة.

وهكذا نكون لفتنا نظر الطفل إلى مراقبة فعل الكبار لا سيما الوالدين وإلى أن السؤال عن غير المعلوم بالنسبة إليه حق له بل واجب عليه وأن الجواب يجوز أن يتبعه تعليم أمر كامل لم يكن يحيط به علماً.. وهكذا. مع أنه قد تعلم مضمون الدرس كله الذي نراه في المنهج الآن على صورة تلقينية مباشرة.

٢/١٤- هناك أمور مختلف في حكمها، ومروية بصيغ متعددة، وما كان هذا شأنه فإما أن لا يدرس للتلميذ في المرحلة الابتدائية ويؤجل إلى مرحلة تعليمية متقدمة وإما أن يشار إلى أنه ليس بواجب ولا ركن وإلى أن صيغه المرورية متعددة.

ومثال ذلك دعاء الاستفتاح فالصيغ المرورية فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

متعددة، وهي مذكورة في منهج الصف الثاني الابتدائي دون بيان. وجاء موضعه بعد تعداد الصلوات مباشرة مما يوحي بأنه مثلها في الأهمية، بل قد يظن التلميذ - إذا لم يبين الأمر له بياناً مناسباً - أنه في الوجوب كالصلوات نفسها.

ومراعاة مثل هذا الأمر المتكرر في مواضع متعددة من المناهج من الضرورات التي لا يجوز الإبطاء بها مهما كان السبب.

٣/١٤ - المصطلحات المستخدمة في المنهج لا بد لها من بيان واحد يناسب سن التلميذ المتلقي ولا يجوز ترك هذا البيان للمعلم فتختلف فيه آراء المعلمين مما يعود بالضرر على التكوين الأساسي للطلاب.

مثال ذلك: البراءة من الشرك وأهله «منهج الرابع الابتدائي» يحتاج التلميذ إلى فهم معنى هذه البراءة وهل هي باللسان أو بالشعور القلبي، وكيف تترجم في الحياة العملية، وكيف يكون التعامل مع غير المسلمين، لاسيما الذين وسمهم القرآن بالكفر والشرك كاليهود والنصارى في قول الأولين (عزيز ابن الله) وفي قول الآخرين (المسيح ابن الله) ونحن نتعامل معهم كل يوم مختارين ومضطرين، والقرآن نفسه يصفهم بأنهم أهل كتاب ويبيح بهذا الاعتبار أكل طعامهم ونكاح نسائهم. وقد تكررت العبارة نفسها في منهج التوحيد للصف الخامس الابتدائي وتركت هناك دون شرح أيضاً.

مثال ثان عبارة: الإيمان.. وعمل بالجوارح (منهج الرابع الابتدائي) كلمة الجوارح تحتاج إلى بيان فهي من المشترك اللفظي الذي يلتبس على العوام معناه. ولا يجوز ترك أمره للمعلم كما أسلفنا. ومن طرائف ما يدل على أهمية مثل هذا البيان أن مدرّسة كانت تعلم البنات أن معنى كلمة (حية) في الحديث الذي فيه «... إن لكم في كل ذات كبد حية وفي رواية رطبة - أجراً» أن معنى الحية هو الثعبان!!

٤/١٤ - في بعض المواضيع ابتسار يحير الطالب؛ ففي منهج التوحيد للصف الخامس الابتدائي تأتي المرتبة الأولى من مراتب الدين في صفحة (١٢) في منهج الفصل الأول، وبعد ست وأربعين صفحة (ص ٥٨) في أول منهج الفصل الثاني تأتي المرتبة الثانية. ويحار القارئ الصغير السن - بل يحار المراجع - أين المرتبة الأولى

فليس هناك إشارة إليها، ولا حتى في الحاشية! وهذا عيب في التأليف لا بد من تلافيه
لئلا تتفرق أجزاء المنهج فيصل الطالب إلى آخرها وقد نسي أولها!!

٥/١٤- في بعض المواضيع إحالات إلى مصادر ومراجع يستحيل أن يرجع إليها
تلميذ المرحلة الابتدائية ويفقه ما فيها ويعتمد على فهمه لها أو أن يتصرف بناءً على
هذا الفهم.

ومثل هذه المواضيع يجب الاكتفاء فيها بالحكم الشرعي دون أن يحال التلميذ إلى
مصدر خارجي. ومثال ذلك الإحالة في ص (٦٢) من منهج الصف الخامس الابتدائي
إلى شرح النووي على الأربعين في شأن الهجرة الماضية الى يوم القيامة، فهل يطلب
من تلميذ في الصف الخامس أن يعرف النووي حتى يدرك من الشخص المشار إليه
بمجرد ذكر اسمه؟

وهل يطلب من تلميذ الصف الخامس أن يعلم أن للنووي كتاباً جمع فيه أربعين
حديثاً - كما صنع كثيرون من العلماء الآخرين- وأنه عرف باسم الأربعين النووية!
وهل يطلب من تلميذ الصف الخامس الابتدائي أن يلم بأن النووي صاحب الأربعين
النووية عمل شرحاً لها يحال إليه؟

إن مثل هذه الإحالات لا معنى لها على الإطلاق ويجب الاكتفاء في منهج المرحلة
الابتدائية كله بالأصل الصحيح أو الحكم الشرعي الصحيح أو الرأي الفقهي المختار
دون إحالة إلى مراجع أو مصادر.

وإذا كان المقصود بهذه الإحالة بيان مواضع الاستزادة العلمية ومصادرها
للمعلمين فإن موضع ذلك يجب أن يكون في كتاب المعلم لا في كتاب التلميذ.

وليست كذلك الإحالة الى مصادر الحديث النبوي، فهذه لازمة، لتوفير الثقة
بالحديث بمعرفة مصدره، لا سيما إن كان في الصحيحين أو أحدهما كما هو شأن
معظم أحاديث منهج المرحلة الابتدائية.

٦/١٤- في المنهج تكرار لا حاجة إليه، مثل تكرار معاني العبادة ومعاني التوحيد
وأنواعه من الصف الثاني إلى الصف السادس الابتدائي، صحيح أن في كل سنة تفصيلاً

أكبر، لكن الحاجة إلى هذا التفصيل نفسه محل نظر. ويحسن في مثل هذه المواضيع المكررة الاكتفاء بجملته من المعلومات المناسبة لأعمار التلاميذ وأن يستبدل بالقدر المكرر توجيهات خلقية من القرآن والسنة تفيد التلميذ في حياته كلها.

ويؤكد ذلك أن منهج التوحيد -مثلاً- معاد كله في المرحلة المتوسطة التي يدرس فيها الطلاب كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- كاملاً ومشروحاً ومفصلاً. وقد يمكن الاكتفاء بهذا الكتاب وحده مشروحاً شرحاً مبسطاً لتعليم التوحيد كله.

وهذا الأمر نفسه واقع في كثير من موضوعات الفقه، مثل: موضوعات الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج فهي مكررة كلها على المرحلتين الابتدائية والمتوسطة دون داع.

ولذلك يجب أن يعاد النظر في مفردات المنهج وفي مواضيع التكرار فيه ليستفاد من الوقت الذي ينفق في دراسة المكررات في تدريس ما ينقص المناهج الحالية من قيم الإسلام وأدابه وأحكامه، ومن ربط بين الدين والحياة بطريقة تجعل تصور الطلاب لدينهم تصوراً صحيحاً نافعاً يستشعرون معه عظمة الإسلام في كل عمل يقومون به أو يمتنعون عنه.

٧/١٤- في المنهج موضوعات تخصصيه دقيقة لا يمكن أن يكفي وقت المنهج ولا استعداد الطلاب في هذه السن للإحاطة بها.

ولننظر إلى باب الزكاة المقرر على طلاب السنة الثانية المتوسطة وأعمارهم تتراوح بين (١٣ و١٤ سنة) نجد أنه يصعب فهمه على الكبير فضلاً عن الصغير ففيه ذكر للسائمة من بهيمة الأنعام -وتفصيل مقدار نصاب كل منها وما يجب فيه من زكاة- تفصيل للركاز (وهو ما وجد من دفن الجاهلية) مع أن الشرح المفصل لهذه الأمور لا نعتقد أن الطالب في حاجة في مثل هذا العمر إليه -ويكفي أن نذكر له الزكاة مؤكداً على أنها ركن من أركان الإسلام جاءت بعد الصلاة مباشرة- وأنها مفروضة على كل الأموال، عروض التجارة وغيرها، ونكتفي بما الناس في أمس الحاجة إلى معرفته.

ومثال ذلك موضوعات البيوع في منهج الفقه للصف الثالث المتوسط. فهي تتحدث عن بيوع بعضها لم يعد موجوداً مثل بيع المنابذة والملامسة والحصاة، وتتحدث عن مسائل تتسم بالدقة الفقهية البالغة مثل الإفلاس وأثره والضمان والكفالة والرهن إلى آخر أمثال هذه الموضوعات التي لا يمكن الإحاطة بتفاصيلها الفقهية من طالب الثالث المتوسط وهي حين تقع سيجد من يفتيه فيها، وهو بالقطع لن يحتاج إليها في أثناء الدراسة، ولن يعود إلى كتاب الفقه لمعرفة حكمها إذا احتاج إلى معرفة بعدها.

٨/١٤- إن التطور المحلي والعالمي، وتطور الصلة بين المملكة العربية السعودية والعالم بوجه عام، والعالم الإسلامي والعربي بوجه خاص، وسهولة المواصلات والتنقل والاتصال، وعالمية وسائل الإعلام بما تحمل من قيم ونوازع ونزعات وتغير أنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية ودخول جديد من هذا الأنماط في نطاق تعامل الناس كل يوم تقريباً.. إلى آخر ذلك. كل ذلك يقود بالضرورة إلى تطوير المناهج بعامة، ومناهج التربية الدينية بخاصة، بحيث يستجيب التعليم لحاجات الإنسان المعاصر، وبحيث تحاول المناهج أن تعطي الطالب في مرحلة التعليم العام مفاتيح العيش المتكافئ في المحيط الذي يخرج إليه عند انتهاء تعليمه.

وجمود المناهج على ما هي عليه، وتركيزها على الموضوعات نفسها منذ عشرات السنين إلى اليوم يقود إلى فصام غير محمود بين الدين والمتدينين يغذي نبتتين خبيثتين: نبتة الغلو والتطرف، ونبتة الالتفات عن الدين والتدين، وكلتاهما أمر غريب على الفطرة، مكروه في مجتمعنا المسلم المعتز بدينه، ويجب أن نعمل ليظلا كذلك ولتكون الكلمة العليا في تكوين الفرد الصالح -الذي هو عماد المجتمع الصالح- لدين الحق الذي جعل الله أمته أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس».

وحين أفرد هذا الفصل للحديث عن تطوير المناهج لمواد التربية الدينية فإن ذلك ناتج من أن تطوير المواد الدراسية الأخرى لا يقابل الوزارة من العنت تجاه تطويرها مثل الذي تلقاه في السعي إلى تطوير مناهج التربية الدينية. ومع كل المحاولات التي بذلتها شارحاً أن السعي إلى ترسيخ المثل والقيم الإسلامية في نفوس الناشئة له الأولوية على ما عداه فلم تتحقق الغاية من ذلك السعي.

لقد أدركت -بحكم خبرتي- أن كثيراً من الأصول والمبادئ والثوابت الدينية، والأخلاقية، والفكرية يفساها الغبش وأنها لا تلقى العناية الكافية فيما نُعلم لطلابنا، لذلك كان إصراري المستمر على جعل منهج التربية الدينية مسهماً إسهاماً فعالاً في ترسيخ المثل العليا التي جاء بها الإسلام.

تطوير مناهج اللغة العربية

غني عن القول إن العناية باللغة العربية أمرٌ بالغ الأهمية فهي مرتكز أصيل في الانتماء للوطن وللشيرة، وقد شعرت بوجود تضافر جهود الدول الأعضاء في مكتب التربية العربي لدول الخليج في تطوير أساليب تعليمها، لذلك تقدمت للمؤتمر العام للمكتب بمذكرة مرفقة بخطاب إلى المدير العام للمكتب جاء فيه: «لا تخفى عليكم ظاهرة الضعف الشديد في اللغة العربية لدى عموم خريجي التعليم العام والتعليم الجامعي، وخطورة هذه الظاهرة تكمن في أن اللغة هي وسيلة التواصل، وأداة التفكير الأولى، فإذا اختلت اختل ما كان مرتبطاً بها أو قائماً عليها، ناهيك عن أن اللغة العربية هي أول ما يحتاج إليه المسلم في فهم قرآنه العظيم، وسنة النبي الكريم.

إننا بحاجة إلى مشروع ذكي عملي يمكننا من القضاء على هذه الظاهرة الخطيرة، ويكون من أول ثماره أن يتقن طلابنا وطالباتنا الذين ينهون المرحلة الابتدائية: القراءة، والكتابة، والحديث بما يتناسب مع مرحلتهم العمرية. ثم يتقدمون -بعد ذلك- مع تقدم دراستهم وأعمارهم بالشكل المناسب.

وأرقت مع الخطاب مذكرة جاء فيها:

يعاني الأفراد في المجتمعات العربية -ومن بينها دول مكتب التربية العربي لدول الخليج- من ضعف في مهارات اللغة العربية، فإذا أخذنا في الحسبان أن اللغة ذات وظائف متعددة من أهمها: أنها أداة اتصال وتفاهم، وأنها أداة تفكير، فإننا ندرك أهمية العناية بها.

إن ثمة مظاهر تدلّ على ضعف الطلاب والطالبات في الدول العربية عموماً وفي الدول الأعضاء على وجه الخصوص في مهارات اللغة العربية، ضعفاً علمياً ووظيفياً: في القراءة، والكتابة، والتعبير، والاستيعاب، والتحصيل، وقد عاد هذا الضعف بأثر سيء على مستوى التحصيل الدراسي لأن هذه المهارات هي الأساس في التعلّم. وأسهمت في هذا الضعف بيئة التعلّم (من خلال المنهج، والمعلّم) كما أسهمت البيئة الخارجيّة أيضاً في تكريس هذا الضعف، ومع أن قدراً كبيراً من ساعات الدراسة يخصص لتدريس اللغة العربية، إلا أن أثر ذلك على الطلاب والخريجين لا يوازي الجهد المبذول.

وأمام هذه المشكلة الكبيرة جداً لا بدّ لمكتب التربية العربي - وهو المعني بهذه القضايا - من البدء في مشروع لا يقصر عن مشروعات أخرى مهمّة مثل مشروع العلوم والرياضيات، ومشروع الخطة المشتركة وغيرها.

لقد كتب عن هذه المشكلة كثير من الكتاب والمفكرين والباحثين، وعقدت ندوات كثيرة، واقترحت أساليب وطرق لعلاجها، ونرى أهميّة البدء في مشروع علمي قابل للتطبيق والتقويم، غايته رفع مستوى طلابنا في اللغة واقترح في هذا الشأن أن تكون وفق إجراءات وسياسات عمل، منها:

١. إجراء مسح لكل الدراسات التي أجريت حول أسباب الضعف اللغوي.
٢. وضع خطة عامة للمشروع، وخطط أخرى تنفيذية للدول الأعضاء.
٣. ينبغي أن تكون المعالجة شاملة لمهارات اللغة العربية بما في ذلك أسلوب تعليمها وطرائق تدريسها.
٤. ينبغي أن يشمل الحلّ مؤسسات التعليم العام وغيرها من مؤسسات المجتمع، وأن تحدّد في الخطة مسؤولية كل من هذه المؤسسات.
٥. يحدد في الخطة المدى الزمني للتنفيذ، بصورة قابلة للقياس والحكم.
٦. تطوير اختبارات كفاءة وطنية في اللغة العربية.

٧. يتطلب الأمر أيضاً اتخاذ قرارات مثل: وجوب استخدام اللغة العربية الفصحى في المدرسة، واشتراط كفايات لغوية للمعلمين كافة.

إنّ العناية بتطوير لغة الطلاب ليس مطلباً ثقافياً أو سياسياً فحسب، بل هو مطلب تعليمي واجتماعي وأمني أيضاً، وأقترح على مؤتمركم الموقر الآتي:

١. إعطاء هذا الأمر الأولوية التي يستحقها.

٢. اعتماد مبلغ أولي قدره «مليون ريال سعودي» إضافي على الميزانية يوزع حسب حصص الدول، قابل للزيادة عند الحاجة حسبما يقره المجلس التنفيذي.

٣. تحديد موعد لإنهاء الدراسة لا يتعدى سنتين.

ولقد كانت الاستجابة كريمة لمطلبي فقرر المؤتمر العام الآتي:

١. توجيه الشكر لمعالي الدكتور محمد بن أحمد الرشيد وزير المعارف بالمملكة العربية السعودية على مبادرته بهذا المشروع الذي يخدم اللغة العربية ويطور مستوى الطلاب فيها.

٢. اعتماد المشروع المقترح على أن يعطى أولوية في التنفيذ وتوفير الاعتمادات المالية اللازمة له.

٣. دعوة المدير العام إلى إعداد برامج المشروع وأوجه نشاطه بعد الأخذ بمريثات الدول الأعضاء.

ثم بعد ذلك عرضتُ الموضوع لأهميته على المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم محدداً أهداف المشروع بالآتي:

- تطوير اللغة العربية وتعلمها في التعليم العام من خلال إطار مرجعي يشمل على استراتيجيات وآليات علمية وعملية وكتب ومواد حديثة.

- تشخيص مظاهر ضعف أداء الطلاب في اللغة العربية ورصد أهم الأساليب العلمية والتربوية لعلاج الضعف اللغوي في ضوء تجارب الدول وبعض المؤسسات المعنية في

الدول المتقدمة والاستفادة من ذلك في تطوير اللغة العربية وتقديمها.

- وضع معايير علمية موحدة لبناء مناهج اللغة العربية.
 - تطوير كفايات معلمي اللغة بما يهيئ لهم سلامة الأداء وينمي قدراتهم العلمية والمهنية.
 - تحسين قدرات الطلاب ومهارات تعلمهم باعتبار اللغة أداة تفكير ووسيلة تواصل.
- واتخذ المؤتمر العام للمنظمة حياله القرار الآتي:
١. الموافقة على مقترح المملكة العربية السعودية بشأن مشروع تحسين مستوى تعليم اللغة العربية في جميع مراحل التعليم.
 ٢. توجيه الشكر لمعالي الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد وزير التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية على مبادرته بطرح هذا المشروع القومي والذي يمثل أولوية كبرى للدول العربية كافة.
 ٣. دعوة المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى التعاون مع مكتب التربية العربي لدول الخليج في تنفيذ هذا المشروع في مختلف مراحله، باعتباره من المشروعات القومية الكبرى للمنظمة والمستمرة لأكثر من دورة مالية.
 ٤. دعوة المدير العام إلى استعراض تجارب الدول العربية في تطوير اللغة العربية من حيث الأساليب والطرق ومن حيث إعداد المعلمين وتدريبهم والإفادة منها في هذا المشروع.
 ٥. دعوة المدير العام إلى التعاون مع مكتب التربية العربي لدول الخليج في الاتصال بصناديق التنمية العربية، وبالمؤسسات الخيرية، والقادرين من العرب على البذل في تنفيذ هذا المشروع الحيوي وإخراجه إلى حيز الوجود حسب الأهداف المحددة له.
 ٦. دعوة المدير العام إلى إشراك معهد الخرطوم الدولي للغة العربية في كل جهد لتطوير اللغة العربية.

وقد نتج عن الاتصالات بشأن تنفيذ القرار أن استجاب صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم إمارة الشارقة في دولة الإمارات العربية المتحدة، وقرر استضافة مركز في الشارقة يعنى بهذا الشأن باسم «المركز التربوي للغة العربية» ويكون أحد الأجهزة التابعة لمكتب التربية العربي لدول الخليج، ولم يكتف سموه باستضافته بل قدم له معونة مالية جزية، ودمعماً معنوياً كبيراً، والمأمول أن يؤتي المركز ثماره فتتطور مناهج تعليم اللغة العربية وتصبح الفصحى في مجتمعنا العربي هي لغة الحديث والكتابة والخطابة.

إدخال التربية الوطنية في مناهج التعليم

يقيني لا يتزعزع أن «المملكة العربية السعودية» وطن ليس كباقي الأوطان، بحكم مكانته وقدسيتها ما شرفه الله باحتضانه؛ لذا ينبغي أن نغرس في نفوس ناشئنا الاعتراز به وحبه والاستعداد للذود عنه.. اكتشفتُ قبل أن آتي إلى الوزارة أن معظم دول العالم عندها برامج للتربية الوطنية بينما بلدنا لا يوجد فيه مثل هذه البرامج، فاقترحت برنامجاً لهذه المادة من الصف الرابع الابتدائي وحتى نهاية المرحلة الثانوية.. ولا أريدها مادة تدرّس بطريقة نظرية فقط، بل بطريقة عملية كي يرى الناشئة ما الذي تحقق في الواقع العملي ويفخروا بوطنهم، ويحبوه ويحرسوه. وقد رفعت لخادم الحرمين الشريفين اقتراحاً عندما كنت في مجلس الشورى، وذكرت أن هناك أسباباً موجبة لتدريس التربية الوطنية هي:

١. إعداد مواطنين صالحين لهم من المعرفة الرصينة والأخلاق الحميدة والاتجاهات السليمة ما يعينهم على القيام بواجباتهم.

٢. تعريف الناشئة والشباب أن بلادهم -المملكة العربية السعودية- مهد العروبة والإسلام وأرض البطولات والأجداد، وأن لها منزلة خاصة في العالمين العربي والإسلامي؛ إذ عليها رعاية الحرمين الشريفين وحمائتهما، وأن شعبها جزء لا يتجزأ من الأمتين

العربية والإسلامية، وأن مصيرهم جميعاً واحد، وأن هذا المصير المشترك يوجب عليهم التعاون والتضامن والاتحاد: عملاً بقوله تعالى: (واعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)^٤.

٣. غرس حب العمل، أيًا كان نوعه، ما لم يكن منافياً للدين، في نفوس الناشئة والشباب، ليس لأهميته في نهضة الأمم ورفاهية أبنائها فحسب، بل لأنه مطلوب شرعاً وسبيل إلى مرضاة الله تعالى.

٤. تعريف الناشئة والشباب بمؤسسات بلدهم وتنظيماته الحضارية، وأن هذه لم تأت محض مصادفة، بل ثمرة عمل دؤوب، وكفاح مرير، وأنها في لبابها مرآة صادقة لشخصية الأمة وأخلاقها، ومن ثم فواجب على المواطنين والوافدين دون استثناء احترامها ومراعاتها.

٥. تنمية اتجاهات الأخوة، والتفاهم، والتعاون التي يجب أن تسود بين المواطنين والناس أجمعين لقوله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)^٥.

وقلت في الخطاب: لا يليق أبداً أن تهتم أغلب دول العالم بغرس الانتماء والفخر في نفوس أبنائها ونحن لا نفعل ذلك. يعز علي ألا أرى تصرفات المواطن تتم عن حب الوطن بل هيام به وأن يتخرج طالب من الثانوية العامة وهو لا يعرف شيئاً عن المؤسسات الحكومية الموجودة في بلده، ولا يعرف شيئاً - على سبيل المثال - عن مجلس الشورى ووظيفته، ومجلس الوزراء ومهامه، فكنت حريصاً على أن نتقف طلابنا وطالباتنا، فيحبوا وطنهم ويفخروا به بعد أن يعرفوا مؤسساته وواقعه الاجتماعي والثقافي والنقلة الترموية التي تحققت ولله الحمد... إن المحب الصادق يبذل جهده في إرضاء من يحب والعناية بما يحب.

وكلف عدد غير قليل من المشرفين التربويين والمعلمين بوضع مناهج التربية الوطنية وكان واضحاً لهم الهدف كما كان جلياً أن لقياس حب الوطن علامات وطرقاً كثيرة، لا

٤ سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

٥ سورة الحجرات، آية: ١٢.

يكفي فيها اللفظ باللسان، ما لم يقيم عليها البرهان، ومن هذه الطرق:

- ١ . الحفاظ على ممتلكاته ومكتسباته.
- ٢ . الإسهام في تنميته وازدهاره.
- ٣ . حفظ أمنه واستقراره.
- ٤ . الدفاع عنه إذا تعرض لشر.
- ٥ . التصدي للشائعات المفرضة التي تمثل خطورة على بنيته الاجتماعية.
- ٦ . النصح لولي الأمر وفق الضوابط الشرعية والآداب المرعية ويجب أن يعرف الناصح أن رأيه ليس بالضرورة هو الصواب، بل هو اجتهاد قد يخطئ فيه وقد يصيب.
- ٧ . التسامح مع الآخرين والتغاضي عن أخطائهم.
- ٨ . التكاثر مع أبنائه على اختلاف المناطق والقبائل.
- ٩ . السعي إلى أداء الواجبات نحوه قبل المطالبة بالحقوق.
- ١٠ . تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.
- ١١ . غرس قيم الانتماء والولاء والتعاون والوفاء في نفوس أبنائه.
- ١٢ . محاوره المخالفين والتي هي أحسن.
- ١٣ . التركيز على العمل الطوعي الذي ينفع الوطن والمواطنين ولا يأخذ صاحبه الأجر عليه من الناس، بل يدخره عند الله.
- ١٤ . غرس الوعي بالوحدة الوطنية، وبالوشائج القوية التي تربط بين أبناء هذا الكيان، وإن تباعدت أجزاؤه، أو اختلفت لهجات أبنائه. ولقد رأيت بأم عيني أناساً من بلدان أخرى يفارون على وطنهم أن ينتقص من حقه، أو يغمز من نظامه، بل يدافعون عن أخطائه، رأيتهم حين ينشد نشيدهم الوطني تسكب الدموع من عيونهم، وبالمناسبة فأنا أرى

أن القيام للنشيد الوطني ليس فيه معنى ديني بل مثل قيام الولد للوالد، وطالب العلم لشيخه، والتلميذ لأستاذه.

١٥. ومن صميم الوطنية أن نتصرف بالشكل الذي يحبنا الناس فيه، ويحترمونا، وأعني بالناس طائفتين: الأولى: الذين وفدوا لبلادنا زائرين أو عاملين، فهؤلاء لهم علينا حقّ الضيف، رعاية واحتراماً وإكراماً، أليس من العجيب أن يقضي بعضهم السنين الطوال بين ظهرائنا ولا يدخلوا بيوتنا، ولا ندعوهم إلى طعامنا، ولا نشعرهم أنهم ليسوا في غربة، بل هم نزيلو معشر من الكرماء اللطفاء الأوفياء. والطائفة الثانية هم الذين نزور بلادهم، فكل واحد منا سفير لهذا الوطن يجب عليه ألا يشوه صورته في أعين الآخرين، وألا يأتي بما يشين، بل يكون مثلاً يحتذى في الاستقامة والذوق وحسن المعاملة.

شكلت لجنة من المشرفين التربويين ومن الأساتذة الجامعيين في علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية فوضعت خطة دراسية متكاملة لهذه المادة. بعدها ألفت الكتب وأصبحت المادة ضمن المواد الدراسية الرئيسة ومع اعترافي بأن هناك قصوراً في تحقيق الغاية تبدو في ضعف الكتب المقررة وفي تنفيذ أوجه النشاط المصاحبة إلا أن التطوير مستمر، وكفي أن المفهوم صار راسخاً والحديث عنه في أوساط المجتمع مستمر، ولا تكاد تخلو صحيفة محلية أو مجلة من التعليق على وجوب ترسيخ الوطنية وتقديم اقتراحات لتحقيق ذلك.

دمج الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة

كنت أشعر بأهمية الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة وأنه لا بد من رعايتهم. ولم أكن مطمئناً إلى عزلهم في مدارس خاصة بهم، وبحثت عن أحسبه أفضل المؤهلين لتولي الأمانة العامة بالتربية الخاصة فوجدته ذلكم الرجل العصامي الموهوب «ناصر بن علي الموسى» وهو عضو هيئة التدريس في كلية التربية جامعة الملك سعود، ووقفت في استقطابه ونقله الي العمل متفرغاً في الوزارة وطلبت منه أن ينطلق بالرعاية التربوية لهذه الفئة الغالية من أبنائنا وقد وفقنا في تحقيق تقدم غير مسبوق في هذا المجال وأصبحت أتباهى به في كل محفل عربي ودولي وهنا أشرح هذا النهج بادئاً بتعريف الدمج.

فالدمج حسب ما تم التوصل إليه مع الأخوة المختصين «هو دمج الأطفال غير العاديين المؤهلين مع أقرانهم دمجاً زمنياً، تعليمياً، واجتماعياً، حسب خطة وبرنامج وطريقة تعليمية مستمرة تُقر حسب حاجة كل طفل على حدة، ويشترط فيها وضوح المسؤولية لدى الجهاز الإداري والتعليمي والفني في التعليم العام والتربية الخاصة».

أما من الناحية الإجرائية فقد عرفته القواعد التنظيمية لمعاهد وبرامج التربية الخاصة (٢٠٠٢م) على أنه «تربية وتعليم الأطفال غير العاديين في المدارس العادية مع تزويدهم بخدمات التربية الخاصة».

فوائد الدمج:

من خلال مراجعة مستفيضة لما كتب في مجال الدمج التربوي، نجد أن أهم فوائد الدمج هي الآتي:

١. إن الدمج التربوي يتيح للأطفال ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة فرصة البقاء في منازلهم مع أسرهم طوال حياتهم الدراسية، الأمر الذي يمكنهم من أن يكونوا أعضاء عاملين في أسرهم وبيئاتهم الاجتماعية، ويمكن هذه الأسر والبيئات الاجتماعية من القيام بالتزاماتها تجاه أولئك الأطفال.

٢. يعمل الدمج التربوي على الحد من المركزية في عملية تقديم البرامج التعليمية، وهذا يهيئ الأرضية التي تمكن المجتمعات المحلية من التأثير في مجريات عملية

٣. إن الدمج التربوي يشكل وسيلة تعليمية مرنة، يمكن من خلالها زيادة وتطوير وتنوع البرامج التربوية المقدمة للتلاميذ ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة.
٤. إن البيئة الاندماجية تعمل على زيادة التقبل الاجتماعي للأطفال المعوقين من قبل أقرانهم غير المعوقين، ومن ثم فإن التدريس لهم في الفصول العادية يمكنهم من محاكاة وتقليد سلوك الأطفال العاديين، فيزداد التواصل والتفاعل الاجتماعي معهم.
٥. إن احتكاك الأطفال المعوقين بأقرانهم غير المعوقين في سن مبكرة يسهم كثيراً في تحسين اتجاهات الأطفال غير المعوقين نحو أقرانهم المعوقين، ويسهم أيضاً في تحسين اتجاهات الأطفال المعوقين نحو أقرانهم غير المعوقين.
٦. إن من شأن الدمج التربوي أن يعمل على إيجاد بيئة اجتماعية يتمكن فيها الأطفال غير المعوقين من التعرف - بشكل مباشر - على نقاط القوة والضعف عند أقرانهم المعوقين مما يؤدي إلى الحد، أو التخلص من أية مفاهيم خاطئة قد تكون موجودة لديهم.
٧. إن الدمج التربوي من شأنه أن يعمل على إيجاد بيئة تعليمية تشجع على التنافس الأكاديمي بين جميع التلاميذ، الأمر الذي يسهم في رفع مستوى الأداء الأكاديمي لدى الأطفال ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة.
٨. إن الدمج التربوي يعمل على إيجاد بيئة واقعية، يتعرض فيها الأطفال ذوو الاحتياجات التربوية الخاصة إلى خبرات متنوعة، ومؤثرات مختلفة من شأنها أن تمكنهم من تكوين مفاهيم صحيحة واقعية عن العالم الذي يعيشون فيه.
٩. إن الدمج التربوي، يعمل على تعميق فهم المربين للفروق الفردية بين الأطفال، ويظهر للمتخصصين وغير المتخصصين على حد سواء، أن أوجه التشابه بين التلاميذ العاديين وأقرانهم غير العاديين أكبر من أوجه الاختلاف.

أسلوب تنفيذ الدمج:

الدمج التربوي يتم على طريقتين:

١. **طريقة الدمج الجزئي:** وتتحقق من خلال استحداث برامج فصول خاصة ملحقة بالمدارس العادية، وهذا النمط من البرامج يتضمن إلحاق الأطفال ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة بفصل خاص بهم بالمدرسة العادية، حيث يتلقون الرعاية التربوية والتعليمية الخاصة بهم مع بعضهم في ذلك الفصل، مع العمل على إتاحة الفرصة لهم للاندماج مع أقرانهم العاديين في بعض الأنشطة الصفية، والأنشطة اللاصفية وفي مرافق المدرسة.

وبرامج الفصول الخاصة على نوعين:

- **فصول تطبق مناهج معاهد التربية الخاصة مثل:** فصول الأطفال القابلين للتعلم من المتخلفين عقلياً، وفصول الأطفال الصم.
- **فصول تطبق مناهج المدارس العادية مثل:** فصول الأطفال المكفوفين، وفصول الأطفال ضعاف السمع.

٢. **طريقة الدمج الكلي:** وتتم عن طريق استخدام الأساليب التربوية الحديثة مثل، برامج غرف المصادر، وبرامج المعلم المتجول، وبرامج المعلم المستشار، وبرامج المتابعة في التربية الخاصة.

هذه الأنماط من تقديم برامج التربية الخاصة هي:

١. برنامج غرفة المصادر:

هو أحد الأساليب التي بواسطتها تتم عملية دمج الأطفال غير العاديين في المدارس العادية، وهو مفهوم تربوي يتضمن الركائز الرئيسة الآتية:

- تخصيص غرفة في المدرسة العادية تكون ذات مستلزمات مكانية وتجهيزية وبشرية تحدها طبيعة خصائص واحتياجات الفئة أو الفئات المستفيدة.
- إبقاء التلاميذ غير العاديين في الصفوف الدراسية بالمدرسة العادية مع أقرانهم

العاديين إن كانوا من الفئات الموجودة -أصلاً- بالمدارس العادية، أو إلحاقهم بالصفوف الدراسية بالمدرسة العادية مع أقرانهم العاديين إن كانوا من الفئات التي كانت تدرس تقليدياً بمعاهد التربية الخاصة، أو الفصول الخاصة الملحقة بالمدارس العادية.

- يتحتم على التلاميذ غير العاديين أن يقضوا -على الأقل- ٥٠% من يومهم المدرسي في الصفوف الدراسية مع أقرانهم العاديين.

- يتردد التلاميذ غير العاديين على غرفة المصادر للاستفادة من خدماتها حسب جدول تحدده متغيرات أهمها: حاجة الطفل إلى برامج التربية الخاصة، وطبيعة إعاقة الطفل، وشدة إعاقة الطفل، والصف الدراسي الذي يدرس فيه الطفل، وغير ذلك من المتغيرات التي يميلها الموقف التربوي على كل من معلم التربية الخاصة، ومعلم الفصل العادي.

- قد يكون من الضروري تسجيل الأطفال غير العاديين في المدرسة التي يوجد بها برنامج غرفة مصادر، أو تحويلهم إليها إن كانوا من التلاميذ المسجلين في مدارس لا يوجد بها هذا البرنامج، الأمر الذي يستدعي ضرورة تأمين وسيلة نقل للتلاميذ بين المدرسة والمنزل.

٢. برنامج المعلم المتجول،

هو أحد الأساليب التي بواسطتها تتم عملية دمج الأطفال غير العاديين في المدارس العادية، وهو مفهوم تربوي يتضمن الركائز الرئيسة الآتية:

- تسجيل الأطفال غير العاديين في أقرب المدارس العادية إلى منازلهم، أو إبقاؤهم فيها إن كانوا مسجلين بها فعلاً.

- يتحتم على التلاميذ غير العاديين أن يقضوا معظم يومهم المدرسي في الصفوف الدراسية مع أقرانهم العاديين.

- يقوم معلم متخصص في التربية الخاصة بالتجول في المدارس العادية التي يوجد

بها تلاميذ غير عاديين بغرض تقديم برامج التربية الخاصة لهم، وذلك وفقاً لجدول تحدده متغيرات أهمها:

- عدد الطلاب الذين يتكون منهم عبء التدريس.
- طبيعة احتياجات أولئك الطلاب.
- عدد المدارس التي يزورها.
- طول المسافات التي يقطعها.
- يكون مقره في قسم التربية الخاصة بإدارة التعليم، أو في إحدى المدارس التي يعمل بها.
- يحتاج إلى استخدام وسيلة نقل.

٢. برنامج المعلم المستشار،

هو أحد الأساليب التي بموجبها تتم عملية دمج الأطفال غير العاديين في المدارس العادية، وهو مفهوم تربوي تقوم فكرته على الاستفادة من خدمات معلم متخصص في التربية الخاصة، يقوم بزيارات ميدانية للمدارس العادية التي يوجد بها تلاميذ غير عاديين، شأنه في ذلك شأن المعلم المتجول، بغرض تقديم برامج التربية الخاصة التي تتمثل في النصح والمشورة لمعلمي الفصول العادية حول كيفية التعامل مع الأطفال غير العاديين، وهو أيضاً كالمعلم المتجول يكون مقره في قسم التربية الخاصة بإدارة تعليم المنطقة، أو إحدى المدارس التي يعمل بها، ويحتاج أيضاً إلى استخدام وسيلة نقل.

٤. برنامج المتابعة في التربية الخاصة،

وهذه البرامج يمكن تعريفها على أنها عبارة عن برامج موجودة لدى الأمانة العامة للتربية الخاصة بوزارة التربية والتعليم لمتابعة بعض الفئات التي لا تستفيد -حالياً- من برامج التربية الخاصة، وهو إجراء مؤقت ينتهي بمجرد استحداث برامج للتربية الخاصة في مدارس التعليم العام لتلك الفئات.

الفئات المستهدفة بالدمج:

يستهدف الدمج فئتين، فئة موجودة أصلاً في المدارس العادية تستفيد فعلاً من برامجها التربوية لكنها في حاجة إلى برامج التربية الخاصة مثل: فئة الموهوبين والمتفوقين، وفئة لديها صعوبات في التعلم، وفئة المعوقين جسمياً وحركياً، وفئة ضعاف البصر، وفئة المضطربين سلوكياً وانفعالياً، وفئة المضطربين تواصلياً.

أما الفئة الثانية، فهي تدرس تقليدياً في معاهد التربية الخاصة، أو برامج الفصول الخاصة الملحقة بالمدارس العادية، لكنها في حاجة إلى الاندماج التام مع أقرانها في المدارس العادية مثل: فئة المكفوفين وفئة ضعاف السمع.

نتائج الدمج:

نظراً لما لأسلوب الدمج من فاعلية تربوية واجتماعية ونفسية واقتصادية، فقد أحدث نقلة كمية ونوعية هائلة في مجال تربية وتعليم الأطفال ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة في المملكة، رغم قصر عمر التجربة في هذا المجال.

فمن حيث النمو الكمي ارتفع عدد معاهد وبرامج التربية الخاصة من (٤٨) معهداً وبرنامجاً للبنين و(١٨) معهداً للبنات في العام الدراسي ١٤١٥/١٤١٦هـ إلى (١٥٧١) معهداً وبرنامجاً للبنين و(٣٠٤) معهداً وبرنامجاً للبنات في العام الدراسي ١٤٢٥/١٤٢٦هـ لأن تعليم البنات ألحق بالوزارة لاحقاً، وارتفع عدد طلاب وطالبات هذه المعاهد والبرامج من (٧,٧٢٥) طالباً وطالبة في العام الدراسي ١٤١٥/١٤١٦هـ إلى (٤٣,٣٧٩) طالباً وطالبة في العام الدراسي ١٤٢٥/١٤٢٦هـ.

أما التطور النوعي فيتمثل فيما يأتي:

١. جاءت الزيادة المشار إليها آنفاً في عدد المعاهد والبرامج لمصلحة البرامج المستحدثة على حساب المعاهد، إذ كان عدد المعاهد في العام الدراسي ١٤١٥/١٤١٦ (٥٤) معهداً للبنين والبنات وكان عدد البرامج في ذلك العام (١٢) برنامجاً للبنين، بينما أصبح عدد المعاهد في العام الدراسي ١٤٢٥/١٤٢٦ (٦٤) معهداً للبنين والبنات، وأصبح عدد البرامج (١٨١١) برنامجاً للبنين والبنات، وحتى الزيادة الضئيلة في عدد المعاهد تعود إلى تحول بعض المعاهد ذات المراحل المتعددة إلى أكثر من معهد بالنسبة للبنين أو افتتاح معاهد جديدة للبنات.

ونتيجة لذلك أصبحت أعداد التلاميذ الذين يتلقون برامج التربية الخاصة في المدارس العادية تفوق كثيراً أعداد أقرانهم الذين يتلقون تلك البرامج في المعاهد التابعة لها، حيث شكل التلاميذ ذوو الاحتياجات التربوية الخاصة المدموجون في المدارس العادية في العام الدراسي (١٤٢٦/٢٥ هـ) نسبة (٨٨٪) من إجمالي تلاميذ التربية الخاصة، وشكلت نسبة التلميذات ذوات الاحتياجات التربوية الخاصة (٧٠٪) من إجمالي تلميذات التربية الخاصة.

٢. لم تعد التربية الخاصة تتركز في المدن ذات الكثافة السكانية فحسب، وإنما أخذت تتسع ببرامجها لتشمل المدن الأقل كثافة، بل حتى القرى والأرياف في مملكة مترامية الأطراف.

٣. لم تعد التربية الخاصة مقصورة على فئات المعوقين التقليدية المعروفة وهي: المكفوفين، والصم، والمتخلفين عقلياً، بل امتدت لتشمل فئات أخرى كثيرة مثل: الموهوبين، وضعاف البصر، وضعاف السمع، وذوي صعوبات التعلم، والمعوقين جسمياً وحركياً، والتوحيدين، ومتعددي الإعاقة، والعمل جار على استحداث برامج جديدة لاستيعاب جميع الفئات التي تدرج في نطاق المفهوم الشامل الحديث للتربية الخاصة.

٤. تعددت أنماط تقديم خدمات التربية الخاصة في المملكة، فقد أصبح لدينا معاهد داخلية، ومعاهد نهارية، وفصول خاصة ملحقة بالمدارس العادية، وبرامج غرف مصادر، وبرامج معلم متجول، وبرامج معلم مستشار، وبرامج متابعة في التربية الخاصة مما أدى إلى تلبية احتياجات الأطفال غير العاديين على اختلاف فئاتهم.

٥. أظهرت نتائج الاختبارات التحصيلية تفوق التلاميذ المكفوفين المدموجين على أقرانهم المبصرين في بعض مدارس المملكة مثل: ثانوية عرفات بجدة، وثانوية أبي أيوب الأنصاري في بريدة، وابتدائية طارق بن زياد بجازان.

٦ التوحد: هو اضطراب نمائي يظهر لدى الأطفال قبل سن الثالثة. فيعانون من مشكلات في التفاعل الاجتماعي والتواصل اللفظي وغير اللفظي والأنماط السلوكية واللعب التخيلي.

وأحمد الله تعالى أن هذه الرعاية الخاصة لأطفالنا كانت من إنجازات الوزارة التي أعزبها ومما يثلج صدري أن يفد إلى وزارة التربية والتعليم وفود دول عربية وغير عربية تتعلم من هذه التجربة وتقتبس من هذه الريادة.

تقويم الدمج التربوي في المملكة العربية السعودية ،

بُذلت -ولا تزال تبذل- محاولات جادة تهدف إلى إجراء دراسات علمية على مستوى المملكة العربية السعودية بفرض التعرف على مدى تأثير البيئة التربوية (الاندماجية والانعزالية) على بعض المتغيرات مثل: التحصيل الدراسي لدى التلاميذ، والمهارات الاجتماعية، السلوك التكيفي، وغير ذلك من المتغيرات ذات العلاقة، وفي هذا الإطار تحقق لي تكوين فريق من الأمانة العامة للتربية الخاصة بالوزارة وقسم التربية الخاصة بجامعة الملك سعود لإجراء دراسة وطنية بعنوان: «تقويم تجربة المملكة العربية السعودية في مجال دمج الأطفال ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة في مدارس التعليم العام» وتهدف هذه الدراسة إلى ما يأتي:

١. التعرف على واقع برامج الدمج في مدارس التعليم العام بالمملكة.
٢. تأثير البيئة التعليمية (الاندماجية والانعزالية) على التحصيل الدراسي والسلوك التكيفي، ومفهوم الذات لدى التلاميذ ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة.
٣. الآثار الإيجابية والسلبية التي أحدثتها عملية الدمج في البيئتين المنزلية والمدرسية بالمملكة.
٤. اتجاهات العاملين في معاهد وبرامج التربية الخاصة والعاملين في مدارس التعليم العام، واتجاهات التلاميذ العاديين وغير العاديين وأولياء أمورهم نحو الدمج التربوي.

وعلى كل حال فإن عمليات تقويم برامج التربية الخاصة في المدارس العادية تعتمد اعتماداً كبيراً على نتائج الجولات الميدانية التي يقوم بها المشرفون التربويون بشكل منظم، ويقدمون من خلالها تقارير مفصلة تشمل على معلومات قيمة مثل: طبيعة سير

العمل في البرامج، ونقاط القوة والضعف في البرامج، والمشكلات التي تواجه البرامج، والتوصيات والمقترحات والحلول المناسبة للمشكلات... وينبغي التنويه - هنا- إلى حقيقة غاية في الأهمية مؤداها: أن عملية تقويم برامج الدمج التربوي تتم في المملكة بفرض النهوض بمستوى خدمات التربية الخاصة، المقدمة من خلالها كماً ونوعاً، وليس بفرض الحكم عليها بالنجاح أو الإخفاق، ذلك أننا نرى أن وجودها في مدارسنا يعد ضرورة لأنها تقدم لنا آلية تعليمية مرنة تمكننا من الوفاء باحتياجات جميع الأطفال غير العاديين في المملكة، وقد وضعت الأمانة العامة للتربية الخاصة مجموعة من الضوابط لتطبيق مبدأ الدمج منها: إيجابية الاتجاهات التربوية لإدارة المدرسة والمعلمين نحو تطبيق البرنامج، وألا تزيد كثافة الفصل في المدرسة المزمع الدمج فيها على (٢٥) طالباً، ووجود نظام مساند تقدم من خلاله خدمات التربية الخاصة، وحددت -أيضاً- مجموعة من الإجراءات الأولية الضرورية لتنفيذ عملية الدمج منها: عقد دورات تأهيلية قصيرة للمعلمين عن مفهوم الدمج وأهدافه ونظامه ومتطلباته بقصد تغيير اتجاهاتهم نحو المعوقين وإمكانية دمجهم.

الصعوبات التي واجهت عملية تطبيق الدمج التربوي :

- يندر أن يوجد أي مشروع عملاق مثل مشروع الدمج الذي تطبقه وزارة التربية والتعليم بدون بعض الصعوبات، ومن أبرز الصعوبات التي واجهتنا في تطبيق هذا المشروع:
١. تخوف أولياء أمور التلاميذ ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة من عملية الدمج.
 ٢. وجود بعض الاتجاهات السلبية لدى بعض شرائح المجتمع نحو ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة.
 ٣. عدم تهيئة مباني مدارس التعليم العام لتلبية احتياجات جميع فئات الأطفال غير العاديين.

ومما يبعث على الراحة والاطمئنان أن هذه الصعوبات جميعها من النوع الذي يمكن التصدي له والتغلب عليه، إذ إنها لا تعود في أساسها إلى صحة المبدأ وسلامة المسار الذي تقوم عليه عملية الدمج، بل ترتبط -مباشرة- بعملية التطبيق.

وقد تعاملت معها الوزارة من خلال خططها الطويلة والقصيرة المدى، فلم يتم تطبيق مشروع الدمج من قبل الوزارة ممثلة في الأمانة العامة للتربية الخاصة إلا بعد دراسة مستفيضة وتخطيط مبكر وإعداد استراتيجية تربوية تتضمن الأهداف والآليات الكفيلة بالتغلب على أية عقبات عند ظهورها.

فبالنسبة لمشكلة تخوف أولياء أمور التلاميذ ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة من عملية الدمج، فإن هذه المشكلة سرعان ما تتلاشى عندما يرون النتائج المبهرة لنجاح عملية الدمج الذي يُعد أكثر الأساليب فاعلية في التغلب على المشكلة الثانية المتمثلة في الاتجاهات السلبية نحو ذوي الاحتياجات الخاصة؛ ذلك أن المدرسة العادية هي المكان الطبيعي لتنمية المفاهيم الصحيحة عن إمكانيات وقدرات الأطفال جميعاً عاديين وغير عاديين؛ الأمر الذي بموجبه يتم تكوين اتجاهات إيجابية تجاه أطراف الدمج المختلفة. وعلى هذا الأساس فإن الدمج التربوي يُعد أفضل الوسائل لتحقيق الدمج الاجتماعي الذي ينشده الجميع.

أما بالنسبة للمشكلة المتعلقة بالمباني المدرسية، فقد تنبّهت لها الوزارة في وقت مبكر وأدرجت احتياجات هذه الفئة ضمن مواصفات إنشاء المباني الجديدة بما يتناسب واحتياجات المعوقين على اختلاف فئاتهم.

أما بالنسبة للمباني الحالية فإن الوزارة تسعى جاهدة إلى إجراء التعديلات الممكنة لتلبي احتياجات التلاميذ ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة مثل الممرات ودورات المياه.

وقد حددت القواعد التنظيمية لمعاهد وبرامج التربية الخاصة الصادرة عام ١٤٢٢هـ الأطر التي تنظم المستلزمات المكانية والتجهيزية والبشرية التي تتطلبها كل فئة من فئات ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة.

الدور المستقبلي لمعاهد التربية الخاصة،

إن تفعيل دور المدارس العادية في مجال تربية وتعليم الأطفال غير العاديين لا يلغي -بأي حال من الأحوال- دور معاهد التربية الخاصة، أو يقلل من أهميته، فهذه المعاهد

كانت وستظل - بإذن الله تعالى - صروحاً شامخة في سماء المملكة وهي تمثل خياراً تربوياً جيداً يخرج الأجيال تلو الأجيال، غير أن التوجهات الحديثة في مجال تربية وتعليم الفئات الخاصة تحتم على هذه المعاهد أن تضطلع بأدوار أخرى إضافية مستقبلية، تتمثل في الآتي:

١. استحداث برامج متخصصة بها لرعاية وتربية الأطفال مزدوجي ومتعددي الإعاقة، وغيرهم من الأطفال الذين يصعب على المدارس العادية استيعابهم.
 ٢. تحويل هذه المعاهد إلى مراكز معلومات وخدمات مساندة تقوم بتزويد برامج التربية الخاصة في المدارس العادية بالخبرات، والمعلومات، والأساليب، والوسائل، والمواد، والأدوات التعليمية لتمكين هذه البرامج من القيام بمهامها على الوجه المطلوب.
 ٣. تحويل هذه المعاهد إلى مراكز تدريب يتم من خلالها إقامة الدورات التدريبية المتخصصة للمعلمين، والمشرفين التربويين، والإداريين الذين هم على رأس العمل، بالإضافة إلى بعض الدورات التدريبية المبسطة لأولياء الأمور.
 ٤. استحداث برامج تدخل مبكر بهذه المعاهد تعنى بالأطفال ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة من سن الولادة حتى سن المدرسة.
 ٥. استحداث برامج بهذه المعاهد تُعنى بتدريب وتأهيل الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة ممن يحتاجون إلى تأهيل أو إعادة تأهيل أو تدريب على مهن مناسبة.
- لقد وقفت بنفسني على النقلة النوعية لرعاية ذوي الاحتياجات الخاصة ووجدت النتائج المبهجة في رؤية الصمّ ومكفوفي البصر وذوي التخلف الذهني البسيط مندمجين مع أقرانهم الأسوياء في ألفة تامة، وكانت سعادتني غامرة أن يتحقق هذا لفلذات الأكباد الأعزاء، وستظل هذه النقلة النوعية محل غبطتي وفخري طيلة حياتي.

التربية الكشفية وتطوير أنظمتها ومناهجها

وزير التربية والتعليم - بحكم منصبه - هورئيس جمعية الكشافة العربية السعودية وذلك حسب النظام المعتمد للجمعية. ولقد كانت فرصة سانحة أن أسهم في تطوير الجمعية والعمل على بروزها واستقطاب اليافعين والشباب بل والكبار لعضويتها وقد تعرفت على الكثير من مزايا العمل الكشفي، ووجدت أن الكشافة هي من أهم المصادر والمناجم الذي يستخرج منه اليوم رجال الغد، وأنها هي الميدان العملي لتطبيق العلم النظري.. الكشافة أرض خصبة يمارس فيها أبناؤنا أخلاق التعاون والتآزر والتسامح والعمل بروح الفريق وتحقيق معنى الجسد الواحد، وهي ميدان عملي يعودهم على الجد والصلابة، ويدربهم على أن تتسع صدورهم للآراء المختلفة واحترام أصحابها، وإن كانت تخالف آراءهم. وهي تنمي ملكة التفكير عندهم أمام ما يواجهونه من تحديات (مخطط لها) تحتاج إلى صبر وأناة، وإعمال للذهن للتغلب عليها، فيمارسون التفكير الإبداعي، والتفكير الناقد... وقد شدني شمول النظام الكشفي لمراحل العمر المختلفة، ولكل مرحلة منها منهجها الخاص، وشعارها، وشاراتها: البراعم، والأشبال، والفتيان، والكشاف المتقدم، والجوال.

ولقد وفق الله إلى إنجازات متوالية عظيمة في الحركة الكشفية، ومن أبرز هذه المنجزات:

١. تأسيس رابطة رواد الحركة الكشفية عام ١٤١٩هـ وقد تم تسجيلها رسمياً في المنظمة الكشفية العالمية، وفي الاتحاد العربي لرواد الحركة الكشفية، وينضوي تحتها عدد كبير من الكشافة القدامى والقادة والجوالة متطوعين في عملهم الكشفي ليستمر عطاؤهم في خدمة وطنهم، وقد أنشئ في أنحاء المملكة مفوضيات لها تديرها لجنة عليا.

٢. تأسيس الصندوق الكشفي عام ١٤٢٣هـ بهدف دعم وتنمية موارد جمعية الكشافة العربية السعودية بالتبرعات والمنح والاستفادة من خبرات الصندوق الكشفي العالمي في تطوير موارده، ويدير الصندوق مجلس إدارة منتخب وله جمعية عمومية تجتمع سنوياً.

٢. تطوير مجلة «السارية» وهي دورية كشفية يعدها الكشاف ويقرؤها الجميع منتظمة في الصدور كل شهرين، وتوزع على كشافه المملكة، ولها انتشار واسع في الجمعيات الكشفية العالمية، ويصدر بعض أعدادها باللغة الإنجليزية.
٤. تطوير جميع الأنظمة واللوائح الكشفية الداخلية للتوافق مع حاجات الكشاف واحتياجات المجتمع والتطور العالمي.
٥. إنشاء مرحلة البراعم، وهي أول مرحلة عمرية كشفية. وقد تم إنشاؤها في المملكة العربية السعودية عام ١٤٢٤هـ واعتمد منهجها عام ١٤٢٥هـ وشعارها «العب وتعلم»، وينتمي لها من هم في سن السادسة إلى الثامنة.
٦. إنشاء الكشافة الجوية وهي من أحدث المجالات الكشفية ولم تدخل المملكة إلا عام ١٤٢٥هـ وقد اعتمد نظامها وأدلتها بالتعاون مع الجهات المختصة.
٧. إعداد وتطوير نظام الزيّ الكشفي لكل مرحلة وإصدار أدلة بذلك وهي أول أنظمة لللبسة الكشفية معتمدة من مجلس إدارة الجمعية، وقد كانت شاملة لجميع المراحل: البراعم والأشبال والكشاف، والكشاف المتقدم، والجوالة، والقادة، والرواد، والكشاف البحري، والكشاف الجوي.
٨. إعداد نظام لشارات الهواية، وهو من أهم طرق التعلم في الكشافة، وقد أعدت أدلة لكل مرحلة شملت جميع الهوايات، بالإضافة إلى بعض الهوايات الجديدة لكل مرحلة، وقد وضعت شروط اجتيازها وأساليب التعلم وطرق التقويم.
٩. إعداد نظام للتجمعات الكبرى، نظراً لأن المملكة في السنوات الأخيرة نظمت عدداً من التجمعات الكشفية الكبرى وأصبح لديها خبرة في هذا، ولذلك طلبت منها بعض المنظمات الكشفية العالمية والمنظمة العربية إعداد دليل لذلك حتى تستفيد منه بقية الدول.
١٠. إعداد نظام تنمية القيادات الكشفية الذي أقر في المؤتمر العالمي الكشفي في باريس.

١١. استضافة المخيم الكشفي العربي الرابع والعشرين الذي شاركت فيه جميع الدول العربية الأعضاء بعدد يتجاوز الألف كشاف وقد حضره عدد من القيادات الكشفية من أبرزهم مولاي رشيد شقيق الملك محمد السادس ملك المغرب، إلى جانب ولي عهد قطر.

١٢. استضافة المؤتمر الكشفي العربي الثالث والعشرين الذي حضرته جميع الدول العربية الأعضاء، بالإضافة إلى رئيس اللجنة العالمية وأعضائها والأمين العام للمنظمة الكشفية العالمية، ورئيس اللجنة الكشفية العربية وأمينة العام، ورئيس الصندوق الكشفي العالمي، ووضعت فيه استراتيجية عشرية للحركة الكشفية في الدول العربية.

١٣. استضافة اجتماع رؤساء الجمعيات الكشفية في الإقليم العربي.

١٤. قبول استضافة المخيم الكشفي الدولي للتعرف على الحضارات وتبادل الثقافات تحت شعار «معاً من أجل السلام»، وقد بلغ عدد الدول المشاركة أكثر من ثمانين دولة من الدول الأعضاء بالإضافة إلى المنظمات الكشفية وغيرها.

١٥. زيادة عدد الكشافة المشاركين في الحج أربع أضعاف ليصل العدد إلى أكثر من ثلاثة آلاف، وتوسع مشاركتهم في العديد من المجالات واستخدام التقنية في العمل الكشفي والإدارة الإلكترونية بين المعسكرات والقيادة المركزية.

١٦. المشاركة الفعالة في التنشيط السياحي وبرامج حماية البيئة وإعداد أدلة سنوية لذلك.

١٧. إعداد استراتيجية كشفية مبنية على الاستراتيجية العالمية ومتطلبات وحاجات كشافة المملكة وتدريب جميع القطاعات الكشفية على تنفيذها.

١٨. مشاركة الكشافة السعودية في جميع المناسبات الخليجية والعربية والعالمية والإقليمية.

١٩. زيادة العضوية في الحركة الكشفية بنسبة ١٠٪ سنوياً في جميع المراحل: البراعم،

والأشبال، والكشافة، والكشاف المتقدم، والجوالة، والقادة، والرواد. ليصل عدد الكشافة إلى أكثر من ١٠٠,٠٠٠ كشاف موزعين على جميع القطاعات: التعليم العالي، والتعليم العام، والتعليم الفني، ورعاية الشباب، والفرق الأهلية.

٢٠. إنشاء مشروع برنامج «هدية السلام العالمي»^٥ باسم خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود، ترعاه المنظمة الكشافية العالمية، وتنفذ برامجه في العديد من الدول.

٢١. عضوية المملكة في اللجنة الاستشارية الشبابية للمنظمة الكشافية العالمية، التي تعتمد على الانتخابات وعدد أعضائها ستة وممثل المملكة كان أحد المرشحين الفائزين.

٢٢. إنشاء مناهج كشافية لذوي الاحتياجات الخاصة في المملكة وقد تم تبنيها من قبل المنظمة الكشافية العربية لجميع الدول الأعضاء. وتم تفعيل مشاركتهم في المناسبات الكشافية.

٢٣. إنشاء نظام للفرق الكشافية الأهلية وتسجيلها في الجمعية ودعمها وتطويرها فنياً.

٢٤. إعداد لائحة للتكريم الكشافي ولجنة عليا مستقلة تتولى جميع أمور الترشيح من خلال نظامها، وقد تم تنفيذ أول تكريم كشافي عام ١٤٢٦هـ في المدينة المنورة وحضره أكثر من ألف قائد كشافي، ورائد وكُرّم عدد من أصحاب السمو الملكي وأصحاب المعالي ممن قدم للحركة الكشافية دعماً وتطويراً.

٢٥. ولعل نجاح مساعي لإقامة المخيم الكشافي العالمي في مطلع عام ٢٠٠٦م في المنطقة الشرقية من المملكة والذي شارك فيه أكثر من ألف وثمانمائة كشاف من معظم دول العالم دليل واضح على تطور مفهوم الكشافة وانتشار سمعة الكشافة السعودية عملياً.

لقد كان السعي الحثيث لإعطاء الكشافة السعودية المكانة اللائقة بها محلياً وعربياً ودولياً هو دأبي، وحرصت على ارتداء الملابس الكشفية في كل مناسبات الكشافة، وحتى حين تشرفي بمقابلة خادم الحرمين الشريفين وولي عهده، وأحمد الله أن مكانة الكشافة قد ارتفعت عالياً، وأني بهذا الشرف أصبحت واحداً من رواد العمل الكشفي.

إلزامية التعليم

كان صدور قرار مجلس الوزراء بإلزامية التعليم إلى نهاية المرحلة المتوسطة (الذي جاء بمذكرة بتوقيعي تحمل المسوغات التي تدعو لإصدار ذلك القرار) محل ابتهاج ونتيجة مسعى حثيث لم يتوقف طيلة تشرفي بالعمل في الوزارة.

رياض الأطفال

وكذلك كان القرار التاريخي من مجلس الوزراء الذي جاء استجابة لطلب الوزارة بأن تكون مرحلة رياض الأطفال جزءاً من مراحل التعليم ومن مسؤوليات الوزارة على أن تكون في مبانٍ مستقلة عن المراحل التعليمية الأخرى؛ يمثل قفزة كبيرة في تطور مفاهيم التربية في المملكة، ولقد أثبتت الدراسات والبحوث أهمية تلك المرحلة التي تسمى بمرحلة ما قبل المرحلة الابتدائية.

تعليم مهارات التفكير

هناك شعور بأن المدرسة لا تدرب طلابها على مهارات التفكير وأن دور المعلم مقتصر -في معظم الأحوال- على تقديم المعلومات؛ مما عزز الشعور بالحاجة الملحة إلى سد هذا النقص، وذلك بتشكيل لجنة دائمة تعنى بهذا الشأن وبعد الكثير من الندوات واللقاءات، وبعد أخذ رأي الكثير من المربين وعلماء النفس واستقراء لكل ما تمكنت اللجنة من الاطلاع عليه من المكتوب في هذا الموضوع، توصلت اللجنة إلى إصدار «دليل المعلم لتعليم مهارات التفكير»، وطبع منه ما يقرب من نصف مليون نسخة، وزعت على المعلمين والمعلمات، وأقيمت ندوات في المدارس لشرح الدليل والمقصد من إخراجها بحيث يستفيد منه كل معلم -مهما كانت مادته التخصصية- في تعليم طلابه مهارات التفكير، من خلال مادته، مهما كانت المرحلة الدراسية، وأصبح من مهمات الإشراف التربوي التأكد من أن المعلم لديه دراية وخبرة في مهارات التفكير يطبقها في أثناء التدريس وفي مناقشاته مع الطلاب وبذلك يربيهم ويعلمهم في الوقت نفسه.

تعليم أدب الحوار وممارسته

لم يعط أحد للحوار أهمية كما أعطاه الإسلام: يبين ذلك الكتاب المجيد، والسنة النبوية المشرفة أوضح بيان.

ففي القرآن الكريم نماذج عدة من الحوار؛ منها -على سبيل المثال- ما كان بين الله عز وجل وملائكته في موضوع خلق آدم عليه السلام، ومنها: محاوراة إبراهيم الخليل لربه سبحانه وتعالى عندما سأله أن يريه كيف يحيي الموتى.. فهل بعد محاوراة خالق الأكوان لواحد من خلقه من أهمية تُعطى للحوار؟!

ومن تلك النماذج الواردة في الكتاب العزيز: محاورات الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام لأقوامهم، وقصة موسى صلى الله عليه وسلم مع العبد الصالح في سورة الكهف، وغيرها كثير.

أما السنة المشرفة فهي غنية بنماذج تطبيقية رائعة تبين ما أعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم للحوار من أهمية، وما بيّن من أصوله وأدابه، وأكتفي بالإشارة إلى حادثة واحدة، تلك هي حوار مع عتبة بن ربيعة الذي جاء يحاوره ويفاوضه ليكفّ عن دعوته، فقال له عليه الصلاة والسلام: قل يا أبا الوليد أسمع. فأخذ عتبة يتكلم والرسول عليه الصلاة والسلام ينصت له باهتمام دون مقاطعة، حتى إذا سكت، قال له: أَوْقَدَ فَرَعْتَ يَا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني، فأخذ الرسول الكريم يتلو عليه آيات من سورة «فُصِّلَتْ»... إلى آخر القصة المذكورة في كتب السيرة.

الحوار نافذة فكرية وشعورية بين الفرد وبين الآخرين. والذي يستغني عن الحوار يعيش منفلقاً على ذاته، ولا يرى الأمور إلا من زاويته الشخصية، فيكون أكثر تعرّضاً للخطأ، وإن زعم أو ظنّ أنه أقرب إلى الصواب من سواه. ذلك أن الصواب ليس حكراً على أحد دون أحد، وما زال أهل الحكمة يستشيرون في الأمور المهمات، ولو استغنى أحد عن الشورى لاستغنى عنها نبي الله عليه الصلاة والسلام ومع ذلك فقد أمره ربّه أن يشاور أصحابه، والشورى تشبه الحوار لأنها طلب التعرف على الرأي الآخر.

ولأن الظروف التي تمرّ بعالمنا ونمر بها ظروف حرجة صعبة، ودرءاً للفتن والأخطار، ومنعاً للتعصب للرأي. لذا فقد عممت الوزارة على جميع مدارسها تمويد الطلاب على الحوار، وعدم التفرق حين الاختلاف على أمور فرعية. وقد شاركت بنفسي عينة من المدارس حين جلست إلى مجلس الحوار والطلاب يتحاورون فيما بينهم، وحين يختار كل صف دراسي ممثله في مجلس الحوار.

لقد كانت التجربة مفيدة، وأصبح الطلاب قادرين على اختيار من يمثلهم وحين يجتمع الممثلون ويختارون من بينهم رئيساً ومقررراً ويضعون جدول أعمال بمواضيع حواراتهم يتعلمون أموراً كثيرة لا يمكن الحصول عليها في أي ظرف آخر إلا من خلال هذه الممارسة الجديدة.

إدخال مادة اللغة الإنجليزية إلى المرحلة الابتدائية

في عام ١٤١٨هـ عقدنا لقاءنا السنوي في أربابها، وكنا نتحدث عن تطوير التعليم، وكان الموجودون مديري التعليم والوكلاء وقيادات الوزارة مع نخبة من المهتمين والخبراء، منهم الدكتور محمد عبده يماني والأستاذ هشام ناظر وأحد الخبراء من البنك الدولي الذي أتى من واشنطن وتحدث عن أهمية تعلم اللغة الإنجليزية وأنها الآن لغة التقنية والحضارة، وأثبت علمياً بأنه كلما بكترت في تعليم لغة أخرى، أي في السنين الأولى من الدراسة، إلى جانب اللغة الأم كان أدمى للطالب أن يتقنها.. وقدم من الدراسات التي بحوزته ما يثبت أن تعلم اللغة الثانية لا تؤثر على مستوى تعلم اللغة الأم.. ومن جانب آخر وجدنا أن أهم دافع يدفع الأهالي المقتردين مادياً إلى تعليم أبنائهم في المدارس الأهلية هو تعلم اللغة الإنجليزية في سن مبكرة.. أليس من الظلم أن يتاح تعليم الإنجليزية للمقتردين مالياً وتحجب عن الفقراء؟ من جهة ثالثة، رأينا بلداً كسوريا الشقيقة -التي لا يشك إنسان في إخلاصها للغة العربية حتى إن تدرسيها الطب في الجامعة باللغة العربية- رأيناها تعلم اللغة الإنجليزية من المرحلة الابتدائية، وقس على سوريا بلداً كثيرة أخرى.. عرضنا الفكرة في اجتماع في جدة حضره جميع مديري التعليم والكل وافق على قرار التدريس..

ثم رفعنا التوصية إلى المقام السامي وبعد الموافقة قررنا البدء من الصف الرابع الابتدائي وشرعنا في ذلك، وإذا بالاعتراضات تتوالى من الناس ويرفعون إلى المقام السامي بخطابات تحمل مخاوفهم فصدر قرار بالتريث في التطبيق.. وشكلت لجنة برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز، وكون فريق بحث علمي من مختصين في التربية وعلم النفس وعلم اللغات، من جامعات الملك سعود وأم القرى والملك عبد العزيز وغيرها، رأس الفريق الدكتور عبد العزيز الدخيل مدير جامعة الملك فهد بالظهران (آنذاك)، وأجروا دراسات مسحية في مناطق عديدة في العالم، وخرجوا بنتائج أهمها:

١. أثبتوا علمياً أن تعلم اللغة مبكراً أجدى بكثير من تعلمها متأخراً.

٢. أثبتوا حاجتنا الماسة إلى اللغة الإنجليزية حتى نمتلك ناصية التقنية.

٣. أثبتوا أنه لا أثر سلبيّاً على اللغة الأم بسبب تعلم لغة أخرى.

فرفعنا التقرير لنطبق القرار من السنة الرابعة الابتدائي، ولكن المقام السامي وجه بالتطبيق من السنة السادسة الابتدائية على أن تتوسع الوزارة تدريجياً بحيث يبدأ التعليم للغة الإنجليزية من الصفوف الأولية.

التقوم الشامل للمدرسة

تعريف المشروع،

وهو واحد من أهم المشاريع التربوية الذي قامت به الوزارة، كما أن هذا المشروع دعامة قوية لنجاح الأعمال المنوطة بمديري التعليم، فمن خلاله سيكون في متناول مدير التعليم تقرير عن كل مدرسة يُعد على أسس علمية وبأدوات مقننة، يبين إيجابيات المدرسة وطرق تعزيزها، والسلبيات وطرق علاجها.

• أهداف المشروع،

- تحديد أهداف سياسة التعليم في المملكة في بناء شخصية الطالب من جميع الجوانب، وبالتأكيد من تنفيذ جميع برامج المدرسة ومهامها.
- الارتقاء بمستوى التعليم.
- تحديد مواطن القوة لتعزيزها ومواطن الضعف لعلاجها.
- تقديم المشورة للمسؤولين في التعليم، لرسم خطط التعليم وتوجيهها وتصميمها على أسس قوامها المعلومات الدقيقة.
- مراجعة الخطط التعليمية القائمة وتطويرها، ووضع قاعدة متينة يقوم عليها التقييم

في المدارس بوصفه عنصراً من عناصر التربية والتعليم.

• **المستفيدون من التقييم الشامل:**

المدرسة، والطالب، وأولياء أمور الطلبة، والمجتمع، والمسؤولون عن التعليم في الوطن.

• **مراحل التنفيذ:**

تمت عملية التقييم على ثلاث مراحل:

١. مرحلة تحضير لجنة التقييم لأعمالها، ويتم ذلك وفق خطوات محددة في الإطار العام للتقييم الشامل للمدرسة.

٢. مرحلة التقييم الفعلية: وتتضمن عملية التقييم الذي تقوم به اللجنة، وإصدار أحكام حول مستوى أداء المدرسة بكامل عناصرها بمهنية عالية.

٣. مرحلة ما بعد التقييم: وتتضمن كيفية الاستفادة من نتائج التقييم.

برنامج المدارس السعودية الرائدة

تأسس هذا البرنامج عام ١٤٢٠هـ، ويهدف إلى تكوين أنموذج تطويري للمدارس يكون مرناً قابلاً للتطبيق، ينطلق من أسس السياسة التعليمية، بحيث تُكوّن مفهوم الجودة ومعايير عمليات التعليم والتعلم وتطبق مقاييس مقننة داخل البيئة المدرسية، مع تطبيق لمفاهيم الإدارة بالأهداف وجعل الإدارة المدرسية وعملياتها موجهة نحو تحقيق أهدافها وفقاً لمعايير محددة بإدارة ذاتية وفي إطار من المسؤوليات والمساءلة (المحاسبية)، بحيث توظف التقنية وأدواتها ووسائلها في مجال الوسائط المتعددة والمعلوماتية، وشبكات الاتصال داخل الفصل وأقسام المدرسة وإدارتها، مع تطبيق لوثيقة المنهج المطورة في

إطار يشتمل على معايير تحقيق المخرجات التعليمية وإحداث توازن بين القيم والمعارف والمهارات والخبرات لتعزيز تفاعل المتعلمين العلمي والاجتماعي والنفسي ضمن البيئات التعليمية والمجتمعية، مع تطوير لمفهوم إدارة التعلم الصفي وتطبيق مفهوم الشراكة بين المعلم وجميع فئات المتعلمين في مشاريع تعليمية محددة الأهداف والوسائل بحيث يكون المتعلم فيها محور الارتكاز.

بنك الاختبارات

باستعراض أسئلة الاختبارات المدرسية يجد المرء أنها نمطية تكشف في معظمها عن مدى ما يحفظه الطالب مما ورد في الكتاب المقرر، ويأتي هذا نتيجة افتقار الكثير من المعلمين إلى المهارة اللازمة لوضع أسئلة تكشف عن أبعاد أخرى غير الحفظ - فتقرر تشكيل لجان في عدد من إدارات التعليم في المناطق تتولى كل واحدة منها وضع أسئلة في مجال واحد (المناهج الدينية، مناهج اللغة العربية، الرياضيات، العلوم الطبيعية... الخ)، وتغطي الأسئلة في كل سنة دراسية المقرر كاملاً، والإجابة عنها تكشف بجانب الحفظ، الاستنتاج والاستنباط والتحليل، والتكامل - وكافة ما يهدف منه تدريس كل مادة من مواد الدراسة. وتكون هذه الأسئلة التحصيلية متاحة للمعلمين يسترشدون بها، ويأخذون منها أسئلة الاختبارات ويتدربون على استعمالها، وتكون مساعدة لهم في طرق التدريس، وموضحة لهم الغاية من المقرر الدراسي، وهذا المشروع أخذ الكثير من الجهد لكن جدواه وفائدته كانت كبيرة، ويحتاج إلى تطوير مستمر وتحديث دائم يتواكب مع كل ما يطرأ على المنهج الدراسي.

المعجم المدرسي

لا تخفى أهمية وجود معجم مدرسي جيد، أحادي اللغة، بين يدي الطلاب. وقد زخرت اللغات العالمية الكبرى بشتى أنواع المعاجم، وبقي أبناء اللغة العربية مفتقرين إلى ما يسدّ هذه الحاجة الماسة، لذا قررت وزارة التربية والتعليم إعداد معجمين:

أحدهما: لطلاب المرحلة الابتدائية.

والثاني: لطلاب المرحلة المتوسطة والثانوية.

فقامت الوزارة بهذا المشروع بالتعاون مع مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.

استعرضت الدراسات التي تناولت التحليل والبناء المعجمي لطلاب التعليم العام (بالعربية والإنجليزية)، وتمت زيارات ميدانية لمعجمي أوكسفورد وكولينز، وسيصدر -إن شاء الله- أول معجم في تاريخ العربية:

١. يُضمّن مادته المعجمية أفاضاً ومفرداتٍ من بيئة الطالب: (المقررات الدراسية - الصحف والمجلات - الإذاعة والتلفاز - كتابات الطلاب والطالبات وأحاديثهم... إلخ).

٢. يستخدم الحاسب الآلي في بناء المعجم (أدخلت في الحاسب ٤٠ ألف صفحة تضم ١٠ ملايين كلمة تكونت منها المدوّنة).

والمأمول أن يكون هذا المعجم ثروة لا لأبناء المملكة فحسب، بل لأبناء العربية حيث كانوا.

برامج متنوعة

ولعلي بعد هذا أذكر جملة من المشاريع تبين تعدد المبادرات التي أحسبها رصيماً للعاملين في وزارة التربية والتعليم مثل:

١. اختيار مدرسة كاملة التجهيز في كل حي من أحياء المدن وتسمى (مدرسة الحي المفتوحة) وتصبح مكتبها وملاعبها وصلاتها لساكني الحي.
٢. برنامج المنافسة في الأولمبياد العالمية في الرياضيات والعلوم، وإقامة المسابقة السنوية للمتميزين في الفيزياء والرياضيات بالتعاون مع مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، والمنافسة في المسابقات العربية في مجال اللغة العربية.
٣. تكثيف النشاط غير الصفّي، وتنوع مساراته لأهميته في تحقيق الأهداف التربوية، ولقد تمكن الطلاب من تحقيق بطولات بالفوز في المسابقات الرياضية على المستوى العربي، والعالمي، وزاد عدد المراكز الصيفية التي تحتضن أفواجاً كبيرة من الشباب فتتنظم أوقاتهم، وتتمي مواهبهم وتغرس فيهم حب الخير والبذل والعطاء لمجتمعهم، وتعددت المهرجانات الثقافية والرياضية على مستوى إدارات التعليم وأقيمت الدورات الرياضية على مستوى المملكة وزاد ما يصرف على أوجه النشاط الرياضي والثقافي والعلمي والاجتماعي ثلاثة أضعاف ما كان يصرف سابقاً ورفعنا شعاراً عملنا على تحقيقه، وهو:

المشاركون في النشاط = الجميع

المتفرجون = صفر

وقد نجحنا إلى حد كبير - بفضل الله - وتغيّر المفهوم الخاطيء عن النشاط بأنواعه من أنه (ترف) إلى أنه جزء لا يتجزأ من العملية التربوية..

٤. تقنين اختبار كفايات المعلمين الذي يهدف إلى الارتقاء بمستواهم.

٥. إدخال مفهوم العمل التطوعي وأهمية المشاركة فيه.

٦. إقامة نوادي الحاسب الآلي للطلاب والمعلمين في كل إدارة تعليمية أسهمت إسهاماً كبيراً في إكساب مهارات التعامل مع الحاسب الآلي عند عشرات الآلاف من المعلمين ومن في حكمهم، ومئات الآلاف من الطلاب.
 ٧. برنامج تحديد المهارات الأساسية المطلوبة لكل مرحلة من مراحل التعليم العام وسنیه الدراسية، مما سهل على المختصين صياغة المنهج لكل مادة وتأليف المقرر الدراسي.
 ٨. إصدار لائحة برابطة الخريجين والذي قصد منها أن تقيم كل مدرسة رابطة لخريجها يدعمونها ويسهمون في تطويرها ويجدد زملاء الدراسة للقاء بعضهم ببعض، وكان البدء بمعهد العاصمة النموذجي في الرياض والتي أصبحت رابطة الخريجين فيه رائدة وذات جدوى وفائدة.
 ٩. مشاركة من الوزارة في التقليل من اللجوء إلى المعلم الخصوصي فقد أقمنا في بعض المدارس التي تتوافر فيها بيئة جيدة مراكز للتقوية وذلك بأن تفتح المدرسة أبوابها في مساء أيام الدراسة وتهيئ للطلاب الذين يحتاجون إلى تقوية في بعض المواد الدراسية فرصة لتعويض ما قد يكون قد فاتهم فهمه واستيعابه في أوقات الدراسة وطلاب برامج التقوية يأتون من مواقع مختلفة إذ أن الطلاب في كل برنامج ليسوا هم طلاب المدرسة التي يعقد فيها البرنامج وذلك تلافياً لما قد يحدث من الاعتماد على برامج التقوية والتساهل في برنامج اليوم الدراسي.
 ١٠. إنشاء صندوق التكافل الاجتماعي لمنسوبي الوزارة من المعلمين والموظفين، المشاركة فيه اختيارية للراغبين، بنسبة مئوية محددة من رواتبهم الشهرية، تستثمر هذه الأموال، ويضاف إليها ما يتبرع به المحسنون من داخل الوزارة وخارجها. وقد تم إقرار لائحة تحدد أوجه تمويل الصندوق، وأوجه الصرف منه.
- وقد شجعت إدارات التعليم المختلفة على أن تحذو حذو الجهاز المركزي. وبعد استكمال إنشاء الصناديق على مستوى الإدارات التعليمية يصار إلى صيغة تقتطع بموجبها نسبة مئوية من الموارد توضع في صندوق يصرف منه على المناطق الأقل حظاً من الدخل المالي.

١١. التأمين الصحي: ليستفيد منه منسوبو الوزارة وأسراهم، ويخفف العبء عن مستشفيات الحكومة ومستوصفاتها. وقد تمّ الاتفاق مع إحدى الشركات لكننا لم نستطع إشراك العدد الأدنى الذي نص عليه الاتفاق لضمان الجدوى الاقتصادية، ولهذا لم ير المشروع النور.

١٢. ولولا خوفي من سوء التأويل لذكرت إنجازات كثيرة من أهمها: تقوية العلاقات الإنسانية بين منسوبي الوزارة حتى يشعروا بمعني الجسد الواحد، ومساندة بعضنا بعضاً في الأزمات والظروف الصعبة التي لا تخلو منها حياة إنسان.

ومرة أخرى لم يكن الغرض هنا ذكر كل المبادرات فهناك الكثير منها ولكن ما جرى الحديث عنه يعطي البرهان على أن العاملين في الميدان لم يدخروا وسعاً في التحديث والتحسين، وبعض الجهود أثمرت وقابل بعضها الآخر بعض العقبات، وبعض من البرامج يُنظر قطف ثمرته في المنظور القريب، ويأتي في مقدمة المأمول تحقيقه تطبيق الخطة الدراسية الجديدة، وتنفيذ لائحة تقويم الطالب، وإقامة «مركز الجودة الشاملة» الذي استكملت خطته وحددت معالمه من خلال الندوات التي عقدت لذلك الغرض والبحوث التي أثبتت جدواه.

خطة مستقبلية للوزارة لعشر سنوات قادمة^٨

(١٤٢٥-١٤٣٥هـ) - (٢٠٠٤ - ٢٠١٤م)

بعد رصد واف للواقع الراهن الاقتصادي والاجتماعي محلياً وعربياً وعالمياً واستقراء للمستقبل والتحوّلات في أوجه الحياة كافة، وبعد التشاور والتنسيق مع القطاعات الحكومية والأهلية المختلفة، والأخذ في الحسبان ما توصلت إليه الكثير من المؤتمرات والندوات التي عقدت في رحاب الوزارة بغية تلمس الاحتياجات ومعرفة الرؤى التطويرية عند المشاركين فيها وخاصة ما توصلت إليه ندوة «ماذا يريد المجتمع من التربويين؟ وماذا يريد التربويون من المجتمع؟» تقرر أن يكون للوزارة خطة عشرية تركز على التطوير النوعي حتى يمكن الاستهزاء بها. لذلك تشكل فريق عمل لوضع الخطة شارك فيه كبار القياديين والقيادات التربوية وبإشراف مباشر عن لجنة برئاسة د. خضر بن عيان القرشي النائب لتعليم البنات وعضوية كل من:

الوكيل للشؤون التعليمية

الدكتور خالد بن إبراهيم العواد

الوكيل للتطوير التربوي

الدكتور محمد بن سعد العصيمي

وأُسند إلى الدكتور نايف بن هشال الرومي بالإدارة التنفيذية المباشرة للمشروع.

وعين فريق عمل من عشرة أشخاص ذوي خبرة بالتخطيط هم:

- د. خالد بن عبد الله بن دهيش.

- أ. د. فؤاد أحمد حلمي.

- د. راشد بن غياض الغياض.

٨ راجع تفصيلاً خطة وزارة التربية والتعليم للسنوات العشر القادمة ١٤٢٥ - ١٤٣٥هـ/٢٠٠٤-٢٠١٤م ط/ أولى (طبعة وزارة التربية والتعليم)، والطبعة الثانية بتقديم وزير التربية والتعليم الحالي د. عبد الله بن صالح العبيد وسميت (الخطة الإستراتيجية لوزارة التربية والتعليم).

- أ. عبد الله بن محمد المنصور.
- أ. منصور بن عبد الرحمن الجنوبي.
- أ. سليمان بن علي الكريدا.
- أ. محمد بن عبد الرحيم الأخر.
- أ. مها بنت محمد المطلق.
- أ. هند بنت محمود ميرزا.
- أ. سعاد بنت إبراهيم البراهيم.

وقد بذل فريق العمل جهداً غير مسبوق في إعداد الخطة وعقد من أجل تحديد معالمها وأهدافها ندوات متعددة وأجري استطلاع لآراء الميدان التربوي في الرؤية والأهداف كون مجموعات عمل لتحديد البرامج والمشروعات وحدد المتطلبات البشرية والمالية لتنفيذ تلك البرامج والمشروعات.

وبهذا استطاعت الوزارة لأول مرة في تاريخها أن تضع خطة متقنة ومفصلة، ولقد أكدت للزملاء من أول يوم تشكل فيه فريق العمل أن التخطيط يهدف إلى إحداث تغيير مرغوب ومقصود ومبني على المعطيات المتاحة. ينطلق من استقراء علمي للحاضر واستشراف فاحص للمستقبل، وعلياً أن نبني تعليماً بحيث يقود التطور المنشود، ولقد جاءت مسوغات ذلك العمل الذي وفقنا الله إلى إنجازها في مقدمة كتاب الخطة حيث نصت على: أن عملية تحسين نوعية التعليم وتطويره من أبرز التطلعات الوطنية في أي مجتمع، وتسعى الدول -على اختلافها- منفردة أو مجتمعة إلى تطوير نظمها التعليمية وتجويد مخرجاتها التعليمية وتحسينها: لأن التعليم الجيد هو أداة تنمية المجتمع ووسيلة صناعة نهضته، حيث إن الاتفاق قد انعقد على أن قوة الأمم لم تعد تقاس بما لديها من ثروات اقتصادية أو عدد في سكانها أو قوة في جيوشها، وإنما أس القوة ومردده يكمن فيما لديها من عقول مفكرة ومبدعة قادرة على صنع التغيير وقيادة التطوير، بما تملكه من معرفة متنامية، وهو ما أدركته القيادة السياسية في هذه البلاد، وجعلته في طليعة اهتماماتها.

كل ذلك يأتي انطلاقاً من الإيمان بدور التربية والتعليم بوصفها أداة حاسمة في نمو الأفراد وتحسين قدراتهم، فهي الطريق الواضح لأي نهضة حقيقية، والأساس لتنمية المجتمعات ورفقيها، والباعث للتغيير والتطور، ويتأكد وجوب الأخذ بهذه المفاهيم وترجمتها إلى خطط وطنية وبرامج عمل خصوصاً ونحن نشهد عصراً جديداً هو عصر ثورة المعرفة، عصر التحولات والتغيرات المتسارعة، وقيام التكتلات الاقتصادية الكبرى والاقتصاد القائم على المعرفة، وبروز التكتلات الاقتصادية الكبرى والاقتصاد القائم على المعرفة، وبروز نظام العولمة، وغير ذلك من معالم ومؤشرات كلها تؤكد أننا باتجاه نشوء مجتمع كوني جديد هو مجتمع المعرفة، وباعتبار ما يزرخ به تاريخ بلادنا الحضاري وبما تحمله المملكة ومعها الشعوب المسلمة من رسالة سامية قد تشرفت -ولا تزال- بحمل مشعلها إلى الأمم كافة، فإن الأمر يتطلب نظاماً تعليمياً وتربوياً قادراً على المساهمة والمنافسة في هذه التطورات العالمية وذلك عبر منجزات تربوية تستوعب الاحتياجات القائمة والمتوقعة على الدوام، ولتحقيق تلك المتطلبات والطموحات فإن الأمر يتطلب الأخذ بمنهجية التخطيط كضمانة أساسية لتحقيق الرؤى والأهداف المنشودة، ولهذا أدركت الوزارة ضرورة وضع خطة للسنوات العشر القادمة، وحين يطرح السؤال عن:

لماذا الخطة؟ ولماذا عشر سنوات ١٤٢٥ - ١٤٣٥ هـ - ٢٠٠٤ - ٢٠١٤ م؟

قد نلمس فيما سبق بعض الإجابة، ولكننا نحسب أن هناك أسباباً أخرى جديرة بالاهتمام، منها:

- ضرورة التخطيط، بل ليس من المبالغة أن نقول بحتمية الأخذ به، باعتباره خياراً استراتيجياً لا بد منه وأداة مثلى في حصر الموارد والإمكانات البشرية والمادية، واستثمارها في أقل وقت وتكلفة من خلال الاستخدام الأمثل لها، وبالتالي فهو أداة فكرية وتقنية لترشيد القرار التربوي وتدعيم وتعزيز الكفاءة الإنتاجية مع إدراكنا لحجم الصعوبات والمعوقات التي تواجه عملية التخطيط والأخذ بمنهجية العلمية.
- يُعدّ بناء الخطة الشاملة لتطوير التعليم ترجمة عملية ومطلباً أكيداً لتحقيق أهداف الخطط التنموية العامة للدولة وغاياتها، خصوصاً وأن المملكة قد أولت قضية تنمية الموارد البشرية اهتماماً بالغاً، وجعلت منها هدفاً استراتيجياً، ويُعدّ التعليم المصدر

الرئيسي لتكوين رأس المال البشري الذي يمثل العنصر الحاسم لمختلف أوجه التنمية الاقتصادية، والعامل الفعّال لتحقيق معدلات مرتفعة في النمو الاقتصادي، إذ بات من المتفق عليه أن العملية التعليمية ليست مجرد «خدمة» تقدم وفق ضرورات الطلب الاجتماعي لها، بل أصبحت «استثماراً يستهدف تحسين مستوى الحياة للفرد، بالإضافة إلى تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع، وبالتالي فهي ضرورة للمواءمة بين التخطيط للتربية وخطط الدولة الشاملة.

• معالجة المشكلات الموجودة في نظامنا التعليمي، من خلال انتهاج الأسلوب العلمي الذي يهدف إلى رفع معدلات الكفاءة الداخلية، ورفع مستوى الأداء عند بعض المعلمين والمعلمات من خلال تبني برامج التطوير المهني لهم، ومراجعة المناهج الدراسية وتقييم محتواها، والعمل على تقويم طرائق التدريس ومنهجياته، وضرورة توفير المبنى المدرسي بشروطه المطلوبة تربوياً، وتحقيق المواءمة بين مخرجات التعليم وحاجات سوق العمل، وغير ذلك مما تم التركيز عليه في أهداف الخطة وبرامجها، والتي نحسب أنها تعمل على تحقيق جودة نوعية في تعليمنا قد تقربنا -ياذن الله تعالى- إلى ميدان المنافسة عالمياً.

• الزيادة المطردة في أعداد الطلاب والطالبات، وبالتالي الزيادة في الطلب على التعليم، وكذلك الحاجة الملحة لإتاحة الفرص التعليمية المتماثلة بنسبة عالية من الجودة لجميع المواطنين في مختلف مناطق المملكة ومحافظاتها.

أما لماذا عشر سنوات؟

فهذا يعود إلى طبيعة النظام التعليمي إذ يُعدّ من النظم المحافظة، ثم إن المدة الزمنية التي بنيت عليها الخطة تعد نموذجاً مقبولاً لبقاء الطالب على مقعد الدراسة في مراحل التعليم العام، وقد التمسنا فيها تفصيلاً أكبر للمنطلقات التي ارتكزنا عليها من حيث المبادئ التربوية الأساسية ويأتي في مقدمتها: العقيدة الإسلامية، ومطالب التنمية، واتجاهات العصر ومقتضياته، وحاجات الفرد ومطالب نموه، ثم ما يندرج تحت هذه المنطلقات وغيرها من أهداف تربوية عامة، تتحقق من خلال جملة من الأهداف

التفصيلية والبرامج التي تتناول المعرفة والمهارات والتفكير العلمي والميول والاتجاهات والقيم، أي بناء الإنسان بصورة متكاملة وهو ما يعطي المدة الزمنية للخطة (عشر سنوات) شرعية مقبولة، فضلاً عن القبول العلمي لهذا المدى عند كثير من مدارس التخطيط المختلفة، ثم إن المرونة باعتبارها إحدى خصائص التخطيط والتي تمت الخطة في ضوءها تعد معالجة مثلى وأسلوباً علمياً في مقابلة ما قد يستجد من متغيرات يجد المخطط ومتخذو القرار أنفسهم في حاجة إلى التعامل معها. وقد صيغت رؤية الوزارة حتى نهاية عام ١٤٣٥هـ للتعليم العام في:

«تخريج طلاب وطالبات مُزودين بالقيم الإسلامية معرفةً وممارسةً، ومكتسبين للمعارف والمهارات والاتجاهات النافعة، وقادرين على التفاعل الإيجابي مع المتغيرات الحديثة والتعامل مع التقنيات المتطورة بكل كفاية ومرونة، وعلى المنافسة العالمية في المجالات العلمية والعملية، والمشاركة الإيجابية في حركة التنمية الشاملة، وذلك من خلال نظام تعليمي فعّال قادر على اكتشاف القدرات والميول وبيت الروح الإيجابية للعمل، وفي بيئة مدرسية تربوية محفزة على التعليم والتعلم».

وقد صيغت الأهداف العامة بحيث يكون لكل غاية من الغايات تفصيل للأهداف الاستراتيجية وجاءت على النحو الآتي:

الأهداف الاستراتيجية	الأهداف العامة
١. استيعاب الأطفال من سن (٤ - ٦) سنوات (مرحلة رياض الأطفال) بنسبة ٤٠٪ بنهاية سنوات الخطة.	١. تهيئة الأطفال من سن (٤ - ٦) سنوات للدخول في التعليم واعتبار مرحلة رياض الأطفال مرحلة
٢. تحديث البرامج والنشاطات المتخصصة بالطفولة المبكرة.	مستقلة بمبانيها ومناهجها عن مراحل التعليم العام.
٣. توفير كوادر متخصصة برياض الأطفال لتلبية احتياجات القبول في هذه المرحلة بمعدل ١٠٪ سنوياً.	
٤. تطوير برامج وأدوات قياس استعدادات الأطفال في سن ما قبل المدرسة.	

الأهداف العامة

الأهداف الاستراتيجية

٥. توفير مبان مدرسية مجهزة ومستقلة خاصة برياض الأطفال لاستيعاب ١٠٪ سنوياً من الشريحة المستهدفة.
٦. تطوير برامج إعداد وتأهيل العاملات في مرحلة رياض الأطفال.

١. جعل التعليم الأساسي إلزامياً.
٢. استيعاب جميع الفئات العمرية من سن السادسة حتى الثامنة عشرة في مراحل التعليم العام المختلفة.
٣. توفير المباني المدرسية الحكومية لاستيعاب النمو المتوقع في أعداد الطلاب لتصل إلى نسبة ٩٠٪ منهم.
٤. زيادة أعداد المعلمين والمعلمات بنسبة سنوية ٢٫٥٪ وفي ضوء التقديرات المتوقعة للاحتياجات.

١. تعزيز مجالات التعاون والتبادل التربوي التعليمي والثقافي بين الوزارة ومثيلاتها في الدول الأخرى ووضع الآليات المناسبة لذلك.
٢. تعزيز مساهمة وزارة التربية والتعليم في النشاطات الثقافية التربوية.
٣. تعزيز الاستفادة من برامج ومشروعات المنظمات التربوية الدولية والإقليمية.
٤. تحقيق المستويات المعيارية الدولية للطلاب في التحصيل العلمي والأدائي.
٥. المشاركة في الاختبارات الدولية للرياضيات والعلوم.

١. تحديث الأنظمة واللوائح الخاصة بالتعليم والتدريب المهني للبنات.
٤. الارتقاء بنظم التعليم الفني للفتيات.

الأهداف العامة

الأهداف الاستراتيجية

٢. زيادة نسب الاستيعاب للتعليم والتدريب المهني للفتاة بمعدل سنوي قدره (٣٠٪) من جملة المقيدات في التعليم الفني بنات.	
١. تطوير برامج تعليم الموهوبين والموهوبات في المجالات العلمية والإبداعية.	٥. الارتقاء بنظم تعليم الفئات ذات الاحتياجات الخاصة.
٢. الارتقاء بنظم التربية الخاصة لتتوافق مع الاتجاهات والتصنيفات العالمية المعاصرة.	
٣. تطوير البرامج التعليمية الخاصة بالإعاقات المختلفة.	
٤. توفير البيئة المادية والتربوية المناسبة لذوي الاحتياجات الخاصة.	
٥. زيادة الاهتمام بالنمو المهني للمعلمين والمعلمات بما يحقق التعامل والتفاعل مع ذوي الاحتياجات الخاصة.	
٦. إتاحة الفرص والمجالات الجديدة في تطوير تعليم الفئات الخاصة بمشاركة القطاع الخاص.	
٧. توسيع المشاركة المجتمعية في حماية حقوق الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة.	
١. تطوير أساليب التخطيط للتدريب التربوي والإداري وتنفيذه وفقاً للاتجاهات العالمية الحديثة.	٦. تنمية وتطوير التدريب التربوي والإداري للعاملين بالوزارة.
٢. تطوير نظم التدريب والتقييم داخل النظام التعليمي.	
٣. تدريب العاملين في قطاع التعليم تربوياً وإدارياً بمعدل سنوي قدره ٢٥٪.	

الأهداف العامة

الأهداف الاستراتيجية

٧. تحسين الكفاية الداخلية والخارجية للنظام التعليمي.
١. تخفيض معدلات الرسوب وصولاً إلى ٥٪ في المرحلة الابتدائية، و٧٪ في المرحلة المتوسطة، و٨٪ في المرحلة الثانوية.
٢. تطوير أنماط التعليم والتعلم داخل الفصل (تفريد التعليم) بما يحقق تحسين النتائج وفقاً لمستويات الطلاب والطالبات.
٣. تخفيض معدلات التسرب وصولاً إلى نسبة عامة قدرها ١٪ لجميع المراحل.
٤. تنوع اختبارات ومقاييس التحصيل الدراسي وتقنياتها.
٥. توفير بيئة مدرسية آمنة.
٦. تحسين معدلات النجاح النوعية.
٧. تحسين معدلات (معلم: طالب) (معلمة: طالبة) وصولاً لمعدل (١:٢٠) بمراحل التعليم المختلفة بنهاية الخطة.
٨. تحسين معدلات عدد الإداريين إلى شاغلي الوظائف التعليمية بنسبة (٢:١).
٩. ترشيد الإنفاق لتخفيض معدلات هدر الموارد.
١٠. التهيئة النوعية للطلاب والطالبات في التعليم الثانوي للدراسة الجامعية.
١١. تزويد الطالب والطالبة بالمهارات اللازمة والمناسبة للدخول إلى سوق العمل.
١٢. الأخذ بنظم الجودة الشاملة في التعليم.

الأهداف العامة

الأهداف الاستراتيجية

٨. تطوير المناهج وفق القيم الإسلامية، بما يؤدي إلى تكامل شخصية الطالب والطالبة، وامتلاكهما المعارف ومهارات التفكير العلمي، والمهارات الحياتية، وممارسة التعلم الذاتي والتعلم مدى الحياة.
١. تطوير المناهج بما يحقق تكامل شخصية المتعلم المسلم، المعتمز بدينه والمنتمي لوطنه ممارسة وسلوكاً.
٢. تطوير المناهج بما يتوافق مع الاتجاهات العالمية المعاصرة وفق القيم الإسلامية.
٣. التركيز في بناء المناهج على اكتساب مهارات التفكير والتحليل ومهارات الاتصال.
٤. استيعاب المناهج للقضايا المستجدة النافعة، وتوفير المرونة فيها للتعامل مع المتغيرات التقنية والمعرفية المتوقعة.
٥. تزويد الطلاب والطالبات بالمهارات اللازمة للمواقف الاجتماعية المختلفة.
٦. تنمية مهارات التعلم الذاتي والتعلم مدى الحياة.
٧. تزويد الطلاب والطالبات بمهارات التعامل مع المعلومات والمعرفة المتطورة.
٨. تفعيل عملية التعلم من خلال استخدام البرامج الحاسوبية وتقنيات التعليم ومصادر التعلم.
٩. زيادة نصيب الطالب والطالبة من النشاطات الصفية وغير الصفية تحقيقاً لمعدل ممارسة قدرة (٣) ساعات أسبوعياً.
١٠. تزويد الطلاب والطالبات بمهارات استثمار أوقات الفراغ بصورة صحيحة.
١١. تزويد الطالب والطالبة بالمهارات والمعارف والخبرات الخاصة اللازمة لقيام كل منهما بدوره في بناء الأسرة المسلمة.

الأهداف العامة

الأهداف الاستراتيجية

٩. التحسين النوعي لكفاءة المعلمين والمعلمات وزيادة نسبة المواطنين في قطاع التعليم وصولاً للإحلال الكامل للقوى البشرية السعودية.
١. تطور طرائق وأساليب التدريس والتعليم.
٢. تطوير أساليب الإشراف التربوي بما يتفق والتطور المستهدف في عناصر منظومة التعليم.
٣. زيادة معدل القبول بكليات إعداد المعلمين والمعلمات في تخصصات (اللغة العربية، والرياضيات، العلوم، اللغة الإنجليزية، الحاسب الآلي) بنسبة ٢٠٪.
٤. الأخذ بنظم التجديد المرحلي للمعلمين والمعلمات للعمل كل خمس سنوات والترخيص بمزاولة المهنة.
٥. تطبيق وتطوير مقاييس اختبارات الكفاءة على المعلمين والمعلمات دورياً.
٦. تعديل نظم العمل بما يسمح بالاحتفاظ بالعناصر المتميزة داخل المدرسة.
٧. تطوير نظم الأجور والمكافآت بما يسمح بالتقليل من تسرب العناصر المتميزة.
٨. بناء وتطوير معايير محددة لأداء المعلمين والمعلمات قائمة على نظم المحاسبية.
٩. الوصول إلى نسبة ٩٥٪ في مجال السعودية في جميع المراحل التعليمية وفي كافة الوظائف.

الأهداف العامة

الأهداف الاستراتيجية

- | | |
|--|--|
| ١٠. تطوير البيئة التعليمية وتحديث الخريطة المدرسية لتستجيب للتغيرات الكمية والكيفية المتوقعة في المرحلة المقبلة. | ١. استبدال المباني المدرسية المستأجرة، بمباني حكومية مجهزة ومعدة بمعدل سنوي قدره ١٪. |
| ١١. تطوير البنية التحتية لتقنية المعلومات والاتصال وتوظيفها في التعليم والتعلم. | ٢. تطوير المرافق (المباني) المدرسية في ضوء الرؤية المستقبلية لمدرسة المستقبل. |
| ١٢. تطوير تعليم الكبار والكبيرات والقضاء على الأمية. | ٣. توفير وتحسين المصادر اللازمة لتقنيات التعليم في المبنى المدرسي. |
| | ٤. زيادة نصيب الطالب من الملاعب والمنشآت الرياضية بما يسمح بممارسة حقيقية للنشاطات الطلابية (معدل ٨ أمتار لكل طالب). |
| | ٥. زيادة نصيب الطالب والطالبة من النشاطات الثقافية والاجتماعية والعلمية. |
| | ٦. الربط بين الحركة السكانية والتوجهات في توزيع المدارس وبنائها. |
| | ٧. توفير نماذج وبدائل اقتصادية فعالة في تشييد وبناء المدارس. |

- | | |
|---|--|
| ١. تأسيس نظام متكامل لاستخدامات تقنية المعلومات. | ١. تأسيس نظام متكامل لاستخدامات تقنية الاتصال في التعليم. |
| ٢. تعزيز التكامل بين المعرفة الآلية والمعرفة لدى الإنسان. | |
| ١. زيادة مرونة النظام التعليمي بما يتيح سهولة الخروج منه والعودة إليه (الإنسيابية). | ٢. توفير قنوات تعليمية موازية لاستيعاب المنتظمين عن النظام التعليمي. |

الأهداف العامة

الأهداف الاستراتيجية

٣. توظيف تقنية التعليم والتعلم عن بُعد، وتطويرهما بما يتناسب مع البيئة السعودية.
٤. توسيع مجالات تعليم الكبار والكبيرات الحالية، والأخذ بالنظم المرنة، من خلال صيغ متطورة تتناسب مع احتياجات الكبار والكبيرات وظروفهم.
٥. تدعيم الوصول بخدمات تعليم الكبار والكبيرات ومحو الأمية إلى أماكن تركز الاحتياجات.
٦. تحسين نوعية التعليم داخل فصول تعليم الكبار والكبيرات.

١٣. التنمية الإدارية الشاملة
للوارة.
١. تحسين الإجراءات الإدارية داخل النظام التعليمي.
٢. إعادة هندسة الهياكل والأنظمة بما يسمح بتحقيق الأهداف الخاصة بالخطة العشرية.
٣. تطوير وتحسين نظم الاختيار والتعيين والترقية داخل النظام التعليمي.
٤. رفع نسبة الحاصلين على مؤهلات عليا مطلوبة للنظام التعليمي.
٥. إعطاء المزيد من الصلاحيات والحد من المركزية في (الوزارة - الإدارات التعليمية - المدارس) وتميز دور القيادات التربوية، لتكون فاعلة في عملية تطوير التعليم.
٦. تطوير وتميز إدارة المدارس وصولاً إلى صيغة معدلة للإدارة الذاتية للمدرسة.

١٤. التوسع في المشاركة
المجتمعية في التعليم.
١. استقطاب القوى الاجتماعية المؤهلة للمشاركة في برامج محو الأمية.

الأهداف العامة

الأهداف الاستراتيجية

٢. التوسع الأفقي في التعليم الأهلي، مع التأكيد على ضرورة دعم وتطوير إشراف الوزارة عليه وصولاً إلى نسبة مشاركة ٢٥٪ من إجمالي عدد الطلاب.
٣. زيادة مشاركة أولياء الأمور في إدارة المدارس.
٤. إشراك أولياء الأمور والفئات الاجتماعية ذات التأثير في عمليات تطوير التعليم.
٥. الأخذ بالنظم التقنية الحديثة لتفعيل عملية الاتصال بين المدرسة وبقية مؤسسات المجتمع.
٦. تهيئة الطلاب والمعلمين للمشاركة العالمية العلمية من خلال المنتديات والمؤتمرات الدولية.

١٥. تأسيس نظم متكاملة للمحاسبة.
١. تطبيق اختبارات وطنية لتقويم جودة التحصيل الدراسي في المواد الدراسية الأساسية كل أربع سنوات.
٢. تطبيق التقويم الشامل للمدرسة كل أربع سنوات.
٣. تطبيق الاعتماد التربوي على جميع المدارس الأهلية.
٤. تقويم وتحسين برامج الوزارة التعليمية والمساندة.

ووصلت دقة التخطيط إلى وضع تقدير الكلفة المالية وكانت في إجمالها على النحو التالي:

البيان	التكلفة التقديرية للسنة الواحدة	التكلفة التقديرية للسنوات العشر
جملة تكلفة مشروعات وبرامج الوزارة (بنين - بنات).	٩,٦٧٧,٥٩١,٧٦٧	٩٦,٧٧٥,٩١٧,٦٦٦
تكلفة برامج ومشروعات المباني والتجهيزات المدرسية (بنين - بنات).	٥,٨٤٤,٠٠٠,٠٠٠	٥٨,٤٤٠,٠٠٠,٠٠٠

التكلفة التقديرية للسنوات العشر	التكلفة التقديرية للسنة الواحدة	البيان
٣٨,٣٣٥,٩١٧,٦٦٦	٣,٨٣٣,٥٩١,٧٦٧	تكلفة مشروعات وبرامج الوزارة (بنين - بنات) غير المباني والتجهيزات.
٤٧,١٩٩,٤٧٣,٨٣٣	٤,٧١٩,٩٤٧,٣٨٣	جملة تكلفة مشروعات وبرامج قطاع البنين.
٢٧,٧٤٠,٠٠٠,٠٠٠	٢,٧٧٤,٠٠٠,٠٠٠	تكلفة المباني والتجهيزات المدرسية لقطاع البنين.
١٩,٤٥٩,٤٧٣,٨٣٣	١,٩٤٥,٩٤٧,٣٨٣	تكلفة المشروعات والبرامج لقطاع البنين غير المباني والتجهيزات المدرسية.
٤٩,٥٧٦,٤٤٣,٨٣٣	٤,٩٥٧,٦٤٤,٣٨٣	جملة تكلفة مشروعات وبرامج قطاع البنات.
٣٠,٧٠٠,٠٠٠,٠٠٠	٣,٠٧٠,٠٠٠,٠٠٠	تكلفة المباني والتجهيزات المدرسية لقطاع (بنات).
١٨,٨٧٦,٤٤٣,٨٣٣	١,٨٨٧,٦٤٤,٣٨٣	تكلفة مشروعات وبرامج قطاع البنات غير المباني والتجهيزات المدرسية.

وليس المقام هنا وضع الخطة التفصيلية بما في ذلك الكلفة المالية لكل مشروع وفي كل سنة من سنوات الخطة. ولمن أراد مزيد تفصيل فليراجع الخطة بالكامل فهي مطبوعة في طبعتين كما أشرنا.

لقد كانت بحق خطة محكمة جاءت وفق الأصول المنهجية للتخطيط وعبر مراحل متعددة وقراءة للوثائق وتحليل لجوانبها ودراسات للواقع التعليمي ومراجعة لكل ذوي الشأن والمسؤولين. كما أن الخطة درست من قبل خبراء محليين وعرب ودوليين، ثم تحددت طرق التنفيذ وأسندت كل مهمة إلى من يقوم بها ويتابعها من الإدارات والأقسام.

ويبلغ من دقة الخطة أن وضع تعريف دقيق لكل مصطلح حتى لا يكون هناك أي تداخل أو عدم وضوح. ولقد شارك في صياغة تلك الخطة بشكل مباشر أكثر من مائة شخص، هذا عدا من كان لهم إسهامات غير مباشرة.

وقد غادرت الوزارة وضمن ما تم الاتفاق عليه مع الزملاء تطويراً للأداء التربوي والإداري عدداً من أبرز المشروعات المستقبلية التي أسندت إلى فرق عمل هي الآتي:

١. الاستمرار في المشروع الشامل لتطوير المناهج الذي يمر في مرحلته الثالثة، مرحلة إعداد المواد التعليمية بعد تكليف عدد من المناطق التعليمية في عام ١٤٢٤هـ وبالتعاون مع المركز الرئيس للوزارة.
٢. دمج التقنية في التعليم بشكل تام وليست كوسيلة للتعليم.
٣. تفعيل برنامج التعليم الإلكتروني.
٤. تطوير برنامج تنمية التفكير.
٥. تعزيز برنامج السيرة النبوية في المناهج والبرامج الصفية وغير الصفية.
٦. إنشاء مركز وطني لتدريب القيادات التربوية العليا.
٧. إنشاء القناة التربوية التلفزيونية.
٨. دمج التعليم الابتدائي والمتوسط في مرحلة واحدة تسمى المرحلة الأساسية يكون التعليم فيها إلزامياً حسب قرار مجلس الوزراء.
٩. مشروع الاعتماد التربوي للمدارس الأهلية ثم الحكومية لاحقاً.
١٠. بلورة نظام للترخيص بممارسة مهنة التدريس.
١١. فتح المجال لدور النشر لتأليف الكتاب المدرسي المقرر بديلاً لما هو معمول به الآن حيث يقوم بالتأليف من تكلفهم الوزارة من منسوبيها.
١٢. إجراء دراسات لتقويم الاحتياج (Needs Assessment).
١٣. إجراء تقويم للبرامج التعليمية القائمة في الميدان والعمل على تطويرها.
١٤. المزيد من التوسع في تعميم مصادر التعلم، وفي حوسبة مختبرات العلوم.

١٥. تفعيل قرار مجلس الوزراء بإلزامية التعليم الأساسي تشارك فيه القطاعات ذات العلاقة.
١٦. العمل مع الجهات المعنية لتفعيل برامج الخطة الوطنية للمباني المدرسية واستبدال المباني الحكومية بمباني مستأجرة بمعدل لا يقل عن ٧٠٪ (خلال عشر سنوات).
١٧. بناء معايير وطنية لقياس تحصيل الطلاب والطالبات وفق المعايير العالمية للصفوف (٤-٨-١٢).
١٨. استيعاب الأطفال من سن ٣-٦ سنوات (مرحلة رياض الأطفال) بنسبة ٤٠٪ بنهاية سنوات الخطة العشرية للوزارة في عام ١٤٢٤هـ.
١٩. تخصيص ممرضة لكل مجمع تعليمي بمدارس تعليم البنات، وممرض بمدارس تعليم البنين.
٢٠. وضع آلية تضمن للمعلم السعودي الاستقرار الوظيفي في المدارس الأهلية مع خطة لسعودة جميع الوظائف التعليمية في المدارس الأهلية.
٢١. إقرار الحد الأدنى لسلم رواتب المعلمين والمعلمات في المدارس الأهلية، وكذلك إصدار العقد الموحد بين المعلم والمدرسة الأهلية.
٢٢. تكثيف البرنامج التدريبي للمعلم تحت مسمى (المعلم القدوة).
٢٣. إكمال مشروع الوزارة الإلكترونية.
٢٤. تحسين الكفاية الداخلية والخارجية للنظام التعليمي.
٢٥. تطوير البيئة التعليمية وتحديث الخريطة المدرسية لتستجيب للتغيرات الكمية والكيفية المتوقعة في المرحلة المقبلة.
٢٦. برنامج تطوير تعليم الكبار والكبيرات والقضاء على الأمية.

٢٧. تمهين التعليم وتضمين مناهج التعليم الثانوي معارف فنية وعملية. لإيجاد جيل منتج يفيد نفسه ومجتمعه وجعل التعليم والتدريب المهني مطلب لكل فتي وفتاة.

٢٨. دراسة تقويمية لكليات المعلمين، وتحديد برامجها التعليمية وتطويرها وإعداد المقبولين فيها حسب -نتائج الدراسة- ومتطلبات المدارس المستقبلية من المعلمين حسب التخصصات.

العلاقات الخارجية، والشؤون الثقافية

للوزارة علاقات خارجية متشعبة، ودورها في تفعيل النشاط الثقافي في مجتمعتها التربوي ومحيطها المدرسي دور كبير، ولقد تم بفضل الله الرفع من مستوى هذا القطاع المهم وذلك بجعله «وكالة الوزارة للثقافة والعلاقات الخارجية» وأصبح الدكتور إبراهيم ابن عبد العزيز الشدي وكيلاً لذلك القطاع وهو من خيرة رجال الوزارة علماء وخلفاءً، وفكراً قيادياً، وتجربة.

ولقد قفز بوظيفة الوكالة قفزة نوعية وتحدت مهامها وكان ذلك واضحاً من خلال:

تفعيل العلاقات الخارجية

وذلك بالإسهام الفعال في المنظمات الحكومية على المستوى الإقليمي، والعربي، والإسلامي، والدولي، وأصبح دور المملكة في اللقاءات على كل المستويات دوراً فاعلاً، تتقدم لكل لقاء بأوراق عمل وتشارك بمختصين متميزين. ومكنت الوزارة عدداً غير قليل من منسوبيها للإفادة والاستفادة من المنظمات، واستضافت المملكة لقاءات تربوية على

مستوى دول مجلس التعاون والوطن العربي، والعالمي. ولا أنسى فرحتي حين قرر قادة دول مجلس التعاون انضمام الجمهورية اليمنية إلى مكتب التربية العربي لدول الخليج، وصادف أن يعقد المؤتمر العام للمكتب في المملكة وفيه يأتي وفد اليمن للاجتماع برئاسة وزير التربية والتعليم لأول مرة فعبرت عن سروري بذلك في كلمتي الافتتاحية بوصفي رئيس المؤتمر وفيها قلت:

«لقد اكتملت سعادتنا بانضمام اليمن الشقيق إلينا، وازددنا به قوةً، وعلماً، وحكمة؛ كيف لا؟ ورسولنا المعصوم صلى الله عليه وسلم، الذي لا ينطق عن الهوى، قال: «أناكم أهل اليمن، أرق أفئدة، وألين قلوباً، الإيمانُ يمان، والحكمة يمانية، والفقهُ يمان...» (والفضل) من أهله -يامعالي الأخ الكريم- لا يُستغرب، وكما جاء في المثل «لكل مسمًى من اسمه نصيب»، وأنت لك من اسمك أوفى نصيباً^١.

إن تكامل عملنا التربوي له أولوية كبرى مقدّمة على ما عداها، وقد كان هذا واضحاً حينما أنشأ قادة دولنا مكتب التربية العربي لدول الخليج قبل إنشاء مجلس التعاون نفسه، وتبعه ما تفرع عنه بعد ذلك؛ كجامعة الخليج العربي في البحرين، ومركز البحوث التربوية في الكويت. ولا أزال أذكر عندما تشرفت بالعمل مديراً عاماً لمكتب التربية قبل أكثر من عقدين من الزمان كيف كان قادة دولنا يحثونني على العمل لمزيد من التقارب في البرامج والمناهج والإعداد، لينتهي التقارب بالتطابق.

قطعنا -بفضل الله- شوطاً طيباً في التسيق والتكامل، لكن أثر ذلك ليس واضحاً في الميدان بالقدر الذي نسعى إليه ونرجوه. وأنا أصدقكم القول أيها الإخوة الكرام: إنني لا أعرف سبباً واحداً يمنعنا من التماثل في نهجنا التربوي ومناهجنا؛ وبالتالي نوفر: وقتاً، وجهداً، ومالاً، ونأخذ من كل شيء أحسنه. خاصة وأننا «لن نخترع العجلة» كما جاء في المثل، فالعجلة، بل العجلات الكثيرة موجودة، قريبة المآخذ، ميسورة المنال.

دعونا -أيها الإخوة الأفاضل- نتخلص من «البيروقراطية» التي تثقل قيودها الخطو،

١ رواه البخاري برقم ٤٣٩٠، ومسلم ٥٢.

٢ وزير التربية والتعليم اليمني (آنذاك) هو الدكتور فضل أبو غانم.

وتمنع من التقدم، ونضرب لبقية القطاعات والمصالح الحكومية في دولنا مثلاً حياً يُحتذى في التعاون والتكامل -وانى لأتطلع إلى يوم قريب- بإذن الله- نرى فيه طلابنا وطالباتنا يدرسون كتباً واحدة لا تختلف فيها مدارسُ جازان عن مدارس صلالة، أو رأس الخيمة، أو الوكرة، أو المحرق، أو تعز، أو الجهراء^٢.

تعرفون -أيها الإخوة الافاضل- حق المعرفة الأخطار العظيمة التي تحديق بنا، وأن أهم شيء لدرئها عنا -بعد الاعتماد على الله، وعقد الصلة الوثقى به- هو تآزرنا، وتكاتفنا، والتخلي عن المصالح الخاصة في سبيل المصالح المشتركة.

لقد أثبتت التجارب في بلاد الله كافة، في الماضي والحاضر، أن أهم عوامل دفع الشر والأذى عن النفس هو تلاحم الشعوب بعضها مع بعض من جهة، ومع قياداتها القوية الرشيدة من جهة أخرى. ولا يخفى على الناظر في عالم اليوم أن دوله بدأت تأخذ بسياسة التجمعات والتكتلات، على اختلاف شعوبها في: اللغة، والتاريخ، والمذاهب، بل وتناست بعض الشعوب ما كان بينها في الماضي من حروب وثورات! ونحن أولى بهذا من كل من عدانا! تجمعنأ أقوى الوشائج: الدين، واللغة، والقيم، والتاريخ، والأدب، والعادات والتقاليد، والجوار.

أمامنا مشاريع تستحق منا العناية البالغة والاهتمام، مثل: مشروع تطوير مادة الرياضيات، وتعليم اللغة العربية... وأنا متأكد أن حماسة الإخوة الأعزة لا يقل عن حماستي الشديدة في إنجازها على أكمل وجه.

دعونا نرد من دعمنا لمكتب التربية العربي لدول الخليج، ونخرجه من نطاق التنظير إلى نطاق الفعل، وندفع إليه ببعض الشخصيات القادرة، حتى لو تحمّلت دولنا -في سبيل ذلك- بعض المخصصات المالية.

وأخيراً أسمحوا لي أن أعبر لكم عن عتبي عليكم؛ فبالقدر الذي نحرص فيه على أن نسعد ببقائنا معكم أطول مدة ممكنة، أراكم تستعجلون العودة، وتقتصرون المقام!!

٢ الأسماء المذكورة هي لمدن من مختلف الدول الأعضاء في مكتب التربية العربي لدول الخليج.

نسأل الله أن يجمعنا دائماً على ما يحبه ويرضاه، وعلى ما فيه تقدّم التربية والتعليم
بخاصة، وخيراً بلادنا بعامة، وأن يحفظ شعوبنا، وقادتنا، وأمتنا من كل شر.

• وقد سبق أن أشرنا إلى أنّ إشراف الوكالة على المدارس والأكاديميات السعودية في
الخارج كان إشرافاً محكماً مكن العاملين السعوديين من الاستفادة مما لدى الدول التي
توجد فيها تلك المدارس والأكاديميات ونقل الخبرات التي اكتسبوها في الخارج إلى
الميدان التربوي المحلي، وقد عززت المدارس الصورة الإيجابية للحضارة العربية
الإسلامية في البلدان التي هي فيها. ولا أدل على ذلك من تراحم الطلاب من غير
السعوديين مع كل بدء عام دراسي للالتحاق بالمدرسة السعودية أينما كانت. وخير
مثال المدارس السعودية في عواصم الغرب: موسكو، باريس، لندن، برلين أو بون،
واشنطن... وغيرها من العواصم^٤.

• والوكالة معنية بإعادة المعلمين للتعليم في مدارس البلدان الشقيقة والصديقة التي
تطلب ذلك من المملكة وتعتمد الوزارة على اختيارهم حسب قواعد محددة تعتمد على
مزايا خلقية، وعلمية وفكرية. وهم بمثابة سفراء سعوديين في الميدان التربوي في
البلدان التي يعارون إليها وقد أعطى الفالبية من المعلمين الموفدين صورة حسنة
لكفاءة الفرد السعودي والتزامه وحسن سلوكه.

٤ الأصل في المدارس السعودية في الخارج أنها لأبناء السعوديين المقيمين لأغراض متعددة في تلك البلدان، لكنها
أتاحت للراغبين من غيرهم الإلتحاق بحدود الطاقة الإستيعابية لكل مدرسة أو أكاديمية.

الاهتمام بالشؤون الثقافية

نظراً للدور الهام الذي تقوم به في المجتمع بعامة ومجتمع التربية والتعليم بشكل خاص. فهي من أهم روافد التوعية التي تصب في المجتمع ككل، وانصب هذا الاهتمام على تطوير الموجود من الشعب الثقافية وإنشاء الجديد الذي رؤي أن الحاجة ماسة إلى وجودها. فالإدارة العامة للثقافة هي إحدى إدارات وكالة الوزارة للثقافة والعلاقات الخارجية وهدفت هذه الإدارة إلى تفعيل النشاط الثقافي في المجتمع عامة والمجتمع التعليمي بخاصة من خلال القيام بالنشاط الثقافي المختلف. وكان من شأن هذا التوجه تحقيق هدف سام من أهداف الوزارة وهو إشاعة المعرفة بين أفراد المجتمع، من واقع مشاركتها في المسؤولية عن الثقافة في هذه البلاد. وقد وضعت إدارة الثقافة تصوراً متكاملًا عن الأنشطة الثقافية التي قامت ويمكن أن تستمر في القيام بها في المناطق والمحافظات من خلال إدارات التعليم والمكتبات العامة. وقد فعلت هذه الإدارة دورها الثقافي من خلال إقامة منتديات ثقافية بمشاركة كبار رواد أدب الأطفال في العالم العربي، بالإضافة إلى إصدار مطبوعات ثقافية متنوعة، وطباعة وترجمة كثير من الدراسات والبحوث التربوية، ومن أهم أوجه نشاطها إقامة المنتديات الثقافية، المعارض الفنية، المسابقات الثقافية، والتنظيم لمشاركات الوزارة الثقافية، ومن ذلك: إقامة معارض الكتب في الخارج والداخل، والاشتراك في اللجان الوطنية لتعزيز دور الثقافة في المجتمع السعودي، وعضوية لجنة تعزيز حقوق الإنسان، ونشر الكتب الثقافية، وشراء كميات كبيرة من المناسب منها للمرحلة العمرية لكل مستوى دراسي، واقتناء الجديد من الموسوعات والمعاجم وتوزيع ذلك كله على المدارس في أنحاء المملكة كافة.

إنشاء إدارة الترجمة

بما أن الميدان التربوي على المستوى العالمي يزخر بالجديد دائماً في ميدان التأليف والنشر. لذلك تقرر إنشاء إدارة للترجمة تتبع وكالة الوزارة للثقافة والعلاقات الخارجية مهامها:

1. الاستفادة مما ينشر في الخارج من كتب وبحوث تربوية وتعليمية مناسبة بترجمتها وإطلاع الجهات المختصة عليها كل حسب اختصاصه.
2. ترجمة ما تحتاج إليه الوزارة من التقارير التربوية والتعليمية والثقافية وإحالتها إلى الجهات المختصة للاستفادة منها.
3. ترجمة ما تدعو الحاجة إلى ترجمته مما يصدر عن الوزارة من كتيبات وأدلة تعريفية.
4. ترجمة الخطابات الرسمية الصادرة أو الواردة إلى الوزارة.
5. الترجمة الفورية في اللقاءات والندوات التي تعقدها الوزارة.
6. ترجمة الشهادات والوثائق الدراسية.
7. القيام بما قد يوكل إليها في مجال اختصاصها.

تطوير الأمانة العامة للجنة الطفولة

أنيط بالوزارة رئاسة اللجنة الوطنية السعودية لرعاية الطفولة فعملت أمانتها على تفعيل دورها وذلك من خلال:

١. تطوير نشاط اللجنة الوطنية السعودية لرعاية الطفولة من خلال عقد اللقاءات المستمرة لمجلسها الأعلى، ولجنة التخطيط والمتابعة، لمناقشة تقارير الإدارات المختصة برعاية الطفولة بالمملكة، ووضع التوصيات المناسبة حيالها.
٢. وضع استراتيجية عامة لرعاية الأطفال بالمملكة تلتزم بها كافة الجهات ذات العلاقة بمشاركة القطاعات الأهلية.
٣. وضع دليل موحد يوضح كافة الأنظمة والإجراءات والتعليمات الخاصة برعاية الطفولة بالمملكة.
٤. وضع المعايير التي تبين مدى حصول الأطفال على الرعاية التي يحتاجون إليها، وفقاً لأوضاعهم الصحية والاجتماعية والثقافية.
٥. تشجيع الكتاب والمؤلفين على تأليف وكتابة قصص الأطفال.
٦. نشر الوعي والتعريف بحقوق الطفل لدى الأسر والجهات المعنية برعاية الأطفال.
٧. تمثيل المملكة في عدة مؤتمرات عربية وإسلامية ودولية تهتم بأمور الطفولة ورعايتها، كان من أهمها «قمة الطفولة» التي عقدت في نيويورك في شهر مايو ٢٠٠٢م.
٨. إعداد تقارير المملكة حول التدابير المتخذة لإنفاذ اتفاقية حقوق الطفل وذلك استجابة للفقرة (١) من المادة (٤٤) من اتفاقية حقوق الطفل والتي تنص على تقديم تقارير من الدول الأعضاء حول تنفيذها للاتفاقية.
٩. إقامة معرض الطفل الثقافي بهدف تنمية الجانب المعرفي لدى الطفل من خلال تعويده منذ الصغر على الحصول على المعلومات من مختلف مصادرها وتحبيبه فيها، وكذا نشر الثقافة بين مختلف أفراد المجتمع لأهمية التأسيس التربوي لأبنائه.

تطوير المكتبات وإنشاء مراكز مصادر التعلم

تم تطوير شامل للمكتبات العامة، وذلك بتحسين أوضاعها، ورفع مستوى الخدمات التي تقدمها، وتفعيل دورها الثقافي المناط بها وذلك. امتداد المكتبات العامة في إدارات التعليم بالموظفين المؤهلين وتكثيف التدريب، وتنظيم الكتب، والخدمات المكتبية الأساسية.

وقد تم إنشاء مكتبة مركزية في الوزارة غايتها تقديم الخدمات المعلوماتية التربوية للمتخصصين والباحثين بحيث أصبحت تضم شتات مكتبات الوزارة المتفرقة بين أجهزتها وتم تجهيزها وتأثيثها، وكلف بالإشراف عليها طاقم من المتخصصين في المكتبات والمعلومات.

وتم أيضاً إحداث نقلة تقنية بإدخال بيانات أوعية المكتبات في برنامج حاسوبي هو (اليسير لإدارة المكتبات) الذي تم اعتماده برنامجاً موحداً لجميع المكتبات المدرسية والعامة ومراكز مصادر التعلم، وذلك بهدف تحويل الإجراءات الفنية والإدارية من يدوية تقليدية إلى آلية -وهو البرنامج الذي تم إنتاجه وتطويره بشكل كامل داخل الوزارة- واستكمالاً لهذه الجهود تم تدشين موقع (اليسير) على شبكة الإنترنت ليكون حلقة وصل ومنتدى نقاش للمتخصصين والعاملين في مجال المكتبات بشكل عام، وأصبح المسجلون فيه في ازدياد مطرد ويقوم الموقع بنشر الأخبار والتعاميم وكل ما له علاقة بالعمل الثقافي.

واشتركت المكتبات في قواعد بيانات عالمية أشهرها قاعدة (RIC) إحدى أضخم قواعد البيانات التربوية في العالم، وإتاحتها بالمجان لمنسوبي الوزارة من خلال المكتبة المركزية.

نظمت المكتبات مئات الفعاليات الثقافية العامة في الأعوام الماضية اشتملت على الندوات والمحاضرات والمسابقات الثقافية والبحثية ومعارض الكتب.

وتوجت هذه الإنجازات باعتماد قواعد تنظيم المكتبات العامة وإعداد دليل إجرائي لتنفيذ هذه القواعد يحتوي على (٣٠) نموذجاً لتطوير المكتبات العامة ومعالجة كثير من قضاياها^٥.

• إنشاء مراكز مصادر التعلم في المدارس،

مواكبة للتطور الذي نقل مفهوم المكتبة المدرسية الحاوية على الكتب ليصبح الاسم (مركز مصادر التعلم) فقد أقيمت مراكز مصادر التعلم في المدارس وهي: بيئة تعليمية جديدة، تحوي أنواعاً متعددة من مصادر المعلومات، يتعامل معها المعلم والمتعلم بما يتيح فرص الاستفادة من مصادر المعرفة المختلفة التي تعد السمة البارزة في مرحلة التفجر المعرفي وثورة الاتصالات والمعلومات الحديثة^٦.

ولمراكز مصادر التعلم أهداف عدة، منها ما يتعلق بالمتعلم (الطالب)، ومنها ما يتعلق بالمعلم.

ومن أهدافها المتعلقة بالطالب والطالبة:

- دعم المنهج الدراسي.
- تنمية مهارات البحث والتفكير وحل المشكلات.
- إتاحة الفرصة للتعلم الذاتي في أي وقت يناسب الطالب/الطالبة.
- تلبية احتياجات الفروق الفردية.

أما أهدافها تجاه المعلم والمعلمة فتتمثل في:

- تقديم بدائل وتنويع طرائق التدريس.

٥ كانت المكتبات العامة تابعة لوزارة التربية والتعليم، وقد تم نقل تبعتها الإدارية والإشراف عليها إلى وزارة الإعلام والثقافة عام ١٤٣٦هـ.

٦ مصادر التعلم تشمل الكتب وغيرها مثل: الإنترنت، وكافة التقنيات، والإلكترونيات، والرسومات والخرائط.

- تقديم اختبارات تعليمية لا توفرها أماكن الدراسة العادية.

- تقديم الخبرات والتعاون لتطوير طرائق التدريس.

وتكتسب مراكز مصادر التعلم أهمية اقتصادية خاصة، حيث تقدم البديل الذي يوفر نفعات تجهيز كامل للقاعات الدراسية بالتقنيات التعليمية، كما تساعد في جذب الطلاب وإثارة اهتمامهم بوصفها بيئة مختلفة عن قاعة الدرس، علاوة على مساعدة المعلم في تحضير أدوات درسه وترتيبها وضمان جاهزيتها للمرات القادمة عن طريق أمين المركز.

وازدادت مراكز مصادر التعلم تدريجياً بحيث أصبحت في مئات المدارس للبنين والبنات، ولا زالت الوزارة تواصل سعيها لتحويل جميع المكتبات المدرسية في بقية المدارس (بنين وبنات) إلى مراكز لمصادر التعلم، وتوفير الإمكانات اللازمة لها

تنشيط وكالة الوزارة للمتاحف والآثار

حين تشرفت بالعمل في وزارة التربية والتعليم وجدت للآثار والمتاحف إدارة عامة ملحقة بالوزارة تولّى أمرها زملاء كرام يعملون في غير مجال تخصصهم. ومع اقتناعي بأن الآثار والمتاحف لا علاقة لها -إدارياً وتنظيمياً- بوزارة التربية والتعليم، شعرت أنه لا بد من خدمتها، وتطويرها، والنهوض بها، والوصول بها إلى المكانة اللائقة. فقلت في نفسي.. لا بد أن أجد لها القائد المناسب.

أشرت سابقاً أنني قابلت عدداً من الإخوة المتخصصين في جامعات مختلفة، كلهم أفاضل، لكن لفت نظري الدكتور سعد الراشد: وجدت فيه سعة الاطلاع، وصلة عملية بالواقع، ومعرفة جيدة بما تمّ في هذا المجال وما لم يتم. فسألته: لو وسّد إليك أمر الآثار والمتاحف، فماذا تفعل؟ فقال: أمهلني ثلاثة أيام لآتيك بالجواب. فغاب ثلاثة أيام وعاد يحمل «مشروعاً باهراً» لما ينبغي أن يُفعل للنهوض بهذا الجانب الحضاري (الآثار).

فقلت: هذا هو الرجل المناسب لحمل هذه المسؤولية، فوقع عليه الاختيار، وكان أستاذاً في جامعة الملك سعود، فتمت إعارته للوزارة، ثم وفق الله سبحانه إلى تحويل الإدارة العامة للآثار إلى وكالة، وإلى إحداث وظيفة لها، وكان الدكتور سعد الراشد أول وكيل لوزارة المعارف للآثار والمتاحف.

وانطلق الدكتور سعد بالآثار والمتاحف انطلاقاً هزّتنا جميعاً، حتى إنني كنت أكرر القول له مداعباً: كانت (الآثار) كالديناصور الهاجع، فجئت أنت وحقنّته حقنة عجيبة أعادت إليه قوته ونشاطه فصار يأكل كل ما أمامه ولا يكتفي بما خصص له!

• وانطلقت وكالة الوزارة للآثار والمتاحف في عمليات التفتيش عن الآثار، وحماية الموجود منها، وإصدار الكتب، وإقامة المعارض، وإنشاء المتاحف، التي كانت درتها المتحف الوطني الذي كان وراء إنشائه، ثم رعايته، وتعهده صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض، وشاركت الوكالة في اختيار مقتنياته المبهرة، وصار معلماً حضارياً من معالم المملكة.

• ومن الأشياء المهمة التي يجب أن تذكر وتشكر للوكالة إقامة معرض لتاريخ التعليم ينتقل من منطقة إلى منطقة في بلادنا، يبين تطور التعليم، ومراحل ذلك التطور، كيف كنا، وكيف صرنا، وقد جلب اللباب المعرض بحسن تنظيمه وإقبال الناس عليه، وأصبح له مقرّ دائم في مدينة الرياض، في مدرسة أنشئت أيام الملك عبد العزيز -رحمه الله- وأنا أدعو من لم يزره أن يقوم بزيارته وسيرى الزائر ضمن ما يرى قيمة عظيمة وممارسات إدارية متميزة تنبئ بها الوثائق.

• ومما يجب أن يذكر لوكالة المتاحف والآثار إصدار «موسوعة تاريخ التعليم» بمناسبة مرور ١٠٠ عام على توحيد المملكة، فجاءت في ستة مجلدات، تؤرخ للتعليم منذ عام (١٣١٩هـ) تكاد لا تدع شاردة ولا واردة أمكن الحصول عليها إلا استوعبتها، وما أجمل قراءة التاريخ الموثق.

• وحين عرضنا على صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز الحاجة إلى إصدار سلسلة من الكتب التوثيقية عن الآثار في المملكة طبقاً للتقسيم الإداري المعمول

به مما يعنى إصدار ثلاثة عشر مجلداً عن الآثار لكل منطقة مجلد فأيد حفظه الله المشروع وموله كاملاً إلى حين خرجت هذه الموسوعة وسميت «موسوعة سلسلة آثار المملكة العربية السعودية» وتعتبر الآن المرجع الوحيد الشامل في هذا المجال.

• ومن ذلك إخراج كتاب فذّ عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله أول وزير للمعارف بمناسبة مرور خمسين عاماً على إنشاء الوزارة بعنوان: «فهد بن عبد العزيز- وزيراً للمعارف».

التطوير الإداري والمالي

تذهب بعض الآراء إلى أن نجاح العملية التعليمية يعتمد في المقام الأول على حسن القيادة وسلاسة الإدارة، وأنه بقدر النجاح في القيادة والإدارة يُقاس النجاح في التعليم.

وعلى هذا الأساس تم تحديث اللوائح والأنظمة لتكون أساساً للتطوير الشامل الذي تسعى إليه وزارة التربية والتعليم، وكان من نتيجة ذلك: تقنين العملية الإدارية وفق أطر وضوابط تم التوصل إليها بالمشاركة مع مؤسسات متخصصة ومستشارين مؤهلين، وتم تطبيقها وتقييمها ليكون التطوير عملية مستمرة.

ونتح عن ذلك بلورة هيكل تنظيمي جديد للوزارة، هدف إلى رفع الكفاءة الإدارية، كما تم وضع هياكل تنظيمية لإدارات التعليم، يتم تقييمها بما يتفق مع الفلسفة الإدارية للوزارة؛ التي تركز على منح الصلاحيات، والرفع من القدرة الإدارية.. وذلك بهدف: تحسين الأداء، واختصار الإجراءات، وقد وُضعت الأدلة التنظيمية التي توضح أهداف الإدارات المختلفة ومهامها.

وقد أدى تطوير الهياكل التنظيمية وتفويض الصلاحيات إلى زيادة الشعور بالحماس والانتفاء، واستثمار القوى البشرية المكتشفة التي تعمل في الوزارة، ليس في الجهاز المركزي فحسب بل في الميدان أيضاً.

وكان من نتيجة ذلك أيضاً: استقطاب الكفاءات الإدارية، وتطبيق مبدأ (اللامركزية) وهو الأمر الذي ساعد قطاعات الوزارة واداراتها على تفعيل دورها، وهو ما ساعد على توفير الخدمة بالسرعة الممكنة.

تطوير الأداء الوظيفي من خلال

١. الفرد المناسب في المكان المناسب.
٢. تكثيف البرامج التدريبية داخل المملكة وخارجها ومن خلال التدريب في الوزارة أو إدارات التعليم أو خارجهما مثل: معهد الإدارة العامة.
٣. إخراج أدلة تساعد على تيسير الاجراءات.
٤. تفويض الصلاحيات على كل المستويات وتمكين مديري المدارس من اتخاذ قرارات ضمن الصلاحيات المعطاة لهم مما مكن من التعرف على القادرين منهم على الإبداع والأخذ بأيديهم إلى مراكز متقدمة.
٥. إيجاد جائزة الأداء المتميز والتي تقام كل عام على المستوى المركزي ومستوى إدارات التعليم وكانت عاملاً رئيساً لتحفيز الابتكار والمناقشة.
٦. استخدام البريد والمواقع الإلكترونية للتواصل ما بين الجهاز المركزي والميدان وإدارات التعليم والمدارس التابعة لها.
٧. إصدار نشرة بعنوان: «ثقافة إدارية» من أجل تواصل الموظف مع كل جديد في دنيا الإدارة الحديثة.

٨. إدخال التقنية في الأعمال الإدارية والفنية من خلال توسيع استخدامات الحاسب الآلي على مستوى الوزارة وإدارات التربية والتعليم وكذلك المدارس، وتحديث اللوائح والنظم، وإيجاد العديد من أدلة العمل التي تعزز التوجه نحو العمل المؤسسي ورفع الكفاءة الإدارية، من خلال تحديد المهام والإسهام في رفع مستوى العمل بجانبه الإداري والفني، ليكون أساساً للتطوير الشامل ولتصبح الوزارة رائدة في استخدام الوسائط الحديثة بحيث تكون وزارة إلكترونية.

٩. برنامج معارف هو أحد المشاريع الرائدة التي تبنتها الوزارة منذ عام ١٤١٩هـ على أيدي بعض المتميزين من أبنائها لتوفير قاعدة معلومات للإدارة المدرسية شاملة لجميع شؤونها (المدرسة، شؤون الموظفين، شؤون الطلاب، الاختبارات...)، وتم توزيع هذا البرنامج على جميع مدارس المملكة، وتم ربط مدارس كل إدارة تربية وتعليم بشبكة محلية في إدارة التربية والتعليم وبدأت الاتصالات فعلاً بين إدارات التربية والتعليم ومدارسها عن طريق البريد الإلكتروني (E-mail)، ثم يتم ربط جميع إدارات التربية والتعليم بشبكة مع الوزارة.

ترشيد الإنفاق

تم اتخاذ عدة إجراءات إدارية وتربوية لترشيد الإنفاق دون أن يؤثر على أهداف سياسة التعليم في المملكة.

ومن هذه الإجراءات ما يأتي:

- دمج بعض المدارس الصغيرة، أو ضم مدرسة من مرحلة دراسية إلى أخرى معها في المبنى نفسه، مما يؤدي إلى توفير مبالغ طائلة، والتخلص من عدد من المباني المستأجرة.
- تقليص الأعمال الورقية في المكاتب وتوفير كميات كبيرة من الورق، نتيجة انتشار استخدام الحاسب الآلي في جميع الإدارات.
- معالجة الرسوب والتسرب مما مكن من تقليل معدلات الرسوب والتسرب، في الصفوف والمراحل التعليمية، لما يمثله الرسوب والتسرب من خسارة لمصادر مخصصة لتعليم أطفال جدد، وكان من شأن خفض هذه المعدلات أن ارتفعت معدلات كفاية التعليم في المراحل التعليمية، وخفض الهدر التعليمي.

الموارد الإضافية للتعليم

كان المفهوم السائد عند الناس هو أن المؤسسات الحكومية عامة والتعليمية خاصة عليها ألا تقبل المنح ولا الهدايا، وأن يكتفى بما يعتمد لها من موازنة الدولة، كما أن الوزارة لم تفكر في استثمار ما عندها بحيث يشكل لها موارد إضافية تساعد على تحسين برامجها.

وبعد التأمل والتشاور مع الزملاء العاملين في الوزارة تبين أنه لا مسوغ لهذا الإحجام، وأن المؤسسات التعليمية في أمس الحاجة إلى الدعم، وقد حدد ذلك بمسارين:

الأول: هو دعوة المجتمع الى الإسهام المادي وسد النقص وذلك عن طريق بناء المدارس وتجهيزها، أو شراء معدات ومختبرات، أو إضافة مبان لقاعات أو ملاعب رياضية، أو تأمين مكيفات أو غير ذلك. وقد وفق الله واستجاب للدعوة القادرون كل حسب استطاعته. وقد أصبح الكثير من المدارس القائمة في وضع متطور من حيث التجهيزات وزيادة المباني، وكل ذلك بجهود مديري المدارس وليس في الإمكان حصر هذه التبرعات لكثرتها وتعدد أوجهها وانتشارها في كل مدارس المملكة.

أما الذين تبرعوا ببناء مدارس وتجهيزها فقد بلغ منذ إطلاق الحملة وحتى انتهاء مهمتي في الوزارة أكثر من ثلاثين متبرعاً وبتكلفة تصل إلى أكثر من (٢٠٠) مائتي مليون ريال سعودي وهناك وعود قائمة المأمول أن تتحقق قريباً إن شاء الله.

ومع أن الهدف كان نبيلاً فإن التعقيدات البيروقراطية التي واجهناها كانت كثيرة، ولقد اصطدمننا بها في هذا المجال إذ طلبت إحدى الجهات الحكومية أن يطبق نظام المشتريات الحكومية على ما يتبرع به المحسنون من مثل: بناء مدارس أو تجهيز معامل ومختبرات مدرسية، وما علموا أن المتبرع ما أقدم على التبرع إلا لثقتة في الجهة التي تبرع لها. ثم إن الإجراءات المعمول بها في المشتريات الحكومية مثلاً لا تساعد على الترشيد كما يظن البعض، والمتبرع حر فيما يتبرع به.

الثاني: إنشاء إدارة عامة لاقتصاديات التعليم تتمثل مهماتها في تنفيذ قرار مجلس الوزراء الذي جاء بناءً على طلب من الوزارة وينص هذا القرار على السماح للجهات

التعليمية باستثمار جزء من الأراضي والمباني التعليمية وتخصيص ريعها لتعزيز بند الصيانة وتحسين المدارس. كما أن القرار تضمن كذلك التصرف في المباني المدرسية والأراضي التابعة للوزارة التي تم الاستغناء عنها ويكون عائدها لإنشاء مرافق تعليمية أو تطوير القائم منها.

ومن مهام هذه الإدارة ترشيد الإنفاق، وجلب موارد مالية عن طريق التعاون مع القطاع الخاص.

وكان مما تحقق من الجهود في الاستثمارات المتنوعة: الاستثمار الإعلاني في المدارس عن منتجات لها علاقة بالتعليم، وتأجير أجزاء من المدارس للقطاع الخاص، والاستفادة من التوالف الورقية، وتأجير المقاصف المدرسية وكلها ممارسات جديدة ذات جدوى مادي كبير، ولقد تبنت الفكرة كثير من المصالح الحكومية الأخرى وعملت على تنمية مواردها بتلك الطرق التي سلكتها. وتأتي البيروقراطية لتعيق كثيراً مما طمحت الوزارة لتحقيقه فمثلاً: إذا احتاجت الوزارة لتأجير أماكن لها فكان يشترط لذلك الإعلان في الصحف وعقد مناقصة ووجود لجنة تمثل فيها جهات حكومية عدة مما تسبب في إهدار وقت وجهد كبيرين.

زيادة الدرجات الوظيفية العليا وزيادة المخصصات المالية

كانت الإدارة في الوزارة مركزية ويأتي بعد الوزير وكيل واحد تحال إليه كل القضايا مما جعلني أقدم بطلب رسمي ذكرت فيه المسوغات الكافية والقاضية بأن تكون الإدارة في الوزارة غير مركزية لأنها أكبر الوزارات في عدد موظفيها المدنيين وتعدد نشاطاتها وتوزع مدارسها في أنحاء المملكة وذلك بتعدد الوكالات فيها وقد تم الاستجابة للطلب، ولذا فإنه أصبح للوزارة أكثر من وكيل على النحو الآتي:

- الوكيل للتعليم.
- الوكيل للعلاقات الخارجية.
- الوكيل لكليات المعلمين.
- الوكيل للمتاحف والآثار.
- الوكيل للمباني والتجهيزات المدرسية.
- الوكيل للتطوير التربوي.
- الوكيل للتخطيط والتطوير الإداري.
- مدير عام للشؤون الإدارية والمالية (بدرجة وكيل وزارة).

هذا إلى جانب إيجاد وظائف مستشارين في مراتب وظيفية عليا مما مكن الوزارة من استقطاب كفاءات لها دور كبير في التطوير الذي شهدته الوزارة، ولا شك أن توزيع المسؤولية وإيجاد الحوافز الوظيفية ساعد على الدفع بالعمل التربوي إلى الأمام. ولقد زادت وظائف المراتب العليا إلى أكثر من أربعة أضعاف ما كانت عليه.

كما تمت زيادة ما خصص من أموال للبحوث التربوية، وللتدريب والابتعاث إلى عشرة أضعاف.

الإعلام التربوي

الإعلام التربوي مفهوم جديد قصد به المواءمة ما بين مؤسسات التعليم ومؤسسات الإعلام بحيث تكمل كل واحدة منها الأخرى، وحين تم إنشاء هذه الإدارة العامة حددت أهدافها بالآتي:

١. تعزيز القيم التي يتلقاها الطلاب في النهار في مدارسهم من خلال برامج إعلامية تتفق وهذه القيم سواء أكانت الوسيلة الإعلامية مرئية، أم مسموعة، أم مقروءة، وكان شعارنا في ذلك «دعونا نتلافى أن ينقض الإعلام في المساء ما نتلقاه في الصباح».
٢. توظيف الوسائل الإعلامية المتنوعة لنشر الفكر التربوي، وشرح المشاريع الحديثة أو الأنظمة الجديدة وغاياتها والنتائج المرجوة منها.
٣. الاستفادة من الوسائل الإعلامية وما ينشر فيها لتطوير مشروع تربوي وتصحيح ممارسة تعليمية يتبين عدم مناسبتها.

٤. وأخيراً يكون الإعلام منبراً من خلاله يتبين للعاملين في الوزارة مواطن الجودة في أدائهم فيعززونها ومواطن الضعف فيعملون على الخلاص منها.

ولقد تم وضع استراتيجية عامة للإعلام التربوي تنطلق من الالتزام بالإسلام وتصوراته للكون والإنسان والحياة، مع التأكيد على ربط المواطن بتراث أمته وتاريخها وتعميق عاطفة الولاء الوطني لدى المواطن وإشعاره بدوره في نهضة الوطن، إضافة إلى التركيز على أركان العملية التعليمية (الطالب، المدرسة، المنهج، المعلم، ولي الأمر) ومعالجة المشكلات التربوية المشاركة في البرامج الوقائية والمناسبات الوطنية والعلمية التي تخدم أهداف الوزارة.

ومن أجل تحقيق تلك الأهداف فقد اتخذت إجراءات منها:

١. تشكيل «لجنة الإعلام التربوي» برئاسة الوزير وعضوية عدد من المسؤولين في قطاعات حكومية مختلفة، تشمل: وزارة التعليم العالي، وزارة الإعلام، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني، استمرت أعمالها بشكل دوري لتحقيق الأهداف للإعلام التربوي وتقوم الإدارة العامة للإعلام التربوي بمتابعة قراراتها وتوصياتها وتنفيذها.

وقد تم تشكيل لجان للإعلام التربوي في إدارات التعليم لتفعيل استراتيجية الإعلام التربوي وتنفيذها.

٢. بالتعاون مع وزارة الإعلام تم إنتاج عدد من البرامج الإذاعية والتلفزيونية، مثل «برنامج الميدان التربوي» وهو برنامج تلفزيوني أسبوعي يبحث قضايا التطوير التربوي، وبرنامج «النور والأمل» ويهتم بشؤون المعاقين، وبرنامج «مع الطلبة» وهو برنامج تلفزيوني يهدف لمناقشة ومعالجة مشكلات الطلاب الاجتماعية والنفسية والتربوية، وبرنامج «مع التحية» وهو برنامج إذاعي يستضيف أحد المسؤولين في الوزارة لمناقشة قضية تتصل بالعملية التعليمية، وبرنامج «معلم المستقبل» وهو برنامج تلفازي يختص ببرامج إعداد المعلمين وتشجيع الشباب علي الالتحاق بكليات المعلمين والكليات التربوية وإبراز جهود معلمي المستقبل وما يتميزون به.

وبالإضافة إلى ذلك فقد اعتمد في كل دورة إذاعية أو تلفزيونية برامج تربوية جديدة حوارية، ومما يثلج الصدر أن بعضاً من المشاركين في تلك البرامج من المعلمين ومن في حكمهم أصبحوا وجوهاً تلفزيونية وأنا أراهم الآن من مذيعي نشرات الأخبار- وأجد كثيراً من المحررين في الصحف المحلية من الذين عملوا ولا يزالون يعملون في الوزارة- وقد أصبح مصدر قلق لي حين أواجه بعضهم فيقدم لي نفسه على أنه صحفي أو إعلامي ولا يذكر لي صفته الأساسية وأنه معلم وأن كونه صحفياً أو إعلامياً ما هو إلا وظيفة غير رسمية يقوم بها في أوقات فراغه، وكنت أصر على أن يكون تباهي الفرد بكونه مريباً أكثر من كونه يزاول عملاً جانبياً آخر.

ومن البرامج التلفزيونية التي تم إنجازها برنامج «زهور من بلادي»، ويعمل هذا البرنامج الأسبوعي على كشف القدرات الخاصة للطلبة ذوي المهارات الأدبية والمسرحية، والعملية والرياضية والاجتماعية، وغيرها من حقول الإبداع الطلابي، في مناطق المملكة.

وكذا برنامج المنتدى الأدبي وهو برنامج ذو مراحل، يبدأ بتنفيذ برامج فنية هدفها اكتشاف الموهوبين في الإبداع الأدبي شعراً ونثراً، وينتهي باحتفالية احتفائية بأفضل خمسة طلاب على مستوى المنطقة التعليمية.

يقوم الطلاب الخمسة الأوائل بزيارات لكبار الأدباء، وبعض المكتبات والمراكز الأدبية والنوادي الثقافية في المنطقة، وتشر إبداعاتهم في الصحف، وتجرى معهم لقاءات إذاعية وتلفزيونية.

مجلة المعرفة

كنت -ولا أزال- كلما سُئلت عن أبرز الإنجازات والمشاريع التي كان لي شرف تحقيقها إبان مدة عملي في الوزارة، أبدأ بعمل تكشف سريع في ثنايا ذاكرتي كي أفرز ما أراه أبرز إنجازات الوزارة وزملائي المسؤولين فيها في أثناء -وجودي معهم- طوال عشر سنوات- فانتخب هذا المشروع وأستبعد ذلك وأتردد في آخر ولكني لم أكن يوماً أتردد في إدراج «مجلة المعرفة» ضمن قائمة الإنجازات التي اُكملت فيها عناصر: جمال الفكرة وجودة التنفيذ وانسيابية التواصل حتى اليوم ولله الحمد.

كان وجود مجلة تعنى بالثقافة التربوية وتربط الوزارة بمجتمعها من المعلمين والطلاب والمجتمع عامة، فكرة تراودني، بل تلح عليّ منذ أن جئت إلى الوزارة. ولذا فقد اتخذت الخطوة الأولى لتحقيق هذا الحلم مستأنساً برأي الأخ الدكتور سعود المصبيح الذي جاء معي ليصبح مديراً للإعلام التربوي في الوزارة، وذلك بأن دعوت إلى تنظيم لقاء مع نخبة من الإعلاميين والتربويين في بلادي، نتشاور حول مشروع المجلة من حيث الفكرة والمحتوى والشكل والآلية. وقدمت للاجتماع ورقة عمل تمثل طموحي ورؤاي عن هذه المطبوعة وافقت قبولاً من المجتمعين.

وقد بدأت اجتماعنا ذلك الذي انعقد في فندق شيراتون الرياض يوم الأحد ١٤١٦/٧/٤هـ بالقول: «إننا أمام كثرة الواجبات واتساع قاعدة المنتسبين إلى التعليم وجدنا الحاجة ملحة إلى تطوير منتسبينا وتوفير ما يمكننا في سبيل إغناء أفكارهم وشحن همهم وإبداعهم خصوصاً وأن كثيراً من المعلمين انضم إلى هذه المهنة رغم أنها لم تكن خيارهم الأول، والمعلم في هذه الحالة مارس المهنة وهو في الغالب لم يعد لها، فهو إذاً بحاجة إلى تطويره ثقافة وفكراً وممارسة، أما المتخصصون منهم فإنه قد مر زمن طويل وهم في انقطاع عن البحث والدراسة. لهذا كان من ضمن أمور كثيرة أن فكرنا في إخراج مطبوعة تصل إلى المعلمين وتوفر لهم بعداً ثقافياً وفنياً مفيداً.. إلا أنه يجب فيما نرى أن تكون مطبوعة غير تقليدية.. تعنى بالصرامة المنهجية أكثر من عنايتها بالفكرة.. نريدها مطبوعة تنقل معلومة خفيفة مفيدة.. تنقل لهم تجربة مميزة أو محاولة ناجحة وتكون منبراً يكتبون من خلاله ما يجول بخواطرهم ويقوى بها الانتماء لمهنتهم الشريفة».

وقد حضر ذلك الاجتماع نخبة فاضلة أغنوا النقاش بجملة من الأفكار التي ساهمت في تعزيز انطلاقة المشروع، منهم: الأستاذ محمد صلاح الدين والأستاذ حمد القاضي والسيد إياد مدني -الذي أصبح وزيراً للثقافة والإعلام، وأرجو ألا ينسى أنه عضو المجلس التأسيسي لمجلة المعرفة- ود. أحمد بن عثمان التويجري ود. عبد الواحد الحميد، والأستاذ محمد رضا نصر الله، والأستاذ أسامة السباعي، ود. عبد الله مناع، ود. ساعد الحارثي، والأستاذ سلطان البازعي، ود. عبد الله الجاسر، والأستاذ محمد العمودي، ود.علي عمر جابر، ود. عبد الرحمن الأنصاري، ود. سعيد السريحي، والأستاذ قينان الفامدي، ود.حمد السلوم، والأستاذ فهد العريفي -رحمه الله-، والأستاذ عبد الله المحيسن، ود. حمود البدر، ود. محمد الخطيب، والأستاذ أيمن حبيب، وآخرون.

كان الإجماع من هؤلاء على أهمية المجلة، وإن كان الاختلاف حول بعض التفاصيل الجزئية التي لا تؤثر على أن تكون المجلة أو لا تكون!.

وانطلق العمل لإصدار المجلة وفق محورين أساسيين، الأول: أنها ستكون امتداداً لمجلة المعرفة التي كان قد أسسها الملك فهد بن عبد العزيز -رحمه الله- عام ١٣٧٩هـ عندما كان وزيراً للمعارف وصدرت آنذاك لمدة أربع سنوات فقط ثم توقفت لمدة ٢٥ سنة، حتى عادت للصدور عام ١٤١٧هـ. الأساس الثاني: أن المجلة ستصدر عن الوزارة بصيغة تشاركية أولى مع القطاع الخاص، بحيث لا تكلف الوزارة ريباً واحداً، بل تمول نفسها بنفسها من خلال ريع الاشتراكات والمبيعات والإعلانات التي تسوقها الشركة القائمة على تشغيل المجلة من حيث الإخراج والتسويق، أما المحتوى والتحرير فهو مسؤولية الوزارة عن طريق فريق تحرير اختارته الوزارة وجعلت مرجعيته الوظيفية إليها.

كانت هذه الصيغة الثنائية بين قطاع حكومي ومؤسسة إعلامية خاصة (مؤسسة رواء للإعلام المتخصص) هي التجربة الأولى الرائدة في هذا المجال، وقد أسعدنا -بعد ذلك- أن نرى كثيراً من الوزارات والجهات الحكومية تقتبس نفس تجربتنا في إصدار مطبوعة باسم الجهة الحكومية، وهو ما أدى إلى مكسبين اثنين: تخفيف الأعباء المالية على الجهات الحكومية في الصرف على مطبوعاتها، وتخفيف هيمنة الصبغة البيروقراطية على المطبوعة، وإزاحة الطابع الخطابى والإخباري الجاف عنها.

في شهر رجب ١٤١٧هـ كان موعدنا مع عرس حافل وبهيج هو عرس (المعرفة) ، حيث أقيم حفل حاشد في القاعة الكبرى بجامعة الملك سعود بالرياض، تُوّجّه بالحضور صديق الصحافة وأمير الثقافة سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض، وفيه تم الإعلان عن ظهور العدد الأول من مجلة المعرفة بعد عودتها للصدور.

كان حضور سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز لذلك الحفل وتوقيعه على قسيمة الاشتراك الأولى في المجلة داعماً قوياً لانطلاقة المجلة في المدارس والأسواق والمؤسسات التربوية والثقافية والإعلامية.

ومن أهم عوامل نجاح المجلة -بتوفيق الله- اختيار أديب أريب موهوب مقتدر هو الشاب المتوهج حماساً: «الأستاذ زياد بن عبد الله الدريس» الذي أصبح رئيساً للتحرير، وأعطيته تفويضاً مفتوحاً وقلت له: إن حدودك السماء في التحليق بهذه المجلة التربوية الثقافية.

قلت في افتتاحية العدد الأول: «لقد أدركنا كما أدرك من أصدر هذه المجلة قديماً أن الحاجة تعاظمت إلى الإعلام المتخصص حتى إن دولة كالولايات المتحدة الأمريكية تصدر فيها ١٠ آلاف مجلة.. منها فقط ٢٠٠٠ مجلة عامة، والبقية عبارة عن مجلات متخصصة في شتى نواحي الحياة. وفي مجال التربية والتعليم يكون مثل هذا الاحتياج أكثر إلحاحاً مع التوسع في دوائر التربية والتعليم وتجاوز الإعلام التربوي في الدول المتقدمة دوائر المربين والمعلمين والمسؤولين عنهم ليمتد إلى التلاميذ وأولياء الأمور وإلى المفكرين والفعاليات الثقافية في المجتمع)، ثم ختمت حديثي الاحتفالي بعروستنا الثقافية الجديدة بالقول: (طموحنا أن تكون " المعرفة " من أهم المجلات العربية المتخصصة التي سترك بصمتها على الأجيال الحاضرة والقادمة من العاملين في حقل التعليم ومن المنتمين إليه. وطموحكم أن تكون مرآة صادقة تعكس ما انتهت إليه البحوث والدراسات والأفكار المحلية والعربية والدولية، وأن تصبح همزة الوصل بين القائمين على التعليم وبين الطلاب وذويهم. لكم ولنا طموحات مشتركة.. لا خيار لتحقيقها سوى أن نضع أيدينا وأيديكم معاً في هذا العمل التربوي / الإعلامي».

ثم كانت (المعرفة) على موعد آخر من الدعم والتعزيز، تمثل ذروته في استجابة الملك فهد بن عبد العزيز -رحمه الله- مؤسس المعرفة الأول بإجراء حوار معه للمجلة نشر في عدد شوال ١٤١٧هـ، كان مملوءاً بالأحاسيس الأبوية الحانية والتوجيهات التربوية النيرة.

واستمرت المجلة بالصدور شهرياً وبانتظام دون توقف أو تأخر. كانت نموذجاً أفخر به دوماً في انضباطه واستمراريته على وتيرة متصاعدة شهراً بعد شهر وعاماً بعد عام، ليس على الصعيد المحلي فحسب، بل على الصعيد العربي الذي انتشرت فيه المجلة، وأصبحت أسمع الأصداء الإيجابية عنها في المؤتمرات والمنتديات العربية من زملائي المسؤولين ومن كبار التربويين والمتقنين.

لم تخل المعرفة في مسيرتها من عقبات -كما قد يتصور بعضهم- كان يمكن أن تقعدها عن الاستمرار والانطلاق، لكن عزيمة القائمين عليها وعشاقها - وأنا أولهم! - دفعت الجميع نحو تجاوز كل صعوبة تقابل أي مشروع ناجح!

كان فخري الأكبر بمجلة المعرفة أنها حققت معادلة لم تكن مألوفة من قبل في مجتمعنا، وهو أن تنتقد المطبوعة الجهاز الذي تصدر عنه! كان من المألوف أن المجالات التي تصدر عن القطاعات الحكومية يكون جل اهتمامها تلميع صورة الوزير وكبار المسؤولين فيها وإبراز الإيجابيات فقط وغض النظر عن السلبيات والشكاوي والإخفاقات التي من الطبيعي أن لا يخلو أي قطاع عملي منها، وأن أول خطوة لمعالجتها هو مواجهتها والاعتراف بها.

كانت مجلة المعرفة تنتقد الوزارة ومسؤوليها، ولن أنسى الحوار -بل المواجهة- التي أجرتها معي بعد مرور السنة الأولى من عملي في الوزارة، لتضعني في وجه المساءلة عما تحقق من وعودي وما أخفقت في تحقيقه. كان ذلك الحوار عام ١٤١٨هـ- تجربة أولى لمجتمعنا في محاوره وزير أو مسؤول بتلك الجرأة أو المكاشفة، حتى تناقلت مقتطفات منه عدد من وسائل الإعلام، بل قامت إحدى الصحف بنشره على صفحة كاملة كنمط جديد في محاوره المسؤول.

كانت الأسئلة حادة والالتزامات قاسية، لكنني تحملتها لأنني أدرك أن هذه هي أصول الديمقراطية، إذا كان لي أن أسمى جرأة-«المعرفة» داخل الوزارة نفسها بالديموقراطية! استمرت (المعرفة) بالصدور، وهي تزداد انتشاراً واتساعاً ونضجاً، ومازلت أتابعها حتى الآن بشغف وحنين وشوق إلى طلعتها البهية كل شهر، متمنياً لها الاستمرار بنجاح لا يعتره توقف أو ضعف، بل المزيد من القوة والانتشار دوماً بإذن الله. ويبقى السعي إلى أن يقرأها كل من له علاقة بالتربية والتعليم من معلمين ومعلمات وهي في حكمهم لتصبح المجلة الأولى من حيث الأعداد التي تطبع شهرياً.

وحتى لا يقال إن حديثي عن نجاح (مجلة المعرفة) حديث متحيز، فإني أختتم هنا بنماذج من الانطباعات التي كتبت عن «المعرفة» في الصحافة المحلية والعربية أو في رسائل تلقيتها المجلة:

- أنا أستمتع شخصياً بقراءة مجلة «المعرفة» وأعترف أن «المعرفة» هي أفضل مجلة تربوية في تاريخ التربية العربية بصفة عامة، إذ هي مقروءة.. في حين أن المجلات التربوية في العالم العربي كلها مجلات ثقيلة الدم ومنفرة وتشتمل على مواضع.

المفكر العربي / محمد جابر الأنصاري

- وقد وجدت مجلة «المعرفة» قيمة جداً بمادتها الغنية، وإخراجها البديع المشوق وتنوع موضوعاتها المثيرة للاهتمام، وهي مفخرة حقيقية لوزارة المعارف السعودية.. أهنتكم على هذا الإنجاز الثقافي الرائع.

نجدة فتحي صفوة - الكاتبة بصحيفة الشرق الأوسط

- لا أحب أن أثني على مجلتكم، فحسبها مكانتها في المدرسة التي أعمل ناظراً لها، ويكفي أن بعضاً من مقالاتها يمثل لنا أوراق عمل ورؤوس اجتماعات.

محمد نجيب لطفي-ناظر المدرسة-مصر

- على ضعف تجربتنا الراهنة في صحافة المجلات إلا أنني أتمتع حقاً بقراءة مجلة لا تصدر من مؤسسة صحفية، وإنما تصدر من جهة حكومية، إنها مجلة المعرفة حيث

بت أدمن قراءتها من الغلاف إلى الغلاف، لم تقدم المجلة نفسها على أنها مجلة متخصصة توجه خطابها إلى شريحة معينة من القراء.. وإنما تملك حساً صحفياً مدهشاً وازن بين المادة العلمية وطريقة العرض، مجتذبة بهذا الأسلوب الحيوي المتوازن، أنماطاً من القراء لم يصبحوا محصورين في نطاق مجتمع المعلمين والطلاب، حيث وصلت رسالة المجلة الإعلامية إلى شرائح أخرى من القراء.

محمد رضا نصر الله - كاتب سعودي

- تلك المجلة التي تزخر فعلاً بفيض من المعارف والمقالات والبحوث التربوية المفيدة، والتي يمكن أن تشكل لنا رافداً مميزاً ومرجعاً تربوياً يغطي مساحة واسعة من اهتمامات العاملين في مدارس التعليم العام.

وليد الزاغة وزير التربية والتعليم- دولة فلسطين

- في مجلة المعرفة والتي أكاد أجزم أن محتواها يفوق محتويات كثير من الكتب التي تقذف بها المطابع، وجدت من البحوث ما يثري الفكر ويرضي النفس المتعطشة للقراءة الجادة.

عبد الله خياط- كاتب سعودي

- أعتبر «المعرفة» فريدة من نوعها بين المجلات العربية لسعيها إلى وضع شؤون التربية والتعليم في متناول جميع الناس بشكل شيق وجدي وممتع.

الجامعة الأمريكية في بيروت

منير بشور- مدير قسم البرامج التربوية

- إن «المعرفة» تجسد لدينا صورة حية لما يجب أن تكون عليه مهمة المطبوعة الواعية لمسؤوليتها دون تهويل أو تهوين أو تهميش، لن أكون مبالغاً.. ولا مجاملاً.. إذا ما قلت إنها المجلة الأولى في بلادنا حصافة ورصانة وموضوعية.. بل وشمولية، تتسم بالأصالة والمعاصرة والتحديث شكلاً ومضموناً.

سعد البواردي- شاعر سعودي

- كنا ننتظر بفارغ الصبر والشوق مجلات عربية تهتم بالقضايا التربوية في معالجة بعض المشكلات وإيجاد حلول مناسبة، ومنذ إصدار مجلة المعرفة وجدت بصفتي أحد قرائها ومتابعيها كل التساؤلات السابقة التي كانت تدور في مخيلتي، وتعالج الكثير من القضايا التربوية، ويمكن أن أطلق على مجلة المعرفة «مكتبة تربوية متنقلة».

سلطان الروشيدي-سلطنة عمان

- نعم نجحت المعرفة وفتت الانتباه لأنها كسرت المألوف، ولأن الوزير ووزارته هم أول المستهدفين نقداً، وزادها نجاحاً أن هذا النقد لم يفضب الوزير وبالتالي لم يتخذوا قراراً بغلاق المجلة وأن يستبدل رئيس تحريرها الموظف بوزارة المعارف، لأنه منذ أن كان بعيداً عن المنصب الوزاري كان مستوعباً لمفهوم النقد، وعندما أصبح وزيراً أدرك أكثر من ذي قبل أن النقد بناء ونماء.

وائل إسحاق-جدة

والآن.. وقد قرأت هذه الانطباعات، وهي غيضة من فيض، وقليل من كثير: أفلا يحق لنا أن نفخر بمجلة المعرفة بوصفها في تقديري صوت الثقافة التربوية الأول في الوطن العربي؟

التقارير العلمية

تقوم الإدارة العامة للإعلام التربوي بإعداد تقارير علمية، تتناول موضوعات وتجارب متميزة من الوزارة ومن الميدان، تهدف إلى تشجيع المبدعين وتنمية روح التنافس والعمل الجاد، وقد تم نشر عدد من هذه التقارير في الصحف عن مواضيع عدة، من أهمها: سن القبول في المدارس، التقويم المستمر، تشجيع الموهوبين وحث أولياء الأمور على الأخذ بأيدي أبنائهم، والمراكز الصيفية، المناهج، المشاريع المدرسية، أهمية التأهيل العلمي للمعلمين.

الخط الساخن

استحدثت فكرة الخط الساخن، وهو عبارة عن خط هاتفي يربط المسؤول بمجتمع الإعلام التربوي مباشرة، للرد على الاستفسارات حول مواضيع معينة حيث يتحدد زمن الاتصال وموضوعه قبله بأيام عبر الصحف المحلية، وقد نجحت هذه التجربة نجاحاً كبيراً ولا تزال مستمرة وقد كان من أبرز القضايا التي طرحت ما يلي:

١. التوجيه والإرشاد الطلابي.

٢. سن القبول.

٣. الموهوبون.

٤. كليات المعلمين.

٥. حركة النقل والتعيين.

٦. الاختبارات.

٧. النشاط الطلابي.

٨. المناهج.

٩. التعليم الأهلي.

وبجانب ما ذكر فإن المتابعة المستمرة لما يصدر من وسائل الإعلام والتفاعل معها وإصدار النشرات الإعلامية والتقارير الصحفية اليومية ونصف الشهرية تمثل جانباً مهماً من مهمات الإدارة العامة للإعلام التربوي.

متفرقات

دمج تعليم البنات في الوزارة

حين كنت أمارس رياضة المشي (الذي اعتدت عليه يوماً) بعد صلاة العصر من يوم السبت ٩ محرم ١٤٢٣هـ هاتفتني من جدة معالي الأخ الأستاذ خالد بن عبد العزيز التويجري من قصر خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (وكان ولياً للعهد آنذاك) قائلاً إن لقاء من بعد عصر غد الأحد في قصر سمو ولي العهد قد رتب لك، ويكون معي في اللقاء د خضر بن عليان القرشي وكان وكيلاً للوزارة للشؤون التعليمية (آنذاك). وحين تشرفنا باللقاء كانت المفاجأة التي أخبرنا عنها - حفظه الله - بأنه تقرر دمج الرئاسة العامة لتعليم البنات مع وزارة المعارف، وأن يكون الدكتور القرشي نائباً للوزير لتعليم البنات، وكان لقاءً ودياً مشجعاً تجلت فيه أخلاق الملك عبد الله بن عبدالعزيز حفظه الله، بصفائه، وعضويته، وأبوته، وتواضعه. وكان اختيار الدكتور القرشي من قبل ولي الأمر حكيماً موفقاً إذ وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وأعطى القوس باربيها. وأخذ مكان الدكتور القرشي وكيلاً للتعليم زميل آخر، مخلص، غيور، زكي موفق هو الأخ الدكتور خالد بن إبراهيم العواد.

وبالفعل صدر الأمر الملكي في أمسية ذلك اليوم وانهالت المكالمات عليّ من مهنيين ومن مستكرين، وكان خبراً مدوياً ومفاجئاً -الكثير من الناس استحسنته وقلة منهم استكر القرار وأخذ يهاجمه وكان من أوائل المهنيين معالي الدكتور علي المرشد رئيس تعليم البنات (آنذاك) الذي قال لي: إني سجدت لله شكراً على أنه أعفاني من هذه المهمة. وبعد أيام قليلة من صدور القرار جمعت كبار مسؤولي تعليم البنات وتحدثت إليهم بما يطمئنهم بأن أحداً منهم لن يضار في رزقه أو وظيفته وأن التعليم أصبح الآن أقوى وخبراته أكثر- وبتوجيه من المقام السامي أقيت كلمة بثها التلفزيون السعودي والإذاعة، ونشرتها الصحف وقلت فيها:

ازدادت أهمية وسائل الإعلام في عصرنا لأنها باتت تُسهم في تكوين الاتجاهات والأفكار، وأصبحت أهم القنوات لتوصيل المعلومات والأخبار، ومنابر يعبرّ منها الناس عن آرائهم ومشاعرهم ومواقفهم من مختلف القضايا.

وبقدر ما تتمتع به وسائل الإعلام من صدق تال من احترام الناس لها، وثقتهم بها. ولوسائل إعلامنا -بحمد الله- حظ وافر من هذا الاحترام.

محور حديثي هو الأمر الملكي الكريم الذي صدر يوم العاشر من محرم ١٤٢٣هـ، والذي يقضي بدمج الرئاسة العامة لتعليم البنات بوزارة المعارف.

لقد جاء هذا القرار الحكيم منسجماً مع ما تعودوه مواطنو هذه البلاد من قيادتهم، وما يتقنوه من حرصها الكامل على كل ما فيه النفع والفائدة للجميع، ومن حكمتها وترويتها، في سياستها الداخلية والخارجية.

وبعد ثلاثة أيام من صدور الأمر الكريم، عَقَدَت وزارة المعارف اجتماعها الشهري الاعتيادي، السادس لهذا العام، وحضره كبار المسؤولين عن تعليم البنين والبنات، وكان مما قلته للإخوة زملاء حينذاك: إن تعليم البنين وتعليم البنات في المملكة العربية السعودية محكومان بسياسة واحدة، جاء في مقدّمتها: «أنها تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة: عقيدة، وعبادة، وخلقاً، وشريعة، وحكماً، ونظاماً متكاملأ للحياة، وهي جزءٌ أساسي من السياسة العامة للدولة».

وقد جاء في المادة التاسعة من سياسة التعليم: «تقرير حق الفتاة في التعليم، بما يلائم فطرتها، ويعدّها لمهمتها في الحياة، على أن يتم هذا بحشمة ووقار، وفي ضوء شريعة الإسلام».

وإنني أحبّ أن أكرر وأؤكد للكثيرين من المخلصين الفيورين من أبناء هذا الوطن، الذين نحمد لهم إخلاصهم وغيرتهم، ما يأتي:

أولاً، إن ثوابتنا المستمدة من كتاب ربنا وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم ولن تتغير بإذن الله، وسندافع عنها ما دام فينا عرق ينبض بالحياة، فإن الدنيا لا تغني عن الآخرة، ورضى الله فوق رضى الناس.

ثانياً، لن يكون هناك اختلاط بين الرجال والنساء على أي مستوى كان:

- مدارس البنين كافة يدرّس فيها المعلمون ويديرها الرجال الأكفاء.
- ومدارس البنات كافة يدرّس فيها المعلمات وتديرها النساء الخبيرات.
- والمشرفون التربويون يشرفون على مدارس الذكور.
- والمشرفات التربويات يشرفن على مدارس الإناث.

ولن يكون هناك اختلاط بأي شكل من الأشكال، إن شاء الله.

ثالثاً، إن مناهج التربية الإسلامية هي أهمّ مكونات مناهجنا وكتبنا المدرسية، لأنها التي تنفعنا في الدنيا والآخرة معاً. لن يكون هناك تقليل من عدد حصصها، بل سيتضاعف الحرص -بعون الله- على أن تظهر هذه التربية في سلوك أبنائنا وبناتنا بشكل أقوى وأوضح. هذه أولوية لن نتخلّى عنها - بإذن الله - مهما كانت الظروف.

رابعاً، من الحقائق الواضحة عندنا أن للمرأة -عموماً- خصوصية تختلف بها عن الرجل، وتزداد هذه الخصوصية وضوحاً عند المرأة المسلمة؛ لذا فلا بدّ للمقررات الدراسية الحكيمة أن تراعي هذه الفروق، ويبقى القدر المشترك بين الجميع في سائر المواد: كالقرآن الكريم وتجويده، واللغة العربية وقواعدها، والعلوم التطبيقية والطبيعية وفروعها.

خامساً، الأمر السّامي بالدمج له أهداف حكيمة عديدة، منها:

١. رفع جودة الأداء الإداري والتربوي في تعليم البنين والبنات على حد سواء، عن طريق تكامل الخبرات، وتكاتف الجهود، فهو مزيدٌ من التنسيق، ومزيدٌ من التعاون على تحقيق أهداف مشتركة. وكما قلتُ: لقد أصبح الجهازان جهازاً واحداً، فهما جناحان متساويان يطيران بالتعليم العام، ويحلّقان به في أجواء التفوق والعطاء بتوفيق الله.

٢. ترشيد الإنفاق، فحكومة المملكة العربية السعودية تتفق على التعليم بسخاء، وقد بلغت نسبة الميزانية المعتمدة للتعليم هذا العام (٢٢/١٤٢٣هـ) (٣، ٢٧) في المائة من الميزانية العامة، وقد تكون أعلى نسبة بين الدول الشقيقة والصديقة، وهذا (الترشيد) لا يعني تراجع أولوية الإنفاق على التعليم، الذي هو الاستثمار الأمثل، لأن محله الإنسان، وسيلة التنمية وغايتها، إنما هدفه زيادة العائد من هذا الإنفاق.

٣. وهذا لا يعني على الإطلاق، كما سبق وأكّدت، أن أحداً سيضارّ في رزقه، أو يمسّ في وظيفته، أو يحدّ من طموحه في التفوق والتقدم والعطاء.

لقد أصبح العاملون في وزارة المعارف أقوى بإخوانهم، ازدادوا بخبرتهم خبرة، وبجدارتهم جدارة، وبوجودهم تحت مظلة واحدة صاروا أكثر قدرة والحمد لله.

سادساً، سلامة الأرواح والأبدان تأتي مباشرة بعد سلامة الأديان، لذا فلن ندخر جهداً بعون الله في سبيل تحقيقها. وسنتعاون في بذل المزيد من الجهد للعناية بأمور الصيانة، وتجهيزات ومعدات السلامة في المدارس، وتدريب الطلاب والمعلمين، وال طالبات والمعلمات على حسن التصرف في الأزمات عند حدوثها لا قدر الله.

سابعاً، لقد استؤمّنت وزارة المعارف على أبناء هذا البلد منذ تأسيسها قبل خمسين سنة حين وضع قواعدها أول وزير لها، خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز

-حفظه الله-^١. فكانت محط الثقة بفضل الله، وأثبتت مدارسها جدارة يفرح لها المخلصون، وإن كان الوصول إلى الكمال متعذراً، والنقص والخطأ من الصفات الملازمة للإنسان. وستثبت هذه الوزارة -بعون الله- جدارة أكبر في أداء الأمانة الجديدة التي أضيفت إلى مسؤولياتها، مستعينة بالله أولاً ثم بالخبرات الثمينة والجهود التي لا غنى عنها التي انضمت إليها من تعليم البنات.

ثامناً، إننا نذكر بكل فخر وإعزاز، وثناء وعرفان الإنجازات التي حققتها الرئاسة العامة لتعليم البنات، والتي ما كان لها أن تتم لولا فضل الله ثم جهود المخلصين الأقوياء الأمانة من الرجال والنساء الذين بذلوا كل ما في وسعهم فجزاهم الله خير جزاء وأوفاه، وهذه الإنجازات سوف يبنى عليها، ويستفاد منها.

تاسعاً، لقد أكد ولي الأمر -حفظه الله- ووجه إلى ضرورة تمكين المرأة السعودية من الإسهام في تطوير تعليم البنات بحكم ما وصلت إليه من تأهيل وما أثبتته من جدارة وما نالته من شهادات عليا، ولا بد أن يكون دورها رئيسياً ضمن ثوابت الدين الحنيف وتوجيهاته وأخلاقه وآدابه.

وفي الختام نسأل الله أن يوفقنا جميعاً إلى ما يرضيه عنا، وإلى ما ينفع ديننا ووطننا، وأن يرزقنا الإخلاص والصواب، وسلامة الصدور، والرفق في الأمر كله، وألا يكلنا إلى أنفسنا، بل يكون هو سبحانه لنا نعم المعين على أداء رسالتنا، وتحقيق آمال أولي الأمر والمواطنين بنا، ويحفظ لبلادنا نعمه التي لا تحصى، ويرزقنا شكرها بالقول والعمل.

١ رحم الله الملك فهد بن عبدالعزيز وأسكنه فسيح جناته، ولقد كانت المناسبة كما هو معروف في حياته -طيب الله ثراه-.

ما لقيته من عناء

لقيت عناءً كبيراً من بعض الناس نتيجة سوء فهم أحياناً، وسوء ظن أحياناً أخرى، وخاصة بعد دمج رئاسة تعليم البنات مع الوزارة دمجاً إدارياً. ومع كل الجهود التي بذلتها لطمأنة الناس أنه لن يطرأ على تعليم الفتاة ما يخالف الشريعة الإسلامية، فقد كثرت الاحتجاجات من خلال الخطابات التي أرسلت للديوان الملكي، وعبر وفود قابلت رموز القيادة، وما طفحت به شبكة الإنترنت من سب مقذع، وشتم واقترأ يفتقر إلى الحد الأدنى من خلق الإسلام وآدابه، وحتى بعض خطباء الجمعة وصف الدمج بأوصاف غير لائقة، وفيما يلي مقتطفات من إحدى تلك الخطب، حيث قال خطيب أحد جوامع مدينة الرياض، بالحرف الواحد ما نصه:

«في مساء العاشر من شهر الله المحرم يوم عاشوراء، وبينما الناس على موائد الإفطار صكت أسماعهم أنباء ذلك الهول الأعظم، والمصائب الأطم، فكدرت على الناس فرحتهم بصومهم وفطرهم، وبقي الكثير من الرجال والنساء في دهماء عمياء، بين مصدق ومكذب ومرتاب.

هل ما يقال حقيقة أم أنني في بحر أمامي أخوض وأمخر؟

وبات الناس يدوكون ليلتهم، أحقاً قضي على الرئاسة العامة لتعليم البنات؟! وتبادلوا رسائل الحزن والعزاء: أحسن الله عزاءكم وجبر مصابكم في الرئاسة، توفيت هذه الليلة الرئاسة العامة لتعليم البنات عن عمر يناهز الثانية والأربعين سنة، إنا لله وإنا إليه راجعون.

بكى الكثير، وحزن الصغير والكبير، وفزع الجمع الغفير، وأقسم أناس أنهم ما باتوا تلك الليلة، ولا لذ لهم غمض، وحلف آخرون أنهم باتوا طواين لم يذوقوا على الإفطار غير تمرات حتى نهارهم التالي وحق لهم:

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة حتى المنابر ترثي وهي عيدان

لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان

والحق أيها المسلمون أن انتراسة ما ماتت عن كبر ولا هرم ولا عجز، لكنها قتلت في ريعان شبابها، وأوج فتوتها، بمؤامرة وسمي بغیضین صامتین دائبين من بني عمان، لا أكثر الله لهم جمعاً، ولا حيا لهم طالعاً. بنو علمان: كم جروا على البلاد والعباد من الويلات والنكبات، كم جلبوا من المخازي، كم دنسوا المحارم، وارتكبوا الجرائم، كم كذبوا وافتروا، وهولوا على الولاة، هم الأفاكون الخراصون، الكذبة المفترون، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

أما حيثيات الحكم على هذه الرئاسة بالإعدام فهي كما يلي:

أولاً: إن هذه الرئاسة أنموذج فريد عزيز لا يتكرر، انفردت به هذه البلاد من بين دول العالم قاطبة وتميزت، وتمكن هذا الجهاز بتوفيق الله.. ثم ببراعة وإخلاص منتسبيه.. من تعليم الملايين من نساء هذا البلد، وتربيتهن في مسيرة رائعة متواكبة مع المحافظة على خلق الفتاة وعفافها وشرفها.

ثانياً: إن هذه الرئاسة ظلت صامدة في وجه حملات التغريب والإفساد التي شنتها عليها جهات عديدة عبر حملات مركزة ومتواصلة تارة بدعوة إلى الاختلاط، ولو على

الأقل في الصفوف الأولى، وتارة بالمطالبة بإدخال الرياضة، وطوراً بالسعي إلى إدخال الموسيقى والأوبريت الفنائي كمادة مقررة تدرس لبنات المسلمين، إلى أمور أخرى عديدة.

ثالثاً: إن هذه الرئاسة كانت وما زالت، ومنذ أن قامت يرأسها أهل العلم، الذين وصفهم أعداؤهم وأعداء الدين والبلد، من أهل العلمنة.. بالفشل والقصور والتخلف الإداري والاقتصادي، وما تقموا منهم إلا الغيرة على الأعراض والأمانة على الحرمات، والحرص على حماية الفتاة مظهراً وتربية، وهذا ما شارط أهل العلم أهل الأمر عليه منذ أن قامت هذه الرئاسة، شعوراً منهم بخطر المحارم، وأنه لا يصلح أن يتولى أمرها إلا الأمناء الثقات، على حد قول الله تعالى: (إن خير من استأجرت القوي الأمين). وكانت هذه الحثيات أو بعضها كافياً للمناداة بإسقاط هذه الرئاسة وإلغاء وجودها، وهذا ما كان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وبعد أن ذكر إنجازات الرئاسة قال: فمن حق أهل العلم والغيرة أن يتخوفوا على النساء، ومن حق الناس جميعاً أن يتوجسوا لما يلي:

أولاً: إن أعظم فتنة وأخطرها وأخشأها من رسول الهدى على أمته هي النساء ففي الحديث الصحيح يقول: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء».

ثانياً: إن أعز ما على المرء بعد دينه شرفه وحرمة، بل ذلك من دينه، هذا ما حمل أهل الجاهلية عباد اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى على وأد النساء جوراً، وقديماً قال قائلهم:

أصون عرضي بمالي لا أدنسه لا يبارك الله بعد العرض بالمال

ونحن نقول:

أصون عرضي بروحي لا أدنسها لا يبارك الله بعد العرض بالروح

ثالثاً: للناس عامة ولأهل العلم خاصة الحق كل الحق في التخوف على المرأة سيما مع ما يرونه من عموم بلوى الاختلاط وتحرر المرأة في البلدان المجاورة في صورة شائنة

مزرية، سحبت آثارها تلك على المجتمعات تهتكاً وتحلاً وضياًعاً، وحفظ الله هذه البلاد من ذلك البلاء عقوداً طويلة.

رابعاً، ولهم الحق كل الحق وهم يرون صوراً من الاختلاط النكد في أكثر المستشفيات والكليات الطبية، والمرافق هنا، وما جر ذلك من صنوف البلايا والرزايا، وبقيت هذه الرئاسة قلعة صامدة حصينة بفضل الله تعالى ثم بفضل جهود المخلصين والقائمين عليها والقائمات.

خامساً، ولهم الحق كذلك وهم يعرفون ويسمعون عن بعض هؤلاء الأشخاص الذين أسند إليهم أمر الرئاسة لهم من الآراء والتصريحات ما يلقي عليهم ظلالاً من الشك والريبة والتخوف، فهم ليسوا من أهل العلم الشرعي ولا القضاء، ودراستهم غريبة غريبة، وهم أصحاب الاقتراحات المشهورة باختلاط الصفوف الأولية، وتدريس النساء لها، وإدخال مادة الرياضة للنساء، وإدخال الموسيقى والرقص على الطلاب، وهذا ما يخشى على النساء منه، فهل بعد هذا يلوم لائم أو يتساءل متسائل؟! أيها المسلمون: لقد تم اغتيال الرئاسة العامة لتعليم البنات عبر مراحل وخطوات يرقبها المراقب ويعدها العاد، جاءت متلاحقة ومتسارعة وإن كانت النتيجة غير متوقعة على الأقل في هذا الوقت.

واسترسل قائلاً بعد اتهامه لمن سماهم بالعلمانيين بالدفع بهذا القرار (نعم سقطت الرئاسة مضرحة بدماء العفة والشرف وسقطت ضحية كثرة العدو، وقلة المدافع.. سقطت وهي تشكو إلى الله ثم إلى الأمة والتاريخ، جلد المنافق وعجز الثقة، وكثافة القصف، وقلة الناصر، وأحيلت أعمالها وصلاحتها كافة لأناس لا تبرأ بهم ذمة، ولا يؤتمنون على عرض، فلك الله أيتها الرئاسة.. نعم من حقنا أن نقول الحقيقة، إذا كان أئمة علماني يقول ما يحلوه، عبر الصحافة الطوافة في أرجاء الدنيا كذباً وباطلاً، ويصور العلمانيون الذين هلوا بسقوط الرئاسة، ودفنوا جسدها الطاهر دون غسل ولا صلاة، يصورون للدنيا أن هذا الإلغاء رغبة المجتمع كله، ومطلبه الأوحده، وأن الجميع لا تسعهم الفرحة جراء ذلك، وكلما أراد أحد أن يقول شيئاً ليفرغ حرقة فؤاده، ويرد فريتهم، قابله مرة أخرى بالحصار والسخرية والركل بالأقدام، فمتى يعرف الناس الحقيقة؟!». انتهى كلامه.

لقد كان أمراً مدهشاً أن يأتي هذا الادعاء وأمثاله من أئمة المساجد في خطب الجمعة،

وتأتي التصريحات في وسائل مختلفة من أناس يظن بهم المعرفة وتحري الصواب فيما يقولون، والخطبة المذكورة هنا ألهاها معلم كنت أتمنى لو أنه سأل نفسه عن البرهان الذي جعله يقول: «وأحيلت أعمالها وصلاحتها كافة - يقصد الرئاسة العامة لتعليم البنات- لأناس لا تبرأ بهم ذمة، ولا يؤتمنون على عرض» لا سيما وأنه يعمل في الوزارة، ولو أن هؤلاء الناس الذين أسند إليهم الأمر كما وصفهم فكيف أؤتمنوا على تعليم الأولاد؟ فهل الأمانة مطلوبة لتعليم البنات وغير مطلوبة لتعليم البنين؟ والمهم في الأمر أن المسؤولين عن تعليم البنات لم يزع أحد منهم عن مركزه ولم تتغير المسؤوليات. كان بإمكانني أن أرفع دعاوى قذف ضد هؤلاء وأمثالهم، ولكنني احتسبت الأجر عند الله، فما عنده هو خير وأبقى، وليس عندي من الوقت ما يجعلني أمضي شيئاً منه في التقاضي، وتأسيت بالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله الذي سامح كل من آذاه في المحنة، إلا أصحاب البدع منهم.

ليت الناس يتخلقون بأخلاق الإسلام ويدركون ضمن ما يدركون أن الكلمة أمانة وأنها مسؤولية ولا بد أن يتقي المسلم ربه في كل ما يقوله، متذكراً قول الله تعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد، كل أولئك كان عنه مسؤولاً)^١.

لقد عملت كل ما في وسعي في طمأنة الناس من خلال اللقاءات والحديث عبر وسائل الإعلام ومن خلال الممارسة التي لم يكن فيها إلا السعي الحثيث لتطوير التعليم وبرامجه للبنين والبنات، وقد أسندت إلى المؤهلات من المعلمات والمشرفات المزيد من المسؤوليات التربوية بما في ذلك إعادة صياغة المناهج وتأليف المقررات فتوحدت بذلك الكتب المقررة إلا ما تقضي المصلحة إفراده لأحد الجنسين، ووجدنا بعد الدراسة أن من الأجدى توحيد كثير من الإدارات، وخاصة: الإدارية والمالية بما في ذلك توحيد المشتريات والمستودعات. مع تحسين مقررات عمل الموظفات بحيث تماثل مباني الموظفين، وركزت الوزارة على برامج التدريب للمعلمات، وخاصة تلك البرامج المتعلقة بأساليب التدريس وتقنيات التعليم، ومع كل ذلك فإن هذه القلة من الناس لم تفتأ تصب غضبها عليّ ظناً منها أنني وراء هذا القرار، ومع ذلك فهو في تقديري قرار قصد به الخير والمصلحة العامة، من أولياء أمور خبرتهم الأيام وخبروها، وعركتهم التجارب وعركوها، ويعرفون حق المعرفة أحوال رعيبتهم، وما يصلح لها وما لا يصلح لها.

ولم تقتصر المعاناة على نتيجة الدمج فقط بل إن هناك فئة من الناس لا تطمئن إلى أحد وتشك في كل ممارسة، ولقد أصابني الكثير من تلك الفئة وأصبحت شخصياً، محل طمنهم، وكل كلام أو فعل مني يؤلونه ويحملونه محملاً سيئاً على غير ما أردت، بل إنهم يحكمون على نياتي، ومنهم من زعم أنني لا أدمع مناهج التربية الإسلامية، وأني أسعى لتقليها!!

ولأعط مثلاً على ما حدث معي ما نشرته جريدة الشرق الأوسط في عددها رقم ٨٤٦٨ في شهر ربيع الأول ١٤٢٣هـ إذ نشرت صورة لي وبجوارتي في الصورة اثنان من الزملاء، والصورة أخذت في منزلي (وكنيت مع خمسة من الزملاء في صباح يوم خميس نناقش بعض الأمور المهمة تربوياً)، كنت ممسكاً بالقرآن الكريم، فكتبت الجريدة فوق الصورة بخط عريض: «وزير المعارف السعودي: التلقين البغائي في مدارسنا لم نجن منه إلا الحنظل»، وكتبت تحت الصورة: «الوزير الرشيد يستشهد بالقرآن الكريم خلال لقاء بمنزله في الرياض الخميس الماضي»!!! وفهم كثير من الناس من هذا التقديم السيء الذي يكاد ينطق بنية من فعله أنني أنتقد طريقة تعليم القرآن الكريم وأصفها بالتلقين البغائي، فتارت ثائرتهم، وبدؤوا يهاجمونني، ولم يكلف أحدهم نفسه بالاستيثاق والتثبت. وحقيقة الموضوع أن الجريدة أخذت كلامي عن منهج التلقين البغائي في مواد علمية: كالنحو، والعلوم وغيرها، وأنه لا يفيد بدون فهم، وقطعوه عن سياقه ووضعوه تحت صورة التقطت في مكان آخر، وزمان آخر أمسكت فيها بالقرآن الكريم أبين لوحد من وكالة (الأسوشيتدبرس) زارني في منزلي عقب الهجمة الشرسة التي تعرضت لها المملكة بعد أحداث ١١ سبتمبر، أبين لهم أن الإسلام دين يحض على السماحة، وعدم العدوان، وقرأت لهم آيات مثل قوله تعالى:

(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم...)^٢،

وقوله: (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله...)^٢،

٢ سورة الممتحنة، آية: ٨.

٢ سورة الأنفال، آية: ٦١.

وقوله: (ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)^٤

- ومن المواقف الطريفة المتعلقة بهذا الموضوع: أني كنت في زيارة لأحد أصحاب الفضيلة من المشايخ فذكر لي أن جمعاً من الناس قد زاروه وتحدثوا عني عنده طاعنين في توجهاتي الفكرية فدافع عني بقوله: «إني أشهد أن محمد الرشيد يصلي»، فضحكت، وشر البلية ما يضحك: صارت «شهادة حسن السلوك» تأتيني من أقراني في العمر، وصار قُصاري الثناء عليّ أنني أصلي!!
- ومنها: أن أحد المشايخ الفضلاء دافع عني بأني أعتصر في رمضان، وأخذ معي والدتي، وهذا من علامات برّي بها.
- ومنها: أنني صليت مرة التراويح في الحرم المكي، وكان إلى جانبي شاب مُلْتَح في مقبل العمر، فلما انتهينا من الصلاة سألتني: ألسنت أنت فلاناً؟ قلت: بلى! قال متعجباً: وهل تصلي التراويح!؟
- ومنها: أن معلماً قابلني في الحرم، فعرفني ولم أعرفه، فأقبل عليّ، وقبل رأسي منفعلاً وهو يقول: أرجوك أن تسامحني فقد وقعت في عرضك، وأسأت الكلام عنك أنا وبعض زملائي المعلمين، وكنا نعتقد أنك لا تعرف الطريق المؤدية إلى الحرم!
- وفي اليوم التالي لهذه الحادثة صليت الجمعة في المسجد الحرام، فإذا بمعلم آخر يقبل عليّ، ويقبل رأسي، ويهديني سواكاً، ويمدّ لي سجادة أجلس عليها، ويقول: سامحني يا دكتور، ظننت أنك لا تصلي! وأمثال هذه الحوادث كثير.
- بلغ الأمر ببعض الناس إلى الخروج عن اللياقة والأدب الإسلامي، فعلى سبيل المثال كنت خارجاً من المسجد بعد صلاة العصر والصلاة على بعض الأموات وكنت أحمل مع الآخرين النعش، فجاء أحد المعلمين وقال لي: (تذكر هذا اليوم يوم تكون محمولاً على النعش واتق الله فيما تعمله هدماً للإسلام وخروجاً عن قواعد الشريعة)، وكان بجانب شقيقي، وحين سمعته أخذه بقوة ودفعه إلى الخلف وقال: أنت الذي لا تعرف الواجبات الدينية، وكيف تظلمه وما هي جنابته فقال اليس هو الذي غرر بالحاكم حتى دمج تعليم البنات مع البنين وهذا هو أكبر انتهاك لحرمة الإسلام!؟

• في أحد الأيام دخل مكتبي أحد المعلمين وخاطبني بصوت عالٍ، وكأنه ينهرني نهراً شديداً، وبدأ يقرأ في ورقة معه: إن إخوانك المعلمين يأخذون عليك خمسة عشر مأخذاً وكان أول مأخذ ذكره هو تعليق صور الملك عبد العزيز -رحمه الله- وخادم الحرمين الشريفين وولي العهد في المكتب ثم استرسل ذاكراً أنني أسبل ثيابي، وأني أمتع المعلمين من ضرب طلابهم مما أفقد المعلمين الهيبة، وأني ضد التلقين والحفظ، وأني أدخلت مادة التربية الوطنية... إلخ.

وبعد ما استمعت إليه فندت كل نقاطه وشرحت له ما التبس عليه ولكنه مع كل ذلك خرج غاضباً لأنني لم أستجب لمطالبه.

• وفي أكثر من مرة وحين حديثي في اجتماع مع المعلمين والمشرفين كان ينبري لي أكثر من واحد بصلف شديد ينتقد النشيد الوطني، ورفع صور أولي الأمر، وأموراً أخرى ومع ذلك أعاملهم بكل ما أمكك من الحسنى عليهم يعدلون نهجهم ويكونون لطيفين في أسلوبهم.

• حين عقد مؤتمر في بيروت عن التربية والتعليم أقامه منتدى الفكر العربي شارك فيه المهتمون بصفاتهم الشخصية، وكان من ضمن المشاركين مشرفات تربويات، وعضوات هيئة تدريس في الجامعات السعودية وكليات البنات، فتناولني بعض خطباء المساجد في خطبهم وقالوا: إنني أخذت النساء في طائرة خاصة إلى مدينة وصفوها وصفاً سلبياً، ودعا بعضهم عليّ فوق المنبر، مع أنني لا دخل لي في الأمر، وكنت ضيفاً مدعواً للحديث، والنساء اللواتي حضرن كنّ مع محارمهن، ومن هيئات تربوية مختلفة، فأني ظلم أكبر من هذا الظلم!؟

• إن الفجيرة عندي ليست في أن ينال عرضي علناً من يناله، فلي أسوة حسنة بأنبياء الله -صلوات الله عليهم- الذين وصفهم أقوامهم بأقبح الأوصاف لكنّ الفجيرة أن يكون بعض المتخصصين في العلوم الشرعية بهذه العقلية؛ يحكمون على الناس ويدينونهم غيائياً من غير تثبّت، ويكون هذا في بيوت الله، ويشيرون العامّة، ويخلقون البلبال، ويصدّعون البناء الاجتماعي، وهل اتصف المتطرفون -فيما اتصفوا به- بغير هذه الصفات!؟

• وصلت المعاناة مع مسيئي الظن إلى حد من الصعب في مثل هذا المقام وصفه، لقد أتى إليّ أناس (أغلبهم من المعلمين) في المكتب، وفي المنزل وعند باب المسجد حين خروجي من الصلاة وقالوا بنبرة حادة إنك تريد أن تعمل كذا، أو تخطط لكذا، أو أنك أخذت فلاناً من الناس ليشغل الوظيفة الفلانية لأنه لا يحب الملتزمين، وقد اتصل بي هاتفياً من لا أعرفه وهدد وتوعد وقال: إن الإخوان (على حد تعبيره) عازمون على قتلك إذا لم تقلع عن تغيير المناهج وتقليل المواد الدينية !!5

• وأقر هنا أن غالبية الناس في الوزارة كانوا متعاونين ومشجعين ومتفاعلين، لكن بقي عدد كان يمثل مشكلة بالنسبة لعملنا في الوزارة، وهذا العدد المحدود ينقسم إلى فئتين:

الأولى: تحضر الاجتماعات الدورية، التي يتفق فيها على قرارات وخطوات عملية معينة، وتحدث في أثناء هذه الاجتماعات مناقشات وعرض لوجهات النظر، فينقلون للخارج في أي وسيلة من وسائل الإعلام خاصة (على الإنترنت) ما حدث وما انتهى إليه هذا الاجتماع أو ذلك؛ لكن بصورة خاطئة وتحريف للأقوال، وتشويه للموضوع.

والفئة الثانية: تكون في الاجتماعات ولا تبدي أي وجهة نظر تجاه ما يقال من اقتراحات وقرارات ويمكن أن نسميها الفئة الصامتة رغم أننا في الوزارة ندعو ونحث الجميع على المشاركة وبعد انتهاء الاجتماع لا تعمل هذه الفئة بمقتضى ما تم الاتفاق عليه وتتضاعف المشكلة عندما يكون هذا الشخص رئيساً لآخرين كأن يكون مدير منطقة تعليمية أو مدير إدارة ثم لا يحمل مرؤوسيه على تنفيذ ما تم الاتفاق عليه، وهذا الأمر مثل لنا مشكلة كبيرة خاصة في موضوع المناهج، بل إن البعض كان يعمل عملاً مخالفاً لما تم الاتفاق عليه.

وحين كثر الطعن فيّ وفي أعز ما أملك، وهو ديني ومعتدي دعاني هذا إلى أن أنشر مقالة بعنوان: «هكذا تعلمت الإسلام» وقد وزعت المقالة على المعلمين والمعلمات ونشرت في الصحف المحلية وأعيد نشرها أكثر من مرة ونصها:

نحن جميعاً في هذه البلاد ولدنا -والحمد لله- في بيئة مسلمة، من آباء وأمّهات مسلمين، ولم يكن الإيمان في نفوسنا قابلاً في زوايا باردة أو مظلمة، بل كان دافئاً مؤاراً

بالحياة، ثم كانت بيئتنا التعليمية غنيّة بالمواد الدينية التي أصّلت مشاعرنا على أسس علمية، وعلى امتداد الزمن كان تفكيرنا ينضج مع الأيام، والاعتبار بأحداث الحياة، فنزداد -بفضل الله- إيماناً يوماً بعد يوم وهذه -والله- نعمٌ لا يمكن أن يؤدّي حقّها حمدٌ ولا ثناء.

تعلّمنا -ونحن يافعون- أن مصدرنا الأول في التلقّي هو كتاب الله المجيد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تتلوه السنّة المطهرة الصحيحة التي بذل في خدمتها جهابذة العلماء على مرّ القرون أعمارهم لينقّوها لنا ويوثقوها. وتعلّمنا أن نأخذ أفهام أئمّتنا الأعلام للكتاب والسنة، ونحاول في الوقت ذاته أن نفهم الدليل، حتى نكون مقتدين ومتّبعين على بصيرة.

هدفي في هذا المقال ترميوي بحت، هو أن أضع أمام أبنائنا وبناتنا الطلاب والطالبات بعض ما تدعوهم الحاجة اليوم إلى أن يعلموه، ويعملوا به من توجيهات ديننا العظيم، كما أخذناه من مصادر تشريعنا، وتلقيناه من علمائنا ومشايخنا الثقات، رحمهم الله وأكرم مثواهم.

١. تعلّمت أن الأخلاص -بعد الإيمان- هو رأس الأعمال وأساسها؛ قال تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)^٥، وهكذا فلا ينفع إيمان دون عمل ولا عمل دون إيمان.

٢. وتعلّمت أن النية لا تقل أهمية عن العمل؛ ففي الحديث: «إنّما الأعمال بالنيات، وإنّما لكل امرئ ما نوى» متفق عليه^٦. والنية من أعمال القلوب، لا يطلع عليها إلا علام الغيوب، لذلك لا يستطيع العباد أن يحكموا على نيّات العباد، إنّما يأخذون بظاهر الأعمال، ويكفون النيات إلى الله.

٣. وتأسيساً على هذا المعنى حتّنا الإسلام على حسن الظنّ بالمسلمين، إن حسن الظنّ عبادة من العبادات، وأدب من آداب الإسلام، كما أن سوء الظنّ معصية من

٥ سورة البينة، آية: ٥.

٦ انظر صحيح البخاري برقم ١، وصحيح مسلم برقم ١٩٠٧.

معاصي الله تعالى؛ قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن، إن بعض الظن إثم)^٧، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث» متفق عليه، أي: احذروا اتباع الظن، واحذروا سوء الظن، فإنه أكذب الحديث؛ لأنه يكون بإلقاء الشيطان في نفس الإنسان.

وأن حسن الظن بالمسلمين مطلوب، وسوء الظن بهم ممنوع، تبين لنا عظم ذنب من يتهم الناس في نياتهم وأخلاقهم، وعقائدهم وأمانتهم، من غير دليل واضح وضوح الشمس في رابعة النهار؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك»^٨.

٤. وكذلك علمنا نبئنا صلى الله عليه وسلم أن ندافع عن إخواننا عندما يُنتقص منهم في غيبتهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ردّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة»^٩، وقال صلى الله عليه وسلم: «... ومن رمى مسلماً بشيء يريد شينته به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال»^{١٠}، أي: حتى يُنقى من ذنبه بإرضاء خصمه، أو بشفاعته، أو بتعذيبه بقدر ذنبه.

٥. إن الكلمة أمانة أمام الله ثم أمام الخلق، وقد حدّرتنا الإسلام من القول بغير علم؛ قال سبحانه: (ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستوئلاً)^{١١}، ومعنى الآية - كما ذكره المفسرون - : لا تقل: رأيت ولم تر، ولا سمعت ولم تسمع، ولا ترم أحداً بما ليس لك به علم يقين.

فإذا كان عامة المسلمين مطالبين بهذا التثبّت، فمن باب أولى أن يطالب به الذين يرتقون المنابر أيام الجمع والأعياد، أو يعقدون حلقات الوعظ والإرشاد، وكذلك

٧ سورة الحجرات، آية: ١٢.

٨ رواه البخاري برقم ٦٠٤٥.

٩ رواه أحمد والترمذي برقم ١٩٣١.

١٠ رواه أحمد وأبو داود برقم ٤٨٨٣.

١١ سورة الإسراء، آية: ٣٦.

الذين يقومون بعملية التوجيه في الجامعات والمدارس والإذاعات والفضائيات، فإن مسؤوليتهم مضاعفة لأنهم يبلغون دين الله، ولأن أثرهم في المجتمع عظيم.

٦. وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «بئس مطية الرجل: زعموا»، أي: أسوأ عادة للرجل أن يتخذ لفظ «زعموا»^{١٢} مركباً إلى مقاصده، فيخبر عن أمر تقليداً من غير تثبت، فيخطيء، ويُجربُّ عليه الكذب. والمقصود- كما قال العلماء-: أن إخبار الرجل بخبر مبناه على الشك والتخمين دون الجزم واليقين قبيح، بل ينبغي أن يكون لخبره سند وثبوت، ويكون على ثقة من ذلك، لا لمجرد حكاية على ظن. بل إن الأمر أبعد من ذلك؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع»^{١٣}.

٧. وهكذا، إذا ربينا أنفسنا، وطلابنا، وطالباتنا، على هذه المعاني الإسلامية السامية انطفاً نيران الإشاعات الضارة في المجتمع، وسلمت الصدور، وانشغل الناس بما ينفعهم في دينهم ودنياهم. وعرف المعلمون عموماً، وطلبة العلم الشرعي خصوصاً، أنهم (معلمون ودعاة)، وليسوا قضاة على البشر، يصنّفونهم إلى فئة ناجية، وفئة هالكة، وفئة بينَ بين، بناءً على مقدار علمهم واجتهادهم، وفي حدود إنسانيتهم التي لا تصفو من شوائب الجهل والهوى. وقد قال ربُّ العباد سبحانه وتعالى لأكرم خلقه عليه الصلاة والسلام: (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب)^{١٤}، وقال له: (ما عليك من حسابهم من شيء)^{١٥}.

٨. لقد اهتم الإسلام بأعمال الجوارح الظاهرة، كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، اهتماماً بالغاً وجعلها أركاناً للإسلام، واهتمَّ كذلك بأعمال القلوب وآداب النفوس، وتركيبتها: قال تعالى: (ونفسٍ وما سواها ❖ فآلهما فجورها وتقواها ❖ قد أفلح من

١٢ رواه أحمد ١١٩/٤، وأبو داود برقم ٤٩٧٢.

١٣ رواه مسلم برقم ٥.

١٤ سورة الرعد، آية: ٤٠.

١٥ سورة الأنعام، آية: ٥٢.

زكَّأها ❖ وقد خاب من دسَّأها^{١٦}. أما صورة العبادة الظاهرة إذا كانت خالية من روحها ومعناها، فلا قيمة لها، كما أشار الحديث الشريف: «رَبُّ صَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرَبُّ قَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهْرُ»^{١٧}. ولهذا كانت «تزكية النفس» من أهمِّ المهمَّات التي اعتنى بها الإسلام.

٩. إن الإسلام يظلُّ دعوى باللسان ما لم يطبَّق في الواقع، وإن إقامة الشعائر هي المرحلة الأولى لظهور أثرها في النفس، والأخلاق، والمجتمع. وقد جاء في الحديث الشريف: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»^{١٨}، ومن الحكم الدائرة على السنة الناس: الدين المعاملة.

١٠. إن حظ العلوم الإسلامية الشرعية في مناهجنا الدراسية -بحمد الله- أكبر من حظها في أيِّ مكان آخر فيما نعلم، وهذه نعمة عظيمة، وعلينا نحن التربويين أن نعمل بكل جهد في أن يظهر أثر هذه المناهج في واقعنا وسلوكنا وعلينا أن نتخذ من الأساليب والوسائل ما يحقق تعميق أثر هذه العلوم في حياتنا ومعاملاتنا.

١١. ومما تعلَّمته في الصغر، وأحببته، وعملت به ما استطعت، ودعوت إلى الأخذ به: الرِّفق في الأمر كلِّه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه»^{١٩}، وقال: «إن الله رفيق يحبُّ الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يُعطي على ما سواه»^{٢٠} رواه مسلم، وفي حديث آخر: «... من يُحرِّم الرفق يُحرِّم الخير كلِّه»^{٢١}.

١٢. والمعلم الصالح، وكذلك المربي الصالح، هو الذي يأخذ نفسه بالعزائم بحسب

١٦ سورة الشمس، الآيات ٧-١٠.

١٧ رواه ابن خزيمة برقم ١٩٩٧، والحاكم ٤٣١/١.

١٨ رواه البخاري برقم ١٩٠٣.

١٩ رواه مسلم برقم ٢٥٩٤.

٢٠ رواه مسلم برقم ٢٥٩٣.

٢١ رواه مسلم برقم ٢٥٩٢.

وسعه ليكون قدوة لمن يربّيهم ويعلمهم، ويفتح للأخريين باب اليسر الذي يتسع له صدر الإسلام؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث بعض أصحابه في بعض أمره قال: «بشّروا ولا تنفّروا، ويسّروا ولا تعسّروا»^{٢٢}، فإذا استطاع المرابي الصالح أن يبعث في نفوس الناس الطمأنينة والسكينة فقد حقق واحداً من أهم أركان التربية.

إن مسؤولية المعلمين والمربين والعاملين في حقل الدعوة مسؤولية مضاعفة، لأنهم بسلوكهم وطريقة عرضهم لأفكارهم إما أن يحبّبوا إلى الناس الدين، والفضائل، والآداب، ومحاسن الأخلاق، وإما أن ينفّروهم منها. روى البخاري ومسلم رحمهما الله عن أبي مسعود البديري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني لأتأخّر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا، فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم غضب في موعظة قطّ أشدّ مما غضب يومئذ، فقال: «أيها الناس، إن منكم منقّرين، فأياكم أمّ الناس فليوجز؛ فإن من ورائه الكبير، والصغير، وذا الحاجة»^{٢٣}.

١٣. ومن أنفع ما تعلمته في الصغر، وأدركت أهميته البالغة في الكبر: التبيّن والتثبّت فيما يُنمى إلينا من الأخبار؛ فأنا قد أسمع عن شخص أنه قال قولاً، أو عمل عملاً لا أرضاه، فلا أنتقده، ولا أنكر عليه قبل أن أستوثق تماماً من صحة النقل، وأحاول أن أذهب إليه -إن استطعت- لأسأله وأستفهم منه، وكم من مرّة فعلت هذا، فتبيّن لي-بعد الاستيثاق- غير ما نقل إليّ عنه. وقد يكون النقل في بعض الأحيان صحيحاً، ولكن النظر في الخبر بتعمق وملاحظة مناسبته ولهجته يدل على غير المعنى الذي استنبطه الناقل.

١٤. تعلّمت أن من الدين إجلال الكبير، واحترام ذي الشبهة المسلم، وتوقير العلماء الذين نستفيد من علمهم، وننتفع بسمتهم وهديتهم الموافق لسنة. وهذا ما جاء في الحديث الصحيح وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «ليس منّا من لم يوقّر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا قدره»^{٢٤}.

٢٢ متفق عليه: البخاري برقم ٦٩، ومسلم برقم ١٧٣٤.

٢٣ رواه البخاري برقم ٩٠، ورواه مسلم برقم ٤٦٦.

٢٤ رواه أحمد ٥/٢٢٣.

١٥. وتعلّمت أنّ رأينا -في الأمور الخلافية- يحتمل الخطأ وإن كنا نراه صواباً، وأن الحق ليس وقفاً على أحد منا؛ وقد قال الإمام أبو حنيفة -رحمه الله- كما نقله عنه حافظ المغرب ابن عبد البر في كتابه (الانتقاء): «هذا الذي نحن فيه رأي، لا نجبر أحداً عليه، ولا نقول: يجب على أحد قبوله بكرهة، فمن كان عنده شيء أحسن منه فليأت به». وقد كان الإمام الشافعي رحمه الله يقول: «لقد ألّفت هذه الكتب ولم آل فيها، ولا بدّ أن يوجد فيها الخطأ؛ لأن الله تعالى يقول: (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)»^{٢٥}. فما وجدتم في كتبي هذه ممّا يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه» ذكر ذلك ابن شاكر في «مناقب الشافعي ونقله عنه السخاوي». فعليّنا أن نتأدّب مع من يخالفنا في الرأي، ولا نتسرع في تخطئتهم، وهذا من أهمّ أركان «فقه الخلاف وأدابه». وعليّنا ألا نطيل السنننا فيمن نخالفهم حتى لا نفجّر في الخصومة، فتكون فينا بعض صفات المنافقين الذين إذا «خاصموا فجروا»، كما ورد في الحديث: «أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أوّتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»^{٢٦}.

١٦. وتعلّمت أنّ المسلم مطالب بأدب الحوار حتى مع المخالفين له في الدين؛ قال الله تعالى: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن)^{٢٧}.

وقال تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)^{٢٨}.

ويروى أن الإمام الشافعي -رحمه الله- قال ما معناه: ماناظرْتُ أحداً فأحببت أن يخطيء، وما في قلبي من علم إلا ودّدت أن يتعلّمه كل أحد ولا يُنسب إليّ منه شيء»،

٢٥ سورة النساء، آية: ٨٢.

٢٦ متفق عليه: رواه البخاري برقم ٢٤، ورواه مسلم برقم ٥٨.

٢٧ سورة العنكبوت، آية: ٤٦.

٢٨ سورة النحل، آية: ١٢٥.

ويروى عنه أيضاً أنه قال: «ما كلمت أحداً قط إلا ولم أبالِ بينَ الله الحق على لساني أو لسانه»^{٢٩}.

إن الحوار بقصد الوصول إلى الحقيقة والتفاهم يورث الودّ.

١٧. وتعلّمت أن العدل والإنصاف وتحريّ الدقة في الحكم من شأن المسلم؛ فقد أمرنا ربُّنا سبحانه أن نكون عادلين في أحكامنا ولو مع الذين نكرههم؛ قال الله تعالى: (ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)^{٣٠}.

١٨. وتعلّمت أن المرابين والعلماء يجب ألا يثيروا مشاعر الناس بمنطق العواطف البعيد عن الحكمة، وعليهم أن يخاطبوهم بالأسلوب الذي يستطيعون فهمه واستيعابه؛ قال عليّ رضي الله عنه: «حدّثوا الناس بما يعرفون أتحبُّون أن يكذبَ الله ورسوله؟»^{٣١}. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ما أنت محدّث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»^{٣٢}.

١٩. وتعلّمت أن العبرة بحقيقة الأمور لا بصورتها، ولا يجوز أن يشغلنا المظهر عن الحقيقة، وإن كانت رعاية ما جاء في الشرع عن المظهر أمراً ينبغي أن نتحلّى به. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»^{٣٣}.

فالذين يتصوِّرون أن الإسلام مقصور على بعض المظاهر الطيبة التي دعت إليها النصوص الصحيحة، ولا يربطون ذلك بحسن الخلق وبالحقيقة والنية الخالصة مخطئون.

٢٩ كتاب مناقب الشافعي لأبي بكر بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) تحقيق السيد أحمد صقر، عن مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٢م.

٣٠ سورة المائدة، آية: ٨.

٣١ رواه البخاري معلقاً ٣١/١.

٣٢ رواه مسلم في مقدمة صحيحه ٩/١.

٣٣ رواه مسلم برقم ٢٥٦٣.

٢٠. وتعلّمت أحاديث شريفة عديدة لايزال لها وقع خاص في سمعي وقلبي، ومنها قوله عليه الصلوة والسلام: «لمعون من ضارّ مؤمناً أو مكر به»^{٢٤}، وقوله: «من ضارّ مؤمناً ضارّ الله به»^{٢٥}، وقوله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»^{٢٦}، وكثيراً ما كنت أردّد قول الشاعر العربي:

وظلم ذوي القربى أشدُّ مضاضةً على النفس من وقع الحسام المهنّد

ثم إنني عقدت العزم على أن أفوض أمري إلى الله حين أشعر بظلم وقع عليّ، وأستغفره دائماً وأحتسب أجري عنده. عند ذلك تهدأ نفسي، ويرتاح قلبي، والحمد لله على فضله.

٢١. وأخيراً فإنني أذكّر نفسي وإخواني أنه لا يسلم من السنة الناس أحد؛ حتى الأنبياء الكرام عليهم الصلوة والسلام لم يسلموا من أذى أقوامهم بالأيدي والألسنة، ونحن مأمورون أن نقتدي بهم وأن نصبر ونحتسب الأجر عند الله، قال تعالى: (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور)^{٢٧}، وقال: (والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين)^{٢٨}.

هذه خواطر عنت لي في ظلّ بعض الظروف التي نعيشها، أحببت أن أضعها أمام إخوتي وأخواتي من المعلمين والمعلمات، وأبنائي الطلاب والطالبات، سائلاً الله سبحانه أن يعلمنا جميعاً ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه أكرم مسؤول. والحمد لله ربّ العالمين.

٢٤ رواه الترمذي برقم ١٩٤١.

٢٥ رواه الترمذي برقم ١٩٤٠.

٢٦ رواه مسلم برقم ٢٥٧٨.

٢٧ سورة الشورى، آية ٤٣.

٢٨ سورة آل عمران، آية: ١٣٤.

ومع هذا كله فإن تلك الفئة استمرت في حملتها المسعورة، وأكثر ما أغضبني منهم أنهم كانوا يتصرفون باسم الإسلام والإسلام من أفعالهم براء.

ولقد بلغ بهؤلاء أن جعلوا كل تطوير تقوم به الوزارة في برامجها ومناهجها هو استجابة مني لما يمليه أجنب «ويقصدون حكومة أجنبية بعينها» وما علموا أنني في كل محفل أو اجتماع أشرح للقصي والداني بأن مناهجنا التعليمية ليست على الإطلاق سبباً فيما يحصل من ممارسات خاطئة وأعمال فيها تشدد وعنف وأن الفكر الذي قاد لذلك ليس ما نعلمه لطلابنا.

لقد قابلت كثيراً من الوفود من الخارج، من الرسميين والدبلوماسيين والصحافيين وأعضاء في البرلمانات وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ولم يجرؤ واحد منهم أن يسألني: لماذا لا تغيرون مناهجكم؟ وأؤكد أن ذلك لو حصل من أي أحد منهم لأخرجته من مكنتي، أو من بيتي لو كان اللقاء فيه، لأن هذه مسائل سيادية لا أقبل فيها أنا ولا غيري الإملاء أو الضغط.. أما التعديلات التي حصلت على مناهجنا الدينية فالقرار فيها لم يكن قراري، بل كلها قرارات لجان مختصة.. وهناك لجنة عليا تشرف برئاسة صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سلطان بن عبد العزيز، مهمتها مراجعة مناهج التعليم، وقد بدأت أعمالها منذ أكثر من سنتين، ولها لجنة فرعية يرأسها فضيلة الشيخ عبد الله المطلق، عضو هيئة كبار العلماء في المملكة، وأي تطوير أو تعديل حصل كان بناءً على قراراتها.

لقد كنت مع زملاء العمل في الوزارة في حيرة من الأمر هل نصرف الوقت لمتابعة ما ينشر أم لا؟ فإن لاحقنا كل ما يكتب فإن ذلك يستغرق وقتنا ويشغلنا عن عملنا المهم. وإن لم نتجاوب ونشرح ونوضح كثر اللوم واللفظ. لقد بلغ انشغال بعض الكتاب بكل ما يحدث في الوزارة من مبادرات تطويرية تأتي بعد الدراسة والتمحيص إلى حد كبير ولم يقتصر الأمر على المناهج بل وصل النقد إلى كل شيء ومن أمثلة ذلك:

١. حين كنت مدعواً عند الأستاذ عثمان الصالح -رحمه الله- أتحدث عن تطلعات الوزارة التطويرية ضمن فعاليات الندوة التي يقيمها في منزله، وبعد أن فرغت من

الحديث بأدرني أحد الحضور بقوله: كيف اصطفيت أهل منطقتك وجعلتهم في مراكز قيادية، ولم تلتفت إلى الكفاءات من مناطق المملكة الأخرى، ومن حسن الحظ أن قيادات الوزارة كلهم كانوا معي في تلك الندوة فالتفتُ إلى يميني ويساري وطلبت من كل واحد منهم أن يخبر عن المنطقة التي جاء منها فإذا بهم من مدن المملكة ومناطقها المختلفة ليس من بينها المحافظة التي ولدت فيها وكان ذلك خير جواب يبرهن على عدم صحة الإدعاء.

٢. كتب أحد الكتاب مقالة صحفية يذكر فيها كذلك أن أقاربي هم الذين يسرون العمل في الوزارة وبعد أن طلبت منه مشافهة أسماء هؤلاء الأشخاص وجدت أن لأحد يمت لي بصلة قرابة، وأن كل الأشخاص الذين ذكرهم كانوا في أعمالهم قبل أن أصبح وزيراً.

٣. وحين تبين من دراسة قامت بها كلية الطب في جامعة الملك سعود والإدارة العامة للصحة المدرسية في الوزارة أن المياه الغازية لها أضرار صحية وتم منع بيعها في مقاصف المدارس، جاء من ينتقد هذا القرار قائلاً: إنه قرار يدعو الطلاب إلى الالتواء وإدخال المياه الغازية سرّاً إلى المدرسة، وأنه يشجع الطلاب للخروج في الفسح لشراء ما يرغبونه من المرطبات الغازية.

٤. وحين جاء توجيه من المقام السامي إلى عدة وزارات منها وزارة التربية والتعليم يقضي بتشجيع المنتج المحلي من التمور وتقديمه في الوجبات وجعله متاحاً للطلاب في مقاصفهم، زارني مندوبون من الغرف التجارية في المملكة يعرضون علي تعاونهم ويطلعونني على أنواع المنتجات التمرية، بعدها وجهت إدارات التربية والتعليم في المناطق والمحافظات بالتقيد بما جاء في التوجيه السامي وجعل التمور ومشتقاتها ضمن ما يقدم للطلاب في المقاصف المدرسية. فكتب أحدهم مقالاً ساخراً يخشى فيه على الطلاب من تناول التمر حتى لا يحذف بعضهم بعضاً بنواه فتفقاً أعينهم!!

لقد كشفت لي أمور كثيرة من خلال تجربتي في وزارة التربية والتعليم كنت أجهلها، وأدركت أن كثيراً من فكرنا العام يحتاج إلى إصلاح. عانيت كثيراً من سوء الظن بي من

بعض الناس ووصل الأمر إلى اتهامي في ديني وذمتي، وكلما خطوت خطوة ظنَّ بي غير ما أردت ومن أجل ذلك عززت مقالتي السابقة: «هكذا تعلمت الإسلام» بكتاب صغير الحجم نشرته إحدى دور النشر بعنوان: «حتى لا تدبّل قيمنا» ركّزت فيه على وجوب حسن الظن بالناس -وسلامة القلب- والتثبت، وأدب الحوار-بل إنى جعلت مثل هذه المفاهيم هي محور اللقاءات في المناطق التعليمية ومع منسوبي الوزارة مؤكداً يقيني أنه لن يستقيم لنا أمر ما لم نكن فيه سليمي الصدور لا نظلم الناس ولا نفتري على أحد.

مواقف فيها طرافة

حين أسجل هنا بعضاً مما أتذكره من المواقف الطريفة فإني بهذا ألفت الانتباه إلى الظروف المعيشية لمجتمعنا في الماضي وإلى تنوع الثقافات في الحاضر، وتعدد المشارب عند الناس، وبساطة الحياة مع بساطة التفكير عند الآخرين.

١. حين كان عمري أقل من عشرين سنة سافرت مع بعض الأصدقاء إلى بلد عربي مجاور بجواز سفر واحد باسمي يسمى «تذكرة مرور برية» وفي الصفحة الأخيرة منه كتب يرافقه أبناء أخته فلان وفلان مع أن أحدهم ليس قريباً لي على الإطلاق وكلا المرافقين أكبر مني سناً، والسبب في ذلك قلة ما في أيدينا من المال وحرصنا على توفير قيمة جواز سفر آخرين مع أنها قيمة زهيدة، وحين وصلنا إلى البلد الذي قصدناه رأينا فيه الكثير من البضائع مما لا نجد في المملكة آنذاك، ورغبتنا كانت شديدة في اقتناء بعضها وشراء هدايا لأهلنا عند العودة بحكم أن هذا هو أول سفر لنا، ولكن ليس معنا من المال ما يكفي لذلك مما جعل صديقي يمد قدمه في الشارع ويعرضه للمركبات، وحين سألته عن السبب قال: لعل سيارة تمر على قدمي ولن يكون

الإيذاء شديداً ولكن التعويض المالي الذي سأجنيه يساعدنا على شراء ما نحتاج إليه، وفي تلك السفارة سكننا في غرفة واحدة في فندق متواضع مع ثلاثة آخرين صادفناهم حين وصولنا إلى ذلك البلد.

٢. في إحدى أمسيات صيف الرياض منذ أربعين عاماً خرجنا إلى كثبان الرمل التي كانت في المعيزيلة، وجرى الحديث عن الأمنيات فكان أحد البسطاء معنا يقول بجديّة متناهية: إنني أتمنى أن يصبح كل الحمالين في المقبيرة أغنياء ويتركوا المجال لي وحدي حتى يكثر زبائني، وقد سمعت عن قصة مشابهة حين طلب من أحدهم أن يتمنى وهو مع الآخرين على كثبان رمل في أحد الأمسيات فقال: أتمنى أن تنقلب هذه الكثبان الرملية إلى كثبان من القمح ويستأجرني أعمامي (ويقصد بأعمامه من يعمل عندهم) لأنقل لهم القمح على حماري وبذلك يكون أجري كبيراً، وهو بهذا لم يتمن القمح لنفسه وإنما تمنى أجرة نقله للقمح لأنه لا يظن بنفسه أنه أهل لأن يمتلك الكثير.

كان الناس في الماضي قنوعين، وكل واحد راضٍ بما قسم الله له، وكانت الأسر تتوارث المهنة جيلاً بعد جيل، وطموح الكثير من الناس محدود.

٣. سافر أحد الناس وهو في الخامسة والعشرين من شبابه من بلدته في نجد إلى الكويت بحثاً عن فرصة عمل أفضل لأنه ضاق ذرعاً بالاستيقاظ مبكراً وركوب حماره خارج البلدة ليقطع نبتاً يسمى العرفج^١، وحين خرج في الصباح الباكر من اليوم الثاني بعد وصوله الكويت إلى حيث يتجمع طالبو العمل جاءه أحد الناس واتفق معه على الأجر اليومي دون أن يعرف طبيعة المهمة، فلما وصل العامل إلى منزل صاحب العمل، طلب إليه الرجل أن يركب الحمار ويذهب للبر ويحضر ما يستطيع حمله الحمار من شجر العرفج. فندب حظه الذي لا يفارقه مهما عمل من الأسباب.

٤. حدثني أحد المسنين ممن أعرفهم معرفة وطيدة أنه ترك بلدته في نجد إلى الكويت لأنه كان يعاني من العوز حتى إنه كان لا يستطيع النوم من الجوع، وحين وصل إلى

١ مكان كان لبيع الخضار والفواكه والمواد الغذائية في مدينة الرياض.

٢ وهو النبت الصحراوي الرطب منه طعام الماشية، واليابس منه وقود.

هناك عمل عند أسرة غنية وفي أول يوم طلبت إليه سيدة المنزل أن يأخذ إناءً مملوئاً بغذاء لبقرهم في فناء المنزل الخارجي وكان من شدة جوعه أنه جلس على الأرض وشارك البقر غذاءها، ولنا أن نعتبر ونشكر الله على تبدل الأحوال.

وبعد هذا أنتقل إلى طرائف كلها وقعت حين كنت في وزارة التربية والتعليم:

5. في أول أيامي في الوزارة قال لي مدير المكتب إن (فلاناً) رجل الأعمال الكبير في السن والثري المشهور في طريقه إليك. فقممت واستقبلته في الممر المؤدي للمكتب، وكنت أعتقد أنه جاء ليتبرع للوزارة حيث إنني فتحت الباب واسعاً لكل من يريد الإسهام في بناء المجمعات المدرسية أو التجهيزات، وبعد أن رحبت به وشكرته على زيارته التي قلت إنها لن تأتي إلا بالخير.. قال: «إني جئت إليك لأن هذا الشاب الذي معي تخرج من الجامعة للتو وإحدى زوجاتي خالته، وتحبه حباً جمّاً ولا ترغب أن يعمل ابن أختها خارج الرياض حيث عينتموه وأنا يا معالي الوزير أحب هذه الزوجة، فقلت له بارك الله في هذا الشاب الجامعي الذي جعلني أراك، وما تأمر به يا أبا فلان هو محل اهتمامي وسأنظر في الأمر وودعته، وقلت لمدير المكتب. إالحق بالرجل واطلب إليه أن يجلس في مكتبك واطلب إلى الشاب الذي معه أن يدخل علي بمفرده، وبالفعل دخل الشاب وقلت له كلاماً أفتعته به: كيف تحمل عمك هذا المسن إلى المجيء إليّ مع صعوبة صعود الدرج عليه»، وأفهمت الشاب أنه ليس هناك أي مسوغ لعدول الوزارة عن تعيينها له معلماً في تلك الناحية وقلت له: إن زوج خالتك قادر على توظيفك في مؤسسته وفي المكان الذي أنت تريده، وقادر على إعطائك أضعاف ما تعطيه الوزارة لك معاشاً شهرياً، وعليه فإنني أطلب إليك أن تخرج من مكنتي وتقبل رأس هذا الرجل الفاضل الوقور وتشكره وتقول: إن أمرك قد قُضي، وفيما بعد تقرر ما تراه إما القبول بالوظيفة الحكومية كما هي، أو السعي لوظيفة في المؤسسة التي يملكها زوج خالتك، وبالفعل فقد فعل كما حكى لي مدير المكتب فيما بعد.

6. الوجاهة عند الكثير تتمثل في التأثير في الحصول على مطالب لا تتحقق دون الوساطة وفي الأيام الأولى من عملي في الوزارة وحين خروجي من المنزل في الساعة السابعة صباحاً فوجئت برجل مسن من شيوخ البادية الذين أعرفهم ولهم علاقة بوالدي واقفاً

عند الباب الخارجي ويهم بطرقه فسلمت عليه واحتفت به ومن معه وقلت له: يا أبا فلان أنا لا أستطيع التأخر عن عملي الآن ولكني أدعوك للغداء فاستجاب، وبعد انتهاء الدوام طلبت من أحد الزملاء في الوزارة أن يرافقني إلى المنزل ليعينني على إيجاد حل لما قد يطلبه مني ذلك الوجه الزائر، وقد جهزت غداءً لائقاً بمقام الضيف ودعوته ومن معه إلى صالة الطعام فأقسم أيماناً مغلظة ألا يضع يده على الأكل إلا حين أعده بأن أستجيب لطلبه، فقلت له: يا أبا فلان إن كان مطلبك لما أملكه شخصياً فانا أعدك بالاستجابة حتى لو طلبت منزلي، وإن كان أمراً عاماً فإني لا أملك أن أعد بشيء ليس من حقي التصرف فيه، فقال لي: اسمع أنا لا أريد منك تحقيق معجزة وإنما أريد شيئاً تستطيع تدييره فأنت الوزير والقادر. فأجبت بأن هذا يتعذر، وحين تأزم الموقف. قال لي الزميل من الوزارة أنت الآن محرج وقد دعوته لمنزلك، وأنا متأكد أن طلبه لن يكون عسيراً. فقلت له بإذن الله سأستجيب لطلبك (سم الله وابدأ) فقال: إن هؤلاء الذين معي قد استفزعوا بي وطلبوا إلي أن أرافقهم وهم أهل الهجرة الفلانية، ويطلبون فتح مدرسة ابتدائية. ومع أن المدرسة الفلانية في القرية المجاورة لا تبعد عن بلدتهم إلا خمسة كيلومترات فإنهم لا يرغبون إرسال أبنائهم إلى تلك المدرسة لأنها في بلدة خصومهم، وهم يفضلون جهل أبنائهم على تعلمهم في تلك المدرسة، وقد حققت المطلب، وكان درسا لي ألا أدعوفيه مراجعاً إلى منزلي مهما كان قدره ومقداره.

٧. بعد ثلاثة أشهر من عملي في الوزارة رافقت أحد مديري التعليم في منطقتي التعليمية في جولة على المدارس (دون سابق ترتيب) وفي إحدى تلك المدارس استقبلنا وكيل المدرسة، وبعد جولة على الفصول وتفقد للمعامل ذهبنا لمكتبه وبعد أن جلسنا قال مخاطباً مدير التعليم: أنت معروف لدينا لكن من يكون هذا الشخص الذي معك؟ فقال مدير التعليم: إنه الوزير فاستغرب وقال: أين الوزير الدكتور الخويطر؟ أليس هو الوزير؟ وشرح مدير التعليم ما حصل من تغيير وزارتي وتبين لنا أن وكيل المدرسة لا يقرأ صحفاً ولا يتابع الأخبار!!.

٢ ويقصد بالهجرة قرية صغيرة أنشئت من أجل توطین البدو الرحل.

٤ مدير المدرسة في ذلك الوقت كان في برنامج تدريبي يقام خارج المدينة التي هو يعمل فيها.

٨. أكثر شيء يشق علينا هو مظاهر الكرم الباذخ في الموائد، وهي أمور لا أريدها ولا أرغب فيها، ولا أريد أن يعدني زملائي ضيفاً وذلك حين الزيارة للمناطق والمحافظات التعليمية ومع التعليمات الصارمة بعدم الإعلان عن الزيارة أو ذكرها في الصحف أو وضع لافتات ترحيبية أو إقامة مآدب فإن الأمور أحياناً تقلت من بين أيدينا، وبعد التجارب كنت أمام خيارين الأول أن تكون الزيارة سرية دون إعلام المسؤول الأول عن التعليم في المنطقة أو المحافظة مسبقاً. ووجدت ذلك متعذراً وغير مقبول ويوحي لكثير من المسؤولين في المدن والقرى التي أزورها أنني أسعى لتصيد الأخطاء في غفلة. والخيار الثاني هو إعلام المسؤول ولكن أشرت عليه ألا يعمل أي مظهر احتفائي وألا تحدد المواقع التي نزورها، وقد أخذت بهذا الخيار وكان واضحاً للجميع أنه لو تبين لي في يوم الزيارة أن ترحيباً في صحيفة أو لافتة وضعت على مدرسة أو في مدخل البلد فإني ومن معي سنعود أدرأجنا، وقد تحقق المراد في الآونة الأخيرة فلم يعد هناك أي مظهر احتفائي في كل زيارتنا، ولكن هنا لا بد وأن أورد أمثلة عما صادفنا في السنين الأولى من الوزارة.

• أقلت بنا الطائرة من الرياض قرابة الخامسة والنصف صباحاً إلى جدة وعند السابعة والنصف ركبنا حافلة إلى الليث، وعند مدخل المدينة استقبلنا مدير التعليم في مخيم تناولنا فيه الإفطار ثم قمنا بزيارة للمدارس ومرافق حكومية أخرى بعد زيارة المحافظ، ولقد كنا سعداء أن نجد مدارس في رونقها وتآلق مديريها ومعلميها على ذلك النحو. حتى إنني قلت لأحد مديري المدارس: وددت لو أني طفل حتى يتاح لي أن أتعلم في هذه المدرسة، وبعد تناول الغداء الذي شاركنا فيه جمع كبير من الأهالي توجهنا إلى مواقع أثرية ثم إلى بعض المراكز التابعة للمحافظة ووصلنا إلى آخر مركز عند الساعة الحادية عشرة مساءً وإذا بأهل المركز كلهم يقظون وبعد زيارة ثلاث مدارس وصلنا إلى مقر الحفل، وكان في ساحة مفتوحة فجلس الزملاء المرافقون في الصفوف الأمامية والناس من خلفهم وبعد الترحيب بنا من عدد من الخطباء والشعراء طلب إلي أن ألقى كلمة فوقمت على المسرح ووجدت زملائي في الصف الأمامي كلهم نائمين، ولكن ذلك لم يمنعي من الشكر والتقدير على تلك الحفاوة ثم مازحت الزملاء النوم، وبعد أن أنشد أمامنا مجموعة من الطلاب نشيداً ترحيبياً

دعونا لتناول طعام العشاء عند الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل، كانت المائدة كبيرة، فيها أنواع اللحوم من إبل وغنم وطيور، وكل من في البلدة من الرجال والصغار متعلقون على الصحن، وبعد أن فرغنا سأل الدكتور عبد العزيز الثيان وكان وكيلاً للوزارة آنذاك عن المستشفى في البلد وبدا لنا أنه مبنى واسع حديث الإنشاء وحين تبين أن هناك غرفاً كافية ليست مشغولة بمرضى اقترح علي أن نبيت فيه، ولكنني لم أوافق حيث إن البرنامج لم ينته فركبنا حافلتنا متوجهين إلى القنفذة التي وصلناها في حدود الساعة الثالثة والنصف قبل الفجر وإذا بالإخوة العسكريين في حرس الحدود ينتظروننا لأن المبيت معد في الضيافة التابعة لهم، وبعد الترحيب بنا رجوتهم ألا يقدموا ما أعدوه لنا من مرطبات فاستجابوا ونمنا لمدة لا تزيد على ساعتين، وبعد صلاة الفجر بدأ البرنامج بمائدة إفطار ثم جولة على معالم المدينة ثم زيارة للمدارس وبعد الغداء توجهنا في الحافلة إلى مطار الباحة حيث عدنا إلى الرياض في الطائرة التي كانت تنتظرنا هناك، وفي تلك الجولة كان يرافقنا الأديب الراحل الأستاذ عبد الله نور (رحمه الله) الذي أضفى على رحلتنا جواً من الأناقة بتعليقاته المرححة.

• وفي زيارة لنا لإحدى المناطق التعليمية قابلت الكثير من المراجعين (كما هي العادة) ولقد لفت نظري رجل مسن ظهره محدودب ويطالب بفتح مدرسة متوسطة في إحدى القرى وكان منطقته منطقاً جميلاً، وسألته عن عمره فقال إنه قد تجاوز المائة وعبرت له عن إعجابي بحرصه على التعليم مع أنه قد وصل إلى هذا العمر فقال لي يا بني: «إن ما وصلت إليه بلادنا وما هي عليه من التطور ما كان له أن يتحقق لولا انتشار التعليم، وبعد انصراف المراجعين أبيت سروري لهذا المسن فقال لي مدير التعليم: إن هذا الرجل ليس له علاقة من قريب أو بعيد بالقرية التي طالب بافتتاح مدرسة فيها وإنما استأجره أهل القرية ليكون أكثر تأثيراً، ثم واصل قائلاً سبق لقرية أخرى أن طلبت إليه أن يطلب مرفقاً حكومياً حين زار المنطقة وزير آخر، كما سبق له وأن طالب في مرات عديدة بخدمات من المسؤولين الحكوميين دون أن يعرف ذلك المسن شيئاً عن تلك الخدمات، فعلمت من العارفين أن مطالبته بمشاريع للقرى في كل مناسبة باب من أبواب التكسب..

وفي تلك الرحلة بعد أن أصبحنا في يومنا الثاني توجهنا في الحافلة إلى إحدى المحافظات التابعة لتلك المنطقة التعليمية عند الساعة السادسة صباحاً ووصلنا عند الساعة وكان استقبالنا في مبنى مدرسي حديث حيث تناولنا طعام الإفطار الذي شارك معظم الأهالي في صنعه خليط من الأطعمة: لحوم، وثرديد، وعصيد، وعسل، وأطباق من الأجبان والزيتون والزعتر إلى غير ذلك وبعد الإفطار كان الحفل الخطابي ثم سرنا على الأرجل خارج المدرسة وإذا بسرادق كبير منصوب في ساحة مجاورة ففتح أحدهم باب السرادق وإذا بمائدة كبيرة عليها صحون الأرز ولحم الضأن وبأعداد كبيرة، فاندھشنا ولماذا ولم يمض على تناولنا وجبتنا إلا أقل من ساعة، فقال لنا مدير التعليم: «تلكم كانت مائدة منسوبي التعليم وأما هذه فمائدة الإفطار من الأهالي من غير منسوبي التعليم»، وبعد أن أنهينا جولتنا غادرنا المحافظة إلى محافظة ثانية تبعد ثلاثين كيلوعن الأخرى، وهناك وجدنا المخيم والموائد ممدودة بها فواكه وحلويات ومرطبات. بعدها زرنا عدة مدارس ثم اجتمعنا مع المعلمين بعد صلاة الظهر في مقر إدارة التعليم، وعند الساعة الثانية كان غداؤنا شبيهاً بإفطارنا!!

أريد أن أدلل بهذا على سجية الكرم ومعناه عند الناس، مع أنني أعتقد أن الإكرام بالطعام كان مناسباً يوم كانت الناس تتطلع إلى المناسبات لتستمتع بالأكل وتتناول منه ما يسد الحاجة نظراً للعوز، أما في وقتنا الحاضر فإني أعتقد أن الكرم ينبغي أن يعبر عنه بطريقة غير طريقة الإسراف في الموائد.

٩. سمعت مرة وأنا في اجتماع في مكتبي شخصاً يصيح بأعلى صوته ويقول: أريد رفع الظلم والحييف عني، ففرغت وطلبت من مدير المكتب أن يسارع بإحضار المظلوم، فدخل علي وهو في حالة انفعال شديد، وأخذ عقاله ورماه عليّ وقال: أنا دخيلك أريد الإنصاف ورد الحق المغتصب، وحاولت تهدئه وأجلسته وقدمت له القهوة، وبعد أن اطمأن قلت له: ما هي مظلمتك؟ قال: أنا من سكان (الهجرة الفلانية وهو واثق أنني أعرفها وأعرف سكانها) (مع أنني لم أسمع بها من قبل) ثم بين لي أنها تقع على بعد أربعين كيلو في وسط الصحراء عن المدينة الفلانية وأن الطريق الذي يربطها بغيرها من المدن والقرى غير معبد، وأنها حديثة الإنشاء وأن الوزارة شرعت في بناء

مدرسة مبسطة وصغيرة في تلك القرية ولكنها أقامتها على أرض بجانب ملك له وأن سور المدرسة الذي بدأ المقاول في حفر الأرض لبنائه دخل في أرضه بطول متر واحد. فاتصلت بمدير التعليم وسألته عن الخبر وقال: إنه لا صحة لما ذكره المشتكي وأن الأرض مملوكة للوزارة فقلت له حتى لو كان غير صحيح عليك أن تساعد وتحل المشكل بأي طريقة وقد تجدون أنه محق أو قد تعوضه الجهة المسؤولة من الجهة الأخرى لأرضه، وقد تم حل المشكل، وقد سألت عن سعر الأرض في تلك الناحية فقيل لي لا تتعدى عشر ريالاً للمتر الواحد، وسألته نفسي عن العناء الذي تكبده المراجع في سفره، ولكن لله في خلقه شؤون.

١٠. قال لي مدير المكتب: إن الدكتور الاستشاري في التخصص الطبي (فلان) موجود الآن حسب الموعد الذي حددته له، وتعجبت كثيراً لأنني لا أتذكر ذلك الموعد، ومع أنني مع بعض الزملاء في الوزارة تناقش أمراً مهماً فقد استأذنتهم أن نوقف اجتماعنا وأن أقابل الرجل نظراً لمكانته العلمية في مجال الطب، وبعد السلام عليه والحفاوة به لأمني على أنني أحرته أكثر من خمس عشرة دقيقة عن الوقت المفترض فيه اللقاء بي، فأسفرت لذلك وطلبت منه الصفح، ثم شرع يتحدث عن المشروع، ويقول: حسب الاتفاق وحين تلاقينا فإني قد عملت كذا وأنجزت كذا واتصلت بفلان وأخبرني فلان، وهو يتحدث بإسهاب وأنا في ريبة من ذاكرتي، وليس فيما قاله ما يوحي لي بشيء، وبعد أن أمضى وقتاً طويلاً يشرح قال: والآن يادكتور أسامة أرجوك أن توافق على الإجراء. فحدقت بعيوني تجاهه وقلت له: أنت تقصد وزير الصحة قال (نعم) فنهضت من الكرسي وقبلت رأسه فتفاجأ، وكان الزملاء جالسين فضحكوا جميعاً، وقلت له: شكراً فقد أفلقتني وحيرتني، والآن أحس بأنس وراحة فلا مشكل في ذاكرتي. مع العلم أنه لا شبه على الإطلاق بيني وبين معالي الزميل الدكتور أسامة شبكشي وكان وزيراً للصحة آنذاك، وهذا يعطي دليلاً على أنه مهما كان تأهيل الإنسان فقد يكون عنده شرود ذهني، وتبين أنه دخل وزارة التربية والتعليم على أنها وزارة الصحة بحكم تجاور المبنيين.

١١. كان يزورني شخص بالغ الأهمية في مركز وظيفي متقدم بناءً على موعد سابق، يشرح

لي أهمية إدخال مادة اللغة الإنجليزية في التعليم في مرحلة مبكرة، ويقترح أن يكون من الصف الأول الابتدائي، ويعلل ذلك بأمر أدركها مثلما يدركها هو مثل: أن التعليم في الصغر أبلغ وأرسخ، وأن ما يكتب في مجال العلوم والتكنولوجيا معظمه باللغة الإنجليزية، وأن الصناعات القائمة في المملكة وعلى رأسها الصناعات البترولية تنقيباً، واكتشافاً، واستخراجاً، وتكريراً تحتاج إلى معرفة الإنجليزية... إلخ، وبينما هو يشرح لي وجهة نظره هذه، إذا بأحد مشايخنا الأفاضل يطلب مكالمتي على الهاتف، فرددت عليه ورحبت به، فقال: إنه يريد أن يحدثني في أمر مهم، وإذا به يقول: أليست اللغة العربية كافية إذا تمكن الطلاب من إتقانها؟ هل نحن في حاجة إلى اللغة الإنجليزية؟ أليس الوقت الذي يصرف في تعلم الإنجليزية في المرحلتين المتوسطة والثانوية، وكذا الجهد والمال ينبغي أن يوجه لما هو أهم من اللغة الإنجليزية، في مزيد من تثقيف الناشئة بأمر دينهم؟ فقلت له: يا صاحب الفضيلة هل تسمح لي أن يستمع إليك من عندي من الإخوان فوافق الشيخ ففتحت لاقط الصوت وقلت: تفضل بالإعادة، فلما سمع الزائر ما قاله الشيخ قال لي بالحرف الواحد: الله يستر، أنا الآن قانع على أن نبقي على ما نحن عليه!!

١٢. صادفتني في مرتين من زيارتي للمدارس موقفان يدلان على التقيد بطرق تعليمية تقليدية:

إحدهما حين شعر أحد المعلمين بزيارتنا فرغب أن يكشف مدى إجادته لعمله - ففتح باب الفصل وأخذ يردد بأعلى صوته شارحاً لطلابه اللام الشمسية واللام القمرية قائلاً «ديك» ويردد الطلاب بأعلى أصواتهم: «ديك» ثم يدخل التعريف باللام الشمسية ويقول: «الديك» ويردد معه التلاميذ. ثم يأتي بمثال اللام القمرية «باب» ثم: «الباب» كل ذلك بصوت عالٍ.

والثاني كان مع معلم للغة الإنجليزية للمرحلة المتوسطة وكان يردد بصوت عالٍ «إق» ثم يكرر معناها بالعربية بيضة ثم جمعها «إقر» ويكرر بصوت عالٍ بالعربية بيض، والمدرسة تدوي حين يقول الكلمة باللغة الإنجليزية وترجمتها باللغة العربية ويردد التلاميذ وراءه ملحنين.

وفي هذا دليل على أن بعض المعلمين مع اجتهادهم قد لا يصيبون الطريقة الأفضل للتدريس وفي كلا المثالين: مثال تعليم اللام الشمسية واللام القمرية، وكذلك تعليم مفردات اللغة الإنجليزية لا يحتاج إلى هذا الصباح عشرات المرار حتى يتعلمها الطلاب، بل إنني وجدت بعض الطلاب على صغر سنهم يضحكون وهم يرددون في استخفاف وراء المعلم استجابة لطلبه.

١٣. دعاني محافظ إحدى المحافظات الكبيرة لزيارته، فذهبت إليه مبكراً صباح أحد الأيام ومعني مدير التعليم في المنطقة، وناقشت معه احتياجات المحافظة وبعض قضايا التربية فيها، وكان في برنامجنا أن نقوم بزيارة مفاجئة لإحدى المدارس هناك فطلب المحافظ أن يكون معنا، فرحبنا به. وصلنا إلى المدرسة التي كانت تحتل مبنى حكومياً، ودخلنا، فراعنا ما رأيناه من قذارة المكان: طبقات الغبار في الممرات، اللعب الفارغة في الأرض، الأوراق مرمية هنا وهناك.

سألنا: أين المدير؟ فقالوا: غير موجود! والوكيل؟ فجاء الوكيل رابط الجأش يتصرف وكأن مدرسته طبيعية، بل على ما يرام! فشعرت بالحرج الشديد والخجل من المحافظ الذي يزور (مؤسسة تربوية) تابعة لوزارتنا!

رأيت لوحة متسخة كتب عليها: «المكتبة»، فقلت في نفسي: دعنا ندخل المكتبة لننجو من بعض هذا الحرج. فقلت للوكيل ذلك، لكننا وجدنا المكتبة مغلقة! فصاح الوكيل: ابحثوا عن (الهندي) ليحضر المفاتيح! (يريد فراش المدرسة!).

دخلنا المكتبة، لا أراكم الله مكروهاً! باختصار: كانت مزيجاً من الفوضى والغبار والقمامة! فلما عاتبت الوكيل، قال لي: الحق عليك! لماذا لم تخبرنا من قبل بزيارتك حتى نستعد لها؟! وللقارئ الكريم أن يتخيل مقدار خجلي من المحافظ!!

١٤. ذهبت في أحد الأيام ومعني مدير عام التعليم في المنطقة الشرقية لزيارة مدرسة ثانوية في مبنى حكومي، وعند وصولنا رافقنا في جولتنا مدير المدرسة الذي كان يحمل شهادة عليا من جامعة أمريكية مرموقة، وقد لفت نظرنا أمور منها: أن أغلب الفصول كان زجاج نوافذها محطماً، والمعامل العلمية مغلقة بأقفال حديدية وعندما

نظرنا إلى داخلها من خلال النوافذ وجدناها تسبح في مستنقع من الماء الآسن، مما يدل على عدم استعمالها مدة طويلة، إضافة إلى وجود المقاعد المتكسرة في الممرات، والساحات المتسخة، وحين ناقشنا المدير حول ما رأيناه بدأ ينسج الأعدار التي منها أن المعامل عهدة عليه وأن استعمالها من قبل الطلاب والمعلمين قد يتلف بعض محتوياتها وتقع المحاسبة عليه!! وحين اصطحبنا إلى الباب الخارجي ليودعنا فاجأنا بأن أخرج مفاتيح أبواب المدرسة من جيبه وسلمها لي شخصياً، وقال ابحتوا عن مدير مدرستكم!! وفي حمل المدير لمفاتيح المدرسة دلالة أخرى لا تخفى على أحد!

وفيما بعد وفق الله إلى تعيين مدير استطاع أن يحسن أوضاع المدرسة مع أن تأهيله الأكاديمي أقل من سلفه، وفي هذا دلالة على أن التأهيل الأكاديمي والثقافة وسعة الاطلاع لا تُكوّن مديراً ناجحاً!!

زملاء العمل

هذا الجزء من الكتاب محرج لي جداً؛ فأنا -من جانب- أرغب في الإشادة بكل زملائي، وخاصة من عمل معي في مركزي الأخير وزيراً للتربية والتعليم، فأذكر بعضاً من سجايهم ومواقفهم، ومن جانب آخر فأنا لا أستطيع ذكر كل الذين يستحقون الذكر لأن أعدادهم كبيرة. هؤلاء الزملاء الأفاضل عملوا معي بكل جد واجتهاد وانصهرت علاقات العمل مع العلاقات الشخصية وليس فينا أحد إلا وينادي الآخر بكنيته (يا أبا فلان) حتى في الاجتماعات واللقاءات الرسمية.

وأعرف أن الكثير منهم ضحى بوقت راحته وبعضهم أنفق من ماله الخاص من أجل إنجاز مهام انيطت به. وأحمد الله أن تركي العمل لم يبه العلاقة التي كانت بيننا بل إنها زادت متانة وعمقاً.

ولابد لي من تقديم اعتذاري لأنني لا أستطيع إعطاء كل واحد منهم حقه من الثناء وهم من الكثرة بحيث لا يتسع لهم كتاب لكنني أجد أن صديقاً من الذين لم ينفكوا في

كل عمل أنيط بي يساندني ويمدني بالرأي والمشورة سواء أكان معي موظفاً في المؤسسة التي أعمل فيها أم خارجها؛ ذلكم هو الصديق الصدوق الدكتور «محمد سليم العوا» فقد كان معي أستاذاً في كلية التربية في جامعة الملك سعود ومعني مستشاراً قانونياً وتربوياً وثقافياً في مكتب التربية العربي لدول الخليج ومعني في تأسيس جامعة الخليج العربي ومعني في كل موقع آخر حتى بعد أن غادر المملكة واستقر في موطنه (القاهرة)، وأجمل ما في علاقتنا هي العمل معاً في أمور تطوعية نرجو بها وجه الله وخدمة الصالح العام ولم يتوان في دراسة ما أرجو منه دراسته متطوعاً، وإبداء الرأي في كل أمر أعرضه عليه. وفي أكثر من مرة يأتي إلى (الرياض) من أجل اللقاء والنقاش في الأمور العامة فله مني الشكر والامتنان.

وأخص بالشكر أيضاً زميلاً لم يكن من موظفي الوزارة وهو الأستاذ الدكتور عبد الله بن سليمان الفهد، الذي قبل مشكوراً أن يعمل في الوزارة معاراً من جامعته، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ولقد تجلت من خلال عمله أميناً عاماً لجمعية الكشافة العربية السعودية ووكيلاً مساعداً للخطط الدراسية والمناهج قدرات فائقة، ومهنية رائعة، وأجزم أنه كان العامل المهم في تحقيق قفزات لجمعية الكشافة، وفيما توصلنا إليه من خطط دراسية متطورة شملت كل المراحل الدراسية. ومن تحسين للمناهج الدراسية.

كما وأخص بالشكر أيضاً:

- فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد توفيق الباني.
- وفضيلة الدكتور محمد لطفي الصباغ.
- والأخ الدكتور أحمد البراء بن عمر بهاء الدين الأميري.

على معاونتهم وجميل صنعهم معي في حقل التربية والتعليم، وقد سبق لي أن استعنت بخبرتهم في مواقع أعمالتي السابقة خاصة في مكتب التربية العربي لدول الخليج، وكوني أخص هؤلاء بالذكر فلمقامهم العلمي الرفيع، ولأنهم استجابوا للانضمام إلى العمل معي مستشارين في مكنتي مع أنهم كانوا في مواقع علمية وعملية حين طلبت منهم ذلك.

وعندما شرعت في ذكر زملائي وأحبائي وجدتي في محيط لا ساحل له فتذكرت حالي وحال تلك الأم العجوز حين سألت عن أولادها: أيهم أعز لديها وأغلى عندها؟ فقالت: هذا.. بل هذا.. لا.. لا.. بل هذا... ثم قالت قولتها المشهورة: هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها، وهكذا الحال مع من تشرفت بالعمل معهم وكل واحد منهم أحمل له في نفسي ذكريات جميلة ومواقف رائعة.

وكانت مقولتي لكل واحد منهم مع بداية عملي معه: «إن السماء هي حدودك.. أريدك أن تبدع فلأن تجتهد حتى لو أخطأت أفضل من أن لا تعمل فكرك في التجديد والتطوير». وكنت أقول لهم كذلك مقولة أحد الزملاء لي حينما كنت عميداً لكلية التربية: «أنت العميد المُتعب المُتعب». فلا بد أن يتحملني من يتعامل معي.

فمن هؤلاء من طلبنا منهم مغادرة المدن التي عاشوا فيها ومنازلهم التي يملكونها ليتولوا مسؤوليات في مناطق أخرى دون أي عائد مالي إضافي نتيجة التكليف، مما جعلهم يتحملون أعباء إضافية كثيرة مالية وغير ذلك.

وكنت دائم الاتصال بهم خارج أوقات العمل، خاصة في عطلة نهاية الأسبوع، أسأل وأتابع، وهم مشكورون يتجاوبون.

هذه الصحبة الجميلة ما قطعها ولن يقطعها -إن شاء الله- مفادرتي لموقع عملي ولا مغادرة أي منهم لموقع عمله.

وأسأل الله العون على تحقيق رغبة ملحة في إخراج كتاب أشرت فيه مع الزملاء، يحوي ذكرياتنا مجتمعين في العمل في وزارة التربية والتعليم ويتضمن ذكر الزملاء فرداً فرداً بخصائصهم وإنجازاتهم، فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء.

الخاتمة

حين يصل المرء إلى المرحلة العمرية التي بلغتها فإن من المجدي أن ينشغل بمراجعة ماضيه، واستخلاص العبر وتسجيلها، لعلها تنفع من يطلع عليها من الأقربين والأبعدين، وفي هذه الاستنتاجات أجد من باب الأمانة أن أعدد أهم ما اختمر في ذهني عن التجربة الشخصية والوظيفية دون أن يكون لترتيبها في الذكر هنا أي مغزى:

١. يقين ثابت بأن الله الخالق المدبر هو الذي يسير عباده، كتب لكل واحد منهم رزقه وأجله وشقي هو أو سعيد، وأن مسيرة الإنسان ووجهته ونجاحه أو إخفاقه لا ينفع معها تخطيط مبكر، ولست أدعو هنا إلى عدم النظرة إلى المستقبل وتحديد مساره وجادة الوصول إلى الهدف، ولكني أدعو إلى عدم المبالغة فيه، ولقد وجدت من خبرتي أن الله قد هيا لي من أسباب الرضا والسعادة ما لم يكن في ذهني أو في تخطيطي، وهذا يشمل كل أوجه حياتي الشخصية والمهنية، فكل مراحل دراستي، وتخصصي، ووظائفي، وواقعي الأسري كانت كلها تأتي دون تخطيط مسبق، ولكني أبدل كل جهدي لأضع خطة لنجاح ما أنا فيه أو ما يسند إلي من عمل، وما أقوله هنا يصدق على

الجانب الشخصي الخالص. أما الجانب المؤسسي فإن التخطيط الواقعي المرن ضروري؛ جربته وعملت بموجبه.

٢. أدرك أن العلاقات الإنسانية بكل صدقها وعمقها هي العنصر الأهم في الحياة عامة بما في ذلك الحياة الأسرية والعلاقات الاجتماعية وفي مجال العمل، وهي العنصر المهم في مجال التعليم خاصة، وفي الإدارة التربوية بوجه أخص، وأن ما ندركه بالرفق، وحسن التآتي، ولين الجانب، وصدق التقدير وما نسميه محلياً بـ (العلم الغانم) أضعاف ما ندركه بالعنف والقوة والعبوس والتجهم مصداقاً للقول الحكيم: «خيرت بين اللين والسيف فوجدت اللين أقطع».

٣. إن الإحسان للناس وإسداء الجميل لهم، وإدخال السرور على نفوسهم، أعمال جليلة أشعر بالأنس حين يقدرني الله على تحقيقها، وقد عودت نفسي ألا أتوقع مردوداً وعائداً، ولا يضيرني ولا يحزنني من ينكر المعروف ولا يقدره، وقد جربت العديد من الجاحدين وفي تقديري أنهم هم الذين خسروا ولست أنا الخاسر.

٤. صحبة الخيرين من البشر وإقامة علاقة صداقة معهم هي من أمتع ما في الحياة، وإن أصدقائي هم ثروتي ومحل اعتزازي، وأشعر بحزن لبعض الناس ممن لا صداقات لهم، ولقد أتاحت لي رحلتي في الحياة المهنية أن أتعرف على زملاء كثيرين وعدتهم وأعدهم دائماً بأن أكون ما دمت حياً أخاً وفيماً لهم وأعمل على ذلك.

٥. أن يعمل المرء وفق ما رزقه الله من علم وخبرة متوكلاً على الله سبحانه مخلفاً وراءه القيل والقال، وحقد حاقد أو حسد حاسد، أو سوء فهم لأننا لو عملنا منتبهين لكل هذا لضاع العمر سدى وما عملنا شيئاً يحسب لنا عند ربنا.. على أن أي عمل يقدم عليه المرء لا بد أن يوليه من التأمل ما يستحقه، وتكون مشورته للأخريين حسب أهمية الشأن الذي يقدم على تنفيذه.

٦. إنه لا يسلم من أسنة الناس أحد، وأدركت أن من تدبر هذه الحكمة ارتاح من متاعب كثيرة. فأكرم خلق الله سبحانه، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لم يسلموا من أسنة أقوامهم، وإنني لمعجب بكلام أحد المفكرين المعاصرين إذ يقول: «والجماهير

دائماً أسرع إلى إساءة الظن من إحسانه، فلا تصدق كل ما يقال ولو سمعته من ألف فم حتى تسمعه ممن شاهده بعينه، ولا تصدق من شاهده بعينه حتى تتأكد من تثبته فيما يشاهد، ولا تصدق من تثبت فيما يشاهد حتى تتأكد من براءته من الهوى والكذب، ولذلك نهانا الله عز وجل عن الظن وعدّه إثمًا لا يغني من الحق شيئاً».

٧. إن النجاح أو الإخفاق في الحياة الشخصية أو العملية يعتمد على كون الفرد في موضعه المناسب، ولو أن كل شخص كان في العمل الملائم له أو في مجال الدراسة المتوافقة مع ميوله وقدراته أو حتى في حياته الأسرية هو قرين للشريك المتوافق معه لأصبح النجاح بتوفيق الله حليف كل الناس، وأمامي شواهد على نجاح يعقبه إخفاق حين تتغير الظروف، وإخفاق يعقبه نجاح حين تتبدل المواقع.

٨. إن الحديث من الناصح عن المثل والأخلاق الفاضلة لا يؤثر في الناس إذا لم يقترن بممارسة، ولا يمكن لإنسان أن يعلم الناس فضائل الصدق ويؤثر فيهم وهو غير صادق، ولا الشجاعة وهو جبان، ولا الكرم وهو بخيل، وعلى هذا فقس، وإنني لأتعجب ممن يطلبون من الناس عمل شيء وهم لا يمارسونه. لقد حرصت في كل المهمات التي قدر الله لي أن أقوم بها أن لا أطلب من الآخرين إلا ما يصدق عملي فيه قولي.

٩. إن المسؤولية - أياً كان مستواها - هي أمانة ثقيلة ولن ينجح فيها إلا من يخلص في إدارته لها ويتقي الله في ممارسته لمتطلباتها، وإن العمل على الإلتقان متطلب ديني أخلاقي مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».

١٠. إنه لا ينبغي أن يغيب عن البال أن المنصب لا يدوم لأحد، ولقد كنت أتصرف دائماً على سجيتي وطبيعتي واضعاً في حساباني الأبعاد على مركزي الوظيفي، وأدرك تماماً أن الخاسر الأكبر هو ذلك المغتر بمكانته الوظيفية والمعمول عليها.

١١. مع أنه من الثابت أن التعليم هو الركيزة الرئيسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وأهم عوامل استدامتها، وأن مؤسسات التعليم لا بد أن تكون مواكبة للتطور، وتقدم

للمتعلمين ما هم في حاجة إليه عند خروجهم للحياة، فإن القائمين على التعليم، ومعهم شرائح عديدة من المجتمع لم يدركوا هذه الحقيقة، ولا زالوا يطلبون من المدرسة إقامة أسوار حول نفسها، وتستمر في مهمة كانت هي الرئيسية لها، والمتمثلة في التركيز على المعلومة أكثر من تطبيقاتها، وعلى أوراق الكتب أكثر من كتاب الحياة وخبرة الواقع، مما يزيد العزلة بين المدرسة وبين الحركة الدافقة لبيئتها ومجتمعها، وحاجاته ومطالبه، وأصبحت الوسيلة بذلك غاية، وأصر الكثير من العاملين في حقل التعليم، ومعهم فئات من المجتمع تساندهم، على أن المهمة الأولى للمؤسسة التعليمية هي استظهار المعرفة وترديدها، لا تطبيقها وأن يكون هذا هو المنهج الغالب مما أدى إلى قطع الصلة بين الطالب وبين عالم العمل، وبعد انتهاء الدراسة يصبح مفتقداً مهارات وخبرات لا تقوم التنمية إلا بها.

وما لم يتغير هذا المفهوم ويتطور أداء المدرسة ويدرك المعلمون أن رسالتهم تغيرت وأن عليهم أن يعدوا الناشئة لزمان غير الزمان الذي عرفه الأواكل فإن القصور يبقى ملتصقاً بالمسيرة المرجو من التعليم أن يحققها، وكل تعليم لا يقود إلى الممارسة الحيوية هو تعليم غير ذي جدوى.

١٢. مما آذانا كثيراً - وقد يستمر أثره - ما يمكن أن نطلق عليه اسم (المنهج الخفي)، والمراد به: أفكار، وآراء، وتصورات، وتأويلات للنصوص الشرعية المحتملة، يحملها عدد من المعلمين ويحاولون بكل جهدهم برمجة عقول الطلاب عليها، الأمر الذي أدى إلى بعض التصدعات الاجتماعية، وأحياناً إلى ممارسات خاطئة. ولم يكن مصدر هذا الأذى مقتصراً على معلمي مادة دون أخرى.

١٣. لا بد أن يعي الناس أن الدنيا بخير وكما يقال «لو خلت لهلكت» وما يثار عن بعض الإشكالات لا يعني عدم وجود الكثير من الإيجابيات، ولقد اكتشفت في زياراتي المتكررة للمدارس في مواقع مختلفة وجود معلمين مبرزين ناجحين بكل المقاييس لأنهم اصطفوا مجال عملهم عن اقتناع بأهميته، وعدوه رسالة لهم. وفي مرات عدة تمنيت لو كنت طفلاً أتعلم عند بعض من شاهدتهم من هؤلاء المعلمين. وترسخ يقيني بأن «المعلم» هو العنصر الأساسي في نجاح العملية التعليمية.

١٤. أدركت أن ما يبطله بخطوات التطوير في مجال عمل الوزارات والمصالح الحكومية في بلادنا هو البيروقراطية التي تضرب بجذورها في الأعماق. لقد أصبح الموظف الحكومي أسير أطر هو صانعها، ومقيداً بحبال هو الذي قتلها ولفها حول نفسه، وغاب عن ذهن معظم ذوي المراكز القيادية في الجهاز الحكومي الغاية من القواعد واللوائح، وأنها للتيسير والانضباط وليست للتعقيد، وقد ذكرنا عدة أمثلة في ثنايا الكتاب عن التحكم البيروقراطي المعطل، ورحم الله الشاعر القائل:

وَهُمْ يقيّدُ بعضُنا بعضاً به وقيودُ هذا العالم الأوهامُ

لقد صدر كثير من القرارات التطويرية والتنظيمات الإدارية الميسرة للأداء الحكومي، ومضت سنون عدة وهي حبر على ورق لم تجد طريقها للتنفيذ، بسبب إجراءات إدارية أراها في منتهى العقم، ولا أجد حاجة لذكر الأمثلة عليها.

١٥. نظراً لأن التوظيف مركزي، والوظائف بأعدادها ومستوياتها ورتبها غير محدد أماكنها، فيكون توجيه الكثير من المعلمين والمعلمات من وزارة الخدمة المدنية إلى الوزارة، والكل يأمل أن يكون موظفاً في البلد الذي يرغبه وإذا لم يكن في البلد الذي يرغبه فيكون عمله مؤقتاً بعام أو عامين أملاً في الانتقال، والمعلم والمعلمة بين أمرين: فإما أن يستوطن في البلد الذي يعمل فيه وهو في معظم الحالات غير مرتاح ويأمل العودة إلى بلد إقامته، وهي بالنسبة للمعلمات أشد صعوبة، ففي الغالب أنها تصحب أحد محارمها يقيم معها، إما والدها أو أحد إخوانها أو زوجها أو أحد أقاربها، أو أن يضطر للسفر يومياً من مقر إقامته إلى مدرسته ذهاباً وإياباً، وكان بعضهم يمضي ساعتين ونصف ذهاباً ومثلها إياباً، إضافة إلى الأخطار المرورية وفي كلتا الحالتين فالأمر مرهق ولا يتوقع من المعلم أو المعلمة أن يؤدي دوره المنوط به على أكمل وجه، وكيف يتسنى له ذلك وهو أسير هذه المعاناة.

وتعاني الوزارة من مشكلة طلبات المعلمين والمعلمات أن ينقلوا من أماكن عملهم إلى أماكن أخرى كل عام بحيث تصل إلى عشرات الآلاف. وتأتي المعاناة نتيجة

٢ البيروقراطية التي أعنيها - كلما ورد ذكرها في الكتاب - هي الجمود في فهم القوانين، والوقوف عند ظواهرها دون النفاذ إلى روحها والمقصود منها.

الإحراج الشديد والضغط الكبيرة وينشغل كبار المسؤولين بالإجابة على التساؤلات مع أن العمل يجري في هذه المسألة أياً وطبقاً لضوابط تحقق العدالة ولا يستطيع أحد أن يبدل فيها. فمن جهة ترغب الوزارة في تلبية طلب منسوبيها ومن جهة أخرى لا سبيل لها في تلبية ذلك لأن حصيلته اكتظاظ مدارس بمعلمين ومعلمات أكثر من الحاجة، وخلو مدارس في مواقع أخرى من حاجتها من ذوي الاختصاصات التعليمية.

ومن خلال التجربة فلا حل لهذا المشكل إلا بجعل كل إدارة تعليم تقوم بتوظيف حاجاتها طبقاً لما خصص لها من الوظائف، بل إن الأفضل أن تكون كل مدرسة هي التي تقوم بتوظيف المعلمين حسب حاجتها وما اعتمد لها في الميزانية، وقد سعت الوزارة إلى تحقيق ذلك وبإلحاح، ولا يزال الأمر تحت البحث والدراسة.

١٦. بعد طول التجربة أدركت أن العمل في الدوائر والمصالح الحكومية مع أهميته إلا أن ما يؤخر تطوير أدائه انعدام الحوافز المادية والمعنوية وهناك نقص واضح في مكافأة المجدِّ والمُجيد مما يدفع إلى مضاعفة الجهد ويشجع الآخرين على الاقتداء بالمحسن والتنافس معه. وهناك انعدام لمحاسبة المقصر على تصديره أو العمل على تطوير قصوره. بل إن اللافت للنظر أن يجد المرء نقيض المطلوب في أحيان كثيرة حيث يتبوأ إنسان لم يثبت كفاءة في أدائه لمناصب أعلى ومراكز متقدمة وإنسان ضرب مثلاً في إتقانه لعمله وتفانيه في أداء وظيفته قد لا يتاح له من الفرص ما يقابل حسن صنيعه، وإني لعلى يقين أن أي مؤسسة إذا لم توفر للمحسن أسباب التشجيع وتدفع به إلى الأمام لقاء إحسانه ولم تحاسب المقصر على تصديره فلن تتطور مهما كانت المحاولات الجادة لتطويرها.

١٧. وجدت أن وزارة التربية والتعليم في المملكة هي الوحيدة من بين وزارات التعليم في العالم كله، التي تشغل بأمور ليست من اختصاصها، تنفق فيها أوقاتاً وجهوداً أولى بها أن تنفق فيما هو من صلب أهدافها، مثل: الحصول على أراضٍ، والبناء عليها، وتجهيز الأبنية وتأثيثها، وهذه الأمور وما شاكلها تقوم بها في بلدان أخرى هيئات كالبلديات، أو وزارات الأشغال العامة، وسواها... فليتنا نعفي الوزارة من هذه المسؤوليات وأشباهها لتتفرغ بالدرجة الأولى إلى إعداد المعلم الجيد، والطالب الجيد، والمقرر الجيد.

١٨. ومما يناسب ذكره في هذه الخاتمة أن مؤتمراً تربوياً كبيراً شارك فيه كبار المسؤولين وذوو الاختصاص من أنحاء الوطن العربي كافة عقد مؤخراً في بيروت (إبريل ٢٠٠٦م) دعت إليه مؤسسة الفكر العربي عن «التعليم والتنمية المستدامة» وضمني مع عدد من الأصدقاء والزملاء، فعلق أحدهم على كلمتي التي ألقيتها في المؤتمر وضمنتها أفكاراً ومقترحات لتحسين وضعنا التربوي والتعليمي، قائلاً: لماذا لم تحقق يادكتور ما تدعو إليه الآن عندما كنت وزيراً؟ فأجبته:

أولاً: تحقق - بفضل الله - الكثير من الآمال والمشاريع.

ثانياً: الكثير مما لم يتحقق كان لعدة أسباب منها معارضة بعض شرائح المجتمع من أصحاب النيات الحسنة (إن شاء الله) التي لها تأثير، وصوتها عالٍ طغى على أصوات أخرى مخلصه لا تملك التأثير نفسه!

ثالثاً: «البيروقراطية» التي تغلّ خطى الإنجاز في بعض الدوائر الحكومية.

١٩. أنظُرْ إلى قطاعات الوزارة المختلفة: من وكالات، وإدارات، وأقسام... وكأنها جزر متناثرة في محيط، ومن الضروري أن يكون الاتصال بين هذه الجزر على أحسن وجه، وأن يعرف سكان كل جزيرة أحوال جيرانهم بكل دقة وأمانة. وقد نجحنا - بفضل الله، عندما كنت في الوزارة - في تحقيق هذا التواصل عن طريق اجتماع الأربعماء من كل أسبوع، والاجتماعات الدورية مع مديري التربية والتعليم في المناطق والمحافظات، وفي كل هذه الاجتماعات حرصنا أن يعرض كل مسؤول وكالة، أو إدارة، أو قسم... ما عنده، فيحيط الآخرون بذلك علماً، ويشاركون زميلهم في الرأي والمشورة، إذ المراد أن يشعر الجميع أنهم أبناء أسرة واحدة، يحققون معنى الجسدية الذي أشار إليه الحديث الشريف: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد...»^٢.

وقد آلمني - عندما كنت أحضر اجتماعات لجان على مستوى الوزراء - غياب هذا المعنى في بعض الأحيان! كنت آمل أن أرى كل وزير حريصاً على مصالح الوزارات

٢ رواه البخاري برقم ٦٠١١، ومسلم برقم ٢٥٨٦.

الأخرى كحرصه على مصلحة وزارته، فعلى سبيل المثال: كنت أمل أن يناقش وزير المالية، ووزير الخدمة المدنية، ووزير العمل مشكلات وزارة التربية والتعليم كأنهم مسؤولون عنها، وأن يعرض وزير التربية والتعليم احتياجات وزارته مقدراً أوضاع الوزارات الأخرى، ولكن المناقشات كانت تجري وكأنها مفاوضات بين شركات متنافسة، أو مداولات بين دول يحاول كل طرف أن يفوز فيها وتكون له الغلبة.

كما آلمني أنه حينما كانت الحاجة تدعو إلى تشكل لجنة من عدد من الوزارات والمصالح الحكومية المختلفة، كان ممثلو بعض الجهات المشاركة غير مخولين بالتوقيع على محاضر تلك الاجتماعات المتضمنة ما تم الاتفاق عليه من قبل الجميع، ولا بد أن يرجعوا إلى وزرائهم لأخذ موافقتهم، بينما كنت - بعد أن أختار ممثل الوزارة المختص بموضوع الاجتماع، وأشرح له أبعاده - أخوله بالتوقيع نيابة عن الوزارة، ولا أعترض عليه، وعدم اتباع سياسة التقويض هذه أدى إلى تعطيل كثير من المصالح، وربما إلى وأدها، فلم تر النور بعد تلك الاجتماعات.

وقد كنت - ولا أزال - أرى أن قراراً تالياً في الجودة يتخذ في الوقت المناسب، وينفذ، خيرٌ من قرار مثالي يأتي بعد فوات الأوان، وتضيع فرصة الاستفادة منه.

٢٠. وفي النهاية أجد لزاماً عليّ أن أذكر بجميل الشكر وعظيم الامتنان والدتي الفاضلة السيدة نورة بنت أحمد بن عثمان الركباني، وزوجتي أم أحمد، سلوى بنت عبد الله بن عبد المحسن التويجري.

• أمّا أمّي فلا أستطيع أن أوفيها حقها، لأنها تعبت كثيراً في تربيّتي وصرفت عني الكثير من المعوقات، وكان همها وسفلها الشاغل هو العبادة، والدعاء لي وإخوتي. وأجزم أن دعائها كان عاملاً أساسياً فيما وفقني الله إلى تحقيقه، ولا أنسى ذلك اليوم الذي احتفلت فيه معها - وهي تقترب من السبعين - بحصولها على الشهادة الابتدائية من مدرسة محو الأمية.

• وأما زوجتي فقد تحملت معي الكثير في رحلتي هذه؛ فمنذ أن تزوجنا حين انغماسي في الدراسات العليا في الغربية، وبعد عودتي من الخارج وانشغالي بحياتي العلمية

والمهنية، وهي تسدد معي وتقارب، وتحمل عني الكثير من الأعباء، وبخاصة المنزلية والأسرية، وبذلت الكثير لتربية أولادنا، ولولا وقوفها بجانبني - بعد عون الله - وإخلاصها ووفائها لما استطعت أن أنجز الكثير من أعمالي، فلها مني ثناء خاص لرعايتها لوالدتي في مرضها وفي سنها المتقدم وأدعو الله أن يثيبها خيراً عما قدمته ويجزل لها العطاء دنيا وأخرة.

وبعد

غادرت موقعي في وزارة التربية والتعليم حامداً الله تعالى على ما وفقني إليه، إذ بدون عونه لا يمكن للعبد أن يصنع شيئاً، وممتناً للقيادة التي اختارتني لحمل ذلك العبء الثقيل، وشاكراً الذين عملت معهم جهودهم الهائلة التي كانت -بعد توفيق الله- أكبر عامل من عوامل النجاح والإنجاز. غادرت الموقع وقد تحققت -بفضل الله- الكثير مما كنا نسعى لتحقيقه، ولعل اسم الوزارة الجديد «وزارة التربية والتعليم» كان من ضمن ما سعينا من أول يوم إلى تبنيه وقد تحقق... ولكن هل تحققت كل أو جل ما أريد وما سعيت له؟! بالطبع، لا، وذلك لأسباب كثيرة سبق أن أشرت إلى بعضها. وإني لأحمد الله أن صلاتي بمن عملوا

١ وبالمناسبة فمن البذور التي زرعت في ذلك الحين ثم أنثرت: قيام أول جامعة للبنات؛ ففي الأسبوع الأول من شهر صفر ١٤٢٥ هـ أقامت الوزارة حفل تدشين المرحلة الثانية لكليات البنات بالرياض، وافتتاح مبنى كلية الآداب برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز (وكان حينها ولياً للعهد)، وكانت فرصة سانحة لي إذ أشدت في كلمتي التي ألقيتها في تلك المناسبة بجهود رؤساء تعليم البنات الذين تعاقدوا عليها، وكان الأحياء منهم موجودين في ذلك الاحتفال -وفي ذلك الاحتفال أعلن خادم الحرمين الشريفين -حفظه الله - عن قيام أول جامعة للبنات في المملكة بعد أن رفعت لمقامه الكريم ما يفيد باكتمال عناصرها من مبانٍ، وتجهيزات، وهيئة تعليمية، وبرامج دراسية... الخ.

معي هي الآن أكثر رسوخاً من ذي قبل، وسأظل -فيما تبقى لي من العمر- مواصلاً للعمل، واضعاً نصب عيني قوله عليه الصلاة والسلام: «إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليغرسها». فأنا لا أطيق البقاء بدون عمل، ولا أستطيع العيش بدون أن أقدم ما أقدر عليه خدمة لديني ووطني.

إن ما أفاضه عليّ الكريم المنان من جزيل النعم الغامرة، يستحيي منها قلبي، ويعجز عن شكرها لساني، وحين أنظر كيف بدأت وإلى أين انتهيت أدرك بعض فضل الله علي؛ فله الحمد كما يحب ويرضى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٢ رواه أحمد ١٨٢/٣، والبخاري في الأدب المفرد برقم ٤٧٩ بتحقيق عبد الباقي.

فهرس الموضوعات

مقدمة : لماذا هذا الكتاب؟ ٩

حديث في النشأة والوظيفة

النشأة الأولى	١٥
ملامح عن المجتمع وحالي معه	١٥
القيم	٢٠
مراحل دراستي في التعليم العام	٢٢
الدراسة الجامعية والعليا	٣٣
الدراسة الجامعية وبداية الحياة العملية	٣٣

- ٤٢ الدراسات العليا (الابتعاث إلى أمريكا)
- ٥٠ العودة إلى الوطن
- ٥١ **محطات علمية ومهنية**
- ٥١ عملي في جامعة الملك سعود (جامعة الرياض سابقاً)
- ٦٥ مدير عام مكتب التربية العربي لدول الخليج
- ٧٠ دور مكتب التربية في إنشاء جامعة الخليج العربي
- ٧٧ منجزات أخرى لمكتب التربية العربي لدول الخليج
- ٨٢ عضوية مجلس إدارة المعهد الدولي للتخطيط التربوي (باريس)
- ٨٣ عضويتي في هيئة مستشاري الموسوعة العالمية
- ٨٤ عضوية لجنة الخطة الشاملة للثقافة العربية
- ٩١ مابعد مكتب التربية العربي
- ٩٥ إنقاذ جامعة الخليج العربي
- ٩٧ تبعات رؤيتي عن تعليم الفتاة
- ١١٠ الموسوعة العربية العالمية
- ١١٥ مهام عمقت فلسفة التربية في نفسي
- ١١٨ عضوية مجلس الشورى
- عضوية المجلس التنفيذي لليونسكو
- ١٢١ وترشيح سعودي لمنصب مدير عام المنظمة
- **وزيراً للمعارف (التربية والتعليم حالياً)**
- ١٢٧ ١٤١٦ - ١٤٢٥ هـ / ١٩٩٥ - ٢٠٠٥ م
- ١٢٧ الأيام الأولى في الوزارة
- ١٣٦ تحديد أولويات العمل في الوزارة

الإنجازات - التطوير

(١٤١٦ - ١٤٢٥هـ) - (١٩٩٥ - ٢٠٠٥ م)

- ١٤٩ العناية بالطالب
- ١٤٩ توجيه الطلاب وإرشادهم
- ١٥٣ لائحة تقويم الطالب
- ١٥٦ الصحة المدرسية
- ١٥٨ التغذية
- ١٦٠ إنشاء صندوق خيري لمساعدة الطلاب
- ١٦١ العناية بالمعلمين
- ١٦١ رؤيتي عن المعلم ورسالته
- ١٩٨ كليات المعلمين
- ٢٠٠ التدريب والابتعاث
- ٢٠٢ الإشراف التربوي
- ٢٠٥ التعليم الموازي
- ٢٠٥ التعليم الأهلي
- ٢٠٨ التعليم الأجنبي
- ٢١٩ محو الأمية وتعليم الكبار
- ٢٢٠ التعليم البيئي العالمي (جلوب)
- ٢٢٣ العناية بالمدرسة
- ٢٢٣ ضوابط ومعايير فتح المدارس والفصول
- ٢٢٤ المباني والتجهيزات المدرسية
- ٢٣٠ المدارس السعودية في الخارج

مشروع عبد الله بن عبدالعزيز وأبنائه الطلبة

٢٣٣للحاسب الآلي.....
٢٣٥خطوات المشروع.....
٢٤١الرؤية.....
٢٤١الأهداف.....
٢٤٦آلية تحقيق الأهداف.....
٢٤٧الفئات المستفيدة من المشروع.....

مؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله لرعاية الموهوبين

٢٦١(النشأة والإنجازات).....
٢٦٤إنشاء مؤسسة الملك عبد العزيز ورجاله لرعاية الموهوبين.....
٢٦٩الهيكل التنظيمي للمؤسسة.....
٢٧٠أهداف المؤسسة.....
٢٧١موارد المؤسسة.....
٢٧١عضوية المؤسسة.....
٢٧٢إنجازات المؤسسة.....

التطوير التربوي

٢٧٩تطوير سياسة التعليم في المملكة.....
٢٩١ماذا يريد المجتمع من التربويين؟.....
٣٠٣تطوير الخطط والمناهج الدراسية.....
٣١١القواعد المنظمة لتقويم العام الدراسي.....
٣١٣التقويم الشامل لنظام التعليم.....
٣٣٤تطوير مناهج التربية الدينية.....
٣٤٩تطوير مناهج اللغة العربية.....
٣٥٣إدخال التربية الوطنية في مناهج التعليم.....
٣٥٧دمج الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة.....

٣٦٨	التربية الكشفية وتطوير أنظمتها ومناهجها
٣٧٢	إلزامية التعليم
٣٧٢	رياض الأطفال
٣٧٣	تعليم مهارات التفكير
٣٧٣	تعليم أدب الحوار وممارسته
٣٧٥	إدخال مادة اللغة الإنجليزية إلى المرحلة الابتدائية
٣٧٦	التقوم الشامل للمدرسة
٣٧٧	برنامج المدارس السعودية الرائدة
٣٧٨	بنك الاختبارات
٣٧٩	المعجم المدرسي
٣٨٠	برامج متنوعة
	خطة مستقبلية للوزارة لعشر سنوات قادمة
٣٨٣	(١٤٢٥-١٤٣٥هـ) - (٢٠٠٤ - ٢٠١٤م)

٤٠١ العلاقات الخارجية، والشؤون الثقافية

٤٠١	تفعيل العلاقات الخارجية
٤٠٥	الاهتمام بالشؤون الثقافية
٤٠٦	إنشاء إدارة الترجمة
٤٠٧	تطوير الأمانة العامة للجنة الطفولة
٤٠٨	تطوير المكتبات وإنشاء مراكز مصادر التعلم
٤١٠	تنشيط وكالة الوزارة للمتاحف والآثار

٤١٣ التطوير الإداري والمالي

٤١٤	تطوير الأداء الوظيفي من خلال
٤١٦	ترشيد الإنفاق
٤١٧	الموارد الإضافية للتعليم
٤١٩	زيادة الدرجات الوظيفية العليا وزيادة المخصصات المالية

٤٢١	الإعلام التربوي
٤٢٤	مجلة المعرفة
٤٣١	التقارير العلمية
٤٣١	الخط الساخن

متفرقات

٤٣٥	دمج تعليم البنات في الوزارة
٤٤١	ما لقيته من عناء
٤٦١	مواقف فيها طرافة
٤٧٣	زملاء العمل
٤٧٧	الخاتمة
٤٨٧	وبعد

هذا الكتاب

- صفحات من عُمر عاشها صاحبها في هذه الحياة أكثر من ستين عاماً، ذاق من حلوها ومرّها، وعسرها ويسرها، منها أربعون سنة عاملاً في حقل التربية والتعليم.
- صُورٌ وعبرٌ.. عواطف ومواقف.. مُكابدة ومُجاهدة.. وتوثيق لإنجازات حدثت في هذا الوطن إبّان عدد من أهم الأحداث التي ألمّت بهذا الكوكب الذي نعيش على ظهره: ثورة التّقانة والمعلومات والاتّصالات، وكارثة الحادي عشر من سبتمبر وما جرّته على العالم من ويلات!!
- تجربةُ رجلٍ تشرف فكان على قمة هرم المسؤولية في وزارة التربية والتعليم في هذه الظروف الاستثنائية عقداً كاملاً من الزمان، وتكوّن لديه يقينٌ راسخ -من خلال دراسة التاريخ والواقع- أنّ مفتاح رُقّي الأمم، وقيام الحضارات يكمنُ في نوعيّة التربية والتعليم، تجربةٌ يقدّمها للقراء الأعزاء... إبراءً للذمة، وشهادةً للتاريخ الذي عاشه أبناءُ هذا الجيل، وسيقرّوه الأجيال القادمة.

ISBN 9960-52-980-0



9 789960 529806

هذا الكنب

- ◆ صفحات من عُمر عاش صاحبها في هذه الحياة أكثر من ستين عاماً، ذاق من حلوها ومرّها، وعسرها ويسرها، منها أربعون سنة عاملاً في حقل التربية والتعليم.
- ◆ صُورٌ وعبر.. عواطف ومواقف.. مُكابدة ومُجاهدة.. وتوثيق لإنجازات حدثت في هذا الوطن إبّان عدد من أهم الأحداث التي أملت بهذا الكوكب الذي نعيش على ظهره: ثورة التّقانة والمعلومات والاتصالات، وكارثة الحادي عشر من سبتمبر وما جرّته على العالم من الويلات !!
- ◆ تجربة رجل تشرف فكان على قمة هرم المسؤولية في وزارة التربية والتعليم في هذه الظروف الاستثنائية عقداً كاملاً من الزمان، وتكون لديه يقينٌ راسخ - من خلال دراسة التاريخ والواقع - أنّ مفتاح رُقّي الأمم، وقيام الحضارات يكمن في نوعيّة التربية والتعليم. تجربة يقدمها للقراء الأعزّاء... إبراءٌ للذمة، وشهادةٌ للتاريخ الذي عاشه أبناء هذا الجيل، وسيقرّوه الأجيال القادمة.